

العدد/ (١٠)
٢٠٠٩

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها بيت الحكمة العراقي

البرنامج النووي الايراني وتداعياته الاقليمية والدولية

تأليف
أ.م.د. ستار جبار علاي

بغداد - ٢٠٠٩

مجلات بيت الحكمة

دراسات الترجمة

دراسات قانونية

دراسات تاريخية

دراسات الاديان

فيض الحكمة

دراسات سياسية

مجلة عالم الحكمة

الترجمة القائمة على المعنى

دليل التكافؤ عبر اللغات

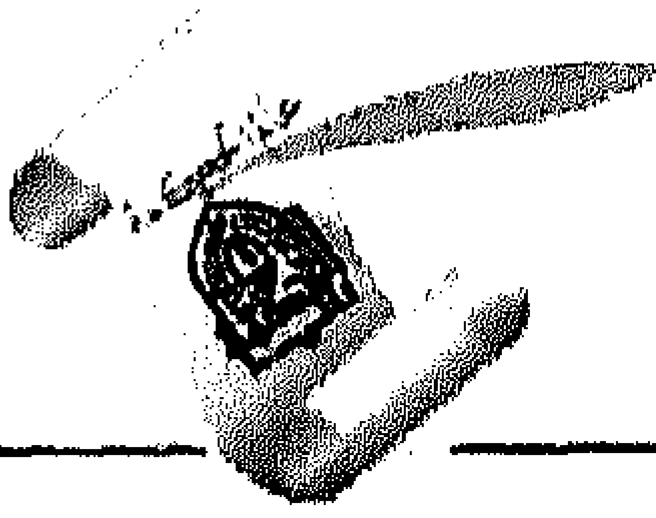
السوفسطائية في الفكر اليوناني

ماري وكارانا

إهـــداء ٢٠٠٩

بيت الحكمة

العراق



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها بيت الحكمة العراقي

(١٠)



البرنامج النووي الايراني وتداعياته الاقليمية والدولية

تأليف

الاستاذ المساعد الدكتور

ستار جبار علاي

٢٠٠٩

عنوان الكتاب :البرنامج النووي الايراني وتداعياته الاقليمية والدولية
تأليف: الاستاذ المساعد الدكتور ستار جبار علاي
الناشر:بيت الحكمة
الطبعة: الاولى/٢٠٠٩م

تنسيق واخراج :سهامه عبدياسين
بيت الحكمة العراق-بغداد- باب المعظم- ص.ب(٥٣٦٤٠)مكتب بريد الاقصى
هاتف٤١٤٠٠١٥/ ٤١٤١٢٠١ فاكس ٤١٦٤٩٥٠

E-Mail: Baytal_hikma@Yahoo.com
Info@ baytal hikma Iraq. Org
Baytal_hikma@Yahoo



سلسلة شهرية يصدرها بيت الحكمة

الآراء المنشورة في هذه السلسلة تعبر عن كاتبها ولاتعبر بالضرورة عن رأي بيت الحكمة

سلسلة عالم الحكمة

منذ أن تم رفع قواعد بيت الحكمة سنة ٨٠٠م وهو يقوم بعملية رفد الحضارة الانسانية والحركة العلمية في العالم بما ينتجه الفكر الانساني في مختلف فروع المعرفة والحكمة .

ولا يزال يمارس دوره الريادي في الاسهام الفاعل في ذلك وفي اعادة بناء العراق ومقومات التحول السياسي والاقتصادي والاجتماعي واحياء التراث العربي والاسلامي بما يدعم عملية التعايش السلمي بين الشعوب والاعتراف بالاخر والحوار بين الاديان والشعوب والتلاقح بين الحضارات .

ومن اجل رفد المسيرة الانسانية في سبيل غدٍ افضل ودعم الحركة العلمية ، واثارة روح الابداع في الشخصية الانسانية فإن بيت الحكمة ارتأى أن يؤسس لسلسلة ثقافية بأسم "عالم الحكمة" تنفتح على الافكار والاتجاهات كلها وتدخل فروع الحكمة والمعرفة كلها وتتعامل مع الآخر أياً كان الآخر بروحٍ علمية موضوعية هادفة الى البحث عن الحقيقة ونشرها بأمانة وآملاً في الأسهام في نهضة الامة وبناء الانسانية على اسس علمية متميزة ومن الله تعالى نستمد العون والتوفيق..

أ.د.شمران العجلي

رئيس مجلس امناء بيت الحكمة

الإهداء

الى الرجال المؤمنين بالغد الواعد...

الى وطني العراق العظيم

مهد الحضارة وارض الأنبياء....

ستار

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم الانبياء و المرسـلين سيدنا محمد(ص)و اله الطيبين الطاهرين. الحمد لله الذي مكننا من ان نقدم هذه المسـاهمة العلمية المتواضعة ,خدمة للعلم و المتعلمين. قـد تتفاوت الرؤى و التقيمات لاي جهد علمي مهما كان متواضعا وتطرح الافكار المختلفة التي يمكن ان تقيم هذا الجهد وتعطيه حقه من الانصاف و العدالة.

ان موضوع هذه الدراسـة التي عنوانها (البـرنامج النووي الايراني وتداعياته الاقـليمية و الدولية)،هو موضوع اثار ويثير الكثير الكثير من الاسئلة و الاحتمالات و التي تناولت الموضوع عرضا و تفصيلا ,و هو مايزيد من صعوبة تقديم دراسة علمية متكاملة في موضوع لاتزال تطوراته مستمرة ,و لذلك جاءت هذه المساهمة العلمية المتواضعة املا في ان تقـدم رؤية و ان كانت بسيطة في شأن تزايد الحديث عنه.

لقد حاول الباحث ان يتابع كل ما له علاقة بـالموضوع و خصوصا ان مثل هذه المواضيع اصبحت من محرمات الحديث في الوقت الراهن و لطالما احتلت دول و انتهكت حرمات وقتل ابرياء تحـت مسـميات اسلحـة الدمار الشامل وبرامج الاسلحة النووية التي سنظل نحـن العرب نحـلم بـها الى حين....

و اجد من الواجب علي وقبل أن انهي هذه الدراسة أن اتقـدم بـجزيل الشـكر و التقـدير الى كل من سـاهم في توجيهي و ارشـادي طيلة مدة كتابتها,و لايسعني هنا الا ان اتوجه بالشكر الجزيل الى الاستاذ الدكتور عبـد السلام ابراهيم بغدادي الذي قدم لي العديد من التوجيهات و الاراء المهمة ,لقد حملته معي عناء ومشقـة البحـث خصوصا في عمان فله مني كل الحـب و التقدير .كما اتوجه بالشكر الى الاستاذ الدكتور عبد القادر محمد فهمي الذي شرفني بمساعدته منذ ان كانت هذه الدراسة في بداياتها الاولى وكم تمنيت ان يكون معنا في العراق لنستفيد من خبرته و ارائه فله مني كل الشـكر ،وختاماً

شكري وتقديري الى بيت الحكمة وأمينة العام الدكتور شمران العجلي الذي رحب بهذا الجهد العلمي في مؤسسته وقدم كل العون في صدوره بأسرع وقت على الرغم من الصعوبات العديدة،وأخص بالشكر كذلك الاستاذ مهند عبد الحسن مسؤول النشر والانسه سلوى وهبه في قسم الدراسات السياسية فلهم مني كل الشكر و التقدير .

اهمية الدراسة

بدءا" لابد من التساؤل ماهي الطاقة النووية ؟ متى ظهرت؟ وكيف تطورت واستخدمت؟وما هي المجالات التي جرى استخدام الطاقة النووية فيها؟وما الفرق بين الاستخدام السلمي للطاقة النووية الذي تتشبث به العديد من الدول ومنها ايران في تبرير سعيها لامتلاك هذه الطاقة وبين الاستخدام العسكري الذي تتخوف منه الدول الغربية وخصوصا الولايات المتحدة.

ان استعراض تطور البرنامج النووي الايراني منذ بداياته يطرح هذا التساؤل بشكل واضح ,فقد تساءلت العديد من الدول ومراكز الابحاث المختلفة عن الهدف من وراء سعي ايران الى امتلاك محطات الطاقة النووية على الرغم من المخزون الكبير من النفط والغاز .وهذا سؤال مهم حاولت الدراسة بيانه وتبرير سعي الايرانيين في هذا المجال.

وبافتراض اسوء الاحتمالات الناجمة عن المساعي الايرانية في مجال الطاقة النووية التي مازالت تتسم بطابع الغموض ,ماذا يمكن ان يترتب على المسعى الايراني في حالة نجاحه؟ وماهي نتائجه على المنطقة تحديدا والاقليم بصورة عامة؟

ويبقى التساؤل الاهم ماهو هدف الولايات المتحدة من هذه الحملة المتصاعدة على ايران وبرنامج ايران النووي الذي تؤكد طهران انه مخصص للاغراض السلمية في الوقت الذي تغض الولايات المتحدة الطرف عن اسرائيل وتدعم بشكل واضح دولة محتلة لارض عربية تمتلك قدرات نووية وقنابل نووية على وفق ما اكده رئيس الوزراء الاسرائيلي ايهود اولمرت ؟

اهداف الدراسة

اصبحت التكنولوجيا النووية و امتلاك قدراتها عاملا مهما في تحـديد مكانة الدولة و ما يمكن ان تحصل عليه من مكاسـب او امتيازات في مواجهة خصومها و التهديدات الموجهة الى نظامها السياسـي و هذا ماجعل العديد من الدول تسـعى الى امتلاك التكنولوجيا النووية و الاسـتفادة منها في مختلف المجالات,الا ان هذا السعي اصبح اليوم مشكلة كبرى للعديد من الدول وبات التهديد و الوعيد لغة واضحة في محاولة لمنع او قمع الدول الساعية لامتلاك هذه الطاقة او محـاولة الاسـتفادة منها و من هنا جاءت هذه الدراسـة عن البرنامج النووي الايراني .

ان محاولة الالمام بـالاهداف الايرانية من وراء بـرنامجها النووي محاولة صعبة نوعا ما فالدول غالبـا" لاتكشـف عن اهدافها و طموحـاتها بسهولة و خصوصا اذا كانت تواجه تحديات و تهديدات من مختلف الاطراف التي تتخوف من هذه الطموحات و البرامج ,الا ان الدراسة حاولت الاحـاطة ببعض الاهداف المعلنة عن البرنامج الايراني دون اغفال مايمكن ان تنطوي عليه الطموحات الايرانية اذا كانت بنوايا غير معلنة من مخاطر و تحـديات انية ومستقبلية.

لقد سعت الدراسة الى محاولة تتبع بدايات البـرنامج الايراني للطاقـة النووية ودور الدول الغربية في تمكين ايران في عهد الشـاه من السـير في طريق امتلاك بعض المفاصل المهمة في ميدان الطاقـة النووية وخصوصا الشركات الالمانية التي كانت عنصرا مهما في البرنامج الايراني دون اغفال دور الولايات المتحـدة التي كانت الداعم الرئيس للشـاه في طموحـاته وتطلعاته.

اذا كانت الولايات المتحدة هي من حفز الشـاه في مجال الطاقـة النووية ,لماذا تغيرت هذه الرؤية بعد الثورة الاسـلامية العام١٩٧٩ هل هو اختلاف

مصالح ام اختلاف اولويات؟ ولماذا هذه التحـــــركات اليوم لمنع ايران من امتلاك التقنية النووية ؟

وتبقـــى الاشـــارة الى تداعيات البـــرنامج النووي الايراني على المنطقة مهمة جدا في ضوء تصاعد التهديدات والتلويح المتزايد بالعقوبـــات المختلفة دون غياب الخيار العســـكري وهذا مايجعل من التداعيات في غاية الخطورة .فما هي اثار المواجهة المحـــــــتملة على دول الجوار الجغرافي لايران تحديدا والمنطقة عموما.

اما على صعيد التداعيات الدولية ,فقد ظهر تباين واضح بين الدول الغربية حول تحديد الدوافع الايرانية من امتلاك القدرات النووية ,ففي الوقت الذي دعمت فيه روسيا ايران في جهودها لامتلاك محطات الطاقـــة النووية وخصوصا في مفاعل بوشهر نجد ان هناك دول اخرى تباينت مواقفها بشكل واضح من البرنامج الايراني وظهر تكتل اوربي ثلاثي حـــاول التوصل الى تسوية مع الايرانيين حول البـــرنامج ودخلت الوكالة الدولية للطاقـــة الذرية كطرف مســـــاعد في هذه الجهود الا ان التعثر الذي ميز هذه الجهود اوجد بعض التطابق في وجهات النظر بين الدول الاوربـــية والولايات المتحـــدة واصبح الاتفاق جليا في العديد من الخطوات بـــين الجانبـــين وخصوصا في فرض اكثر من حزمة من العقوبات الاقتصادية ,بالرغم من انها لم تنه التهديد الامريكي الصريح والضمني باحتمال استخدام القوة في حالة فشل المعالجات الاخرى .وهذا مايجعل من امكانية المواجهة العسكرية امرا واردا يوما بـــعد يوم.ولهذ لابد من التعرف على الرؤية الامريكية وامكانية الخيارات المختلفة وامكانية الرد الايراني ومستوياته.

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بإعلانها عن نجاحها في إنتاج اليورانيوم المخصب صناعيا، تكون الجمهورية الإسلامية الإيرانية قد فجرت المفاجأة التي وعدت بها وساهمت في الوقت نفسه في نقل الأزمة حول ملفها النووي إلى مرحلة جديدة وربما أكثر تصعيدا. وبقدر ما عزز هذا الإعلان من مزاعم الدول التي تؤكد بان طهران تسعى لإمتلاك القنبلة النووية، فقد وضع الدول التي كانت تميل إلى، بل وتراهن على، الحل الدبلوماسي في موضع حرج. أما إيران فقد أرادت من جانبها أن تضع كلا من الأعداء والأصدقاء أمام الأمر الواقع، لاسيما بعد تزايد الضغوط الدولية عليها وبالذات عقب نقل ملفها النووي إلى أروقة مجلس الأمن الدولي. كما يأتي هذا الإعلان الإيراني بهذا الشكل الاستعراضي كاستمرار لما يمكن تسميته "بسياسة إيرانية جديدة" تتمثل في اللجوء إلى استعراض للعضلات. ولعل المناورات العسكرية المتعددة قرب مضيق هرمز والإعلان عن تطوير أسلحة تقليدية حديثة يصب في هذا الاتجاه.

وفي كل الأحوال أثارت هذه الخطوة الإيرانية ردود أفعال دولية سريعة وبالذات من قبل الدول التي تعرب باستمرار عن قلقها من الطموحات النووية الإيرانية مثل الولايات المتحدة وإسرائيل. ومما لاشك فيه أن سرعة ردود الأفعال الدولية على إعلان طهران نجاحها في تخصيب اليورانيوم تعبر عن مدى اهتمام هذه الدول بهذا الموضوع وأولويته على أجندتها. وقد اتفقت كل من واشنطن وباريس وتل أبيب وحتى هذه المرة موسكو على وصف هذه الخطوة الإيرانية بأنها "خطوة في الاتجاه الخاطيء". ولم يذهب الاتحاد الأوروبي بعيدا عن ردود الفعل تلك، إذ قال بأن الأمر "يدعو للأسف"، وإن كان قد تم تأكيد استمرار الاتحاد في مواصلة الضغط للتوصل لحل دبلوماسي للنزاع. من جانبها اعربت المانيا عن "قلقها البالغ" إزاء إعلان ايران عن تخصيبها لليورانيوم. أما الصين، التي وقفت مع روسيا ضد نقل الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمن، فلازالت تعتقد ان حلا دبلوماسيا

من خلال المفاوضات هو أفضل سبيل للخروج من الازمة، حسب ما جاء على لسان السفير الصيني لدى الأمم المتحدة.

من جانبها مازالت الوكالة الدولية للطاقة الذرية تلتزم الصمت وترفض التعليق على الموضوع. يذكر أن هذا الإعلان الإيراني، جاء عشية زيارة مدير عام الوكالة، محمد البرادعي، لطهران لبحث مسألة ملفها النووي، الأمر الذي أُعتبر خطوة إستباقية من الجانب الإيراني لتوجيه المفاوضات في اتجاه آخر. كما يشكل هذا الإعلان ضربة لآمال الوكالة الدولية وكذا موسكو اللتين كانتا تؤكدان على أن موضوع التخصيب مازال في مرحلة الشكوك حتى قبيل هذا الإعلان. ومع ذلك لازال البرادعي يؤمن بتغليب جميع الأطراف للعقل حتى في هذه الظروف: "لازلت متفائلا وسيتأكد للجميع عاجلا أم آجلا بانه لا يوجد طريق آخر غير العودة إلى طاولة المفاوضات". الا ان التصريحات الرسمية الايرانية تسير في اتجاه اخر اذ قال الرئيس الإيراني بانه لا احد يستطيع أن يجبر بلاده على وقف برنامجها النووي. فيما جدد مسوؤل إيراني اليوم رفض بلاده وقف أنشطتها النووية قائلا بان هذه الأنشطة "مثل شلال بدأ يتدفق. لا يمكن وقفه".

وتحاول إيران إثبات حسن نيتها من خلال تعزيز التعاون مع المفتشين النوويين الدوليين حتى تتجنب تحويل ملفها إلى مجلس الأمن. في هذا الإطار سمحت طهران للمرة الثانية للمفتشين بزيارة موقع بارشين العسكري الذي يوصف بـ "الحساس" وهو ما جعل الوكالة الدولية تعرب عن سعادتها بعد أن كانت قد أعلنت بأن إيران غير ملتزمة بمعاهدة الحد من الانتشار النووي. وتتجاوز زيارة مواقع مثل بارشين نطاق متطلبات معاهدة الحد من الانتشار النووي التي تحصر عمليات التفتيش في المواقع التي تكون متأكدة من وجود مواد نووية فيها. غير إن إيران تحاول في الظاهر التعاون مع الوكالة الدولية لتجنب رفع ملفها الى مجلس الأمن واحتمال فرض عقوبات عليها.

سماح إيران للمفتشين الدوليين بدخول معسكراتها دفع الوكالة الدولية للطاقة الى الإعلان عن أن التحقيق في الملف النووي الإيراني يحقق تقدما.

ودعا مدير الوكالة محمد البرادعي المجتمع الدولي الى الصبر قبل اتخاذ إجراءات وإيران الى إظهار الشفافية لطمأنة الدول الأخرى الى أن برنامجها النووي سلمي ولا يستهدف تطوير أسلحة نووية. وقال البرادعي إن المفتشين يتاح لهم الآن دخول المنشات العسكرية الإيرانية وحث المجتمع الدولي على استنفاد كافة السبل الدبلوماسية.

من جانبها حاولت دول الاتحاد الأوروبي إتباع سياسة العصا والجزرة مع إيران فيما يتعلق بنشاطات الأخيرة النووية. وقد عرضت الدول الأوروبية على إيران تعاونا نوويا وسياسيا وتجاريا لإقناعها بالاستمرار في تعليق تام لأنشطتها النووية الحساسة، غير أن إعلان إيران معاودة نشاطها النووي في اب(أغسطس)٢٠٠٦, دفع الترويكا الأوروبية (ألمانيا وفرنسا وبريطانيا) إلى تعليق مفاوضاتها مع طهران والانتقال الى "سياسة الترهيب" بالتهديد بتحويل الملف الى مجلس الأمن مع الاستمرار بنهج "سياسة الترغيب"

من جانبه يحاول محمد البرادعي مدير عام الوكالة الدولية للطاقة الذرية وآخرون أن يعثروا على ما يسميه البعض "حل لإنقاذ ماء الوجه" يسمح باستئناف محادثات إيران مع الاتحاد الأوروبي وتجنب تفاقم المواجهة. وبموجب الخطة الجديدة التي وضعت في روسيا يمكن لإيران القيام بنشاط تحويل اليورانيوم المنخفض الدرجة وذلك في مشروع ايراني ـ روسي مشترك على الاراضي الروسية بشرط أن توافق إيران على تعليق كل النشاطات النووية الأخرى. ويأمل ان تساعد الخطة الجديدة على الخروج من المأزق الحالي.

سياسة الترغيب والترهيب التي اتبعتها الدول الغربية مع طهران لم تأت بنتائج مثمرة، كما أن سياسة التهديد والوعيد التي تسير عليها الولايات المتحدة الأمريكية ومعها بعض الدول الغربية لم تثن إيران عن موقفها. طهران تتمسك بحقها في تخصيب اليورانيوم "للأغراض المدنية" وتعتبر ذلك

"مســـالة وطنية"، بـــينما تعرب الدول الغربـــــية عن مخاوفها من ان تكون طموحات إيران أكثر من مجرد الحصول على الطاقة. إذا والحال كذلك يبقى الســـؤال العملي هو ما هو الأســـــلوب الأمثل للتعامل مع هذا الموضوع ؟ إن إيران وباعتبارها إحدى الدول التي وقعت على اتفاقـــية حـــظر انتشـــار الأسلحـــة النووية من حقـــها تخصيب اليورانيوم لأغراض ســـــلمية. أما الاتهامات التي توجه إليها من قبل أمريكا وإسرائيل وكذلك من قبل الإتحـــاد الأوروبي بأنها تنوي إمتلاك القنبلة النووية قد يكون لا أساس لها من الصحة وهي فقط نتاج عدم الثقة في الحـــكومة الإيرانية. هل يعني هذا أن إيران على حق؟ إيران تشعر باستمرار بأنها تحت الضغوط الدولية والوصاية وبـــالتالي فإنها تحاول أن تثبت لنفسها وللعالم بأنها قـــوية بـــما فيه الكفاية لمواجهة تلك الضغوط، بالرغم من أن لا أحد كان يشكك في قدرات إيران النووية. فالسؤال هو هل يوجد في إيران قادة سياسيون قادرون على استغلال طاقـــات البـــلاد وتوظيفها بشكل سليم؟ وحول ذلك يدور الشك. ففي الوقت الذي يحـــتفل فيه الإيرانيون بهذه القفزة التكنولوجي ، تزداد الفجوة بـــين طهران والدول التي تشكك في نواياها النووية.

ويكاد يكون موضوع الملف النووي الإيراني والتصريحات النارية التي تطلقها الحكومة الإيرانية وعلى رأسها الرئيس الإيراني أحـــمدي نجاد تجاه إسرائيل وأميركا الحدث الأكثر بروزاً في الأوســـاط الإعلامية والسياســـية الآن.

بيد أن خطوة إيران هذه لن تغير شيئا في جوهر الأمر، فحـــتى مع إعلان طهران نجاحها في تخصيب اليورانيوم إلى درجة ٣,٥ بالمائة باستخدام مائة وأربعة وســـتين من أجهزة الطرد المركزي، هذا لا يعني أن بـــإمكانها إنتاج القنبلة الذرية، إذ أن ذلك يتطلب تخصيب اليورانيوم لدرجة تسعين بـــالمائة بالإضافة إلى آلاف أجهزة الطرد المركزي. وطهران تحتاج لسنوات عديدة لكي تصل إلى هذه المرحلة. وليس من الحـــكمة الآن اعتبـــار النجاح الأولي

لطهران في تخصيب اليورانيوم مبررا كافيا للانتقام منها أو شن هجوم عسكري عليها. بل يجب التعامل معها بالطرق الدبلوماسية. و مواصلة الحوار بجانب الرقابة قد يساعد على إزالة الشكوك و تنامي الثقة بينها و بين الغرب.

في ضوء كل ماتقدم حاولت الدراسة الانطلاق من فرضية ان هناك سعيا متزيدا بين مختلف الدول لامتلاك التكنولوجيا النووية الا ان البواعث على هذا التحرك تتباين بشكل واضح وتحكمها الى حدما طبيعة العلاقات الدولية لهذه الدولة مع القوى العظمى اذ يمكن ان يكون هذا المسعى موضع ترحيب ودعم اذا كان الطرف الساعى حليفا قويا يخدم المصالح الغربية وهوما كانت عليه ايران فى عهد الشاه محمد رضا بهلوي تحديدا .ولكن اختلاف النظام السياسي و اختلاف توجهاته ومصالحه عن مصالح القوى الغربية يمكن ان يثير الكثير من المشاكل و العقبات حتى و ان كانت الطموحات و التوجهات ذات طابع سلمي و هو مايبرز في حالة ايران اليوم.

و انطلاقا مما تقدم سعت الدراسة الى الاستفادة من مختلف المناهج العلمية حيث اعتمدنا احيانا المنهج الوصفي فى بيان بعض التفاصيل مع اقترانه بالمنهج التاريخي لاكمال الفائدة,الى جانب الاستعانة بالمنهج التحليلى في تحليل بعض القضايا و المواقف ,و بالرغم من كل ذلك يبقى استخدام المنهج محكوما في كثير من الاحيان بطبيعة التطورات موضع الدراسة.

الفصل الاول

الطاقة النووية تعريفها واستخداماتها

المقدمة

لابد من الإشارة إلى أن الطاقة النووية تكنولوجيا قديمة باهظة الكلفة وعتيقة الطراز. وهي اي الطاقة النووية بكل بساطة لن تحل مشكلة المخاطر المنبثقة عن تراجع مخزون النفط، كما لن تحول دون التعرض لأخطار مستقبلية. فالخطر الفعلي يتمثل بالتكنولوجيا النووية نفسها.

أضف إلى ذلك أن استخدام الطاقة النووية كأداة للمساومات السياسية يُعتبر تصرفاً خطيراً للغاية. فحيثما اعتُمد هذا السلوك، استُتبع بالنزاعات وانعدام الثقة وسوء التفاهم. وعندما يتم تفعيل هذا السلوك، يصبح خطر النشاط الإشعاعي المخيّم في الأجواء دائماً.

لكن خياراً أفضل يتوافر للعالم ويتمثل بالطاقة المسالمة المتجددة. فالموارد المتجددة قادرة على توفير ما يكفي من الطاقة لتزويد منطقة كاملة بالوقود، بموازاة المساعدة على وضع حد للمخاطر الأمنية التقليدية الناجمة عن الاعتماد على النفط. وتماماً كما أدى الاعتماد على النفط إلى خفض مستوى السلامة في العالم عن طريق التغيّر المناخي واستوجب بلورة معاهدة تُعرف باسم معاهدة كيوتو من أجل ضبط هذه الظاهرة، تستوجب المخاطر التي تهدد أمن الشرق الأوسط هي أيضاً معاهدة يمكن تسميتها "معاهدة الشرق الأوسط الخالي من التقنيات النووية"

جدير بالذكر أن مصادر الطاقة المتجددة يمكن أن تلبي حاجات الشعوب إلى الطاقة بأسعار مستطاعة، كما أنها تساعد على حماية كوكب الأرض. أما التكنولوجيا النووية، فلا تحمل معها شبكة أمان، بل تترافق عوضاً عن ذلك مع مخاطر وقوع الحوادث الكارثية وانتشار الأسلحة النووية والنفايات المشعة المميتة التي يدوم تأثيرها لوقت طويل.

أضف إلى ما تقدم أن نظام الطاقة الأكثر أمناً يتمثل بنظام الطاقة المتجددة، مرفقاً بكفاءة الطاقة و الحفاظ عليها. و ما يبرر ذلك أيضا و اقع أن الطاقة المتجددة تمدّ العالم أصلا بمقدار من الطاقة يفوق ما توفّره الطاقة النووية. و فيما ترتفع أسعار الطاقة النووية و تتنامى المخاطر البيئية الناجمة عن الاحترار العالمي، ستتنامى بموازاة ذلك الطاقة المتجددة هي أيضا .لكن العكس يحدث في ما يتعلق بالطاقة النووية. ففي تشرين الثاني (نوفمبر) عام ٢٠٠٠، أقر العالم بأن الطاقة النووية ملوّثة و خطيرة و غير ضرورية عبر رفض السماح لبعض الدول باستخدام هذه الطاقة لتحقيق أهداف معاهدة كيوتو . و كان قطاع الطاقة النووية يأمل بالحصول على الموافقة المنشودة بموجب ما يُعرف بآلية التطوير النظيفة كمصدر للطاقة لا يضر بالمناخ. لكن محاولات القطاع لتمويه مشروعه تحت ذريعة الحفاظ على البيئة كانت موضع رفض. هذا و تكبدت الطاقة النووية ضربة أخرى عندما رفض مؤتمر عقدته الأمم المتحدة حول التنمية المستدامة في نيسان (أبريل) العام ٢٠٠١ تعريف التكنولوجيا النووية باعتبارها تكنولوجيا مستدامة, في ضوء كل ما تقدم ينطلق هذا الفصل من فرضية ان الطاقة النووية اليوم اصبحت عنصرا مهما تتسابق الدول على امتلاكها و الاستفادة منها بما يعزز قدراتها و امكانياتها العلمية و التكنولوجية,و هذا مايفرض علينا التعريف بالطاقة النووية وبيان بعض مراحل تطورها و استخداماتها المختلفة .

المبحث الاول تعريف الطاقة النووية وتطورها.

اولا- في تعريف الطاقة النووية.(١)

تعرف الطاقة النووية بانها طاقة تنبعث نتيجة انشطار نواة الذرة التي تدعى النواة الام حيث تنقسم الى نواتين مجموع كتلتيهما ينقص عن كتلة النواة الام وتتحول الكتلة المفقودة نتيجة الانشطار النووي الى طاقة مهولة.

و هناك نوع اخر من التفاعلات النووية يطلق عليه تفاعل الاندماج حيث

تندمج نو اتان لتنتج نو اة جديدة كتلتهما تنقص عن كتلتي النو اتين المندمجتين ويتحول الفرق في الكتلة الى طاقة مهولة.و او ضح نموذج للتفاعلات الاندماجية هي الشمس حيث تحدث فيها سلسلة متتابعة من تفاعلات الاندماج النووي نتيجتها تلك الطاقة الكبيرة التي تبعث بسها في ارجاء المجموعة الشمسية.

بمعنى اخر انه عندما تنفلق ذرات عنصر ثقيل الى ذرات عنصرين اخف,فان التحول يسمى (انشطارا" نوويا"),و يمكن ان يكون التحول (اندماجا"نوويا") عندما تتحد اجزاء ذرتين ,ويسمى ايضا" التفاعل النووي الحراري لانه يحدث فقط عند درجات حرارة عالية جدا" و هو عكس الانشطار النووي.[٢]

لم تكن الطاقة النووية معروفة قبل القرن التاسع عشر ,حيث كان الاعتقاد السائد بين علماء الفيزياء و الكيمياء حتى القرن التاسع عشر ان المادة مكونة من عدة ذرات صغيرة لايمكن فصلها او شطرها الى جسيمات اصغر .و جاء التطور المهم باكتشاف وليم رونتجن لاشعة اكس(X)في تشرين الثاني(نوفمبر)١٨٩٥ .تلاه في بداية العام ١٨٩٦ ,اكتشاف العالم هنري بيكريل الاشعاع الطبيعي عندما احس بطاقة الاشعة غير المرئية تنبعث بصفة مستمرة من المعادن التي تحتوي على عنصر اليورانيوم.[٣]

اعقب ذلك نشر العالمان (رذرفورد)و (سودي) اول نظرية تفترض التفتت الذري في عام١٩٠٢ ,و تاكيد العالم (رذرفورد) ذلك بنظرية تؤكد انطلاقات كبيرة من الطاقة تصاحب عملية النشاط الاشعاعي .و هذا ما بلوره(اينشتاين)مباشرة بنظرية النسبية بان(المادة و الطاقة مظهر ان لشيء واحد وكل منهما يمكن ان يتحول الى الاخر). ثم استمر البحث العلمي في ميدان الذرة و انشطارها بشكل متصاعد حتى تمكن العالم البريطاني ارنست رذرفورد من تحويل عنصر النتروجين الى عنصر اثقل منه و هو الاوكسجين.

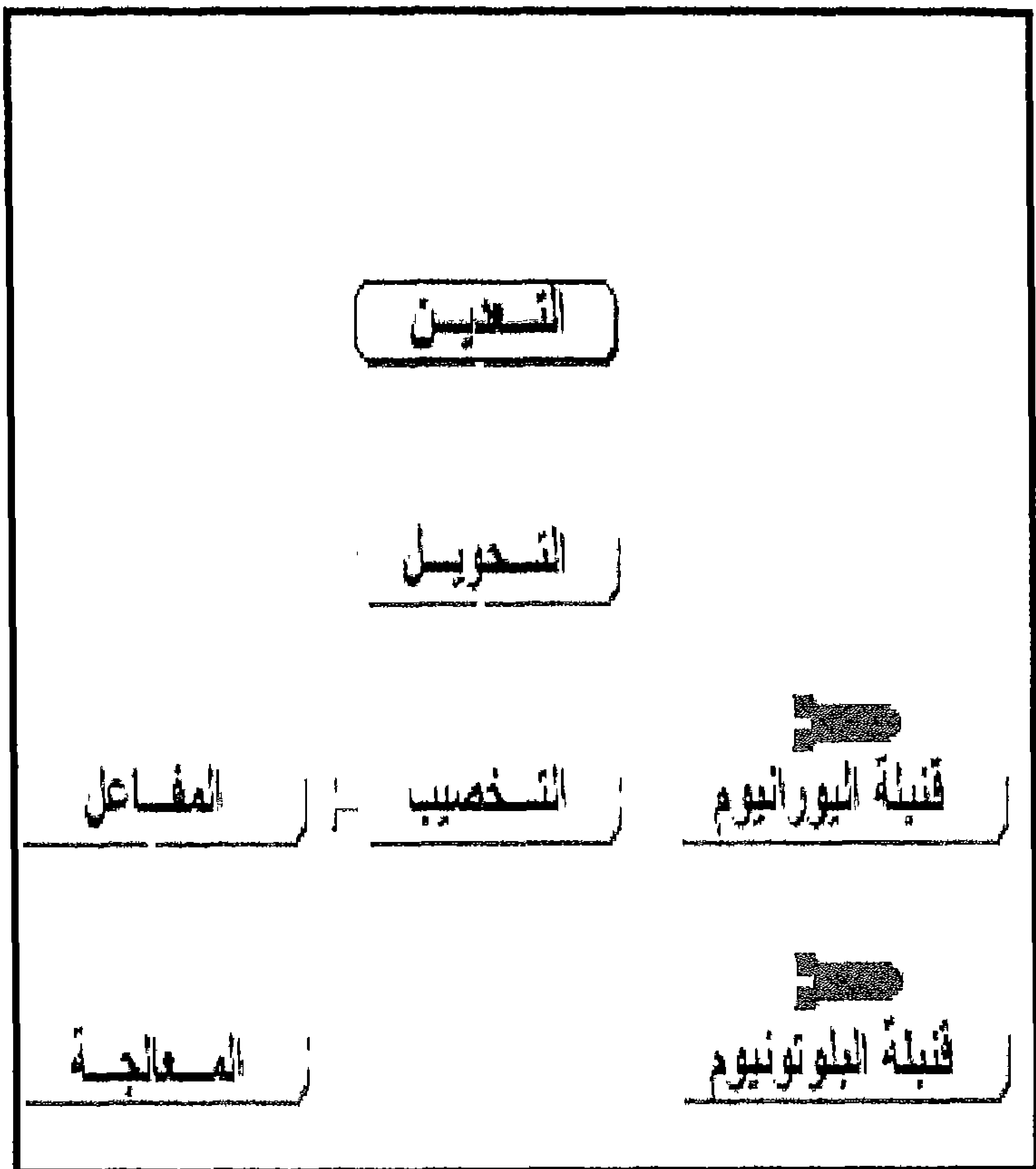
وخلال هذه الحقبة كان السير (وليم رمزي)قد لفت الانظار في عام١٩١١ ,في اجتماع الجمعية البريطانية لتقدم العلوم الى احتياجات العالم

المتزايدة من الطاقة,و اكد الحـــاجة الى البحـــث عن عوامل مســـاعدة تعجل بانطلاق مختزنات الطاقة النووية[٤].

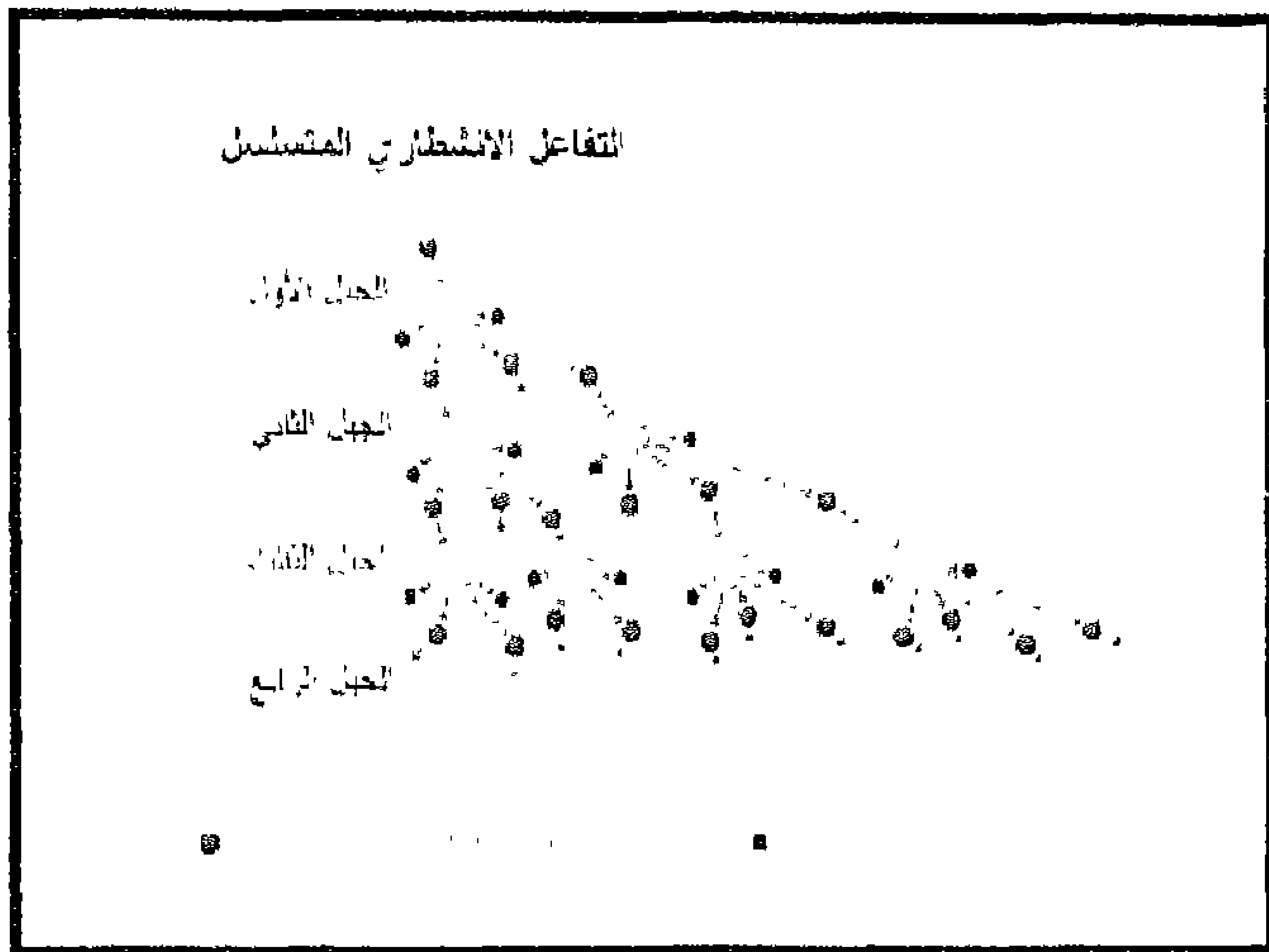
وجاء التطور الحاســـم في هذه المرحـــــلة,عندما توصل العالمان الالمانيان (اتو هان وسترســـمان)الى اكتشـــــاف الانشـــــطار النووي في عام١٩٣٨,حيث تم قذف ذرة اليورانيوم بنيترون,وقد صاحب ذلك الانشطار انطلاق كمية هائلة من الطاقة.وتعادل كمية الطاقة المنبعثة الفرق بين طاقـــة الربط لنواة ذرة اليورانيوم الثقيلة وبـــين طاقـــة الربـــط لنواة الذرة الخفيفة المتكونة نتيجة للتغييرات التي تحدث في النيوترونات والبـــروتونات والتي تتسبب في تغيير قـــوى التجاذب والتنافر داخل النواة.وتعادل كمية الطاقـــة الناتجة من انشطار كامل لكيلوجرام واحد من عنصر اليورانيوم كمية الطاقة التي تنتج من احتراق الف وستمائة طن من الفحم او تسعمائة وعشـــرة الاف لتر من البترول.[٥]

يعد اليورانيوم المادة الخام الأساســـية للبـــرامج النووية، المدنية منها والعسكرية.ويستخلص اليورانيوم إما من طبقات قريبة من سطح الأرض أو عن طريق التعدين من باطن الأرض. ورغم أن مادة اليورانيوم توجد بشكل طبيعي في أنحاء العالم المختلفة، إلا أن القليل منه فقـــط يوجد بشـــكل مركز كخام يمكن الاستفادة منه.ويوضح الشكل رقم (١) دورة اليورانيوم كاملة.

الشكل رقم (١)


التعدين
التحويل
قنبلة اليورانيوم
التخصيب
المفاعل
قنبلة البلوتونيوم
المعالجة

وحينما تنشطر ذرات معينة من اليورانيوم في تسلسل تفاعلي، ينجم عن ذلك انطلاق للطاقة، وهي العملية التي تعرف باسم الانشطار النووي.ويحدث الانشطار النووي ببطء في المنشآت النووية، بينما يحدث نفس الانشطار بسرعة هائلة في حالة تفجير سلاح نووي. وفي الحالتين يتعين التحكم في الانشطار تحكما بالغا.ويوضح الشكل رقم (٢)التفاعل الانشطاري المتسلسل.



شكل رقم (٢)

ويكون الانشطار النووي في أفضل حالاته حينما يتم استخدام النظائر من اليورانيوم ٢٣٥ (أو البلوتونيوم ٢٣٩)، والمقصود بالنظائر هي الذرات ذات نفس الرقم الذري ولكن بعدد مختلف من النيوترونات. ويعرف اليورانيوم-٢٣٥ بـ"النظير الانشطاري" لميله للانشطار محدثا تسلسلا تفاعليا، مطلقا الطاقة في صورة حرارية.وحينما تنشطر ذرة من اليورانيوم-٢٣٥ فإنها تطلق نيوترونين أو ثلاثة نيوترونات.وحينما تتواجد إلى جانبها ذرات أخرى من اليورانيوم-٢٣٥ تصطدم بها تلك النيوترونات مما يؤدي

لانشطار الذرات الأخرى، وبالتالي تنطلق نيوترونات أخرى.و لا يحدث التفاعل النووي إلا إذا توافر ما يكفي من ذرات اليورانيوم-٢٣٥ بما يسمح بأن تستمر هذه العملية كتسلسل تفاعلي يتواصل من تلقاء نفسه. ويعرف هذا المتطلب بـ"الكتلة الحرجة". غير أن كل ألف ذرة من اليورانيوم الطبيعي تضم سبع ذرات فقط من اليورانيوم-٢٣٥، بينما تكون الذرات الأخرى الـ٩٩٣ من اليورانيوم الأكثر كثافة ورقمه الذري يورانيوم-٢٣٨.[٦] و الدول الرئيسة المصدرة لليورانيوم هي استراليا وكندا والصين وكازاخستان وناميبيا والنيجر وروسيا واوزبكستان.

ثانيا- تطور الطاقة النووية

ان مفهوم القدرات النووية هو في الاساس مفهوم سلمي ,ارتبطت بداياته الاولى باكتشاف ظاهرة النشاط الاشعاعي لبعض المواد الموجودة في الطبيعة كاليورانيوم في نهاية القرن التاسع عشر ,وما ادت اليه بعد ذلك من اكتشاف البنية الذرية ثم اكتشاف الانشطار النووي ,والذي نتج عنه طاقة هائلة هي الطاقة النووية, فطن واحد من اليورانيوم يمكنه توليد طاقة كهربائية اكبر من تلك التي يولدها استخدام مئات الالاف من براميل البترول . لكن المشكلة التي ادت الى اثارة القلق وحددت مسار الاهتمام بالطاقة النووية فيما بعد،هي ان اول استخدام لطاقة الانشطار النووي كان عسكريا" , عبر انتاج تلك القنابل النووية التي اسقطت على اليابان عام ١٩٤٥ في مدينة هيروشيما في ٦ اب (اغسطس) وبلغت قوة القنبلة الانفجارية ١٢ كيلو طن , وعلى مدينة ناجازاكي في ٩ اب (اغسطس) في ثاني استخدام فعلي للقنبلة النووية وبلغت قوتها الانفجارية ٢٢ كيلو طن . وعلى الرغم من ان الاستخدامات السلمية لتلك الطاقة قد تطورت بعد ذلك على نطاق واسع في عدة اتجاهات سلمية , منها تطوير المفاعلات البحثية ومفاعلات انتاج الكهرباء , وانتاج النظائر المشعة وتوسيع رقعة استخدامها

في البحـــوث و التطوير و الاغراض الطبـــية و الزراعية و الصناعية , الا ان الابعاد العسكرية ظلت مسيطرة على الاذهان .

لقد سيطر تيار عام على الفكر الاستراتيجي و السياســـات العملية، يؤكد انه لاتوجد طاقة نووية للاستخدامات السلمية و طاقـــة نووية للاســـتخدامات العسكرية , و انما طاقة نووية واحدة , و لم يكن هناك فعليا" ما يثبـــت ذلك لعدة عقود , فالاسلحة النووية , التي انتجتها القوى الخمس الرئيسة في العالم , قـــد تمت صناعتها من خلال برامج عسكرية تمت اقـــامتها لهذا الغرض , و ليس من خلال برامج نووية مدنية تم تحويلها باتجاه الاستخدامات العسكرية .

و ظلت كل النسب الخاصة بمقارنة عدد الدول التي تمتلك قدرات نووية متطورة الى عدد الدول التي تمتلك اسلحة نووية تشير الى عدم وجود علاقة بالضرورة بين امتلاك برامج نووية مدنية و خيارات نووية عسكرية, بـــل ان معظم الدول التي امتلكت اسلحـــة نووية في الفترات التالية , مثل اســـرائيل وباكستان , لم تكن تمتلك برامج مدنية ذات قيمة, لكن المشكلة ان نشـــاطات بعض القادمين الجدد الذين حاولوا دخول النادي النووي بعد ذلك قـــد افرزت تلك المنطقة الرمادية التي اتسعت مع الوقت [٧].

وتثير مسألة القدرات النووية الحديث عن اهمية المواد الانشـــطارية وكيفية توفيرها ,و هنا لابد من الاشارة الى ان هناك طريقتان مبـــدأين لتوفير المواد الانشطارية الضرورية للسلاح النووي:- [٨]

اولاهما:من خلال توفير البـــلوتونيوم ٢٣٩ الذي ينتج عادة من المفاعلات النووية التي تستخدم وقود اليورانيوم الطبيعي او الواطيء التخصيب, و تعتمد على فصل البلوتونيوم -٢٣٩ الناتج عن طريق احتراق اليورانيوم الطبيعي بعد تخصيبه بنسبة ضئيلة لاتتجاوز ٣-٤%,في مفاعل نووي,اما عن طريق وحدة إعادة معالجة كيماوية او عن طريق الخلايا الحارة ,و هي عملية ليست معقدة ,الا انها تتطلب امتلاك مفاعل (ماء ثقيل)نووي بقدرة تدور حـــول ٢٠ ميجاواط تقريبـــا ,و يفترض الا يخضع للرقابـــة الدولية او لرقابـــــة الدولة المصدرة له,و امتلاك اليورانيوم الطبيعي ,اضافة الى منشـــأة لفصل (إعادة

معالجة)الوقود الناتج عن احتراق اليورانيوم الطبيعي لاستخلاص البلوتونيوم –٢٣٩,و هي الطريقة التي انتجت بها قنبلة ناجازاكي ,و اتبعتها فيما بعد معظم الدول المالكة للاسلحة النووية و من بينها اسرائيل.

و ثانيهما:–من خلال تخصيب اليورانيوم لزيادة نسبة النظير ٢٣٥ من نحو ٠،٧بالمئة(و هي النسبة الطبيعية)الى اكثر من ٩٠–٩٣%تقريبا" لاستخدامه كمادة انشطارية لصناعة القنبلة.و تعد طريقة تخصيب اليورانيوم تلك من اصعب العمليات في مجال التكنولوجيا النووية,فهي معقدة و مكلفة للغاية,و لاتتطلب امتلاك مفاعل نووي,بل منشأت و معدات للقيام بالتخصيب وتتم بعدة طرق ,اهمها اسلوب الانتشار الغازي,و اسلوب الطرد المركزي,و هي الطريقة التي انتجت بها قنبلة هيروشيما ,و اتبعتها الصين في انتاج اسلحتها النووية,و اعتمدت عليها باكستان بشكل كامل بعد ذلك,و هي التي تدور حولها او حول احتمالات اتباعها,من قبل ايران في برنامجها النووي.

كل ماتقدم يوضح بشكل جلي ان الطاقة النووية قد عرفت منذ سنين طويلة و اول من اكتشفها هي الدول الغربية التي سعت الى الاستفادة منها في مختلف المجالات و ان كانت الولايات المتحدة قد سبقت الدول الاخرى في تسخير هذه الطاقة المهمة للاغراض العسكرية و بالشكل الذي اوجد صدمة كبيرة في مختلف انحاء العالم من المزايا المهمة التي وفرتها هذه الطاقة و هذا ما اوجد رغبة و اسعة لدى الدول الاوربية للدخول في هذا المجال و محاولة حيازة الاسلحة النووية ,وقد نجحت عدة دول منها في ذلك الا ان غلبة الاستخدام العسكري للطاقة النووية لم يمنع من الاستفادة منها في الاستخدامات السلمية المختلفة ,و هو ما يفتح باب الحديث عن استخدامات الطاقة النووية و هو محور المبحث التالي.

المبحث الثاني,استخدامات الطاقة النووية

لم يكن التمييز و اضحا بين الاستخدامات المختلفة للطاقة النووية حتى الحرب العالمية الثانية,اذ شهدت الحرب مايمكن ان نطلق عليه بداية العصر

النووي الذي بدأ بالاحتكار الامريكي وتطور في السنوات اللاحقة الى سباق بين معسكرين مختلفين يسعى كل طرف منه الى تحقيق التفوق على الطرف الاخر ,وكانت الاسلحة النووية جزءا مهما وكبيرا في هذا السباق وتطورت بشكل واضح قدرات الدول في مجال الطاقة النووية ,وبقي التساؤل يثار عن الفارق بين الاستخدام السلمي والاستخدام العسكري للطاقة النووية.

ويمكن القول ان تقسيم الطاقة النووية قد جاء حسب الاستخدامات المعتمدة لها وكما يلي :-

اولا-الطاقة النووية السلمية.

ثانيا-الطاقة النووية العسكرية.

اولا-الطاقة النووية السلمية.

يثير الحديث عن الاستخدامات السلمية للطاقة النووية تساؤلا مهما مضمونه ما الذي يدفع الدول المختلفة الى محاولة الحصول على هذه التكنولوجيا وماهي الاستخدامات التي يمكن ان تكون لهذه الطاقة مع تزايد الطلب على استهلاك الطاقة سنويا" , بشكل يجعل المخزون من الوقود الحفري ربما لايكفي لاكثر من ثلاثين سنة , وهو مادفع الكثير من الدول للبحث عن مصادر مختلفة للطاقة تفي باحتياجاتها المستقبلية , وتمهد للاستغناء عن استخدام الوقود الحفري جزئيا" ٠ وتعد الطاقة النووية احد اهم هذه المصادر وذلك لتميزها اقتصاديا" وبيئيا" ٠ فكمية الطاقة الكهربائية التي ينتجها طن واحد من اليورانيوم , تحتاج لملايين البراميل من البترول , او ملايين الاطنان من الفحم لانتاجها نفسها ٠ كما ان محطة الطاقة الشمسية المطلوبة لتوليد كمية من الطاقة , تبلغ مساحتها نحو ٣٠٠ ضعف مساحة المحطة النووية التي تولد القدرة نفسها ٠ اما على الجانب البيئي فمن المعروف ان المفاعل النووي المصمم على اسس سليمة , ويعمل تحت رقابة واشراف كاملين , لايؤدي الى اطلاق اي تلوث في الجو (ذلك مقارنة بـ ٢٥ مليار طن من ثاني اوكسيد الكاربون تطلقها مصادر الطاقة الاخرى سنويا").

وفي مجال الاستخدامات السلمية للطاقة النووية يوجد نوعان اساسيان من مفاعلات الطاقة النووية , الاول لاجراء الابحاث و انتاج النظائر المشعة للاغراض الطبية و الزراعية و الصناعية و الاخر لانتاج الطاقة الكهربائية او تحلية المياه.

و من حيث نوعية الماء المستخدم فى المفاعلات نجد ان مفاعلات الإنشطار النووي The nuclear fission reactors في الولايات المتحدة الأمريكيةهي مفاعلات الماء الخفيف" light water reactors"عكس مفاعلات الماء الثقيل "heavy water reactors"في كندا. و الماء الخفيف هو الماء العادي الذي يستخدم في المفاعلات الأمريكية كوسيط moderatorو كمبرد و أحد الوسائل للتخلص من الحرارة و تحويلها لبخار يدير زعانف التوربينات التى تدير مولدات القوى الكهربائية و استعمال الماء العادي يتطلب تخصيب وقود اليورانيوم لدرجة ما . و كلا النوعين من المفاعلات اللذين يعملان بالماء الخفيف هما مفاعل الماء المضغوط pressurized water reactor) (PWRحيث الماء الذي يسير خلال قلب المفاعل معزول عن التوربينات . و مفاعل الماء المغلي boiling water reactor(BWR)يستخدم الماء كمبرد و مصدر للبخار الذي يدير التوربينات و يطلق على مفاعلات الإنشطار النووي في كندا مفاعلات الماء الثقيل Heavy Water Reactorsحيث يعمل الماء الثقيل كوسيط بالمفاعل و يقوم الديتريم deuteriumبالماء الثقيل بتقليل سرعة النيترونات في التفاعل الإنشطاري المتسلسل .و هذا النوع من المفاعلات لايتطلب وقود يورانيوم مخصب بل طبيعي و يطلق على هذه المفاعلات الكندية مفاعلات كاندو . CANDU ya you'r wright..

١ -مفاعلات الابحاث

مفاعلات البحوث و هي أبسط من مفاعلات الطاقة و تعمل في درجات حرارة ووقود أقل من اليورانيوم عالي التخصيب (٢٠% من U٢٣٥) على الرغم من أن بعضاً من المفاعلات البحثية الأقدم تستخدم ٩٣% من U٢٣٥

وكمفاعلات الطاقة يحتاج قلب مفاعل البحث للتبريد، و مهدئ من الماء الثقيل أو بالجرافيت لتهدئة النترونات وتعزيز الانشطار .و عظم مفاعلات البحث تحتاج أيضاً إلى عاكس من الجرافيت أو البيريليوم لتخفيض فقدان النترونات من قلب المفاعل . و مفاعلات البحث Research Reactorsتستخدم للبحث و التدريب و اختبار المواد أو إنتاج النظائر المشعة من أجل الاستخدام الطبي و الصناعي. و هذه المفاعلات أصغر من مفاعلات الطاقة. و يوجد ٢٨٣ من هذه المفاعلات تعمل في ٥٦ دولة. كمصدر للنترونات من أجل البحث العلمي.

ويستفاد من مفاعلات الابحاث في انتاج النظائر المشعة في المجال الطبي ,و لايقتصر على علاج الاورام السرطانية ,فالواقع انها لاتمثل سوى ٥%فقط من الاستخدام لهذا الغرض,و هناك ١٥%تستخدم لعلاج امراض اخرى كالغدة الدرقية و الرئتين,و الجزء الاكبر و هو بمثل ٨٠%يستخدم في التشخيص كامراض العظام و وظائف الكبد و الكلى او التصوير بالاشعة او التعقيم.

وفي مجال الزراعة و الاغذيةهناك حو الي ٣٥%من المحصول الغذائي العالمي كان يصيبها التلف قبل استخدام الطاقة النووية في حفظ الاغذية,نتيجة الاصابة بامراض مختلفة عند التخزين,و اتلاف الحشرات,كما تستخدم النظائر المشعة في تهجين النباتات لاستنباط سلالات مميزة.

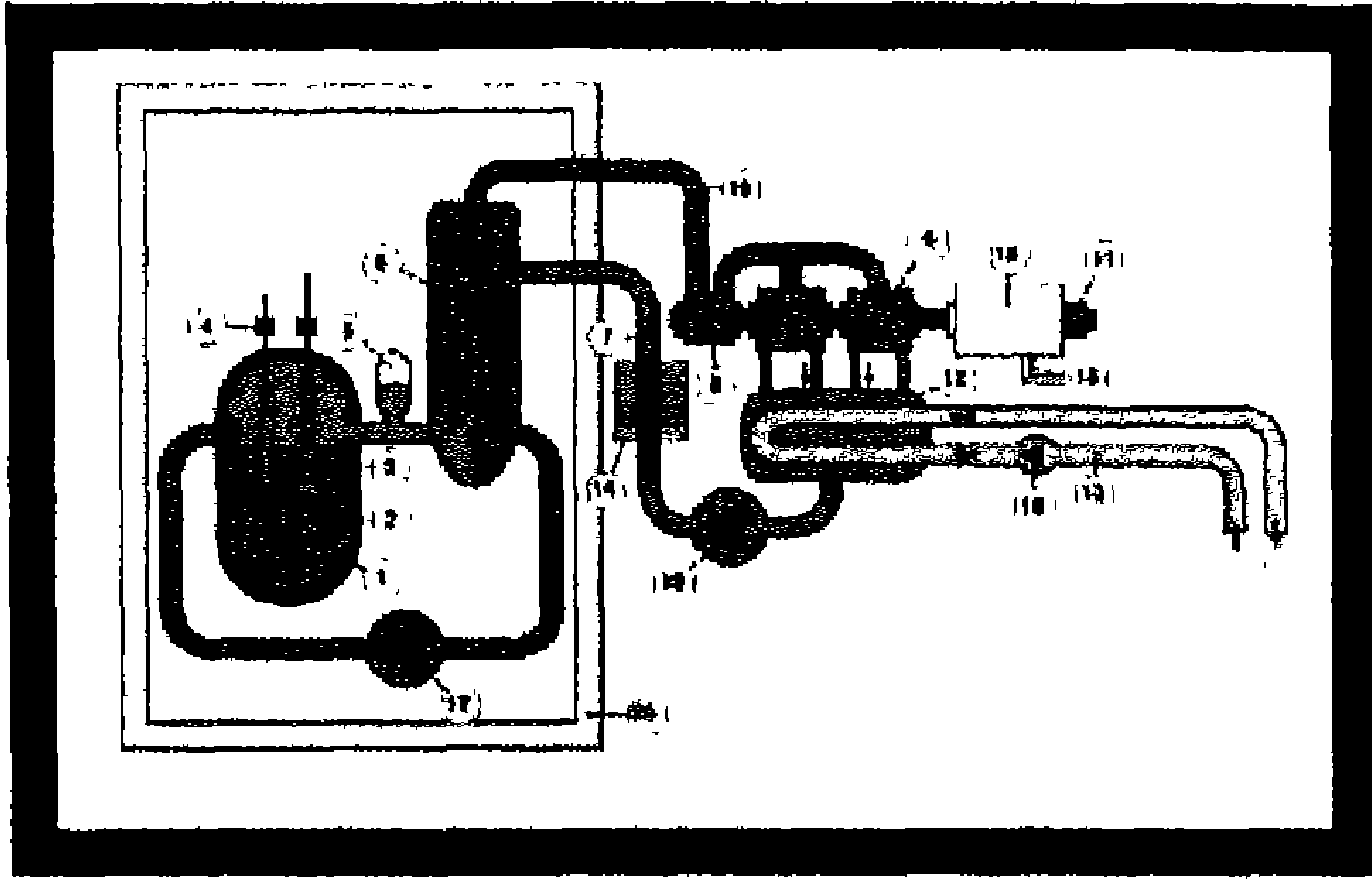
وفي المجال الصناعي ,نجد ان التطبيقات النووية تسهم في الكثير من التطبيقات الصناعية كقياس سمك المنتجات,و كثافة المواد داخل الانابيب,وتحسين خواص الالياف الصناعية مثل (البولي ايثيلين),و دراسة مدى صلاحية المياه المعدنية و مياه الابار للاستهلاك البشري .

٢ –مفاعلات الطاقة النووية.

بالاضافة الى ماتقدم نجد ان هناك استخدام اخر للطاقة النووية في توليد الطاقة الكهربائية و في تحلية المياه.

محطات التوليد النووية هي نوع من محطات التوليد الحرارية البخارية،

حيث تقوم بتوليد البخار بالحرارة التي تتولد في فرن المفاعل. الفرق في محطات الطاقة النووية أنه بدل الفرن الذي يحترق فيه الوقود يوجد الفرن الذري الذي يحتاج إلى جدار عازل وواق من الإشعاع الذري وهو يتكون من طبقة من الآجر الناري وطبقة من المياه وطبقة من الحديد الصلب ثم طبقة من الأسمنت تصل إلى سمك مترين وذلك لحماية العاملين في المحطة والبيئة المحيطة من التلوث بالإشعاعات الذرية .



مفاعل بالماء المضغوط

والمفاعل الذري تتولد فيه الحرارة نتيجة انشطار ذرات اليورانيوم بضربات الإلكترونات المتحركة في الطبقة الخارجية للذرة وتستغل هذه الطاقة الحرارية الهائلة في غليان المياه في المراجل وتحويلها إلى بخار ذات ضغط عال ودرجة مرتفعة جدا, باستعمال الطاقة الحرارية في تسخين المياه في مراجل (BOILERS)وتحويلها إلى بخار في درجة حرارة وضغط معين .ثم يسلط هذا البخار على زعنفات أو توربينات بخارية صممت ليقوم البخار السريع بتدوير محور التوربينات وبذلك تتحول الطاقة البخارية إلى طاقة ميكانيكية على محور هذه التوربينات . ويربط محور المولد الكهربائي مع محور التوربينات البخارية فيدور محور المولد الكهربائي

(ALTERNATOR)بنفس السرعة لتتولد على طرفي الجزء الثابت من المولد الطاقة الكهربائية اللازمة .

وكانت أول محطة توليد حرارية نووية في العالم نفذت في عام ١٩٥٤ وكانت في الاتحاد السوفيتي بطاقة ٥ ميجاواط . عندما توصل العلماء إلى تحرير الطاقة النووية من بعض العناصر كاليورانيوم و البلوتونيوم. فوقود المفاعلات النووية اليورانيوم المخصب بكمية تكفي لحدوث تسلسل تفاعلي انشطاري يستمر من تلقاء ذاته. و الوقود يوضع في شكل حزم من قضبان طويلة داخل قلب المفاعل الذي عبارة عن حجرة مضغوطة شديدة العزل. ويتم الانشطار النووي بها لتوليد حرارة، لتسخين المياه وتكوين البخار الذي يدير زعانف التوربينات التي تتصل بمولدات كهربائية . و يتم تغطيس الحزم في الماء للإبقاء عليها باردة أو استخدام ثاني أكسيد الكربون أو معدن مصهور لتبريد قلب المفاعل. ويتم إدخال قضبان تحكم في غرفة المفاعل، من مادة، الكادميوم، لتمتص النيوترونات المتولدة من انشطار أنوية الذرات داخل المفاعل. فكلما تم تقليل النيوترونات كلما تم تحجيم التفاعلات المتسلسلة بما يبطئ من عملية انشطار ذرات اليورانيوم. ثم بنيت أنواع مختلفة من المفاعلات في كل أنحاء العالم لتوليدالطاقة الكهربائية. وتختلف في نوع الوقود والمبردات و الوسيط . وفي أمريكا يستعمل الوقود النووي في شكل أوكسيد اليورانيوم المخصب حتي ٣% باليورانيوم ٢٣٥ و الوسيط و المبرد من الماء النقي وهو احد الأنواع من المفاعلات و يطلق عليها مفاعلات الماء الخفيف.

ومن الانواع المهمة من مفاعلات الطاقة الكهربائية هو مفاعل سيزر حيث تمكن كلوديو فيلبون العالم النووي ومدير مركز الطاقة المتطورة في جامعة ميريلاند الأمريكية من ابتكار وتصميم مفاعل سيزر CAESAR المتطور لإنتاج الكهرباء دون التسبب في أي تلوث نووي، أو انتشار

الإشعاعات النووية. عكس المفاعلات النووية التقليدية التي تدار بأذرع وقود اليورانيوم ٢٣٨ المزود بحوالي ٤% من اليورانيوم ٢٣٥. وعند اصطدام النيوترون بذرة اليورانيوم ٢٣٥ ، تنشطر إلى نويات و تنطلق كمية من الطاقة في شكل حرارة ومزيد من النيوترينات التي تصطدم بالذرات الأخرى. ويتحكم »الوسيط« بإدخاله بين أذرع الوقود ليبطأ بعض النيوترونات لتتحرك ببطء بدرجة كافية لانشطار الذرات، لكن بعد عامين أو ثلاثة من تشغيل المفاعل، تصبح ذرات اليورانيوم ٢٣٥ الباقية غير كافية فتظهر الحاجة إلى أذرع وقود جديدة. . لكن مفاعل سيزر يعتمد على انشطار ذرات اليورانيوم ٢٣٨ داخل أذرع الوقود بواسطة نيوترونات تتحرك بسرعة مناسبة نتيجة وجود البخار كوسيط في المفاعل، بالتحكم في كثافته بدقة، لإبطاء مرور النيوترونات للحصول على الانشطار المطلوب من ذرة اليورانيوم ٢٣٨، وحدوث انفجار صغير للطاقة وانطلاق مزيد من النيوترونات التي تدور حتى تصطدم بذرة أخرى من اليورانيوم و القليل من نويات الذرة . و المفاعل سيزر يمكن تشغيله لعقود دون الحاجة إلى إعادة تزويده بالوقود.

والاستخدام الاخر للطاقة النووية هو في تحلية المياه,فمن المعروف ان نسبة المياه العذبة على سطح الارض لاتزيد عن ٣%,وتقدر الاحتياطيات المتجددة من المياه العذبة في العالم بما لايزيد عن ٤٠ الف كم٣,والمشكلة الاساسية تكمن في توزيعها غير المتساوي ,مما ادى بالطاقة النووية لان تتحول الى وسيلة جيدة لتحلية المياه,وهذا مادركه مبكرا الاتحاد السوفيتي السابق,فانشأ اولى محطات تحلية المياه بالطاقة النووية في كازاخستان.وفي العام ١٩٩٩,قامت الوكالة الدولية للطاقة الذرية بتنفيذ مشروع للتعاون الاقليمي بعنوان (النظام المتكامل للتحلية النووية)والذي كان من نتائجه الاتفاق بين الصين و المغرب على انشاء محطة تحلية في مدينة (طنطان)بقدرة انتاجية ٨٠٠٠م٣يوميا".

بعد كل ماتقدم نجد ان هناك اهتماما متزيدا بالطاقة النووية و هذا مايتوضح من خلال وجود اكثر من ٤٤٠ مفاعلا نوويا"سلميا على مستوى العالم و ٣٠ اخرى قيد الانشاء,فالطاقة النووية تزود دول العالم باكثر من ١٦%من الطاقة الكهربائية,فهي تلبي مايقرب من ٣٥%من احتياجات دول الاتحاد الاوربي .وتحصل فرنسا وحدها على ٧٧%من طاقتها الكهربائية من المفاعلات النووية,ومثلها ليتوانيا.اما اليابان فتحصل على ٣٠%من احتياجاتها من الكهرباء من الطاقة النووية ,بينما تعتمد بلجيكا و بلغاريا والمجر وسلوفاكيا وكوريا الجنوبية و السويد و سويسرا و سلوفينيا و اوكرانيا على الطاقة النووية في سد ثلث احتياجاتها من الطاقة على الاقل.وعلى العكس من استراليا التي تمتاز بوفرة مصادرها من الفحم الحجري فهي لاتمتلك محطات نووية لتوليد الطاقة ,وانما لديها محطة ابحاث فقط[١٠].

ولابد من التاكيد هنا على ان عودة الاهتمام مجددا بالطاقة النووية واهميتها لم يكن بمعزل عن التطورات الدولية التي شهدها العالم,وكان لثلاث عوامل دورا" مهما في توجه الدول في هذا الاتجاه وهي:-

١-ارتفاع اسعار الوقود الحفري في العام٢٠٠٥ مما دفع بمستهلكي الطاقة الى البحث عن خيارات بديلة لانتاج الكهرباء.

٢-الاهتمام المتزايد ببروتوكول كيوتو ١٩٩٧وانبعاث غازات البيوت الزجاجية.ويعتقد ان انواع الوقود الحفري تساهم في الاحترار العالمي عن طريق اطلاق غازات بيوت زجاجية,في حين ان الانبعاثات من الطاقة النووية ادنى بمقدار مرتين من حيث الحجم.

٣-اعتبار بعض الحكومات الطاقة النووية سبيلا لتعزيز استقلال وامن امداداتها من الطاقة في ضوء تزايد التوترات الدولية في المناطق التي تزود العالم بحصة مهمة من الطاقة والمثال الابرز هنا هو منطقة الخليج العربي التي تشهد حالة من التوتر منذ بداية عقد السبعينيات والى اليوم[١١]

٣-مخاطر الطاقة النووية.

اذا كانت الطاقة النووية تحـظى بـهذه الاهمية المتزايدة والاعتماد الكبير من قبل مختلف دول العالم فان هذا يثير تساؤلا في غاية الاهمية هو ماهي الاخطار المترتبة على الاعتماد المتزايد على الطاقة النووية ؟

وقبل الاجابة على هذا السؤال تجدر الاشارة الى انه مع بداية استغلال الإنسان للطاقة النووية قبل أكثر من خمسين سنة واجهت البشرية نوعا جديدا من الكوارث لم تكن معروفة من قبل وتضمنت لغات العالم جميعا مصطلحات جديدة لم تكن مسموعة كالحماية الإشعاعية والمخاطر النووية وقد حظيت قضايا المخاطر النووية باهتمام الناس على كل مستوياتهم نظرا للرعب النووي الذي خلفه تفجير أول قنبلة نووية في هيروشيما-اليابان في ١٩٤٥/٨/٦ ١٩٤٥ ١٩٤٥وقنبلة ناكازاكي في ١٩٤٥/٨/٩ عند نهاية الحرب العالمية الثانية

كما أدرك العلماء العاملين في الفيزياء النووية والمسوؤلين السياسيين والعسكريين مخاطر الطاقة النووية وخصائصها التدميرية جنبا إلى جنب مع منافعها ومردوداتها الإيجابية. وقد كان التحرك الرئيسي الاول في قيام الجمعية العامة للأمم المتحدة بإنشاء اللجنة العلمية لدراسة تاثيرات الأشعة الذرية العام ١٩٥٥ لدراسة مخاطر الإشعاعات على الإنسان ثم شكلت الوكالة الدولية للطاقة الذرية في العام ١٩٥٧ التي تقوم بتطوير التطبيقات السلمية لهذه الطاقة في كافة المجالات النافعة للبشرية وقامت معظم دول العالم لجانا أو مؤسسات وطنية لرعاية جوانب الحماية من الإشعاع والكوارث النووية

ان جوهر المشكلة في اعتقادنا هو ان الأرض لها موارد محدودة من النفط والفحم وهذه الموارد ستستخدم خلال ٦٣-٩٥ سنة حيث تقدر الكميات المؤكدة من احتياطي النفط بالعالم بحدود (١,٤-٢,١) ترليون برميل. الفترة أعلاه (٦٣-٩٥) سنة حسبت على أساس الاستهلاك الفعلي للنفط حاليا مع

زيادة بحدود ١ – ٢% سنويا حيث متوسط الاستهلاك السنوي بحدود ٨٠ مليون برميل نفط لأغراض المقارنة فان طن واحد من اليورانيوم يعطي طاقة تعادل الطاقة الناتجة من ملايين الأطنان من الفحم أو ملايين البراميل من النفط .لكن الآثار الجانبية لحرق الفحم و النفط تؤدي إلى تلوث البيئة بينما مفاعل نووي مصمم بشكل جيد ويعمل تحت رقابة و إشراف جيدين لا يؤدي إلى إطلاق أي تلوث في الجو.

واليوم يتزايد الحديث عن مخاطر الطاقة النووية وخصوصا عندما تعرضت بعض المفاعلات النووية إلى أعطال أدت إلى تسرب الوقود النووي كما حدث في تشرنوبل CHERNOYLE في العام ١٩٨٦ حيث تعرض مئات الألوف من الناس إلى الأشعة حيث توفى الكثيرين خلال أيام وإصيب الباقين بالسرطانات المختلفة .كما ان الخطر ينتج من المفاعلات النووية نفسها حيث انها تنتج فضلات نووية تبقى مصادر للإشعاع لملايين السنين يجب التخلص منها ولا يمكن وضعها كأية نفايات أخرى بأي موقع بل يجب خزنها بأماكن خاصة حتى لا تؤثر على الناس .

في ضوء كل ماتقدم نجد ان ابرز مخاطر الطاقة النووية هي:–[١٢]

١ –الاشعاع النووي

لعل من اول واهم هذه المخاطر الاشعاع النووي فاذا لم يكن قاتلا فهو يتسبب في عاهات وتشوهات وإعاقات تصعب معالجتها.وتنتج من تأثير الإشعاع النووي على مكونات الخلايا الحية نتيجة تفاعلات لا علاقة لها بالتفاعلات الطبيعية في الخلية.وحجم الجرعة المؤثرة يختلف حسب نوعية الكائنات فهناك حشرات تموت عندما تمتص أجسامها طاقة نووية تصل فقط ٢٠ وحدة جْراي (جول لكل كيلو جرام من الجسم المعرض للإشعاع النووي (Gray = J/kg) وحشرات لا تموت إلا عندما تصل الجرعة إلى حوالي ٣٠٠٠ جرَاي (ضعف الجرعة السابقة ١٥٠ مرة).وتأثر الثدييات يبدأ عند جرعة لا تزيد عن ٢ جْراي، والفيروسات تتحمل جرعة تصل ٢٠٠ جراي أي ضعف الجرعة المؤثرة على الثدييات ١٠٠ مرة .

ويمكن القول ان كمية النفايات المشعة نتيجة الانشطار النووي بمحطات انتاج الكهرباء بالمفاعلات النووية محدودة مقارنة بكمية النفايات بالمحطات الحرارية التي تعمل بالطاقة الأحفورية كالنفط أو الفحم . فالنفايات النووية تصل ٣ ميل جرام لكل كيلو واط ساعة (mg/kWh٣) مقابل حوالي ٧٠٠ جرام ثاني أوكسيد الكاربون لكل كيلو واط ساعة بالمحطات الحرارية العادية لكن هذه الكمية الصغيرة جدا من الإشعاع النووي قد تكون قاتلة أو قد تتسبب في عاهات وتشوهات لا علاج لها. وقد تستمر فاعلية الإشعاعات لقرون بل لآلاف السنين حتي يخمد هذا الإشعاع أو يصل إلى مستوى يعادل الإشعاع الطبيعي. لهذا يحاول العلماء توليد الطاقة النووية عن طريق الاندماج النووي بدلا من الانشطار النووي الذي فيه ذرات اليورانيوم تنشطر وتعطى بروتونات ونيوترونات وجسيمات دقيقة من الطاقة التي تولد الكهرباء. ومشكلة توليد الكهرباء من المفاعلات النووية تتمثل في النفايات المشعة التي تسفر عن العملية. وهذه النفايات ضارة بالبشر وهذا ما جعل العلماء يسعون للحصول علي الطاقة عن طريق تقنية الاندماج النووي التي تجري حاليا في الشمس والتي تسفر عن نفايات مشعة قليلة.

ولعل من ابرز الحوادث المتعلقة بالمفاعلات النووية حدوث تسرب إشعاعي جزئي في مفاعل "ثري مايل آيلاند" النووي قرب بنسلفانيا في العام ١٩٧٩، وذلك نتيجة لفقدان السيطرة على التفاعل الانشطاري؛ وهو ما أدى لانفجار حرر كميات ضخمة من الإشعاع، ولكن تمت السيطرة على الإشعاع داخل المبنى، وبذلك لم تحدث وفيات عندها، ولكن الحظ لم يحالف حادثة التسرّب الإشعاعي المشابهة في محطة الطاقة النووية في تشيرنوبل بروسيا في العام ١٩٨٦ ، فقد أدت إلى مقتل ٣١ شخصا وتعريض مئات الألاف إلى الإشعاع، ويمكن أن يستمر تأثير الإشعاعات الضارة بحيث تؤثر على الأجيال المستقبلية.

٢ – النفايات النووية.

ويرتبط بالعامل المتقدم ذكره مشكلة اخرى وهي النفايات النووية التي تتولد عن كل مرحلة في دورة الوقود النووي.فالقطاع النووي يمدنا بالنفايات النووية بدءا"من التنقيب عن اليورانيوم وتخصيبه,وصولا الى تشغيل المفاعلات واعادة معالجة الوقود النووي المستنفد.والواقع ان قسما كبيرا"من هذه النفايات سيظل يشكل خطرا"جديا" على مر مئات الاف السنين.

ويؤدي استخدام الطاقة النووية إلى إنتاج النفايات ذات الفعالية الإشعاعية العالية؛ فبعد أن يتم انشطار معظم اليورانيوم –الوقود المستهلك– يُزال من المفاعل ويُخزّن في بحيرات تبريد، وتقوم هذه البحيرات بامتصاص حرارة الوقود المستهلَك وتخفيض درجة إشعاعيته؛ ثم تتم إعادة معالجته من أجل استرجاع اليورانيوم والبلوتونيوم غير المنشطرين واستخدامهما من جديد كوقود للمفاعل، وينتج عن هذه العملية نفايات ذات فعالية إشعاعية عالية المستوى (HLW)يتم إعادة معالجة الوقود المستهلَك بشكل روتيني في مفاعلات برامج الدفاع لاستخدامه في إنتاج الأسلحة النووية، ووفق ما ذكرته وكالة حماية البيئة (EPA)فإن النفايات عالية الإشعاعية (HLW) الناجمة عن برامج الدفاع تشكل أكثر من ٩٩% من إجمالي حجم (HLW)في الولايات المتحدة الأمريكية. وإن كلاً من فرنسا وبلجيكا وروسيا والمملكة المتحدة تملك وحدات خاصة بها لإعادة معالجة الوقود المستهلَك. وتقوم اليابان باستخدام الوقود المعاد معالجته في أوروبا.

ولهذا اقر البرلمان الاوربي في كانون الثاني(يناير)٢٠٠٤مشروع قرار تشريعي يطلب من الدول الاعضاء في الاتحاد ان تضع بحلول العام٢٠٠٦ برامج مفصلة لادارة النفايات والتخلص منها.

٣ – النقل والتخزين.

وتبرز المشكلة الاخرى من استخدام الطاقة النووية في النقل والتخزين حيث ينطوي نقل المعدات والمواد النووية على مخاطر تتهدد صحة البشر وسلامة البيئة.فحاوية واحدة فقط من عناصر الوقود المستنفد المتميز

بمستوى عال من النشاط الاشعاعي تحتوي تقريبا على المقدار نفسه من المواد المشعة التي انبعثت من تشرنوبل.ولايمكن تصور ما قد يحدث في حال غرقت سفينة تنقل نفايات من هذا النوع في مياه الشرق الاوسط او استهدفت في هجوم متعمد.

يضاف الى ذلك التخزين,حيث يتم الترويج لدفن المواد المشعة باعتباره حلا من قبل موقع لتصريف النفايات النووية في ولاية نيو مكسيكو الامريكية.وفي السياق نفسه،تندرج اماكن مثل جبل يوك yuccamountainفي نيفادا الامريكية,و غورليبن grleben في المانيا,ومواقع اخرى مقترحة في المملكة المتحدة وروسيا و استراليا و غيرها على قائمة الاماكن التي يقول مهندسو التكنولوجيا النووية فيها انهم(اوجدوا حلا")لمشكلة النفايات.لكن حلولهم هذه تبقى غير مثبتة,لاسيما و ان النماذج التي يعتمدونها للتنبؤ بالصدف الجيولوجية و الكيميائية المستقبلية في المخازن(الحفر)المنشأة في اعماق باطن الارض لم تخضع للاختبار و تتضح بالفرضيات المريبة.وحاليا",لاوجود لاي سبل مثبتة لتصريف المواد المشعة ذات التاثيرات الطويلة الامد.وتجدر الاشارة في هذا السياق الى انه لاينبغي الخلط بين دفن هذه المواد و احتوانها الامن وعزلها عن البيئة.

٤ – السلامة وحوادث الطاقة النووية.

لابد من الاشارة الى ان الحديث عن مفاعلات آمنة هو مجرد خرافة.فقد تطرأ الحوادث في اي مفاعل نووي,و المفاعلات كلها تنطوي على خطر تدفق المواد المشعة المميتة الى البيئة.و الواقع ان المواد المشعة تنبعث في الجو وتتسرب الى المياه حتى عندما تعمل المفاعلات كما هو مخطط لها.لكن قطاع التكنولوجيا النووية لايزال محاطا" بالسرية المشابهة للتكتم على الاسرار العسكرية,بل ان هذه السرية هي التي ادت الى نشأة هذا القطاع في اربعينيات القرن العشرين.

٥-مخاطر الارهاب النووي.

لايزال ينظر الى الارهاب النووي في اغلب الاحيان باعتباره ضربا"من الخيال العلمي."تتمنى لو انه كان كذلك فعليا".انما لسؤ الحظ نحن نعيش في عالم يزخر بفائض من المواد الخطيرة و المهارات التكنولوجية الوافرة,عالم يؤكد فيه بعض الارهابين بصريح العبارة عزمهم التسبب باصابات كارثية.وهذه ليست من اقوال غرينبيس,و انما اقوال الامين العام السابق للامم المتحدة كوفي انان.

لقد تمت البرهنة على ضعف اجراءات السلامة في بعض المفاعلات النووية من قبل نشطاء السلام الاخضر،ففي ١٤تشرين الاول(اكتوبر)٢٠٠٢,احتل حوالي ١٥٠ناشطا"من المنظمة اسقف مبان محطة سايزول بـاء لتوليد الطاقة النووية في ليستون سافولك شرق انكلترا.وكان هذا العمل ردا"على سياسة الحكومة الساعية لبناء جيل جديد من محطات الطاقة النووية,بالرغم من المعارضة الشعبية لذلك.

لم تكن هذه المرة الوحيدة لاستهداف المحطة,ففي ١٤كانون الثاني(يناير)٢٠٠٣ ولتاكيد ضعف تامين المنشأت النووية ضد الارهاب ,نفذ اكثر من ثلاثين ناشطا"في منظمة السلام الاخضر اقتحاما"سلميا" للمحطة نفسها ,ليؤكدو ضعف تامين اكبر و أحدث محطات الطاقة النووية في بريطانية.

ثانيا-الطاقة النووية العسكرية.

برز الاستخدام العسكري للطاقة النووية بالاسلحة النووية التي استخدمت في نهاية الحرب العالمية الثانية التي اكدت اهمية السلاح النووي كاداة لحسم الحروب المهمة,وبعد ان وضعت الحرب اوزارها,وجدت الولايات المتحدة وبريطانية- وهما الدولتان اللتان طورتا و انتجتا و استخدمتا الاسلحة النووية الاولى- نفسيهما فى موقف حرج.فقد كان هناك اتجاه لمحاولة الاستئثار بالاسرار النووية بشكل عام و العسكرية منها بشكل خاص.وثار جدل كبير بين الحلفاء المنتصرين حول كيفية السيطرة على تلك القوة التدميرية الهائلة.

اذ لطالما (شكل التداخل بين الاستخدام السـلمي للتكنولوجيا النووية في توليد الطاقة,و استخدامها في صنع الاسلحـة النووية,نقـطة الضعف في المسالة.وسبق ان اشار الرئيس دوايت ايزنهاور الى هذا المازق في سـياق خطابه الشهير بعنو ان"ذرات من اجل السلام" الذي القـاه امام الجمعية العامة للامم المتحدة في ٨كانون الاول(ديسمبـر)١٩٥٣عندما لم يكتف بالتحـدث عن"مجرد انتاج المواد الذرية لاغراض عسـكرية او التخلص منها.فليس كافيا سحب هذه الاسلحـة من ايدي الجنود,بـل يتعين وضعها في ايد اولئك الذين يعرفون كيف ينزعون غطاءها العسـكري ويكيفونها مع فنون السلام")[١٣].

ولهذا كانت هناك قناعة تامة في ذلك الوقت بوجود علاقة وثيقة بـين الاستخدامات العسكرية و التطبيقات المدنية للطاقـة النووية. فقـد كان أول مفاعل نووي قد أقيم في العام ١٩٤٤في هانفورد بأمريكا لانتاج مواد الأسلحة النووية وكان وقـوده اليورانيوم الطبـيعي وكان ينتج البـلوتونيوم ولم تكن الطاقة المتولدة تستغل.

جاء الاعلان الثلاثي الصادر من قبل الولايات المتحـدة وبـريطانية وكندا في تشرين الثاني(نوفمبـر)١٩٤٥,ليؤكد أن الاسـتخدام العسـكري للطاقة النووية يعتمد بدرجة كبيرة على الاساليب و العمليات نفسها التي يمكن ان تكون مطلوبـة بـما يسمى"التطبيقـات الصناعية"اي في المجال المدني السـلمي .كما اعلنت تلك الدول انه يجب عدم اتاحـة المعلومات المتعلقـة بالاستخدامات الصناعية للطاقة النووية للدول المختلفة قبل وضع وتطبـيق اجراءات احـترازية فعالة ومعقـولة.و هكذا,ظهر اول خطر في نشـر المعلومات المتعلقة بالطاقة النووية الى ان تنشأ اسـس متينة للرقابـة الدولية على الانشطة النووية وذلك حتى يمكن السيطرة على محـاولات التسـليح النووي[١٤].

والواقع ان القضية الجوهرية التي ارتبـطت بالقـدرات النووية ,و التي كثيرا" ماكانت محل جدل لم تكن تتعلق بمفهوم القـدرات النووية بابـعادها

المدنية التكنولوجية المتصلة بالاستخدامات السلمية للطاقة النووية,و انما بالعلاقة بين امتلاك القدرات و امتلاك الاسلحة,اي الابعاد الاستراتيجية لحيازة القدرات النووية .وتصاعدت اهميتها عندما بدأ النظام الدولي يتجه الى اعداد مواثيق للسيطرة على انتشار الاسلحة النووية في منتصف الستينيات من القرن الماضي,وعندما بدأت عملية الانتشار نفسها تتجاوز الدول الكبرى الى القوى الاقليمية,مثل اسرائيل و البرازيل و الارجنتين و الهند وباكستان وجنوب افريقيا,قبل ان تبدأ الازمات الحادة في الظهور اوائل التسعينيات من القرن الماضي,مرتبطة بحالتي العراق وكوريا الشمالية.

وصلت المشكلة الى قمتها في بداية القرن الجديد بتفجر مشكلتين اضافيتين تتعلقان بليبيا و ايران,اذ القت تلك الازمات التي توازت مع تصدع نظام منع الانتشار النووي,بعدد من الاختراقات التي شكلت مضمون اشكالية العلاقة بين الاستخدامات السلمية و العسكرية للطاقة النووية.

فامتلاك عناصر القدرة النووية السلمية لايعني ان الدولة المالكة يمكنها بمجهود معقول ان تنتج سلاحا" نوويا",فهناك متطلبات اضافية لابد من توافرها لاستكمال دورة الوقود النووي(الانشطاري)وهي البلوتونيوم – ٢٣٩واليورانيوم–٢٣٥ المخصب بدرجة ٩٠%على الاقل.وهناك طريقتان لصنع الاسلحة النووية الانشطارية والاندماجية(فالاسلحة النووية الهيدروجينية والنيترونية تحتاج الى مواد اضافية),وكلتيهما تعتمد على اليورانيوم الطبيعي.

والحقيقة ان عمليات امتلاك الاسلحة النووية لكل الدول التي تمتلكها حاليا",قد ارتبطت باقامة برامج نووية عسكرية,وليس بتحويل النشاطات النووية المدنية الى اتجاهات عسكرية,كما بدأت دول عدة تحاول ان تفعل مؤخرا",الا ان هناك طرقا"اخرى للحصول على الاسلحة النووية,حاولت دول مختلفة اتباعها كالشراء,كما ان هناك طرقا"تطرح نظريا",يمكن من خلالها ان تحصل منظمة ارهابية على سلاح نووي اشعاعي بدائي بمتطلبات اقل بكثير مما سبق .

ونظريا",يمثل مفهوم (القدرات النووية)اهم المفاتيح المتعلقة بالاجابة

عن السؤال المثار ,فالدولة التي تمتلك المعرفة النووية الاساسية و الكوادر العلمية ومراكز البحث و التطبيق ,فضلا عن مفاعلات ابحاث او قوى تعمل في اطار برنامج نووي.لكن المشكلة انه على الرغم من ان القدرة النووية تقع ضمن عناصر القدرة التكنولوجية و الاقتصادية للدولة بصفة عامة,الا انها و عند حد معين من تطورها,يمكن ان تمثل قاعدة لبناء قوة عسكرية نووية,وفي ظل وجود ما اصطلح على تسميته(المواد و المعدات الحساسة)او ذات الاستخدام المزدوج المدني –العسكري,و التكنولوجيا المتصلة بها,و التي توجد قوائم تفصيلية لانهاية لها تحددها وتفرض قيودا" على الاتجار فيها ومن ثم يتم النظر للقدرة النووية على انها احدى العناصر المحتملة للقوة العسكرية,ولو على مستوى انها تتيح للدولة خيارا"عسكريا"نوويا".

في هذا الاطار ،توجد مقولتان رئيستان تحكمان العلاقة بين امتلاك و انتشار القدرات النووية,و بين الاتجاه نحو امتلاك الاسلحة النووية,هما:-

ان هناك علاقة مباشرة بين انتشار التكنولوجيا النووية للاغراض السلمية و انتشار الاسلحة النووية,فهناك ارتباط و اضح بين المشاريع النووية السلمية و البرامج النووية العسكرية ،اذ يعتمد الجانبان تقريبا" على المنشآت و التكنولوجيا و المواد نفسها،وبناءا" على هذه المقولة ,ترددت كثيرا" العبارة التي تشير الى ان هناك طاقة نووية و احدة .و انه لاتوجد علاقة مباشرة بين امتلاك القدرات و انتشار الاسلحة النووية و على الرغم من ان انتشار القدرات يسهل بالفعل انتشار الاسلحة، ومن المحتمل ان يعجل او يسرع وتيرة الانتاج او يتيح ذلك، الا ان العلاقة ليست اوتوماتيكية فهنالك عوامل وسيطة تحكم العلاقة بين انتشار القدرات و انتشار الاسلحة , تمارس تاثيرها في القرارات الخاصة بالاتجاه نحو انتاج الاسلحة او الامتناع عن انتاجها[١٥].

١-بداية الاستخدام العسكري للاسلحة النووية.

تعد الولايات المتحدة اول من استخدم السلاح النووي لحسم الحرب العالمية الثانية في آخر مراحلها في اليابان و الخروج بالانتصار الكامل في ٦

اب (اغسطس) ١٩٤٥ , وبعد حوالي ثلاثة اسابيع فقط من التفجير التجريبي للقنبلة في صحراء ولاية نيومكسيكو في ١٦ تموز (يوليو) ١٩٤٥ , وقبل ذلك بسنوات عدة , وبالتحديد في العام ١٩٣٨ كانت المانيا الهتلرية تبحث هي الاخرى عن انتصار كامل في حرب قادمة ٠ ولذلك فقد بدأت محاولاتهما لانتاج القنبلة الذرية في معهد القيصر ويلهام ببرلين , وفشل الالمان , ولكن الامريكيين نجحوا بعدما تظافرت جهود علمائهم والعلماء البريطانيين في اعقاب اتفاق العمل المشترك الذي اقره تشرشل وروزفلت في العام ١٩٤٣.

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية استمرت الولايات المتحدة في تطوير قدراتها النووية وركزت في السنوات الأولى بعد الحرب على تطوير طائراتها من نوع Convair B-36 ليكون بمقدورها حمل قنابل نووية أشد قوة.الا ان الانفراد الامريكي سرعان ما واجه تحديا"جديا" ففي ٢٩اب (اغسطس) ١٩٤٩ قام الاتحاد السوفيتي لأول مرة بتفجير تجريبي لقنبلة نووية في منطقة سيمي بالاتنسك الواقعة في كازاخستان وكانت هذه مفاجئة للولايات المتحدة التي لم تتصور أن السوفييت سيتمكنون من بناء ترسانة نووية بهذه السرعة؛ علماً أن العلماء في مشروع مانهاتن كانوا قد حذروا البيت الأبيض من أن الاتحاد السوفيتى سيتمكن مستقبلا من تصنيع الأسلحة النووية. وكان هناك مزاعم بأن المخابرات السوفيتية تمكنت من الحصول على الخطوط العريضة لتصميم الأسلحة النووية التجميعية وكانت القنبلة الأولى عبارة عن نسخة مشابهة جدا من قنابل الإنشطار ذات الانضغاط الداخلي التي أُلقِيَت على ناجازاكي.

كان للانجاز السوفيتي تاثير واضح في الولايات المتحدة فقد بدأ التوتر يسود البيت الأبيض الذي قرر تحويل مسؤولية الإشراف على الأسلحة النووية من الجيش الأمريكي إلى لجنة خاصة سُميت؛ لجنة الطاقة الذرية تحسباً لقرارات فردية قد تتخذها قيادات الجيش لاستعمال الأسلحة النووية. وجاءت الخطوة الاهم بعد ذلك اذ بدأت في نشر التسلح النووي، فقامت الولايات المتحدة بدعم بعض الحكومات الأوروبية الغربية الموالية لها بإمكانيات صنع ترسانة نووية، وقامت المملكة المتحدة بأول تفجير اختباري

في العام ١٩٥٢، وتلتها فرنسا في العام ١٩٦٠. على الرغم من أن ترسانة المملكة المتحدة و فرنسا كانت أصغر من ترسانة الاتحاد السوفيتي إلا أن قربهما جغرافيا من الاتحاد السوفيتي كان عاملا استراتيجيا مهما في الحرب الباردة.

وتشير وثائق الامم المتحدة الخاصة بالتفجيرات النووية الاختبارية الى انه تم تسجيل ١٨٢٠ ,تجربة نووية على المستوى الدولي , للمدة بين عامي١٩٤٥-١٩٩٠ ,اي بمعدل تجربة واحدة كل تسعة ايام في المتوسط. وقد استمر هذا المعدل على ماهو عليه تقريبا بعد ذلك ,وحتى العام١٩٩٨, كان العالم قد شهد ٢٠٤٧تجربة نووية,قبل ان تقوم كل من الهند وباكستان باجراء١١تجربة اضافية خلال المدة من ١١-٣٠ايار (مايو)١٩٩٨ .

وتكتسب اية تجربة نووية اولى لاية دولة طورت قدرات نووية عسكرية"بعدا استراتيجيا",وتحمل في طياتها مضمون الرسالة الاستراتيجية التي تهدف الدولة الى توصيلها الى من يهمه الامر,فاستعراض القوة المتصل بالتفجير النووي هو مجرد تعبير عام عن استخدام معقد للقدرات النووية العسكرية,يتحدد مضمونه وفقا للاهداف الاستراتيجية المحددة سلفا للدولة النووية,ولايهم كثيرا,بالنسبة للتفجير الاول،ماهية النتائج الفنية الدقيقة لعملية التفجير,فالمهم ان القنبلة قد انفجرت[١٦].

ويؤكد العدد الهائل من التفجيرات النووية التي اجرتها الدول المالكة للاسلحة النووية فى العالم ان مسألة التفجيرات ذات ابعاد فنية-عسكرية ترتبط بمايلي:-[١٧].

اولا- التاكد من قابلية الراس النووي الذي تم انتاجه للانفجار,فكل نوع جديد من الاسلحة يقتضي في الغالب استحداث راس جديد,وكان التحليل السائد هو ان معظم التفجيرات التي اجرتها الدول المالكة للاسلحة النووية تتم لاختبار رؤوس جديدة محددة.

ثانيا- الحصول على نتائج متوالية فى اطار تطوير نوع جديد من الاسلحة

النووية,للتاكد من صلاحية التصميم,ومطابقة الطاقة التدميرية الواقعية للقوة التدميرية المفترضة,وقد اشـــارت مصادر مختلفة الى ان تصميم سلاح جديد يتطلب اجراء ستة تفجيرات نووية.

ثالثا– قياس الاثار التدميرية النوعية للاسلحة النووية,فهناك اغراض محددة تتصل باختبــار آثار الاسلحة,كتحـــديد اثر الاشـــــعاع على المعدات العسكرية,والتحولات التي يحدثها في مسرح العمليات وما الى ذلك.

رابـــعا– التاكد من استمرار قابلية الاسلحة النووية للانفجار ،وهي نوعية من الاختبارات الروتينية او الدورية لفحص الاسلحة بعد خروجها من خط الانتاج,او الوصول بها الى المستودع,او بعد تخزينها لمدة طويلة.

٢–الصواريخ والاسلحة النووية .

بدأ الشوط الجديد من نشر الأسلحة النووية كوسيلة للدفاع الاســتراتيجي في الحرب الباردة في ايار(مايو) ١٩٥٧ عندما نجح الاتحاد الســوفيتي في تصنيع صواريخ ذات رؤوس نووية عابــرة للقـــــارات مما اثار فزعا في صفوف الحكومة الأمريكية.و قام المرشح الرئاســـي جون كندي في حـــملته الانتخابية باستعمال هذا التطور؛ اذ صرح أن الاتحاد السوفيتي أصبـــح أكثر تطورا من الولايات المتحدة من ناحـــية تصنيع الصواريخ ووعد بـــان يضع تطوير الصواريخ الأمريكية في مقـــــدمة أولوياته في حـــــال انتخابـــــه رئيساللجمهورية. وبالفعل بعد انتخابه قام بتطوير تقـــنية الصواريخ، وضيق الفجوة التي كانت تهدد أمن الولايات المتحدة وفق تصور الإدارة الأمريكية.

وســـاهمت الصواريخ بشـــكل فاعل في التوترات المهمة التي شـــهدتها الحرب الباردة ففي العام ١٩٦٢ شهدت الحرب الباردة تصعيداً خطيراً عندما زود الاتحاد السوفيتي كوبا بمجموعة من الصواريخ النووية؛ واستمرت هذه الأزمة الخطيرة ثلاثة عشر يوماً كانت من أخطر أيام الحرب الباردة و انتهت الأزمة في ٢٨تشرين الاول(اكتوبر) ١٩٦٢ بقـــرار من نيكيتا خروشـــوف باسترجاع الصواريخ إلى الإراضي الســوفيتية.وكان التطور الاهم في هذا

المجال في عقد الثمانينيات اذ شهد سباق التسلح النووي في الحرب البـاردة تطوراً آخر وهو تسليح الغواصات بالصواريخ النووية وكان الاتحاد السوفيتي أول من توصل إلى هذه القدرة العسكرية.

ان كل ماتقدم يؤكد ان المسألة النووية قد اصبحت بالفعل , ومنذ اول تفجير نووي اجرته الولايات المتحدة في صحراء الانجوردو بولاية نيومسكيكو في ١٦ تموز (يوليو) ١٩٤٥ , جزءا" من الاطار الخلفي للنظام العالمي في اعقاب الحرب العالمية الثانية ففي مسودة الاطار برز مبدأ روزفلت بدعوته الى نزع سلاح العالم , ما عدا ثلاثي الحلف المنتصر : الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتي , في محاولة لبناء هندسة سلام عالمي , واقر مبدأ التسلح الثلاثي بالتكافؤ النوعي وبات حقا" مشروعا" لكل من الاتحاد السوفيتي وبريطانيا (ووفقا" لمبدأ روزفلت) ان يلحقا بالولايات المتحدة نوويا"،وجاء التفجير النووي السوفيتي في ايلول (سبتمبر) ١٩٤٩ في صحراء سيبيريا , واعقبه التفجير النووي البريطاني في احدى الجزر الاسترالية في العام ١٩٥٢ .

وهكذا تحول امتلاك السلاح النووي الى اداة سياسية في منظومة العلاقات الدولية وبات كأحد مفاتيح ادارة الترتيبات التعاقدية , ولان مبدأ رزوفلت استبعد فرنسا واقر بضرورة نزع سلاحها.فقد اثار بذلك نقطة خلافية مع بريطانيا، التي اعترضت على نزع السلاح الفرنسي حتى لاتتعرى ثغرة الانكشاف في جدار امن اوربا الغربية , لكن فرنسا – وبتشجيع بريطاني ضمني – لحقت هي الاخرى بالنادي النووي لتؤكد حضورها سياسيا" في المعادلة الدولية , واجرت تفجيرها النووي الاول في صحراء الجزائر في شباط (فبراير) العام ١٩٦٠, وحملت اصداء التفجير اعلانا" بسقوط مبدأ رزوفلت .

كما ان الصين هي الاخرى قد استبعدت من النظام العالمي عشية نهاية الحرب العالمية الثانية , ولتحقيق رغبتها في اثبات حضورها على المسرح

الدولي ، قامت الصين بأول تفجير نووي في صحراء التبت في ٨ تشـرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٤ , وافترضت الصين ان قنبلتها الذرية هي رادع وقائي ضد اي عدوان على اراضيها , وفي الوقت نفسه فهي احدى مستحقات القوة التي تساوم بـها في فصل جديد من فصول الانتشـار الدولي , وفيما بـين الفصول كتبت القنبلة النووية الصينية المرثية الاخيرة لمبدأ رزوفلت , و ألقت عليه بنظرة الوداع[١٨] .

٣- الاسلحة النووية بعد الحرب الباردة.

بـدءاً لابـد من الاشـارة الى حقيقـة ان هناك ثمانية دول تمتلك حوالي ١٢١٠٠ اسلاح نووي عملياتي.وهناك عدة الاف من الاسلحـة النووية في حالة تأهب وجاهزة للاطلاق في غضون دقائق.و اذا ما احـصيت جميع الرؤوس النووية- الرؤوس العملياتية و الرؤوس الاحتياطية وتلك المخزونة في وضع نشط وغير نشط- نجد ان الولايات المتحـدة وروسـيا و المملكة المتحدة وفرنسا و الصين و الهند وباكستان و اسـرائيل تمتلك مجتمعة مايصل مجموعه الى اكثر من ٢٧٠٠٠ راس نووي.

ولايبـدو إن اياً من الدول النووية المعترف بـها قـانونا,وفق تعريف معاهدة(NPT) تخطط لنزع اسلحـة ترسـانتها النووية في المستقبـل المنظور.امارو سياو الولايات المتحدة,فانهما بـصدد خفض قـواهما النووية العملياتية كنتيجة لمعاهدتين ثنائيتين-معاهدة تقـليص الاسلحةالاستراتيجية١٩٩١(معاهدة(STARTI)ومعاهدة تقليص الاسلحـة الهجومية الاستراتيجية٢٠٠٢(معاهدة.(SORT)وفي الولايات المتحدة ,بدأ تنفيذ مراجعة الوضع النووي(NPR)لسـنة٢٠٠١متناولا جميع جوانب الاوضاع النووية.ويشـمل هذا تقـليصا بواقـع النصف تقريبـا للمخزون الاجمالي بحـلول عام٢٠١٢وتطوير صواريخ بالسـتية و غواصات استراتيجية وقاذفات قنابل بعيدة المدى- جديدة كلها -و اسلحة نووية جديدة او معدلة,ومنشات انتاج اسلحة نووية,وانظمة قـيادة وتحـكم نووية,و خطط

حـــرب نووية معدلة.وبـــالمثل اعلنت روســـيا خطتها لتقـــليص الصواريخ البالستية ذات القواعد الارضية بصورة رئيسة,لكن ليس للتفكيك بل للابقـــاء ولعقد اخر,على صواريخ بالستية عابرة للقارات(ICBMS)مزودة بمركبات عودة قابلة للتسديد على نحو مستقل(MIRVS)وفي قيد الادخال الى الخدمة صاروخ جديد عابر للقارات,وغواصات استراتيجية من فئة جديدة.

اما ترســـانة الصين والمملكة المتحـــدة وفرنســـا فانها اصغر كثيرا من ترسانتي الولايات المتحدة وروسيا ,وتوشك الصين على نشر جيل جديد من الصواريخ الاستراتيجية,ومازال نشر تلك القوات غير واضح وما اذا كانت الصين تنوي نشر قوة نووية استراتيجية اكبر كثيرا" او نشر قوة أحـــدث من الحجم نفسه نسبيا.وفرنســـا منهمكة حـــاليا بـــتطوير ونشـــر جيل جديد من الغواصات المســـيرة بالطاقـــة النووية والمسلحـــة بـــصواريخ بالســـتية (SSBNS)وصواريخ بالستية تطلق من غواصات(SLBMS)واسلحـــة نووية تطلق من الجو ,رغم ان عدد الرؤوس النووية العملياتية قـــــد ينخفض قليلا مع دخول الصاروخ البالستي الجديد الذي يطلق من غواصة الخدمة في عام ٢٠١٠تقريبا.وخلافا لكل الدول النووية الاخرى,تواصل فرنســـا نشـــر اسلحة نووية في اسطولها من سفن السطح في زمن السلم.

واستقر مخزون المملكة المتحـــدة من الاسلحـــة النووية عند حـــوالي ٢٠٠راس نووي,والمملكة المتحدة هي الدولة الوحـــيدة بـــين الدول النووية الخمس التي لايعرف ان لديها انظمة اسلحة نووية جديدة قيد التطوير.ومع ذلك يبدوان المملكة بدأت برنامجا متعدد المراحـــل لتمديد فترة خدمة الراس الحربي للصـــاروخ البالستي ترايدنت(D-5)2 الذي يطلق من غواصة.

وتبقى الصعوبة في الحـــصول على معلومات علنية عن الترســـانات النووية للدول الثلاث التي ليست اطرافا في معاهدة(NPT)الهند وباكســـتان واسرائيل والمعلومات المتوافرة محدودة ومتضاربة غالبا.فالهند وباكســـتان مازالتا توسعان من قدرتهما النووية العملياتية[١٩].

٤- امكانية استخدام الاسلحة النووية.

غالبا مايثار التساؤل عن امكانية استخدام الاسلحة النووية على الرغم من انها لم تستخدم فعليا إلا مرة واحدة ،ضد اليابـــان العام١٩٤٥،الا ان مســـالة استخدامها ظلت المشـــكلة الاكثر خطورة في عالم مابـــعد الحـــرب العالمية الثانية حتى العام ١٩٩٠على الاقل.فالدول غالبا"ماتولي وزنا اكبر لضخامة الاثار التدميرية للاسلحة,اكثر من تكرار استخدامها,وتبدو احتمالات نشـــوب حـــــرب نووية دائما اخطر التهديدات المنفردة ليس لأمن الدول,وانما ايضا لبقاء البشرية.لذلك,كانت الازمات التي تطرح خلالها احتمالات استخدام تلك الاسلحة هي اكثر الازمات خطورة,وكان منع نشوب حرب نووية اكثر مهام ضبط التسلح الحاحا.كما اتخذت تدابير عملية بين الدولتين العظيمتين وقـــتها للحيلولة دون الاستخدام العارض لها,كنتيجة لحسابات خاطئة اواساءة فهم او دون قصد,او كنتيجة لحادث,من خلال انشاء خطوط اتصال ساخنة,ومراكز لخفض مخاطر الحـــرب,او تصميم الرؤوس النووية بـــصورة تمنع تفجرها عرضا بفعل الحرارة او التلف الميكانيكي او الاشعاعات.

وبحكم الخصائص التدميرية لهذه الاسلحة,استقر الفكر الاســـتراتيجي على انها غير قابـــلة للاســـــتخدام الفعلي في العمليات الحربـــــية هجوما (ضد الجيوش او المدن)او دفاعا,كما انها غير قابـــــلة كذلك للتوظيف كاداة اجبار لدفع الدول الى القيام بعمل لاترغب في القيام به,و استخدامها الرئيس هو الردع في اطار استراتيجيات تهديدية تهدف بالاساس الى منع استخدامها فعليا,لدرجة ان كثيرا من الكتابات قـــد اعتادت على تســـمية تلك الاسلحـــة (الرادع النووي)وكانه لايوجد استخدام اخر لها .

ولهذا لم يكن احد يصدق ان هذه الاسلحة يمكن ان تستخدم فعليا,فقد ظل تجاوز الحـــــاجز المعنوي النووي يشـــــكل عقـــــدة لدى المؤسســـــــات العسكرية,خاصة مع ظهور ذخائر تقليدية شديدة التدمير,وتوافر اسلحة تدمير

شامل اخرى رفعت العتبة النووية,وعدم وجود سيناريو مقنع فنيا لحرب تقليدية- نووية.

وقد جاءت البداية من روسيا الاتحادية في اوائل القرن ٢١,عندما تم التاكيد في استراتيجية الامن القومي الروسي على انه من الممكن استخدام الاسلحة النووية(او لا)في حالة هجوم تقليدي لاتستطيع القوات الروسية ان تتعامل معه,وذلك عندما اقترب حلف الناتو من الحدود الروسية بانضمام دول في وسط وشرق اوربا اليه.ثم تلت ذلك اشارتان محددتان,هما:-

ا- التصريحات التي صدرت عن احد الجنرالات الصينيين في العام٢٠٠٢,والتي اشار فيها الى ان بلاده على استعداد لاستخدام الاسلحة النووية في حالة وقوع هجوم امريكي ضدها في اطار النزاع حول تايوان,أي فيما يتجاوز حروب البقاء.

ب-التهديدات التي صدرت عن الرئيس الفرنسي جاك شيراك,في العام٢٠٠٥,بان بلاده قد تستخدم الاسلحة النووية ضد (دول تستخدم وسائل ارهابية ضد فرنسا),دون ان يحدد تلك الدول التي كان مفهوما انها قد تكون غير نووية.

ولمواجهة هذه الاحتمالية وضعت الولايات المتحدة (خطة الطوارىء)كانت قد اعدتها وزارة الدفاع ,خلال النصف الثاني من العام٢٠٠٢ ,تحت عنوان(إعادة تقييّم الوضع النووي),والتي عدّت اساسا لسياسة نووية امريكية جديدة,هي التي احدثت انقلابا نوويا حقيقيا في هذا الاتجاه.فقد كانت الخطة تستند بالكامل الى مالم يكن متصورا عمليا من قبل,وهو امكان استخدام الاسلحة النووية فعليا في ظل اهداف وحالات وسيناريوهات محددة بدقة تشير الى تجاوز نهائي للحاجز النووي القائم الذي منع دائما تحول السيناريوهات الممكنة الى خطط عملياتية[٢٠].

وجاءت وثيقة(قواعد العمليات النووية المشتركة)في منتصف شهر اذار(مارس)٢٠٠٥,لتتناول تفاصيل مبادىء السياسة النووية الامريكية

الجديدة في المرحلة القادمة وكيفية تطبيقها ضد اعداء الولايات المتحدة.وتعد الوثيقة الجديدة امتدادا" عمليا لوثيقة (مراجعة الوضع النووي)التي اصدرتها الولايات المتحدة في العام٢٠٠٢,والتي تمثل الاطار الاعم والاشمل للسياسة النووية الامريكية في المستقبل,بينما تحدد وثيقة٢٠٠٥الاساليب و التوجهات العسكرية التي ستستخدمها القوات الامريكية في مسارح العمليات لتطبيق تلك السياسة.

وقد حدد البنتاجون الملامح الاساسية للسياسة النووية الامريكية في المدة القادمة,مركزا على امكانية استخدام السلاح النووي ضد عدد من الدول والجماعات الارهابية التي تقوم بتطوير اسلحة الدمار الشامل وتنوي استخدامها ضد الولايات المتحدة.وتشمل الوثيقتان ايضا الدعوة لتطوير اسلحة نووية صغيرة ذات الضرر النووي المحدود والقدرة العالية على اختراق المخابىء والتحصينات تحت الارض ومهاجمة اماكن ومخازن الاسلحة الكيميائية والبيولوجية وتدميرها.كما تضمنت الوثيقتان سيناريوهات عدة قد تستدعي استخدام السلاح النووي مثل تصاعد حدة الصراع العربي-الاسرائيلي الى مستوى حرب شاملة,او اندلاع حرب بين الصين وتايوان,او حدوث اعتداء من قبل كوريا الشمالية على نظيرتها الجنوبية.

وتحدد الوثيقتان ان تطبيق الاستراتيجية النووية الجديدة يتطلب تنفيذ عدة عناصر هي:-

١-تطوير التعاون مع روسيا من خلال انشاء اطار جديد للعلاقات الثنائية. وانهاء الاعتماد على مبدأ الدمار المتبادل (MutuallyAssured Destruction).

٢-التركيز على تطوير الاسلحة التقليدية الى مدى يضمن لها قوة تدميرية قريبة من نظيراتها النووية واستبدال بعض الرؤوس النووية برؤوس تقليدية,فضلا عن تطوير دقة وفاعلية الرؤوس النووية في مهاجمة اهدافها.

٣-تخفيض عدد الرؤوس النووية الامريكية التي يمكن استخدامها فعليا,وذلك بحلول العام٢٠١٢دون الحاجة الى توقيع اتفاقيات على غرار الاتفاقيات الموقعة ابان الحرب الباردة,فضلا عن نشر اقل عدد ممكن من الرؤوس النووية بصورة تشمل توفير الاحتياجات الامنية للولايات المتحدة وحلفائها,آخذا" في الاعتبار ان العدد المطروح للاستخدام الفعلي يضمن مواجهة الولايات المتحدة لاية سيناريوهات:فورية,محتملة او فجائية.

٤- استخدام السلاح النووي كضربة وقائية في حالة حدوث اربعة مواقف تشمل:الرد على هجوم بالاسلحة النووية او الكيميائية او البيولوجية,شن هجوم على اهداف لديها القدرة على صد هجمات غير نووية,استخدام السلاح النووي في حالة حدوث هجوم عسكري باسلحة دمار شامل على الولايات المتحدة,واظهار قدرة الولايات المتحدة على ردع أي عدو ينوي استخدام اسلحة دمار شامل.

٥-بناء منظومة وطنية للدفاع الصاروخي المضاد للصواريخ البالستية,سواء عابرة القارات او قصيرة ومتوسطة المدى.

٦- تطوير كفاية اجهزة القيادة و السيطرة و الاستخبارات لاتاحة الحصول على المعلومات في الوقت المناسب بهدف وضع تخطيط مرن لمواجهة السيناريوهات المحتملة و غير المتوقعة.

وتعتمد الاستراتيجية الجديدة على شكل مثلث ,اذ يعتمد الضلع الاول من الاستراتيجية الجديدة(تشكيل قدرات هجومية نووية وغير نووية)على تطوير اسلحة هجومية نووية وتقليدية.ومن هنا,يأتي تركيز الادارة على تخفيض الرؤوس النووية وتطوير اسلحة نووية صغيرة تستطيع اختراق المخابيء والتحصينات فضلا عن زيادة القدرة التدميرية للرؤوس التقليدية,او بمعنى آخر,التركيز على التطوير النوعي وليس الكمي.وقد وضع البنتاجون خطة لتخفيض الرؤوس النووية تتمثل في تخفيض عدد الرؤوس الى

حـــوالي ٣٨٠٠راس بحـــلول العام٢٠٠٧,ثم الى ١٧٠٠-٢٢٠٠بحـــــلول العام٢٠١٢,وتخفيض عدد الغواصات النوويـــة مـــن ١٨الى١٤غواصـــة وتحميلها بـــصاروخ(TridentII)فضلا عن تخفيض عدد الرؤوس النووية المحـــــــملة عليه,كذلك ســــــــــوف تتم ازالة الرؤوس النووية كافة من القاذفاتBIوتحميلها برؤوس تقليدية.

اما الضلع الثاني,فيتمثل في بـــناء منظومة دفاعية للصواريخ تعتمد على التكامل بين ثلاثة انظمة دفاعية يتم تحقيقها على المراحل القريبة و المتوسطة و البعيدة.ففي المدى القريب,سيتم نشـــر قـــاعدة مضادة للصواريخ في و لاية الاســـكا,وتتكون من ١٠٠صاروخ اعتراضي لمواجهة عدد محــــــدود من الصواريخ عابرة القارات.وفي المدى المتوسط,سيتم التوسع في اقامة قواعد ارضية لمواجهة اعداد كبـــــــــيرة من الصواريخ المعادية.اما على المدى البعيد,فسيتم تطوير انظمة صواريخ مضادة للصواريخ تعمل على المستوى التكتيكي مثل الصاروخ الامريكي باتريوت.

وفيما يتعلق بالضلع الثالث من الاستراتيجية,فان الادارة ترغب في انشاء بنية نووية تحتية قادرة على الرد السريع,وتشمل تلك البـــنية تكوين مخزون نشط وخامل من الرؤوس النووية التي سيتم تخفيضها لاستخدامها في حـــالة الحاجة اليها,علما أن المخزون النشيط يتمثل في تفكيك الراس النووي فقط مع الابقاء على مكونات الصاروخ في حالة استعداد للتركيب حـــين تســـتدعي الحاجة,بـــــــينما يتمثل المخزون الخامل في ازالة مكونات الراس النووي والصاروخي كافة .كذلك تحتاج اقامة بنية تحـــتية ذات رد فعل ســـريع الى اعادة اجراء تجارب نووية بهدف صيانة وتطوير الرؤوس النووية.[٢١]

و الواقع ان الخطة تمثل تحـــولا جوهريا عن مفهوم الردع الذي ســـيطر طويلا في العصر النووي,فقد ادت الخطة الجديدة الى انهيار و اضح فيما تبقى من اســـتراتيجية الردع لصالح الهجوم,خاصة ان تلك الخطة كانت تبـــــدو بوضوح وكانها (الجناح النووي)لاســـتراتيجية الحـــرب غير المتماثلة التي

تشكل اهم اسس استراتيجية الدفاع الامريكية في السنوات الاخيرة[٢٢].

وعلى المستوى الاقليمي نجد ان التصور دائما كان في ان علاقات القوة النووية الاقليمية لن تكون مستقرة على النحو الذي شهده المستوى الدولي.وعلى الرغم من ان بعض التحليلات كانت تؤكد ان (موازين الرعب)الاقليمية يمكن ان تكون مستقرة, بل انها ذهبت احيانا الى القول ان انتشار الاسلحة النووية في مناطق الصراع الاقليمي لن يمنع فقط استخدام الاسلحة النووية,بل سيقيد استخدام الاسلحة التقليدية كذلك.

الا ان تطورات الازمات بين الهند وباكستان مثلا,خلال سنوات٢٠٠٣-٢٠٠٥,اشارت بوضوح الى ان الاسلحة النووية قد بدأت تفرض منطقها على الاقليم,في ظل تاكيدات بان الاستخدام الرئيس لها هو الردع,وبان الطرفين يقران بمبدأ(عدم البدء باستخدام الاسلحة النووية),والرسالة محددة وهي ان كلا منهما لن يفكر في استخدامها ضد الطرف الاخر مادام لن يفكر الاخير في استخدامها ضده.ورغم ذلك لم يتبلور اتجاه نهائي بشان استقرار او عدم استقرار الردع بين الجانبين,بما لايرجح احدهما,ففي كل مرة تتوتر العلاقات بين الطرفين,كانت (الاشارات النووية)تظهر بصورة ما,ولم يكن ذلك يطرح بالطبع احتمالات الاستخدام الفعلي للاسلحة النووية مباشرة، وانما مخاطر الانزلاق الى حرب نووية اذا ما توغل كل طرف في منطقة امن الطرف الاخر الى مدى يتجاوز خط العودة,متجاهلا انه يمتلك اسلحة نووية,وكأنها غير قائمة.ومن هنا,كانت اهمية ايجاد قواعد واضحة لادارة اللعبة النووية على المستويات الاقليمية. وهكذا,فان مشكلات استخدام الاسلحة النووية قد اصبحت اعقد مما كانت عليه,اذ شهدت السنوات الاخيرة تحولا حقيقيا في اتجاهات عدة ,كان من المعتقد انها غير محتملة,هي الاستخدامات الهجومية الدولية,او الفعلية الاقليمية,فضلا عن الارهابية.لكن ظلت محددات مختلفة تحيط بكل منها,فلم يصبح استخدام الاسلحة النووية ممكنا,وكانه سلاح تقليدي آخر,الا انه لم تعد تحيط به تلك القيود القديمة التي جعلته لعقود طويلة مستبعدا تماما[٢٣].

وبات واضحا" ان اخطر مشكلة تواجه الولايات المتحدة هي انتشار

الاسلحة النووية , ولهذا حاولت ان تفعل العديد من الخطوات , ودفعت باتجاه توقيع اتفاقيات دولية عدة للحد من انتشار الاسلحة النووية .لكن هذه المشكلة في تزايد يوما بعد يوم ويتزايد عدد الدول المهتمة بـــهذا النوع من الاسلحـــة وخصوصا في منطقـــتنا العربــــية ومايجاورهامن دول مختلفة التوجهات والطموحات والاهداف,وهذا مايدفعنا الى التساؤل بعد ان تعرفنا على جهود الدول الكبرى في هذا المجال عن موقع الدول العربــية من الخارطة النووية ان صح التعبير؟

٤- المنطقة العربية والطاقة النووية.

كانت مصر بـــعد ثورة ٢٣تموز(يوليو)١٩٥٢,في مقـــدمة الدول التي ادركت اهمية دخول مجال الطاقة النووية ومواكبـــة التقـــدم العلمي الصاعد على المستوى العالمي ,وصولا الى تكنولوجيا جديدة واعدة قد تســـاعد على تطور الحياة,ولم يكن هذا الطموح في مصر وحدها وانما في العالم العربـــي كله,ولايخفى ان الجهود المصرية كانت على بينة بالجهود الاسرائيلية في هذا المجال .

لقد تصاعد البرنامج المصري,منذ نشأته في العام١٩٥٥,حـــثيثا طوال فترة المد الثوري,وكان دعم القطاع العام والحماســـة الوطنية عاملا مهما في تطوير الاعداد ثم بدء التخطيط للبرنامج النووي المتكامل.وكان قـــمة النجاح بدء تشـــغيل المفاعل في العام١٩٦٢ ومعمل الطبـــيعة التجريبـــية بموقـــع انشاص,واستمر العمل بقـــوة دفع متزايدة تمخضت عن انشــــاء معمل انتاج النظائر المشعة وقســـم الكمياء النووية وقســـم الجيولوجيا والخامات الذرية وقسم الوقاية الاشعاعية .

الا انه لم يعرف عن مصر بان لديها خططا لامتلاك سلاح نووي.لكن في العام١٩٩٢,وبعد ان سامحتها الولايات المتحدة بديونها العسكرية البالغة سبعة ملايين دولار,انهمكت في عملية شراء نووي.اولا,ابـــرمت اتفاقـــا مع

الهند لترميم ورفع كفاءة مفاعل البحـث النووي لديها وهو سـوفيتي الصنع والبالغ عمره واحدا وثلاثين عاما,وتبع ذلك عقد اتفاق مع الارجنتين لشـراء مفاعل بحوث نووية قوته ٢٢ميغاوات ويصلح تماما لاجراء بحوث لاسلحـة نووية ايضا .واوصى المصريون من روسيا ايضا,على جهاز لتحـطيم نوى الذرات,يفيد في الحصول على خبرة في تخصيب المواد النووية.وفي كانون الاول١٩٩٣ ,لاحظت الاستخبارات الروسية,ان مصر بدأت ببناء مرفق في مركز بحوثها في انشاص ,الذي يبين من خلال مظاهر تصميمه وهندسته,ان بالامكان استخدامه مستقبلا للحصول على البـلوتونيوم من اليورانيوم المنتج من مفاعل الابحـاث النووية لديها.وفرضت تقـييدات مشـددة على زيارة الاجانب له.

ومهما كانت النية بشان السلاح النووي,فان القاهرة تحاول اقامة ترسـانة ضخمة من الاسلحة التقليدية,اضافة لبعض اسلحـة الدمار ايضا.ومع مطلع عقد التسعينيات من القـرن الماضي,فقـد كان لدى مصر منذ وقـت طويل مخزون من الاسلحة الكيمياوية والبيولوجية [٢٤]

وقد يكون العراق هو ثاني دولة عربية بعد مصر تبدي اهتماما بالقدرات النووية,فقد بدأ الروس في العمل على تشييد مفاعل للابحاث النووية السلمية وبقدرة ٢ميغاوات في التويثة قرب منطقة الزعفرانية,والتي تبـعد حـوالي عشرين كيلومترا الى الشـرق من بغداد,وبـدأ تشـغيله فعلا في تشـرين الثاني(نوفمبر)١٩٦٧ .وبمساعدة من بعض العلماء المنتدبين من لدن الوكالة الدولية للطاقـــة الذرية(IAEA)وكان العدد الكلي للموظفين في مركز البحوث النووية لايتجاوز المائة والعشـرون,موزعين على اقسـام الفيزياء والكيمياء والزراعة وانتاج النظائر المشعة للاغراض الصناعية والطبية[٢٥].

وخلال عامي ١٩٧٦و ١٩٧٧ ,وضع العراق خطة للحصول على مفاعل نووي لتوليد الطاقـة الكهربائية(محـطة كهرونووية) واجرى العراق

اجتماعات مع وفود الشـــــركات الصناعية,واجرى معها مفاوضات طويلة ومفصلة بشان هذا الامر .وقام وفد عراقـــي بـــزيارة عددمن مفاعلات توليد الطاقة النووية في اليابان(شركة ميتسوبيشي) و السويد(آســيا اتوم) والمانيا الغربية(كرافت ورك اي جي).وبعد ان اجتازت المفاوضات مراحل هامة مع الجانب الياباني(ميتسوبيشي),الا ان شركة (وستنكهاوس)التي تزود الوقــود النووي لكافة المحطات الكهرونووية في اليابان اتصلت لتبلغ الجانب الياباني عن رفضها تزويد اي وقود نووي الى المحطة الكهرونووية المزمع انشائها في العراق[٢٦].

وفي اوائل العام ١٩٨١كانت الاحـــداث تجري خلف الكواليس بـــهدف الحصول سريا,وبـــصورة متعثرة ومقـــصرة,على القنبـــلة النووية.الا ان اسرائيل قامت وبشكل عدائي بقـــصف وتدمير مفاعلي تموز ١ وتموز ٢ في ٦حزيران(يونيو) ١٩٨١,ودافعت اسرائيل عن هجومها العدائي بحـــجة انها تستبق وتحبط محـــاولة العراق لاســـتخدام هذه المفاعلات لانتاج الاسلحـــة النووية,بالرغم من رقابة الجانب الفرنســـي وكذلك مفتشـــي الوكالة الدولية للطاقة الذرية الذين يقومون بالجرد والرقابـــة الدورية,علاوة على ذلك ,فان كميات الوقود الجديدة التي اعطيت الى العراق لاتكاد تكفي للبدء في برنامج تسلح شامل حتى اذا تم التفكير في مثل هذه العملية والتي من السهولة الكشف عنها اذ تستوجب اطفاء المفاعلين واختفاء الوقود.

ولهذا(لابد من الاقرار بان الحافز المنطقي الوحيد لاسرائيل لقصف هذه المفاعلات كان قرارها اللئيم في اجهاض حق العراق ومنعه من الحـــصول على الخبرة والتقنية النووية العلمية بحد ذاته,وليس منعه من الحـــصول على الســـــلاح النووي.الا ان فعلهم العدائي ادى بالضبـــــط الى عكس ما كان يخشونه,اذ اتخذ صدام قـــرارا سياســـيا في الشـــروع في بـــرنامج مصوب للحصول على السلاح النووي,وبسرية تامة,فور قيام اسرائيل بعدوانها على منشأتنا النووية)[٢٧].

ومنذ عقد السبعينيات كان العقيد معمر القذافي يحلم بامتلاك قنابل ذرية حيث زعم بانه قدم عرضا للهند,بان يدفع او يسدد ديونها البالغة وقتئذ حوالي ١٨مليار دولار من اجل الحصول على التكنولوجيا النووية.وكانت تلك اول مثال تحاول فيه دولة في العالم الثالث,الحصول على سلاح نووي من دولة اخرى,متجاهلة او متجنبة القوى العظمى بهذا الصدد.ولكن لااحد,على مايبدو حتى ولو كانت دولة غارقة بالديون مثل الهند كانت راغبة في المغامرة في هذا المضمار,خوفا من الا يستطيع القذافي ان يمسك نفسه في عدم استخدام السلاح الذري يوما ما.

وهناك مؤشرات ايضا بان سوريا تعمل على اقامة برنامج تسليح نووي ناشيء,جزئيا من خلال اتباع نفس الاسلوب العراقي,ولكن بمساعدة مباشرة من الصين ايضا,ففي شباط١٩٩٢,وقعت اتفاقا للحظورات النووية مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية,مما افسح المجال امامها لشراء مفاعلين نوويين من الصين تبلغ طاقة الواحد منها٢٤ ميغاوات,لاجراء الابحاث العلمية.وكالعادة فان الصفقة تضمنت تدريب العلماء والمهندسين والفنيين السوريين في المفاعلات الصينية.الا ان الصفقة اجلت فيما بعد.ومع ذلك فان سوريا تظل مهتمة بالسلاح النووي,وتزويد علمائها به على المدى الطويل,سواء بمفردها او بمساعدة دولة حليفة.

وتثير علاقات سوريا الوثيقة مع ايران القلق بشكل مضاعف.فقد ساندت ايران في حربها ضد العراق.وسمحت ايضا بوصول المال والسلاح لحزب الله المدعوم من ايران,والمتواجد في لبنان,وقد ردت ايران هذه الخدمات بدورها.حيث يعتقد ان ايران سهلت وصول صواريخ سكود من كوريا الشمالية الى سوريا,او ربما حتى دفعت ثمنها [٢٨].

وقد توالت خطوات الدول العربية للاستفادة من الاستخدام السلمي للطاقة الذرية,وفي هذا الاطار طرحت القضية على مؤتمرات القمة العربية اذ

صدر قرار مجلس الملوك والرؤساء العرب لدول الجامعة العربية –في دورة اجتماعه الثانية بالاسكندرية في ١١ ايلول(سبتمبر) ١٩٦٤– بانشـــاء المجلس العلمي العربي المشترك لاستخدام الطاقة الذرية في الاغراض السـلمية في نطاق جامعة الدول العربية.واعدت اتفاقـية وافق عليها مجلس الجامعة في العام١٩٦٥,واصبحت نافذة بعد ذلك في اوائل السبعينيات,وربما كان التاخير بسبب العدوان الاسرائيلي في العام١٩٦٧ .

وفي الدورة الـــ٧٧,صدر قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم٤١٤٩ بتاريخ٢٦اذار(مارس)١٩٨٢ ,بالموافقة على ماقـــررته لجنة ادارة المجلس العلمي المشترك بتعديل الاتفاقية الموقــعة في الاســكندرية عام١٩٦٥,لكي تنشأالهيئة العربية للطاقة الذرية[٢٩].

الا ان مايؤسف له في هذا الصدد ان القرارات بقيت حبـــرا على ورق ومن تحرك من الدول العربية في المجال النووي كان يتحرك بـــدوافع فردية ارتبطت في الكثير من الاحيان بـــدوافع انية دون ان تكون هناك خطط علمية مدروسة لاهمية هذا المجال وبرزت عدة دول عربية لكنها واجهت تحـــديات وعقبات عديدة اجبـــرتها طوعا او بالقـــوة على التخلي عن جهودها النووية ,وتبقى الامنيات العربـــية كبـــيرة في هذا المجال ولكن ما كل مايتمناه المرء يدركه!!!

المبحث الثالث,انواع الأسلحة النووية.

اولا–تحديد الاسلحة النووية,

عند تحديد هذه الاسلحة نجد ان هناك ثلاثة انواع رئيســة من الأسلحـــة النووية وهي:–

١ –الأسلحة النووية الإنشطارية Fission Weapons وتشـــمل الأنواع الفرعية: قنابل الكتلة الحرجة Critical Mass قنابل المواد المخصبة Enriched Materials.

٢-الأسلحة النووية الإندماجية Fusion Weapons ومن أهم أنواعها: القنابل الهيدروجينية Hydrogen Bombs التي تعرف ايضا بالقنابل النووية الحرارية Thermonuclear Bombs والقنبلة النيوترونية **Neutron Bomb**

٣-الأسلحة النووية التجميعية Combination Methods وتشمل الأنواع الفرعية: القنابل ذات الإنشطار المصوب Gun-type Fission Weapon قنابل الإنشطار ذات الانضغاط الداخلي Implosion Method

اما انظمة اطلاق الصواريخ النووية فهي مجموعة من النظم المستعملة لوضع القنبلة النووية في المكان المراد انفجاره أو بالقرب من الهدف الرئيسي، وهناك مجموعة من الوسائل لتحقيق هذا الغرض منه.

ا- القنابل الموجهة بتأثير الجاذبية الأرضية وتُعتبر هذه الوسيلة من أقدم الوسائل التي اُستعملت في تاريخ الأسلحة النووية، وهي الوسيلة التي اُستعملت في إسقاط القنابل ذات الإنشطار المصوب على مدينة هيروشيما وقنابل الإنشطار ذات الانضغاط الداخلي التي أُلقيَت على مدينة ناجازاكي حيث كانت هذه القنابل مصممة لتقوم طائرات بإسقاطها على الأهداف المطلوبة أو بالقرب منها.

ب- الصواريخ الموجهة ذات الرؤوس النووية وهي عبارة عن صواريخ تتبع مساراً محدداً لايمكن الخروج عنه. و تطلق هذه الصواريخ عادة بسرعة يتراوح مقدارها بين ١,١ كم في الثانية إلى ١,٣ كم في الثانية وتقسم هذه الصواريخ بصورة عامة إلى صواريخ قصيرة المدى ويصل مداها إلى إقل من ١٠٠٠ كم ومنها على سبيل المثال صواريخ V-2 الألمانية، وصواريخ سكود السوفيتية، وصواريخ SS- 21الروسية. وهناك أيضا صواريخ متوسطة المدى يصل مداها إلى ٢٥٠٠ - ٣٥٠٠ كم. وأخيرا؛ يوجد هناك الصواريخ العابرة للقارات والتي يصل مداها إلى أكثر من ٣٥٠٠ كم. وتستعمل عادة الصواريخ المتوسطة المدى و العابرة

للقارات في تحميل الرؤوس النووية؛ بينما تستعمل الصواريخ القصيرة المدى لاغراض هجومية في المعارك التقليدية. وقد شهد تصنيع الصواريخ الموجهة تطورا كبيرا منذعقد السبعينيات من القرن الماضي وخصوصا في الدقة في اصابة أهدافها

وابرز انواع الصواريخ في هذا السياق هي صواريخ كروز، وتسمى ايضا صواريخ توما هوك، وهذه الصواريخ موجهة وتستعمل أداة إطلاق نفاثة تُمَكِنْ الصاروخ من الطيران لمسافات بعيدة تُقَدَرْ بآلاف الكيلومترات. ومنذ العام ٢٠٠١ تم التركيز على استعمال هذا النوع من الصواريخ من قبل القوات البحرية الأمريكية وتكلف تصنيع كل صاروخ مايقارب ٢ مليون دولار. و تشتمل هذه النوعية من الصواريخ -بدورها- على نوعين؛ نوع قادر على حمل رؤوس نووية،وآخر يحمل فقط رؤوساً حربية تقليدية.

وكان التطور الابرز في ميدان التسلح الصاروخي في (ايلول)سبتمبر ١٩٥٥عندما نجح الاتحاد السوفيتي في إطلاق هذه الصواريخ ذات الرؤوس النووية الموجهة من الغواصات ، وشكل هذا الانجاز انعطافة مهمة في مسار الحرب الباردة.وتمكنت الولايات المتحدة بعد ذلك بسنوات عديدة من تصنيع صواريخ مشابهة

الى جانب كل ماتقدم هناك أنظمة إطلاق أخرى وتشمل استعمال القذائف المدفعية والألغام وقذائف الهاون. وتعد هذه الأنواع من أنظمة الاطلاق أصغر الأنظمة حجماً، ويُمكِن تحريكها واستعمالها بسهولة. ومن أشهرها قذائف الهاون الأمريكية المسماة Davy Crockett؛ والتي صُمِمَت في الخمسينيات من القرن الماضي وتم تزويد المانيا الغربية بها إبان الحرب الباردة وكانت تحتوي على رأس نووي بقوة ٢٠ طن من مادة تي إن تي. وتم اختبارها في العام ١٩٦٢ في صحراء نيفادا في الولايات المتحدة.

ثانيا",معاهدات عدم انتشار الأسلحة النووية.

بدأت الجهود الحديثة للحد من التسلح في منتصف الخمسينيات ابان

توتر شديد بين كتلتين متناقضتين ايديولوجيا"كانتا قد شرعتا لتوهما في ماصبح فترة مديدة من سباق تسلح.وفي حين ان عددا من المحادثات حول نزع شامل وكامل للاسلحة قد جرى في السابق,فقد جرى تصور الحد من الاسلحة في الولايات المتحدة بوصفه آلية يمكنها ان توفر قدرا من امكانية التكهن ويمكنها تلطيف وتهدئة منافسة استراتيجية هددت بان تتخذ ابعادا جديدة واشد خطرا بعد ان اجرى الاتحاد السوفيتي تجربة على سلاحه النووي الاول في العام ١٩٤٩ .

ولهذا نجد ان عقد الخمسينيات من القرن الماضي قد تميز بتزايد ألاصوات المناهضة لعمليات الاختبار والتسلح النووي، حيث أُجري منذ ١٦حزيران(يونيو) ١٩٤٥ وحتى ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٣ أكثر من خمسين انفجاراً نووياً تجريبياً، مما حدا بالكثير من الشخصيات العالمية إلى التعبير عن رفضها لهذه الأفعال، ومن أبرزها جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند آنذاك والذي دعى إلى التخلي عن إجراء أي اختبارات نووية، دون أن تلقى دعواته آذاناً صاغية من القوى العظمى آنذاك بسبب انهماكها في تفاصيل الحرب الباردة.

بدأت أولى المحاولات للحد من الأسلحة النووية في عام ١٩٦٣؛ حيث وقعت ١٣٥ دولة على اتفاقية سُميت معاهدة الحد الجزئي من الاختبارات النووية وقامت الأمم المتحدة بالإشراف على هذه المعاهدة؛ علماً بأن الصين وفرنسا لم توقعا على هذه المعاهدة وكانتا من الدول ذات الكفاءة النووية.

وفي تبرير هذه الجهود اعتبر توماس سي شيلينغ (T.C.Schelling)وموريتون ه.هالبرين(M.H.Halperin) وجود الاهداف المحددة للحد من التسلح مساعدا في منع نشوب حرب,وفي جعل الحرب اقل تدميرا اذا مانشبت,وفي تقليص التكاليف المالية لردع مجد.ولكن,قيل على نحو مقنع ان الفائدة الرئيسة للحد من الاسلحة السوفياتية- الامريكية لم تكن كبح التسلح بالدرجة الاولى وانما توفير قناة

اتصال وصمام امان بين الخصمين اللذين كان بينهما قدر قليل من الاتصالات غير العدائية.فالحد من الاسلحة آلية على مستوى عام من اجل تقليص خطر نشوب حرب اما بشكل عرضي واما نتيجة سوء تصور او سوء تفاهم.وعلى مســـــتوى عملياتي اكثر مباشـــــــرة,كان لانشـــــــاء نظام (خط ساخن) في العام١٩٦٣ لاقامة اتصال طوارىء بين قادة كتلتي الحـــرب الباردة في حال نشوء ازمة ما,الغرض نفسه[٣٠].

وخلال الحرب الباردة,كان لجهود الحد من الاسلحـــة على المســـتويات العالمية والاقليمية والثنائية صفات مميزة مشتركة ومحددة تتبـــاين بـــعض الشيء مع مقاربات معاصرة.وعلى وجه الخصوص,كان الحد من التســـلح خلال الحرب الباردة موضع تصور بانه امر ستتعاون الدول على فعله,حتى في الظروف التي كانت فيها انداداً"متقـــــــلة بالســـــــلاح في ماكان احياناً"تنازعاً"ايديولوجيا"مريراً".

وربما كان المحلل الامريكي روبرت جرفيس(R.Jervis)افضل من استحـــوذ على الفكرة بعبـــارة(التعاون في ظل معضلة الامن).وقـــد عنى جرفيس انه اذا كانت سياســـة احـــادية معدة لتعزيز امن دولة متصورة من جانب دول اخرى بانها سياسة تهدف انقـــاص امنها,فان هذه الدول ســـتعمل لاحباطها.وهذا ماجعل للدول مصلحة مشتركة في افهام دول اخرى القـــصد الدفاعي وغير التهديدي من وراء بـــرامجها الوطنية حـــتى لو بـــــدت هذه البرامج,في ظاهرها هجومية.

لم يكن الحـــد الثنائي من الاسلحـــة معزولا عن صراع الحـــــرب الباردة,كما لم تكن المقاربة مرتكزة على ضرورة التوصل الى حل وسط,لكن التعاون لم يفهم قـــط ليدل ضمنا على ان التوصل الى اتفاق كان امرا بـــــالغ الاهمية.وقد لخص وزير الخارجية الامريكية جيمس بيكر التفكير الاساسي من منظور امريكي في كانون الاول(ديسمبـــر)١٩٨٩,عندما اشـــار الى ان (مهمتنا يجب ان تكون الحث على البحث عن منفعة متبادلة,فحيثما نجد قبولا

سوفياتيا,سنكون كلانا فائزين,وحيثما نلقى مقاومة سوفياتية,لايخفى ان علينا مضاعفة جهودنا بحيث تزاول موسكو التفكير الجديد,لاان تبشر به فقط).

اما المستوى الاخر من التحرك و الذي لايقل اهمية عن المستوى الاول فقد كان في مجال الحظر الشامل للتجارب النووية,وكانت الهند اول من تحرك في هذا الاتجاه فقد اقترح رئيس الوزراء جواهر لال نهرو ذلك في العام١٩٥٤ ,لكن لم يجر تأييده من جانب الاتحاد السوفيتي و المملكة المتحدة والولايات المتحدة حتى العام١٩٥٨ .وبعد انشاء منتدى دائم للتفاوض بشان الحد من الاسلحة في جنيف في العام١٩٥٩ ,وكان من بنود جدول اعماله الاول التفاوض بخصوص حظر شامل لتجارب الاسلحة النووية.وقد عكست المفاوضات للتوصل الى حظر عالمي للتجارب اهتمام قوى نووية كانت قد اتمت تجاربها,للحد من احتمال نشوء عدد غير محدد من دول نووية.لكن لم يتسن الاتفاق على معاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية(TBT)حتى العام١٩٩٦ ,ومن المصادفات الغريبة في الامر ان الهند التي سبق ان دعت لذلك قد احجمت مع كل من باكستان وكوريا الشمالية عن توقيع المعاهدة,في حين وقعت عليها ثمان دول هي الصين ومصر و ايران واسرائيل وروسيا و الولايات المتحدة الا انها لم تصادق عليها[٣١].

وبدات مرحلة جديدة في جهود الحد من التسلح, ففي ١٠ ايلول (سبتمبر) ١٩٩٦ فُتِحَت مُعاهدة جديدة للتوقيع سَميت معاهدة الحد الكلي من إجراء الاختبارات النووية وفيها مُنِع أجراء أي تفجير للقنابل النووية؛ حتى لأغراض سلمية. وتم التوقيع على هذه المعاهدة من قبل ٧١ دولة حتى الآن.ولكن لغرض تحويل هذه المعاهدة إلى قرار عملي فإنه يجب ان يصدق عليها من قبل كل الدول الأربع والأربعين التالية: الجزائر والأرجنتين وأستراليا والنمسا وبنغلاديش وبلجيكا والبرازيل وبلغاريا وكندا تشيلي والصين وكولومبيا وكوريا الشمالية وجمهورية الكونغو الديمقراطية ومصر وفنلندا وفرنسا وألمانيا وهنغاريا والهند وإندونيسيا وإيران وإسرائيل وإيطاليا

واليابان والمكسيك وهولندا والنروج وباكستان و پيرو و بولندا ورومانيا وكوريا الجنوبية وروسيا وسلوفاكيا وجنوب إفريقيا وإسبانيا والسويد وسويسرا وتركيا وأوكرانيا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة وفيتنام.

ولكن إلى هذا اليوم قامت بعض الدول الأربع والأربعين التي يجب أن تُصادِق على المعاهدة بالتوقيع. ولم توقع الهند وباكستان وكوريا الشمالية، وقامت دول اخرى بالتوقيع ولكنها لم تتخذ قرارا بالتصديق على المعاهدة؛ وهذه الدول هي الصين وكولومبيا ومصر وإيران وإسرائيل والولايات المتحدة وإندونيسيا وفيتنام. ولا يتوقع ان تقوم اي من هذه الدول بالتصديق على المعاهدة في المستقبل القريب حيث تشهد معظم هذه المناطق توترا سياسيا يحول دون التصديق على هذه المعاهدة(٣٢).

وقد عجلت التطورات في العام ٢٠٠٤ الدعوات الى اجراءات جديدة لتقوية نظام حظر الانتشار النووي وتعزيز اساسه القانوني الرئيسي,اي معاهدة١٩٦٨ بشان الحد من انتشار الاسلحة النوويةNPT,فقد ظهر دليل يؤكد وجود شبكة سرية تخطت الحدود القومية من وسطاء وشركات , وتحلقت حول عالم باكستان النووي البارز (عبد القدير خان) , وزودت ايران وليبيا وربما دولا" اخرى بخبرة وتقانة نوويتين حساستين ، وقد اثار ذلك القلق من تفشي قدرات الاسلحة النووية الى جهات تابعة لدول فضلا" عن جهات غير تابعة لدول , وحفزت مبادرات جديدة تهدف الى منع النقل المحرم للتقانات والمواد النووية واستمر الجدال بشان مدى برنامج ايران النووي وطبيعته , فيما قدمت الوكالة الدولية للطاقة الذرية مزيدا" من التفصيلات حول تخلف ايران المتكرر على مدى اعوام كثيرة عن اعلان انشطة نووية مهمة , مخالفة بذلك اتفاقها مع الوكالة فيما يخص وسائل الحماية النووية بموجب معاهدة الحد من الانتشار النووي ، وبالاضافة الى ذلك , تحقق تقدم في المحادثات الدولية المعنية بمستقبل البرنامج النووي لجمهورية كوريا الشمالية ،

والواقع ان هذه التحركات لم تكن منفصلة عن سياق التطورات المهمة التي تم الكشف عنها اكدت الاحداث في العام ٢٠٠٤ الشائعات السارية منذ امد بعيد ومؤداها ان ابرز علماء باكستان النوويين، عبد القدير خان، كان وراء شبكة تهريب نووية محرمة، ويرى الى ان خان، المسمى ايضا" (ابو القنبلة الباكستانية), باعتباره بطلا" قوميا" في باكستان. وكان بوصفه رئيسا" لمختبر خان للابحاث على مدى عقدين من الزمن , يتمتع بقدر كبير من الاستقلالية في ادارة برنامج البلاد النووي.

وظهر الدليل على انشطة شبكة خان في تشرين الاول (اكتوبر) ٢٠٠٣ , حين اعترفت ايران للوكالة الدولية للطاقة الذرية بانها قامت سرا" باستيراد مكونات الطرد المركزي من باكستان، وكشف قرار ليبيا في كانون الاول (ديسمبر) ٢٠٠٣ بالتخلي عن براماجها الخاصة باسلحة الدمار الشامل و الصواريخ عن معلومات مفصلة حول انشطة الشبكة و الموردين، وحدد المحققون هويات وسطاء اجانب – مقيمين في المانيا وماليزيا وجنوب افريقيا وسويسرا وتركيا و المملكة المتحدة و الامارات العربية المتحدة – ساعدوا خان في ايصال تقانة نووية الى زبائن من الدول(٣٣).

انكر خان في اول الامر الادعاءات حول تورطه لكنه اقر لاحقا لجهاز مخابرات القوات المسلحة الباكستانية بانه وراء عمليات نقل تقانة نووية بصورة غير مشروعة.وفي ٥شباط(فبراير)٢٠٠٤ عفا الرئيس الباكستاني برويز مشرف عن خان في اثر اعتراف متلفز على المستوى الوطني قدمه في اليوم السابق.وفي عفوه عن خان,اصر مشرف على القول ان العالم تصرف من تلقاء نفسه,دون علم او تأييد من الحكومة الباكستانية.وقد اثارت هذه التصريحات شكوكا كثيرة في امكانية خان في التملص من الاجراءات الأمنية لأكثر من عقد من الزمن دون موافقة ضمنية من الحكومة او من القيادة العسكرية.

ثالثا ,اجراءات نزع السلاح.

كان الرواد المحدثون للحد من الاسلحة,باصرارهم في الخمسينيات من القرن الماضي على امكان ان يكون للقانون والدبلوماسية دور في بناء الامن ,يبذلون محاولة واعية للتغلب على التجربة المريرة(والمتاخرة جدا وقتذاك)القائلة ان الامن اعتمد ,فوق كل شيء,على القدرات العسكرية القائمة في جزء كبير منها على التقانة الفائقة.

خلال الحرب الباردة,كان الحد من الاسلحة ضروريا من منطلق الخطر(وان يكن بعيدا)من تحول المواجهة السياسية بين القطبين الى حرب يمكن ,بسبب وجود اسلحة نووية,ان تكون ادهى من حروب الماضي.اما مسالة ما اذا كان في امكان الحد من الاسلحة ان يؤدي دورا" مفيدا" في ادارة مشكلات امنية,فانها اليوم,ومن جديد,مسالة ذات صلة وثيقة بالوضع الحاضر.فقد اصبحت الولايات المتحدة من القوة قياسا باندادها بحيث انها مستهواة لنشدان الامن القومي بتاطير الحوار السياسي الدولي بطرق توائم المصالح القومية الامريكية(كما هي محددة من طرف واحد),ومدعومة بقوة عسكرية فائقة قائمة على تفوق ساحق بالتقانة العسكرية.وفي حين ان تجنب الحرب كان الاولوية الرئيسة خلال الحرب الباردة,فبعد انتهائها لم يجر في اي حال من الاحوال استبعاد استخدام القوة كاداة لتشكيل الشؤون السياسية الدولية[٣٥].

وظهرمؤتمرنزع السلاح(CD)Conference Disarmament)وهو هيئة متعددة الاطراف للتفاوض على الحد من الاسلحة,انشئت في العام ١٩٦١بأسم لجنة البلدان الثمانية عشر لنزع الاسلحة.وقد توسعت واعيدت تسميتها عدة مرات,واطلق عليها اسم مؤتمر نزع السلاح منذ العام ١٩٨٤,ومقره في مدينة جنيف السويسرية ,ويرفع تقاريره الى الجمعية العامة للامم المتحدة.

لم يرتبط نزع السلاح بنهاية الحرب الباردة,بل امتد الى منتصف

التسعينيات بموجب معاهدات الحد من الاسلحة الاستراتيجية التي ابرمت بين روسيا والولايات المتحدة في الفترة بين ١٩٩١-١٩٩٣ (ستارت ١و٢),ومعاهدة منع الاسلحة التقليدية في اوربا عام١٩٩١وتعديلها عام١٩٩٩ومعاهدة الاجواء المفتوحة في العام١٩٩٢واتفاقية الاسلحة الكيميائية في العام١٩٩٣ومعاهدة حظر التجارب الشامل (CTBT)مع هيئة المتابعة الخاصة بها.وهذه الفترة من ازدهار عمليات الحد من الاسلحة التي اعقبت سقوط حلف وارسو والاتحاد السوفيتي,عندما بدا ان المرحلة الاسوأ بل الاخطر قد اصبحت من الماضي,وكان بالامكان تبريرها بانها تضع خاتما" رسميا" على مكاسب مرحلة الاسترخاء الاستراتيجي وتقليص المخاطر داخل العلاقات غير المستقرة بين الشرق والغرب.ويتساوى مع ذلك تماما" انها تصادفت بالفعل مع فترة شهدت مزيدا" من التخفيض الطوعي للقوات من قبل جميع الذين اشتركوا في الحرب الباردة[٣٦].

وبالرغم من ذلك فان تخفيض حجم القوات والاسلحة والانفاق العسكري بشكل عام لم ينته تماما,حيث يتم السعي الى الاهداف النهائية للحد من الاسلحة وعدم نشر الاسلحة بشتى السبل اضافة الى منهج المعاهدة,وتحديدا" خلال الخمسة عشر عاما منذ الحرب الباردة.ويمكن تقسيم تلك الاجراءات على خمس مراحل هي:-

١-خطوات احادية الجانب.

٢-اجراءات تعسفية وقسرية.

٣-قيود على الاستخدام وليس اعدادا".

٤-التدخل في مكان اخر في دائرة التسلح.

٥-مقاربات الحزم.

١-خطوات احادية الجانب.

فقد احتل هذا الاجراء جانبا" كبيرا" من التخفيضات في اسلحة الدمار

الشامل و الاسلحة التقليدية التي قام بها اعداء الحرب الباردة السابقين منذ العام١٩٩٠,اذ تم طوعا" تماما" او تعدى التزمات المعاهدات.وكان هناك على الاقل حالة واحدة من الاجراءات احادية الجانب فيما يتعلق بالاسلحة النووية قصيرة المدى(التكتيكية)والتي اعلنتها الولايات المتحدة وروسيا في العام١٩٩١ .

٢-اجراءات تعسفية وقسرية.

وتعد من اكثر الحالات مأساوية,في نزع السلاح بالقوة,تلك العمليات العسكرية كالتي قادتها الولايات المتحدة لغزو العراق في العام٢٠٠٣,لكن غيرها من العمليات اقل اثارة للخوف الفوري.كما ان جزءا" من اتفاق دايتون في العام١٩٩٥.دعا الى تخفيضات قسرية في القوات العسكرية باشراف دولي بين القوات المتحاربة في النظام السابق في يوغسلافيا,ومن ثم فقد تمت العملية بسلاسة شديدة وفقا للجدول الزمني المحدد لها.

الا ان ابرز العيوب في هذه الاجراءات ,وفقا للخبرة السابقة لاوربا,هو انها لن توقف المجتمعات والدول المستهدفة عن محاولات اعادة التسلح ما ان تسنح لها الفرصة,اذا لم يصاحب ذلك عملية تحول قومية او اقليمية,مامن شانه ان يزيل أي فرصة او اسباب تساعدها على القيام بذلك.والتاثيرات الدائمة اكثر احتمالية اذا ما قامت الدولة المعنية بالزام نفسها طوعا" بكل انظمة الحد من الاسلحة محليا" ودوليا".

٣-قيود على الاستخدام وليس اعدادا".

وهي فرض القيود غير الكمية,ويمكن ان تتمثل في عدد من الانواع المختلفة,والاكثر شيوعا منها اما مايتعلق بتدابير بناء الثقة والامن(CSPMS)التي تتصدى لعمليات نشر القوات اضافة الى توفير الشفافية والسيطرة على الحوادث واما فرض حدود على السياقات التي يمكن فيها لنوع معين من السلاح ان يستخدم- وعادة ما يكون لاهداف

انسانية.لقد تطورت تدابير بناء الثقة والامن من خلال اطر ثنائية او سياقات اقليمية محدودة,ولاسيما في اوربا ,وكذلك امريكا اللاتينية وعلى الحدود الفاصلة بين الصين وروسيا.الا ان هذا الاجراء لايفرض أي قيود على اعداد او انواع من الاسلحة او حتى مستوى القوات وذلك هو مكمن ضعفها وكذلك قوتها المحتملة الخاصة في البيئة الامنية المهيمنة في عالم اليوم.وفي بعض حالات ,قد تمهد الطريق لعمليات حقيقية لنزع السلاح بل وقد سيطرت على عمليات نقل الاسلحة من اسلحة الاعداء بهدف استخدامها كوسائل عسكرية في منطقة ما.وفي الاجواء التي تتسم بالقلاقل قد تقوم تدابير بناء الثقة والامن على الاقل بتقليل حجم المخاطر من التعرض لهجوم مفاجيء او الانزلاق في هوة الصراعات.

٤ – التدخل في أي مكان اخر في دائرة التسلح.

ويركز هذا الاجراء على اشياء اخرى بخلاف حجم الترسانات القائمة بالفعل,واصبحت اكثر رواجا" منذ نهاية الحرب الباردة,فقد اشتملت على سبل الرقابة على التقانة وعلى الصادرات التي صممت خصيصا لانهاء كل ماتم تطويره على الاطلاق من عمليات التقنيات التدميرية ,او عندما يتم تطويرها تحاول ان تحد من انتشارها لفئات معينة من مستعمليها.وصممت الاجراءات على الجانب الاخر من دائرة التسلح لضمان الرقابة الامنة والحراسة بالشكل الامثل او تدمير الاسلحة غير المستخدمة,وقد لقي كلا المنهجين اهتماما" خاصا في السنوات الاخيرة لعلاقتهما بالتهديدات التي لاتصدر عن الدول[٣٧].

٥ –مقاربات الحزم.

يمكن جمع(حزم)الحد من الاسلحة ونزع السلاح معا"في مستويات عدة.وايسر نوع في عملية التحزيم هو الجمع بين اجراءات متعددة ضمن النطاق الموسع للحد من الاسلحة,مثل استكمال اتفاقية تخفيضات الاسلحة بالمساعدة على نزع السلاح وتدابير بناء الثقة,وهناك مجموعة حزم اخرى

تمتد لتشمل مجال الحد من الاسلحة حتى تصل الى المجال الامني بشكل عام.ولان كل التقنيات المطلوبة لتطوير اسلحة الدمار الشامل تقترب او ترتبط بالتقانة المشروعة للاستخدام المدني فان الحواجز المفروضة لمنع انتشار اسلحة الدمار الشامل تحتاج لان يتم رصدها بواسطة مجموعة من الاجراءات في كلا الجانبين المدني والعسكري من خلال مراقبة ورصد الانشطة النوويةالمدنية(مثل الرقابة الدولية على دورة الوقود النووي),او من خلال فرض ضوابط امنية على الصناعات الكيميائية والتقانة الحيوية,اضافة الى اخضاع المنشات التي يمكن ان تنتج اسلحة,ومن بين اكثر الحزم تنوعا" الجمع بين عدد من الاجراءات اللازمة للحيلولة دون اجراء دولة ما عمليات تطوير لقدراتها العسكرية على نحو يمثل خطورة او جعلها تتخلى عن اسلحة موجودة بالفعل,وذلك باستخدام سياسة العصا والجزرة سياسيا او اقتصاديا او تقنيا او امنيا",وكان اغراء ليبيا بالتخلي عن اسلحة الدمار الشامل عام٢٠٠٤مثالا"على ذلك.كما ان الصفقة التي تمت مع كوريا الشمالية كانت ضمن هذه النوعية الا ان عرض مقاربة الحزم لم ينجح مع ايران عندما عرضها الاوربيون عليها.

ان هذه الانواع الخمسة من المدخلات على عملية الحد من الاسلحة من اجل بناء الامن بشكل عام,يمكن مع ذلك ان توفرها جميعا دول مفردة,مع الاستثناء المهم لوضع قواعد دولية ملزمة.وفي اطار النقد الموجه لاسلوب تلك المعاهدات اعربت الادارة الامريكية عن تاكيدها مبدأ الحرية في أن تتخذ اجراءاتها الداخلية بمفردها او من خلال شركاء تختارهم بنفسها بهدف مواجهة التهديدات الناجمة في مجال التسلح كما في أي مجال اخر,ولن يكون الاجراء الوطني لاول وهلة,على قدر كبير من السرعة والمرونة,في الوقت الذي يمكن فيه لدولة لها قوة الولايات المتحدة ان توفر الموارد,الا ان ادنى

تفكير في الدروس المستفادة من تجربة العراق يبين ان الفاعلية على المدى البعيد والتاثير المطلق للامن الذي تجلبه تلك المبادرات امر مشكوك فيه.فافتقار الشرعية الواضح في اعين الاخرين,ولاسيما في اعين شعب تلك الدول محل الاهتمام ,يمثل مشكلة جادة عندما يدعي المتدخلون بانهم يلتزمون معايير سارية(من بينها الحد من الاسلحة ومنع انتشارها) .فضلا عن ذلك,فان الدولة التي تتخذ اجراءات بمفردها تكون اكثر عرضة من التكتلات الدولية للعديد من الشكوك والتباينات التي تستوجب دحضها حتى لاتعتمد على معلومات غير كاملة,او تسيء الحكم على المعلومات التي بحوزتها,او تسيء قراءة الوضع القائم في المناطق المستهدفة والانتخرط في مخاطر كبيرة.وسوف تتلاشى موارد الدولة العظمى عاجلا ام اجلا تحت عبء المدخلات المختلفة اللازمة او لضمان استمرارها عبر العصور.ويوضح التاريخ مدى صعوبة الامر على اية دولة تراعي ويشهد انها تراعي المبادىء الثابتة عن ماهو خير وما هو شر فيما يتعلق بالامن الدولي,مادامت تصر على ان تكون هي القاضي والجلاد لنفسها[٣٨].

ان ماتقدم يوضح ان الدول لاتزال حتى الوقت الحاضر تجد صعوبة كبيرة في الاتفاق على اهداف الحد من الاسلحة متعددة الاطراف من حيث انطباقها على القوات المسلحة وقدرات الدول العسكرية.ومن الشواهد على هذه النقطة ايضا حقيقة ان مؤتمر نزع السلاح فشل الى الان,وعلى مدى اعوام متتالية,في التوافق على برنامج عمل.وفي غياب تلاق سياسي حول اهداف استراتيجية او اهداف انسانية,لاينبغي توقع مبادرات اخرى تتعلق بالحد من الاسلحة.

كما ان النظام العالمي لحظر الانتشار النووي لايزال يواجه عددا"من التحديات الجدية من داخل النظام وخارجه.وقد استدعت فاعلية وقابلية نجاح مؤسسته القانونية والمعيارية الاساسية أي معاهدة الحد من انتشار الاسلحة

النووية(NPT)للنقاش,بفعل الخلاف المستحكم الذي ثار بين الدول في المؤتمر السابع لمراجعة المعاهدة في ايار(مايو)٢٠٠٥,والذي يعقد كل خمسة اعوام.وفشل المؤتمر في اصدار تقرير نهائي يحوي قرارات دائمة بشان مسائل تطبيق المعاهدة.

دور اللجان والمجموعات والترتيبات.

اذا كانت الجهود متعددة في مجال الحد من الاسلحة النووية فان هذه التحركات قد اثمرت عن بروز عدة اليات ولجان تتولى القيام بهذه المهمة وابرزها:-

١-لجنة زانغر:(Zangger Committee)فقد انشئت في العام ١٩٧١ الجنة المصدرين النوويين,التي سميت لجنة زانغر باسم اول رئيس لها.وهي مجموعة من البلدان الموردة للمواد النووية التي تجتمع بصورة غير رسمية مرتين في السنة لتنسيق الضوابط على صادرات المواد النووية بحسب القائمة التي تقوم بتحديثها بانتظام للمواد التي يتعين عند تصديرها اخضاعها لضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية.وهي تكمل عمل مجموعة الموردين النوويين.

٢-مجموعة الموردين النوويين(Nuclear Suppliers Group NGS) وقد انشئت في العام١٩٧٥وتعرف ايضا باسم نادي لندن.وتقوم بتنسيق الضوابط الوطنية على المواد النووية وفقا للمبادىء التوجيهية لنقل المواد النووية(ارشادات لندن),وتحتوي على لائحة محّفزة بالمواد التي يجب ان تحفز التدابير الوقائية للوكالة الدولية للطاقة الذرية عند تصديرها لاغراض سلمية الى أي دولة لاتملك اسلحة نووية,والمبادىء التوجيهية لنقل التجهيزات والمواد والبرامجيات ذات الاستخدام المزدوج والتقانة ذات الصلة

٣-ترتيب فاسنار,(Wassenaar Arrangement)انشىء هذا الترتيب بشان الضوابط على صادرات الاسلحة التقليدية والسلع والتقانات ذات

الاســـــتخدام المزدوج في اجتماع في فاســـــنار بـــــهولندافي كانون الاول(ديسمبر) ١٩٩٦.وهو يهدف الى منع الدول التي يثير سلوكها قـلق الدول الاعضاء من امتلاك الاسلحة و السلع الحساسة و التقانات المزدوجة الاستخدام للاستعمالات العسكرية.[٣٩]

وفي العام ٢٠٠٤وسع اتفاق فاسنار للمرة الاولى منذ تاسيســه بـدخول سلوفينيا,وادخلت خمسة بلدان اخرى هي كرواتيا و اســتونيا و لاتفيا و لتوانيا ومالطا في ربـيع عام٢٠٠٥.وقبـرص هي الدولة الوحـــيدة خارج اتفاق فاسنار,وكذلك قبلت عضوية جنوب افريقيا مما وسع العضوية نحو افريقــيا للمرة الاولى,وتشارك حاليا ٤٠دولة في الاتفاق[٤٠].

ختاما نجد ان مشــكلة الطاقـة النووية اصبحـت اعقـد مما تصور مكتشفوها ومن طوروها في استخداماتها المختلفة ,و هذا ما استوجب ترتيبات واجراءات في محــاولة للحـد من انتشـــار التكنولوجيا النووية الى دول اخرى,الا ان كل هذه الجهود لم تمنع العديد من الدول من امتلاك اسرار هذه الطاقة وتسخيرها لاهدافها المشروعة وغير المشروعة.

هوامش الفصل الاول

١-للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر :-د.يسري ابـو شادي.حـتمية خيار الطاقة النووية.مجلة السياسة الدولية.العدد١٦٨.ابريل٢٠٠٧.ص٢٢٤-٢٢٥.ايضا:يسرى الشرقاوي.الطاقة النووية و السياســات الخضراء.المصدر نفسه .ص٢٣٢- ٢٣٦.ايضا:عمرو غربـية.تغير المناخ...الطاقـة المتجددة كبديل ضروري.المصدر نفسه.ص٢٤٠- ٢٤٢ .

٢-الطاقة النووية.المصدر :-.. www.alshamsi.netايضا :حـول الطاقــة النووية انظر: www.wikipedia.org .

٣-ممدوح حامد عطية.اسلحة الدمار الشامل في الشرق الاوسط,بين الشك و اليقين؟ الدار الثقافية للنشر .القاهرة٢٠٠٤.ص٦- ٧ .

٤-محـــــمد كامل محمد.الطاقـــــة النووية..ســــــلميا.مجلة السياســــــة الدولية.العدد١٦٥.يوليو٢٠٠٦.ص٧١ .

٥-ممدوح حامد عطية.مصدر سابق.ص٦.ايضا:- محـــمد كامل محـــمد.مصدر سابق.ص٧١ .

٦-مقدمة تعدين اليورانيوم المصدر:-..www.bbc.co.uk

٧-محمد عبد السلام."المناطق الرمادية"بين الاستخدامات الســلمية و العســكرية للطاقة النووية.مجلة السياسة الدولية .العدد١٦٥.يوليو٢٠٠٦.ص١٧٢ .

٨-المصدر نفسه.ص١٧٣ ,

٩-وللمزيد من التفاصيل عن الموضوع انظر:-كمال عفت.الطاقـــــــــة النووية والمفاعلات النووية لتوليد الطاقة.معهد الانماء العربـــي.الجماهيرية العربـــية الليبية الشعبـــية الاشـــتراكية .طرابـــلس١٩٨٠.ص٥٨- ٩٦.ايضا:- طاقـــة نووية.من ويكيبيديا,الموسوعة الحرة.المصدر: .www.wikipedia.org

١٠-المصدر نفسه.

١١-محمد كامل محمد.مصدر سابق.ص١٧١ .

١٢-كريستر آلستروم.الجوانب القانونية لمبادرة التعاون النووي المدني الهندية – الامريكية. التسلح ونزع السلاح والامن الدولي.الكتاب الســـنوي٢٠٠٦.اعداد مركز دراسات الوحدة العربية.بيروت.تشرين الثاني٢٠٠٦.ص. ١٠١١

١٣-وللمزيد ينظر:ســكوت ريتر.اســتهداف ايران.ترجمة امين الايوبـــي.الدار العربية للعلوم.بيروت. الطبعة الاولى٢٠٠٧.ص٨٠ .

١٤-وللمزيد ينظر:-كمال عفت.مصدر سابق.ص١٩٩-٢٠٧.ايضا:- عائشـــة العوضي.المفاعلات النووية.الات حرب تنتج طاقة٢٠٠٣/٤/٣المصدر اسلام اون لاين.نت.ايضا عن هذه المخاطر ينظر:- www.greenpeace.orgايضا عن اهمية الطاقة النووية ومخاطرها ينظر:-د.يسري ابو شادي.حـــتمية خيار الطاقة النووية.مجلةالسياسة الدولية. العدد١٦٨.ابريل٢٠٠٧.ص٢٢٤-٢٢٥ .

١٥-د.محمود بركات.افاق استخدام الطاقة النووية في النطقـــة العربية.السياســـة الدولية .العدد١٦٨.ابريل ٢٠٠٧ .ص٢٢٦ .

١٦-وللمزيد من التفاصيل ينظر :محمد عبد السلام.التجارب النووية:بحث عن اطار تحليلي.مجلة السياسة الدولية.العدد١٣٣ .يوليو ١٩٩٨.ص٢٤٠ .

١٧-المصدر نفسه. ص٢٤٠

١٨-محمد عبد السلام. "المناطق الرمادية"بين الاستخدامات السلمية والعسكرية للطاقة النووية .مصدر سابق.ص١٧٣- ١٧٤ .

١٩-رفعت لقوشة.المسألة النووية والاسقاطات السياسية:منظور رؤية(مقاربات دولية وشرق اوسطية)في محمد ابراهيم منصور،الخيار النووي في الشرق الاوسط.

مركز دراسات الوحدة العربية.بيروت.ايلول(سبتمبر)٢٠٠١.ص٣٣٦- ٣٣٧ .

٢٠-محمد عبد السلام.الاستراتيجيات الجديدة لاستخدام الاسلحة النووية.مجلة السياسة الدولية.العدد١٦٤ .ابريل ٢٠٠٦.ص٢٠٣ .

٢١-باسل صلاح مصطفى.الملامح الجديدة للسياسة النووية الامريكية.مجلة السياسة الدولية.العدد١٦٤ .مصدر سابق.ص٢٠٨- ٢٠٩ .

٢٢-محمد عبد السلام .الاستراتيجيات الجديدة لاستخدام الاسلحة النووية .مجلة السياسة الدولية.العدد١٦٤ .مصدر سابق. ص٢٠٣.

٢٣-المصدر نفسه.ص٢٠٤-٢٠٥ .

٢٤-وليم بوروس و روبرت ويندرم.اسلحة الدمار الشامل.ترجمة دار الجليل.دار الجليل للنشر والدراسات والابحاث الفلسطينية.عمان.الطبعة الاولى.١٩٩٤.ص٢٧٧-٢٨٢ .

٢٥-عماد خدوري.سراب السلاح النووي العراقي،مذكرات واوهام.الدار العربية للعلوم.بيروت.الطبعة الاولى.٢٠٠٥.ص٥٧-٥٨ .

٢٦-المصدر نفسه.ص٨٥- ٨٦ .

٢٧-المصدر نفسه.١٠٤- ١٠٧ .

٢٨-وليم بوروس و روبرت ويندرم.مصدر سابق.ص٢٨٠- ٢٨٧ .

٢٩-د.محمود بركات.افاق استخدام الطاقة النووية في النطقة العربية.السياسة

الدولية .العدد١٦٨ .مصدر سابق. ص٢٢٨- ٢٢٩,٢٢ .

٣٠-شانون ن .كايل.الحد من الاسلحة النووية,وحظر الانتشار. التسلح ونزع السلاح والامن الدولي.الكتاب السنوي٢٠٠٥.اعداد مركز دراسات الوحدة العربية.بيروت.تشرين الثاني٢٠٠٥ص ٧٨٨-٧٨٩ .

٣١-إيان انطوان.تاملات في استمرار الحد من الاسلحة وتغيره.التسلح ونزع السلاح والامن الدولي. ٢٠٠٦. ص٨٧١ .

٣٢-وويي اومينوغن واليزابيث سكونز .بيانات الانفاق العسكري:نظرة افق على٤٠عاما. التسلح ونزع السلاح والامن الدولي٢٠٠٦.مصدر سابق.ص٤٣٥ .

٣٣-اليسون ج.ك.بيلز.عالم ابحاث الامن والسلام من منظور اربعين عاما.التسلح ونزع السلاح والامن الدولي٢٠٠٦.مصدر سابق .ص٨٨ .

٣٤-المصدر نفسه.ص٨٩-٩١ .

٣٥-المصدر نفسه.ص٩١-٩٥ .

٣٦-فيتالي فيدشنكو.المراقبة المتعددة الاطراف لدورة الوقود النووي.التسلح ونزع السلاح والامن الدولي ٢٠٠٦.مصدر سابق .ص١٠١٠.

٣٧-شانون ن .كايل. شانون ن .كايل.الحد من الاسلحة النووية,وحظر الانتشار. التسلح ونزع السلاح والامن الدولي.الكتاب السنوي٢٠٠٥.اعداد مركز دراسات الوحدة العربية.بيروت.تشرين الثاني٢٠٠٥ص مصدر سابق. ص٨٩٧ .

٣٨-إيان انطوان .مصدر سابق. ص ٨٨٠-٨٨٧ .

٣٩-هذه التعاريف من التسلح ونزع السلاح والامن الدولي٢٠٠٦.مصدر سابق.ص٤٤-٤٧ .

٤٠-المصدر نفسه.

الفصل الثاني

البرنامج النووي الايراني.

المقدمة

بدأ برنامج إيران النووي بمساعدة الولايات المتحدة . وكانت اولى خطواته إنشاء محطة نووية بحثية لإنتاج الطاقة الكهربائية. في بادىء الامر لم يكن لدى القيادة الايرانية طموحات كبرى في المجال النووي,وهو ماشجع ايران على ان تكون في مقدمة الدول المعنية بقضايا منع الانتشار النووي,ووقعت على معاهدة الحد من الانتشار النووي في ١تموز (يوليو)١٩٦٨,كما صدقت عليها في ٢شباط (فبراير) ١٩٧٠،ثم وقعت على اتفاقية الضمانات النووية الخاصة بالوكالة الدولية للطاقة الذرية(IAEA) 15 ايار(مايو)١٩٧٥(إتفاقية الضمانات تلزم الدولة بالإعلان عن منشاتها النووية وتلزم الوكالة مساعدة الدولة في الحصول على التقنية النووية و التحقق من إستخدامها للأغراض السلمية).,مما يشير الى ان ايران كانت في مقدمة الجهود الدولية الرامية الى احتواء الانتشار النووي منذ البداية,وساهمت في تقوية نظام منع الانتشار النووي. وبعد قيام الثورة الإيرانية في العام ١٩٧٩ توقف هذا البرنامج . وفي العام ١٩٨٤ بدأت إيران برنامجا نوويا موسعا ركّز على دورة الوقود النووي بضمن ذلك تخصيب اليورانيوم و إنتاج وفصل البلوتونيوم . وكان الهدف المعلن لهذا البرنامج هو إستخدام المفاعلات النووية لإنتاج الطاقة الكهربائية . وشهد هذا البرنامج إنطلاقته الحقيقية بعد نهاية الحرب العراقية الإيرانية خاصة وأنها تزامنت مع تفكك الإتحاد السوفيتي ورواج التجارة السرية للمواد النووية إضافة الى إستفادة إيران من التقنية النووية الباكستانية ومن مصادر أخرى.

الا ان البرنامج النووي الايراني شهد تطورات غير منتظمة ومتباينة خلال العقود الثلاث الماضية,وتشير متابعة هذه التطورات الى ان السياسة

الايرانية في هذا الصدد لم تكن محكومة منذ البداية بتوجهات واضحة ومحددة,وانما كانت في الاغلب الاعم نوعا من التجاوب مع التطورات الظرفية التي شهدتها ايران,وتتفاوت قوة الدفع المحركة للبرنامج النووي الايراني مابين السرعة والتباطؤ حسب الاحوال في مواقف القوى الدولية الكبرى,وفي حركة التفاعلات التي تشهدها البيئة الاقليمية والدولية.

ومنذ انتهاء الحرب العراقية- الايرانية في العام١٩٨٨,باتت السياسة الايرانية تعطي اهتماما مكثفا لدفع وتطوير البرنامج النووي,ووصل الاهتمام بهذا البرنامج الى درجة انه اصبح على مايبدو واحدا من اهم الاولويات الموضوعة على قائمة اهتمامات الحكومات الايرانية منذ فترة ليست بالقصيرة.حيث شهد البرنامج النووي قدرا عاليا من قوة الدفع منذ اوائل التسعينيات,ولاسيما بعد ان نجحت ايران في تكثيف تعاونها النووي مع كل من روسيا الاتحادية والصين,ودخلت الى مرحلة شراء المفاعلات النووية كبيرة الحجم,بالاضافة الى مواصلة العمل في بناء وتجهيز محطة بوشهر النووية في جنوب البلاد,التي تمثل المعقل الرئيسي للبرنامج النووي الايراني.

يثير البرنامج النووي جدلا حادا بشان طبيعة الدوافع المحركة له,فالولايات المتحدة واسرائيل والعديد من الدول الاوربية تتهم ايران بانها تسعى الى امتلاك السلاح النووي,وانها يمكن ان تستخدم هذا السلاح- حال النجاح في تطويره- من اجل تحقيق اهداف عدوانية,الا ان هذه الاطراف لم تقدم اي دليل يؤكد مزاعمها وادعاءاتها في هذا الصدد.وعلى الجانب الاخر,فان المسؤولين الايرانيين دابوا على التاكيد على ان البرنامج النووي يندرج فقط في اطار الاستخدامات السلمية للطاقة النووية,وتشير الحكومة الايرانية الى انها تسعى الى بناء عدد من المفاعلات النووية يسمح بتوفير ٢٠%من احتياجات البلاد من الطاقة الكهربائية,بهدف تقليل الاستهلاك المحلي من الطاقة الكهربائية عن طريق النفط والغاز الطبيعي

وربما يصعب على المراقب للبرنامج النووي الإيراني الجزم بالمسار الذي يسير عليه حالياً، وهل تخطى حدود الاستخدام السلمي للطاقة النووية أو في سبيله إلى ذلك كما تؤكد الولايات المتحدة الأمريكية، أم مازال محصوراً داخل هذا النطاق كما تؤكد غريمتها الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

فعلى كثرة الدلائل التي تثير علامات من الشك على أن إيران ترمي من وراء برنامجها النووي أكثر من مجرد إنتاج الطاقة النووية للاستخدامات الصناعية والتنموية في البلاد، تتراكم الشواهد على أن طهران تحاول امتلاك أسرار الصناعة النووية السلمية داخل الإطار القانوني والشرعي الذي تسمح به معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية.

ومما يزيد الأمر غموضاً أن الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وهي الهيئة الدولية المنوط بها الإشراف والرقابة على استخدامات الدول الأعضاء بـها للطاقة النووية، "لم تدن إيران ولم تبرأ ساحتها في الوقت نفسه" فيما يتعلق بمسألة الأهداف العسكرية لبرنامجها النووي.

ولكن إن كان يصعب القطع بالأهداف العسكرية التي يخفيها البرنامج النووي الإيراني، فمن المرجح غالباً، أن ايران تريد من برنامجها ما هو أكثر من الطاقة الكهربائية، فالاهتمام المكثف بهذا البرنامج يزيد كثيراً في رأي مراقبين عما تقتضيه الاستخدامات السلمية. فيما يؤكد مراقبون وأكاديميون أن إيران تسعى فعلياً إلى امتلاك السلاح النووي أو على الأقل التقنية اللازمة لإنتاجه.

وبغض النظر عن الاهداف والنوايا فان متابعة تطور البرنامج النووي الايراني منذ بداياته الاولى يمكن ان يساعدنا في تقديم تصور ممكن عن الاهداف الايرانية من البرنامج ومقارنة الحجج بالواقع المادي للبلاد والامكانيات المختلفة التي قد تخدم في تعزيز المسعى الايراني او اضعافه ,ولهذا يحاول الفصل الدخول من بوابة تتبع بدايات التوجه الايراني نحو الطاقة النووية,و الدول التي ساعدت في وضع البنية التحتية لهذا البرنامج الى جانب بيان بعض المخاطر المحتملة من بعض المواقع النووية الايرانية.

المبحث الاول, البرنامج النووي في عهد الشاه.

بـــدأ البـــرنامج النووي الايراني في عقـــد الخمســـينيات من القـــرن الماضي,وكانت اسس البرنامج قد وضعت خلال الحرب الباردة وبمســـاعدة الولايات المتحدة الامريكية وفي صيغة اتفاق ثنائي بين البلدين في بـــرنامج تعاون نووي مدني وقع في العام١٩٥٧ .وتحت عنوان (برنامج الذرة من اجل السلام)وكان الشاه محمد رضا بهلوي هو الذي يحكم ايران في ذلك الوقـــت وبعد الاطاحـــة بحـــكومة محـــمد مصدق في العام١٩٥٣ بـــدعم من وكالة المخابرات المركزية الامريكية.(CIA)وبدا واضحـــا" ان النظام مستقـــر وصديق للغرب وان الانتشار النووي لن يكون تهديدا".

وانشيء مركز ابحاث طهران النووي(Tehran Nuclear Research Center)ليدارمن قبل منظمة الطاقة الذرية في ايران (AEOI)Atomic Energy Organization Of Iran)وقد زود مركز الابحاث بـــمفاعل ابحاث نووية بقدرة ٥ميجاواط امريكي الصنع ومن نوع,(pool-type)بدأ بالعمل في العام١٩٦٧وزود باليورانيوم عالي التخصيب,واقـــيم المركز في جامعة طهران ,ويعد هذا المركز احد منشـــأت البحـــوث النووية الايرانية الرئيسة المفتوحة,ويمكنه ان ينتج مايصل الى ٦٠٠غم من البـــلوتونيوم في السنة في وقوده المستخدم.

ولتاكيد نواياها السلمية وقعت ايران على معاهدةالحد من انتشار الاسلحة النووية(NPT)في ١تموز(يوليو)١٩٦٨واصبحت نافذة بعد التصديق عليها في ٥اذار (مارس) ١٩٧٠ وفي مضمون المادة السادسة من المعاهدة اعترفت لإيران (بحقها غير القابل للتحويل في تطوير البحث وانتاج واستخدام الطـاقة النووية للاغراض الســـلمية,دون تمييز وامتلاك المعدات,والمواد والمعرفة والمعلومات التكنولوجية),وكان لاحداث مطلع عقد السبعينيات اثر مهم في

في توجيه وتسارع تطور البرنامج النووي الايراني,فحرب١٩٧٣,بين الدول العربية واسرائيل ,وماتلاها من زيادة كبيرة في اسعار النفط,وفرت لحكومة الشاه موارد مهمة للتنمية الايرانية.وفي ذلك الوقت استنتجت دراسة لمعهد ابحاث ستانفورد ان ايران سوف تحتاج الى طاقة كهربائية تصل لحوالي ٢٠الف ميجاواط بحلول العام١٩٩٠ .

ولمواجهة هذه الاحتياجات المتزايدة للطاقة ,وضعت الخطط من قبل الشاه لبناء ٢٣محطة قدرة نووية في عموم البلاد بالتعاون مع الولايات المتحدة بحلول العام ٢٠٠٠.ولتبرير هذا التحرك اوضح الشاه رؤيته للاوضاع العالمية في ضوء تزايد الاعتماد على النفط في تصريح له في اذار (مارس) ١٩٧٤بقوله:- (البترول مادة مهمة,و اثمن من ان يحرق...ونحن نتوقع انتاج مايقرب من ٢٣،٠٠٠الف ميجاواط من الكهرباء باستخدام المفاعلات النووية)وسيكون مفاعل بوشهر اول مفاعل سيزود مدينة شيراز بالطاقة[1].

وبحلول العام١٩٧٥بدأت شركةKraftwerk Unionالتابعة لشركةSiemens AG,وAEG Telefunkenبتوقيع عقد بقيمة ٤-٦مليار دولار لبناء مفاعل ماء ثقيل لمصنع الطاقة النووية .ليشكل الاثنان ١،١٩٦ميجاواط,لوحدات التوليد النووية ,وكان من المقرر ان ينجز في العام١٩٨١ .

وساهمت الادارة الامريكية بدور كبير في هذا التطور,وخصوصا"بعد ان وقع وزير الخارجية الامريكي هنري كيسنجر في العام١٩٧٥على مذكرة قرار الامن القومي برقم٢٩٢,والمعنونة(التعاون النووي الامريكي – الايراني)والتي بينت تفاصيل بيع معدات الطاقة النووية للمشروع الايراني ليصل التعاون بينهما لاكثر من ٦مليار دولار من العوائد المالية.في ذلك

الوقـــــت,كانت ايران تضخ مايصل الى ٦مليون بــــرميل اي حـــــوالي (٩٥٠،٠٠٠ م٣) من النفط يوميا",مقـــــــــارنة بحـــــــــــوالي ٤مليون برميل(٦٤٠،٠٠٠م٣)من النفط في الوقت الحاضر.

وعرضت ادارة الرئيس جيرالدفورد على ايران في العام١٩٧٦فرصة شراء وتشغيل مفاعل معالجة امريكي لاستخلاص البــلوتونيوم من وقــود المفاعل النووي,وكان الاتفاق انجازا" (لدورة الوقود النووي).وقد اوضحت استراتيجية فورد ان (تقديم الطاقة النووية سوف يسد الاحــتياجات المتزايدة للاقــتصاد الايراني ,ويبقــي امدادات النفط حــرة للتصدير او تحــول الى بتروكيماويات).

وكان واضحا" ان روابط ايران بالولايات المتحدة قد اصبحــت قــوية وكذلك مع الدول الاوربية التي ازدهرت مصالحها مع ايران.وفي هذا الاطار يوضح وزير الخارجية الامريكي الاسبق هنري كيسنجر في حــديث له في العام٢٠٠٥موقف الادارة في ذلك الوقت بقوله:- (لااعتقد ان قضية الانتشار كانت معروضة للبحث)وبتوقــــــــيع ايران معاهدة (NPT)في العام ١٩٦٨فالبــرنامج سـيكون تحــت اشــــراف الوكالة الدولية للطاقـــــة الذرية.(IAEA)

وطبقا"للوثائق السرية للحكومة الامريكية المحفوظة في ارشــيف الامن القومي الرقمي,وفي فقرة(النزاع النووي الامريكي- الايراني)ونشــرت في ١٣تموز(يوليو)٢٠٠٣في (IRAN NEWS)حــيث توضح ان الولايات المتحدة شجعت ايران لتوسيع قاعدة الطاقة غير النفطية,باقتراحها على الشاه ان ايران بحاجة ليس فقط لمفاعل واحد بل عدة مفاعلات نووية,لانتاج الطاقة الكهربائية والتي اقترحها معهد ستانفورد وعبــرت عن اهتمامها بمشــاركة الشركات الامريكية في مشاريع الطاقة النووية الايرانية .وبالطبع كان بــناء

هذه المفاعلات وبيع الاسلحة الى الشـــاه يســـيرا"من الولايات المتحـــدة في السبعينيات ,وكانت طريقة جيدة للولايات المتحدة لتغطية تكاليف النفط الذي اشترته من ايران.

وبما ان الشاه لم ير او يســمع بالمقــترح الامريكي بـــانه غير مرغوب فيه,فقد بدأ برنامجا"طموحـــا" لبــناء العديد من مفاعلات الطاقـــة وقـــدرت بحوالي٢٣ مفاعلا"نوويا".ولهذا وقعت الحكومة الايرانية عقدا" مع شـــركة (Kraftwerk Union)التابعة لشركة(Siemens)في المانيا الغربية لبناء مفاعلين نوويين بطاقة ١٢٠٠،١ميجاواط في بوشهر.وقد بـــدأ العمل فيهما في العام ١٩٧٤ .وفي العام ١٩٧٥وقع معهد ماساشوتس للتكنولوجيا عقدا" مع (AEOI)لتوفير التدريب لاول كادر من المهندسين النوويين الايرانيين,كما وقعت اتفاقية للتعاون النووي الايراني – الهندي.يضاف الى ماتقدم ان مركز التكنولوجيا النووية في اصفهان قد انشيء في منتصف السبعينيات وبمساعدة فرنسية لغرض توفير التدريب للاشـــخاص الذين ســيعملون في مفاعلات بوشهر. علما"ان مركز اصفهان يعمل حاليا" باربع مفاعلات ابحـــاث نووية صغيرة,وجميع موادها من الصين.ويلاحـــظ في هذه المرحـــلة ان الولايات المتحـــدة كانت في تنافس مع كل من فرنســـا والمانيا على بـــيع وتركيب المفاعلات الضخمة في ايران.

وطبقا" لنفس الوثيقة السرية التي ذكرت سابقـــا",وفي مأدبـــة عشـــاء لمناقشة موضوع(الولايات المتحدة وايران شراكة متزايدة) عقدت في تشرين الاول(اكتوبر)١٩٧٧,اعلن الســيد ســيدني سوبـــير ممثل وزارة الخارجية الامريكية,ان حكومة الشاه ماضية في شـــراء مفاعل نووي (EIGHT)من الولايات المتحدة لتوليد الطاقة الكهربائية.وفي ١٠تموز(يوليو)١٩٧٨,وقبل سبعة اشهر من انتصار الثورة الاسلامية في ايران ,وقعت المســودة النهائية

لاتفاق الطاقة النووية الامريكي – الايرانى ويتضمن الاتفاق تعاونا" مفصلا" في مجال الطاقة النووية والتحكم في تصدير ونقل المعدات والمواد لبرنامج الطاقة النووية الايراني ,وبموجبه تلقت ايران ايضا" تكنولوجية ومساعدة امريكية فى البحث عن مخزونات اليورانيوم.

كما شرعت حكومة الشاه في بناء مفاعلين نوويين ومفاعل توليد طاقة في داركوفين(Darkhovin)على نهر الكارون,جنوب مدينة الاحواز.ووقعت ايران في العام١٩٧٤عقدا"مع شركة(Framatome)الفرنسية لبناء مفاعلين مضغوطين بقدرة ٩٥٠ميجاواط فى نفس الموقع.وبالرغم من بدأ الشركة بمسح الارض والاستعداد في الموقع,الا ان البناء لم يبدأ بسبب قيام حكومة مهدي بازركان بترك العقد بعد قيام الثورة في العام١٩٧٩.وعادت الحكومة مجددا" لهذا المشروع في العام١٩٩٢ بتوقيع عقد مع الصين لبناء المفاعلات في داركوفين.الاان بنود العقد لم تنجز من قبل الصين,اخذين بنظر الاعتبار قرب الموقع من الحدود مع العراق ,مما يطرح احتمالية عدم اكمال الموقع.

كما حصلت حكومة الشاه ايضا" على مادة اليورانيوم من جنوب افريقيا في السبعينيات.ووفقا"للدكتور اكبر اعتماد الذي كان مؤسس وأول رئيس لمنظمة الطاقة الذرية في ايران من١٩٧٤وحتى١٩٧٨,فقد أنجز مركز ابحاث طهران النووي(TNRC)تجارب كان البلوتونيوم قد استخلص من الوقود المستخدم لاغراض كيميائية,وهذا ما يذكره الدكتور في كتابه(ايران في سياسة حظر الانتشار الاوربية,عن دار ه-موليير,مطابع جامعة اكسفورد١٩٨٧.ص٩)مشيرا" الى ان الاستخدام الوحيد للبلوتونيوم هو في القنبلة النووية.وهذا مايثير الاعتقاد بان الشاه قد جمع في (TNRC)فريق تصميم اسلحة نووية.ويكتب اسد الله علام وزير القضاء الملكي واقرب مؤتمن للشاه في مذكراته ان الشاه قد تصور ايران تمتلك

اسلحة نووية[٢].

وقد يكون هذا الاستنتاج صحيحا الى حد ما اذا نظرنا الى مجمل جهود الشاه في هذا المجال فالمبررات لاتبدو كافية في تبرير هذا السعي نحو تامين الاحتياجات الايرانية من الطاقة الكهربائية باللجوء الى الطاقة النووية الا ان الهدف الحقيقي في اعتقادنا كان محاولة الغرب استنزاف القدرات المالية الايرانية المتزايدة جراء الزيادة في اسعار النفط, وادخال ايران في طريق طويل يستلزم الكثير من الاموال ويجعلها بالنتيجة محكومة بمصالح الدول الغربية التي تسعى الى الحفاظ على مصالحها فقط.ولهذا نجد ان هذه الدول هي اول من تخلى عن الشاه عندما وجدت انه بات يهدد مصالحها واهدافها,وقد ساهم هذا الموقف من جانب اخر في نجاح الثورة الاسلامية في العام ١٩٧٩.

المبحث الثاني, البرنامج النووي بعد الثورة الاسلامية. ١٩٧٩

بنجاح الثورة الاسلامية في العام١٩٧٩ ,وسقوط حكم الشاه,كان مفاعل بوشهر-١(المفاعل الاول)قد انجز منه بحدود ٩٠%وحوالي ٦٠%من معداته قد ركبت,بينما مفاعل بوشهر-٢قد انجز منه حوالي ٥٠%.ولولا ثورة١٩٧٩لاستمرت شركة(Kraftwerk Union)في العمل مع كل احتمالات التعاون الامريكي من (Bechtel Power)التي انضمت الى الصفقة كشريك اضافة الى اعمالها في مشاريع الطاقة النووية حول العالم.وقد قررت حكومة رئيس الوزراء مهدي بازركان ان ايران لاتحتاج الطاقة النووية,ولهذا توقف العمل في بوشهر بعد الثورة,وغادرت الشركة الالمانية ايران.

لم يكن قرار طرد الشركة قرار الحكومة,بل هو قرار اية الله

الخميني,حيث كانت رؤيته ان ايران ليست بحاجة الى الطاقة الذرية او اسلحة العالم الغربي ,ولاينبغي ان تصرف اموالنا على شرائها.والحقيقة ان هذا القرار كان متسرعا" ويفتقر الى الرؤية الاستراتيجية لاهمية هذه الطاقة في العالم المعاصر,كما انه لم يدرك ان ايران قد انفقت مايزيد على ٣مليار دولار امريكي(٨،٥مليار مارك الماني)على محطة الطاقة الذرية في بوشهر.

لقد اصاب الجمود جميع الانشطة النووية الايرانية,واتخذ صناع القرار في ايران ,وفي مقدمتهم الامام الخميني,موقفا سلبيا تجاه الطاقة النووية والذي عدها من علامات (جنون العظمة)للشاه.اضف الى ذلك ان الولايات المتحدة والمانيا والدول الغربية الاخرى رفضت مواصلة التعاون مع ايران في المجال النووي,بل فرضت حظرا شاملا ضد ايران في كافة مجالات التسلح,لاسيما بعد ازمة احتجاز الرهائن الامريكيين في السفارة الامريكية في طهران لاكثر من عام[٣].

وفي مرحلة لاحقة اعلمت ايران الوكالة الدولية للطاقة الذرية(IAEA)بخططها في اعادة العمل ببرنامجها النووي باستخدام الوقود النووي المصنوع وطنيا",وفي العام١٩٨٣قدمت الوكالة الدولية خطة لتوفير مساعدة لايران بموجب برنامجها للمساعدة التقنية لانتاج اليورانيوم المخصب.وقد بين تقرير الوكالة الدولية بوضوح ان هدفه(المساهمة في بناء خبرة محلية وفي احتياجات الطاقة الرئيسة لتلبية البرنامج الطموح في مجال تكنولوجيا مفاعلات الطاقة النووية وتكنولوجيا دورة الوقود),الا ان الوكالة الدولية اجبرت على انهاء البرنامج تحت الضغط الامريكي.ولهذا يمكن القول ان الثورة كانت نقطة تحول في مجال التعاون الخارجي في التكنولوجيا النووية.

والنتيجة الاخرى التي ترتبت على الثورة هي رفض فرنسا تقديم اي

يورانيوم مخصب الى ايران بعد العام ١٩٧٩ .كما لم تستعد ايران استثماراتها في شركة,(Eurodif)واوقفت الولايات المتحدة ايضا" توريدالوقود الجديد ولم تعد مليارات الدولارات التي تلقتها من ايران,كما تلقــت المانيا مليارات الدولارات لبناء المنشأت النووية في بوشهر ,وبعد مرور ثلاثة عقــود على الصفقة رفضت المانيا مجددا" تصدير اي معدات او اعادة الاموال.من جانبها حاولت الحكومة الايرانية تعليق مدفوعاتها و الضغط على فرنســا بواسـطة جماعات مسلحـــة,ومنها حــزب الله الذي خطف مواطنين فرنســـيين في الثمانينات.مقابل ذلك رفض الرئيس الفرنســي فرانســوا متيران تقــديم اي يورانيوم لايران في العام ١٩٨٢,الى جانب المطالبة بمبلغ الدين البالغ ١مليار دولار.

في مواجهة هذا الاحجام الغربي عن مساعدتها,دعت الحــكومة الايرانية في٦تشرين الثاني(نوفمبر)١٩٨٥ ,علماء الذرة الايرانيين الذين هربــوا من البلاد بعد الثورة الى العودة اليها وحــضور مؤتمر عن العلوم و التكنولوجيا النووية,وكان عرض الحــكومة هذا امرا" غير اعتيادي,وترافق مع ذلك ان الخطيب الرئيســــــــي في المؤتمر الذي عقــــــــد للفترة من ١٤- ١٩اذار(مارس)١٩٨٦هو حجة الاسلام علي اكبــر هاشــمي رفســنجاني المساعد الاهم لاية الله الخميني.

كان من المفترض ان ينعقــد المؤتمر في مرفأ بوشــهر على الخليج العربي,بالقرب من الحدود العراقية.ولهذا نجد ان رعاية رفسنجاني للحــدث ومكان التجمع الذي اختاره الوقع القوي على العالم,فلم يكتف ذلك بلفت نظر المنفيين الذين امل النظام ان يجذبهم الى العودة الى الوطن,بل اطلق صفارات الانذار في وكالات الاستخبارات حول العالم.لقــد كان ذلك التصريح العلني الاول الصادر عن مسؤول ايراني و الذي يبلور ماكانت تقارير الاستخبارات

تفترضه منذ سنوات ,بان ايران تعد مخططا" سريا" للحصول على القنبلة النووية.

وكان القادة الايرانيون قد اطلقوا تصريحات تعكس الاهتمام بالسلاح النووي, وربما يعد اية الله محمد بهشتي اول من اشار الى مسالة التسلح النووي في ايار (مايو) ١٩٧٩ , وتاكيده(من واجبكم تصنيع قنبلة الحزب الجمهوري الاسلامي الذرية....ان حضارتنا في خطر وعلينا الحصول على القنبلة).[٤]الى جانب ذلك نجد حجة الاسلام هاشمي رفسنجاني يشير صراحة الى هذا الجانب في العام١٩٨٩ ,حينما كان رئيسا" لمجلس الشورى الايراني,حيث صرح ان (ايران لاتستطيع ان تتجاهل الحقيقة النووية في العالم المعاصر),كما ان نائب رئيس الجمهورية الايرانى,اية الله مهاجرانى صرح في تشرين الاول(اكتوبر) ١٩٩١ انه يجب على ايران العمل مع الدول الاسلامية الاخرى لصنع قنبلة نووية اسلامية,الا ان الحكومة الايرانية نفت في ذلك الوقت انها تسعى الى امتلاك الاسلحة النووية, ورغم ان هذه التصريحات تشير ,ضمنا" او صراحة الى اهتمام ايران بالحصول على السلاح النووي,الا انها تمثل استثناء في الخطاب السياسي الايراني,وحرص القادة الايرانيون بعد ذلك على تفادي اطلاق مثل هذه التصريحات.

انسحبت شركة(Kraftwerk Union)من العقد الذي وقعته مع ايران في العام١٩٧٥ ,لانشاء مفاعل بوشهر وذلك في تموز(يوليو) ١٩٧٩ .بعد ان توقف العمل فيه منذ كانون الثاني(يناير) ١٩٧٩ ,وكان قد انجز حوالي ٥٠ %من المفاعل الاول و٨٥% من المفاعل الثاني,وبينت الشركة انها تستند في عملها هذا الى عدم تسديد ايران لمبلغ ٤٥٠مليون دولار متاخرة الدفع بالرغم من ان الشركة تلقت ٢،٥مليار دولار من مبلغ العقد الكلي.وانسحابهم جاء بعد تاكدهم من ان الحكومة الايرانية سوف تنهي العقد من جانبها في

اعقاب الثورة,التي شلت الاقتصاد الايراني وقـادت الى ازمة في علاقـات ايران مع الغرب.كما قامت شركة(Framatome)الفرنسـية التابـعة لـ (Areva)بسحب نفسها.

ويبدو ان تطورات الحرب ضد العراق قـد ادت الى تحـولات مهمة في طبيعة الفكر الاستراتيجي الايراني عموما,وادركت القـيادة الايرانية اهمية احياء البرنامج النووي ولهذا قامت الحكومة في العام ١٩٨٤ ,بتقـييم تمهيدي لرؤية فيما اذا ممكن مواصلة العمل في المشـــــروع,الاانها تراجعت عنه لاستمرار الحرب العراقية – الايرانية وفي نيســان (ابـريل) من نفس العام قالت وزارة الخارجية الامريكية (نحن نعتقد ان العمل سيستغرق مالا يقـل عن عامين الى ثلاثة اعوام لاكمال بـناء المفاعلات في بوشـهر) وبـــين المتحدث ايضا" ان مفاعلات الطاقة بالماء الخفيف في بوشـــهر(ســوف لن تكون مناسبة تحديدا" لبرنامج اسلحة)ومضى المتحـدث (بـالاضافة لذلك , ليس لدينا ادلة على بـناء ايران لمنشـات اخرى قـد تكون ضرورية لفصل البلوتونيوم من وقود المفاعل المستخدم) ٠

لقد ظهر واضحا ان القيادة العراقية قلقة بـما فيه الكفاية من جهود ايران في المجال النووي , ولهذا لجأ العراق الى استخدام طائراته الحربية لقـصف موقع بوشهر في اذار (مارس) ١٩٨٤ , وتمكن من اصابة قبة احد المفاعلات التي كانت شبـه مكتملة , املين على ما بـدا حـينذاك تكرارا" لما ادت اليه الغارات الجوية الاسرائيلية في حـزيران (يونيو) ١٩٨١ من تعطيل مفاعل تموز الذي اعاد برنامج العراق النووي سنوات عديدة الى الوراء ٠

وبعد شهر من الغارة الاولى على بوشهر , قام الطيران العراقي بضرب المعهد التقني للامير كبير في طهران الذي كان يضم مفاعلا" نوويا" للابحاث تبلغ قـوته ٥ ميجا واط,وكانت الولايات المتحدة قد بنته في الستينات من القـرن الماضي.وعلى

العكس من ردة فعلها تجاه قصف بوشهر ,اخفقت الحكومة الايرانية في رفع تقرير بالاضرار الى الوكالة الدولية للطاقة الذرية(IAEA)في فينا .بالرغم من ان المفاعل كان تحت الرقابة الدولية وكان مفتشي الوكالة يزورونه بشكل دوري للتاكد من عدم وجود اي نقص في وقود اليورانيوم فيه.

وبالنتيجة ادت الضربات الجوية العراقية الى تاخير في الجهود النووية الايرانية,وهذا مايؤكده مسؤول تفتيش المفاعل الوطني الالماني ,حيث يوضح انه قبل ضرب بوشهر-١ كان يمكن اكماله في غضون ثلاثة اعوام,الاانه وفي وقت الضربة,لم تكن ايا"من المعدات الرئيسة قد نصبت و الحقيقة ان مولدي البخار (اللذين يستخدمان الحرارة من المفاعلات لانتاج البخار الذي يستخدم مولدات الطاقة)قد زودت من ايطاليا ,بينما انبوب الضغط في بوشهر-١ قد زود من المانيا(٥).

في ضوء كل ماتقدم ,نجد ان الثورة وما اعقبها من حرب الثمان سنوات مع العراق والتي ادت الى دمار واسع في البنية التحتية الايرانية,وقللت نسبيا" من الضماء الايراني للكهرباء .وبعد انتهاء الحرب مع العراق ,بدأت ايران في التفكير مجددا" في موقفها من التكنولوجيا والطاقة النووية,وكانت اول خطة لعملية البناء والتطوير قد تقدمت بها حكومة الرئيس هاشمي رفسنجاني وترافقت مع نقص واضح في توليد الكهرباء والتي ذكرت بالاحوال في السبعينات,الى جانب النمو السريع في السكان ,وجميعها اسباب رئيسية دفعت القيادة الايرانية الى العودة لبرنامجها النووي للحصول على الطاقة الكهربائية.

ولهذا دعت الحكومة الايرانية شركة((Kraftwerk Union لاكمال مشروع بوشهر ,الاانه وتحت الضغط الامريكي رفضت الشركة,بعد ذلك طلبت ايران من المانيا السماح للشركة باكمال مكونات المفاعل وتزويدها بالتكنولوجيا حسب وثائق العقد الموقع في العام١٩٨٢ والموثق في لجنة التجارة الدولية(ICC)(International Commerce Commission)وبموجبه تعهدت شركة(Siemens)بايصال كل معدات المفاعل وكل الاجزاء من الخارج,لكن الحكومة الالمانية استمرت في رفض القيام بذلك .وفي ردها رفعت ايران قضية

على((ICCفي اب(اغسطس)١٩٩٦طالبت فيها بتعويض بقـيمة٥،٤مليار دولار كتعويض عن تراجع المانيا عن الوفاء بالتزاماتها وفق احكام اتفاق١٩٨٢.ولاتزال القضية دون حل .

ومع فشل المحاولات بـدأت ايران تتطلع الى شـركاء جدد لاكمال بـرنامجها النووي,وبسبب طبيعة المناخ السياسي في المنطقة واستمرار العقوبات الاقتصادية الامريكية,لم يكن هناك الكثير من المرشحين,فقد تقـدمت مجموعة شـركات من الارجنتين والمانيا واسبـانيا بـعروض لايران لاكمال مفاعل بوشـهر-١,الاان الضغط الامريكي اوقـف الصفقـة .كما اوقـف الضغط الامريكي في العام١٩٩٠المعهد الوطني الاسباني للصناعة والمعدات النووية من اكمال مشروع بوشـهر-١,ايضا" حـاولت ايران دون جدوى تامين مكونات لمفاعلات بوشهر,واصطدمت هذه المحاولات بـالولايات المتحـدة,فعلى سبـيل المثال في العام١٩٩٣,حاولت ايران الحصول على تسعة مولدات بـخار,مصنوعة من قبـل شركة ايطالية(Ansaldo)،وبـموجب عقـد,(KraftwerkUnion)الاانها صودرت من قبل الحكومة الايطالية، كما حاولت (The Czech Firm Skoda Plzen)تزويد ايران بـمكونات المفاعل ,لكن الضغط الامريكي انهى المفاوضات في العام١٩٩٤,ولم تنجح ايضا"محاولة ايران شراء مكونات مفاعل طاقة نووية من مفاعل لم يكتمل في بولندا.

وبعد عام من البحث في الغرب عن مواد لاكمال مفاعلها الاول,توجهت ايران الى الاتحـاد السـوفيتي ومن ثم روسيا.ووقـعت في اذار(مارس)١٩٩٠اول بروتوكول في مشروع بوشهر مع الاتحـاد السـوفيتي .ونص الاتفاق على اكمال موسكو لمشروع بوشهر وبناء مفاعلين اضافيين في ايران ,لكن المشـاكل المالية اخرت الصفقة.

وفي العام١٩٩٣,وقعت(AEOI)ووزارة الطاقة الذرية الروسية اتفاقا" لبـناء مفاعلن روسيين في بوشهر,الاان العقـد لم ينجز لان ايران و اجهت مشـاكل مالية كبيرة.

واخيرا" وقعت ايران في كانون الثاني(يناير)١٩٩٥,عقدا" مع وزارة الطاقة النووية الروسية لانجاز مفاعلات بوشهر .وهذه المفاعلات تحت اشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية(IAEA)وستكون قادرة على انتاج ١٨٠كغم من البلوتونيوم في السنة في وقودها المستخدم.ونص الاتفاق على اكمال روسيا للمفاعل الاول في بوشهر في غضون اربعة اعوام وتوفير مفاعل ابحاث يعمل بالماء الخفيف حراري بقـــــوة ٣٠- ٥٠ميجاواط ,و٢٠٠٠طن من اليورانيوم الطبـــــيعي,وتدريب حوالي١٥ عالما"نوويا"ايرانيا" في السنة.كما اتفقت ايران وروسيا على مناقشة انشاء منشأة تخصيب يورانيوم بالطرد المركزي للغاز في ايران.الا ان الولايات المتحدة اعلنت في ايار(مايو)١٩٩٥ انها اقنعت روسيا بالتراجع لاحقا" عن الاتفاق مع ايران وكانه لم يكن,وانتهت صفقة مفاعل ابحاث الماء الخفيف.

لقد نجحت الولايات المتحدة في الغاء الاتفاق,الا ان الاتفاقية تم احـيائها مجددا"من قبل روسيا التي رات في مشروع بوشهر فرصة لطرح صناعتها النووية في السوق الدولية.وفي مواجهة هذا الفشل بدأت ادارة الرئيس كلينتون في اتهام ان البلوتونيوم الذي سينتجه المفاعل سوف يستخدم من قبـل ايران في صنع اسلحـة نووية,ولهذا كانت هذه القضية موضع دراســة من ايران وروســيا ,في مفاوضات الاتفاق والاتفاق على اعادة الوقود النووي المستخدم في مفاعل بوشهر الى روسيا والتي تملك منشاة لخزن الوقود المستنفذ في جنوب سيبريا(بالرغم من ان قــوانين البيئة الروسية تمنع بقوة ادخال اي وقود مستخدم في بلد اخر الى روسيا),ومع ذلك لم يتم التوصل الى اتفاق بهذا الصدد لحد الان.ومؤخرا"ذكرت التقــارير ان ايران طالبت بمبالغ لاعادة الوقود المستخدم الى روسيا,موضحة انها دفعت لشراء الوقود من روسيا في المقام الاول,ولذلك يجب ان يدفع لها مقابل الوقــود المســتخدم.واذا صح ذلك سوف يكون طلبا"غير اعتيادي بسبب انه اذا دفعت روسيا اموال للمخلفات الايرانية فانها يجب ايضا" ان تتقــاضى مقابـــل خزن المخلفات الايرانية.ولهذا

اصبحت قضية من الذي يجب ان يدفع للاخر العقبة الوحـــيدة امام التوصل لاتفاق بين ايران وروسيا بخصوص المخلفات النووية.

بعد ان بدا واضحا" ان قضية البلوتونيوم سوف تحل من قبل روسيا ,ســـارعت الولايات المتحدة وبضغط من اسرائيل,الى الادعاء ان مفاعل بوشهر لن يســتخدم مباشرة لصنع اسلحة نووية ,لكنه سيدرب جيلا" من العلماء والمهندسين الا يرانيين لتشــغيل المفاعل وهذا بالمقابـــل ســوف يســـاعد ايران على صنع اسلحـــة نووية.والتساؤل هنا هل هناك اي مصداقــية لهذه التهمة؟ ان امتلاك مفاعل نووي لايعني بـــالضرورة الحـــــصول على المعرفة الضرورية لكيفية تطوير قنبـــلة نووية(بالرغم من انه قد يساعد)وافضل مثل هو العراق.

ويعتقد اغلب الخبراء ان انجاز مشروع بوشهر من قبل روسيا مهمة معقـدة جدا",فشركة(KWU)لم تقدم اي وثائق تقنية سواء لايران او روسيا.وبما ان روسيا تخطط لانجاز المفاعل ,فان مهندســيها يجب ان يعدلو ماتركته الشـــركة ورائها ليناســب المفاعلات الروســية ونظام دعمها,والذي يختلف في العديد من الاوجه المهمة عن المفاعل الالماني,على سبــيل المثال هيكل مولد البـــخار في المفاعل الروســي يختلف جذريا"عن المفاعلات الالمانية الاصل,ويفترض ان يبــدأ عمل المفاعل في مطلع العام٢٠٠٤.

يضاف الى ماتقدم ,تمتلك ايران القليل من المنشــأت النووية الاخرى.واحــدها مركز بوناب لابحاث الطاقة الذرية(Bonaab Atomic Energy Research Center)ويقع جنوب مدينة تبريز,وهو مركز ابحاث لتطبيق التكنولوجيا النووية في الزراعة.يضاف الى ذلك مركز البحث الزراعي والطب النووي في خرج(قرب طهران).والذي افتتح في ايار(مايو)١٩٩١,ويدار من قبل(AEOI),ولاحــد فيما تقدم معد للقيام بتطبيقات عسكرية[٥].

في ضوء ماتقدم نجد ان استعراض تاريخ البـــرنامج النووي الايراني .يعكس

ثلاثة حقائق مهمة هي:-

١-ان البحث والمنشات والمفاعلات النووية وحتى رؤية امتلاك ايران لاسلحة نووية جميعها كانت من اعداد ومبادرة الشاه وحكومته,وبمساعدة مباشرة وتشجيع من الولايات المتحدة وحلفائها .وهذا مشابه جدا"لما حدث في اسرائيل ,التي طورت ترسانتها النووية بمساعدة مباشرة من الولايات المتحدة وفرنسا.وبالتالي فهي لم تكن من اعداد او مبادرة مابعد الثورة,والحقيقة انه وبعد سنوات قليلة بعد الثورة ,رفضت ايران المفاعلات النووية.

٢-كان للولايات المتحدة وحلفائها العديد من الفرص لانجاز مشروع بوشهر او المشاركة في بناء مفاعلات نووية اخرى,وان يكون لها سيطرة واضحة على المفاعلات ,الا انهم رفضوا ذلك دائما".

٣-بالاضافة لذلك,كان يمكن للولايات المتحدة وحلفائها ان يشاركوا في مشروع بوشهر بمساعدة ايران في تحسين السلامة في المفاعلات هناك ويكون لها تاثير في عمله.وكان لهم اسبقية جيدة في هذا ,فمفاعل الطاقة النووية(Temelin)في جمهورية الجيك,قد بدأ بناءه خلال حقبة الاتحاد السوفيتي وعندما كانت الحكومة الشيوعية في السلطة في جيكوسلوفاكيا,الاانها سقطت في العام١٩٩٢ ,وفي العام١٩٩٤وبقرض بقيمة٣١٧مليون دولار منح من بنك التصدير والاستيراد الامريكي,وبمشاركة شركة امريكية هي (Westinghouse Electric Corporation)تم انجاز المفاعل.

ولهذا ليس هناك طريقة لتجنب استنتاج ان الهدف الحقيقي للولايات المتحدة هو تجريد ايران من بنيتها النووية,بغض النظر عن توجهها واعادة ايران الى مرحلة ماقبل المعرفة النووية والعلمية والتكنولوجية,وهذا بحد ذاته خرق لروح معاهدة(NPT).

المبحث الثالث,البرنامج النووي الايراني والتطورات الحالية.

في ١٤ اب(اغسطس)٢٠٠٢ كشف المنشـق الايراني علي رضا جعفر زادة وجود موقعين نوويين غير معروفين ,منشـأة تخصيب اليورانيوم في ناتانز(جزء منها تحت الارض)وتبعد حوالي ١٦٠كم الى الشمال من مدينة اصفهان.ومنشأة ماء ثقيل في اراك وتقع وسط ايران,على بعد ٢٤٠كم جنوب طهران.

واعلن ان ايران اخفت برنامج تخصيب اليورانيوم عن الوكالة الدولية للطاقة الذرية(AEA)افي خرق لمعاهدة (,NPT)وبالرغم من كشف المنشأة في ناتانز ,فان ايران لم تكن ملزمة بـاعلام الوكالة الدولية للطاقـة الذرية,وطبقـا" لاتفاق الضمانات الايراني مع الوكالة الدولية(فايران غير مطالبة بالسماح لمفتشي الوكالة الدولية الدخول الى المنشأة النووية الجديدة قبل ستة اشهر من تقـديم المواد النووية لها).وايران لم تكن مطالبة حتى باعلام الوكالة الدولية بوجود المنشـأة حـتى ذلك الوقت ,وهي النقـطة التي اثيرت من قبـل بـريطانية في اذار(مارس)٢٠٠٣في اجتماع مجلس الحكام(للوكالة الدولية)وهذه الستة اشهر كانت جزءا" ثابـتا" في كل اتفاقـيات ضمان الوكالة الدولية.ومع ذلك,سمحـت ايران للمفتشـين بـدخول المنشأة,واستنتجت الوكالة الدولية ان المنشأة ليس لها اي علاقة ببـرنامج اسلحـة نووية سري[٦]

كانت ايران قد تعهدت بـاعلام الوكالة الدولية عن اسـتيرادها يورانيوم من الصين واستخدامه لاحقا" في نشاطات تحويل وتخصيب اليورانيوم,وتعهدت ايضا" بتقديم تقرير لخبراء الوكالة الدولية عن فصل البلوتونيوم.وبـالرغم من هذا نجد ان تقرير الوكالة الدولية الصادر في تشرين الثاني(نوفمبر)٢٠٠٤قـد تضمن قـائمة شاملة لخروقات ايران لاتفاقية(,NPT)الاان تقرير الوكالة سجل ان النشاطات غير المكشوفة لاتوضح ان لها علاقة ببرنامج اسلحة,ولهذا انهمكت الولايات المتحدة في الاشارة الى هذه الانتهاكات دون اتهام ايران ببناء اسلحة نووية.

وبموجب اتفاق باريس في ١٤ تشـــرين الثاني(نوفمبـــر)٢٠٠٤,اعلن كبـــير المفاوضين الايرانيين تعليقا"اختياريا"مؤقـــــــــتا" لتخصيب اليورانيوم (علما" ان التخصيب ليس خرقـــا"لـــ(NPT) بـــعد ضغوط من المملكة المتحـــدة وفرنســـا والمانيا,والذين عملوا نيابة عن الاتحاد الاوربي (وعرفوا بـــ(EU-3)وكان الاجراء الايراني لبناء الثقة,واستمر لفترة معقولة من الزمن (ســـتة اشهر)وفي ٢٤ تشـــرين الثاني(نوفمبر)سعت ايران لتعديل فقرات اتفاقها مع EUلاستثناء جزء من المعدات من هذا الاتفاق لاعمال البحث ,وتاخر الطلب لاربعة ايام لاحقة.

وفي ١٥ اب(اغسطس)وبعد الطلب الايراني السابق,تخلت الدول الاوربية EU-3عن اتفاق باريس بتقديم عرض المفاوضات,وقدم الثلاثة طلبـــا"يلزم ايران بوقف دائم للتخصيب ,وكان هذا الطلب خرقا" لمضمون اتفاق باريس الذي اعترف بحق ايران في التكنولوجيا النووية المدنية,واوضح المحللون ان مضمون العرض الاوربي لايران عبارة عن صندوق فارغ.ولهذا لم يكن القرار الايراني بـــمواصلة التخصيب مرتبطا" بانتخاب الرئيس محمود احـــمدي نجاد,كما اشـــارت وســـائل الاعلام الامريكية لذلك بشكل كبير .

وفي اطار ردها استئنفت الحكومة الايرانية في٨و١٠اب(اغسطس)٢٠٠٥تحويل اليورانيوم في منشأة اصفهان,موضحة استمرار تعليق انشطة التخصيب ,وقاد هذا الى ضغط من الاتحاد الاوربي على الوكالة الدولية لاحالة ملف البـــرنامج النووي الايراني الى مجلس الامن في منظمة الامم المتحدة في١٩ايلول(سبتمبر)٢٠٠٥

الا ان تقـــــرير المدير العام للوكالة الدولية محـــــــمد البـــــــــرادعي في١ايلول(سبتمبر)٢٠٠٥اوضح بان (اغلب اثار اليورانيوم عالي التخصيب)التي وجدت في ايران من قبـــــل مفتشـــــــــي الوكالة جاءت من معدات طرد مركزي مهمة,مثبتة ادعاء ايران بـــان هذه الاثار تعود الى تلوث.المصادر في فينا ووزارة الخارجية الامريكية اوضحـــت انه ومن اجل اهداف عملية فان قـــضية اليورانيوم عالي التخصيب((HEUقد حلت. وفي مستهل العام ٢٠٠٦,اتخذت ايران خطوات

مهمة اذ بدأت من جديد برنامجها لتخصيب اليورانيوم في وجه ضغط دولي متعاظم لوقف البرنامج بشكل دائم.ففي٣كانون الثاني(يناير)٢٠٠٦ احاطت ايران الوكالة الدولية للطاقة الذرية علما بانها قررت انهاء(تعليقها الطوعي وغير الملزم قانونا)لبرنامج التخصيب واستئناف نشاطات البحث والتطوير المتعلقة بالطرد المركزي وكان التعليق ساريا منذ تشرين الثاني(نوفمبر)٢٠٠٤,بالرغم من ان ايران كانت قد الغت التعليق جزئيا في اب(اغسطس)٢٠٠٥,وشرعت في عمليات تحويل اليورانيوم تحت اشراف الوكالة الدولية في منشأة قرب اصفهان,وهي الخطوة التي ادت الى انهيار المفاوضات مع الدول الاوربية الثلاثة[٧].

وكشف تقرير لجيمس ريسن في صحيفة نيويورك تايمز في كانون الثاني(يناير)٢٠٠٦انه في شباط(فبراير)٢٠٠٠,كشفت الولايات المتحدة عملية اسمها الرمزي عملية ميرلين(Operation Merline)وهدفها الاساسي ان توفر لايران نموذجا"كاملا" لصنع اسلحة نووية,لمواجهة فرص تاخر برنامج الاسلحة النووية الايراني,وبدلا من ذلك فالخطة قد تفيد البرنامج النووي الايراني بتوفير معلومات مهمه. ولكن الاحداث اعلاه لم تمنع التطور الاهم ففي شباط(فبراير)٢٠٠٦صوت اعضاء مجلس حكام الوكالة الدولية الـ٣٥ بـ٢٧صوتا"مقابل٣اصوات(وغياب ٥اعضاء هم الجزائروبيلاروسيا واندونيسيا وليبيا وجنوب افريقيا)على احالة ملف ايران الى مجلس الامن وكان الاجراء بدفع من المملكة المتحدة وفرنسا والمانيا وبدعم من الولايات المتحدة.واشترطت روسيا والصين مراجعة الموضوع وقيام المجلس بالعمل قبل اذار(مارس) وصوت ثلاثة اعضاء في مجلس الامن ضد المراجعة وهم فنزويلا وسوريا وكوبا. وتطور الموضوع بشكل دراماتيكي باعلان الرئيس محمود احمدي نجاد في ١١نيسان(ابريل)٢٠٠٦نجاح ايران في اكمال دورة تخصيب اليورانيوم,وجاء هذا الاعلان من مدينة مشهد في جنوب شرق البلاد,وقال نجاد ان (إيران ستنضم قريبا الى نادي الدول التي تمتلك التكنولوجيا

النووية),واضاف (انني اعلن رسميا" ان ايران انضمت الى مجموعة الدول التي تمتلك تكنولوجيا نووية.هذه نتيجة مقاومة الامة الايرانية)[٨],اضافة الى ذلك اعلن الرئيس الايراني الاسبق هاشمي رفسنجاني ان ايران بدأت بنجاح انتاج يورانيوم مخصب من ١٦٤ جهازا للطرد المركزي وقال (قمنا بتشغيل الوحـــدة الاولى التي تتكون من ١٦٤ جهازا للطرد المركزي وتم ضخ الغاز وحصلنا على المنتج الصناعي.ينبغي زيادة العمليات اذا اردنا الحصول على وحدة صناعية كاملة ويجب الحصول على عشرات الوحدات لانشاء محطة لتخصيب اليورانيوم),وتشمل كل سلســلة على ١٦٤ جهازا للطرد المركزي وتعمل هذه السلاسل على تنقية غاز اليورانيوم لتحويله الى وقود لمحــطات الطاقة او لانتاج اسلحة اذا كان عالي التخصيب.ويقول خبراء ان التشــغيل الامثل لنحو ١٥٠٠جهازا للطرد المركزي ســنويا يتيح كمية كافية من المادة لانتاج قنبلة.[٩]وقد خصبت اليورانيوم بنسبة٣،٥%باستخدام مئة جهاز طرد مركزي,وهذا المستوى يســتخدم في مفاعل نووي الا ان صنع قنبــلة نووية يتطلب يورانيوم مخصب بحـــــــــوالي ٩٠%وعدة الاف من اجهزة الطرد المركزي للبناء والعمل.

ردت الولايات المتحـــدة على الانجاز الايراني في اليوم التالي,حـــيث صرحت وزيرة الخارجية الامريكية كوندوليزا رايس بان مجلس الامن يجب ان يقوم(بــخطوات قوية)لاجبــار طهران على تغيير مســار طموحــاتها النووية,من جانبــه رد الرئيس نجاد على ذلك بــان بـــــلاده لن تتراجع عن تخصيـــب اليورانيـــوم وان العالـــم كلـــه يجـــب يعامـــل ايـــران كدولـــة نووية.قائلا"(جوابنا الى اولئك الذين غضبوا من انجاز ايران دورة الوقـــود النووي الكاملة هو عبـــارة واحدة,نحـــن نقـــول: اغضبـــوا منا وموتو من الغضب)بسبب (اننا لن نجري محادثات مع اي احد حول حق الامة الايرانية في تخصيب اليورانيوم).

لكن موقف الرئيس نجاد هذا لم يمنع من استجابة ايران لطلب وقف التخصيب في ٢٤اب(اغسطس)٢٠٠٦,عارضة العودة الى طاولة المفاوضات,الا انها رفضت انهاء التخصيب.

وبرر المتحدث باسم البرلمان الايراني غلام علي حداد عادل ذلك في حديث له في ٢٤اب(اغسطس)٢٠٠٦بتاكيده ان لايران الحق في(التطبيقات السلمية للتكنولوجيا النووية وكل المسؤولين الاخرين يتفقون مع هذا القرار)والحقيقة ان ايران فتحت باب المفاوضات مع اوربا وهي تامل تجاب وبما يمكن من التوصل الى صفقة نووية على المائدة.

وازداد الموقف الايراني صلابة،حيث صرح الرئيس احمدي نجاد امام جمع حاشد في جنوب غرب ايران في اروميا في ٣١اب(اغسطس)٢٠٠٦,قائلا"(يجب ان يعلموا ان الامة الايرانية لن تخضع للضغط ولن تترك حقها يداس عليه)وفي مواجهة مؤيديه الاقوياء في احدى. قواعده الاقليمية هاجم الرئيس الايراني مايدعوه(تخويف)من قبل الامم المتحدة,وقال انها تقاد من قبل الولايات المتحدة,وانتقد نجاد رفض البيت الابيض لعرضه مناضرة تلفزيونية مع الرئيس جورج بوش(انهم يقولون انهم يدعمون الحوار والانتقال الحر للمعلومات)واضاف (لكن عندما يقترح النقاش يتجنبونه ويعارضونه)واكد نجاد ان العقوبات (لن تثني ايران عن قرارها في تحقيق التقدم),ووفقا" لوكالة الانباء الايرانية(بالعكس,فالعديد من نجاحاتنا,ومنها انجاز دورة الوقود النووي وانتاج الماء الثقيل,قد انجزت في ظل العقوبات)[١٠]

بعد كل ماتقدم لاتزال ايران تصرعلى ان نشاطات التخصيب موجهة للاغراض السلمية,الا ان اكثرية الغرب ومنه الولايات المتحدة,تدعي ان ايران تسعى لامتلاك اسلحة نووية.وقد حددت هذه الدول يوم٣١اب(اغسطس)٢٠٠٦ كآخر موعد لايران للانصياع لقرار الامم المتحدة ١٦٩٦وانهاء نشاطاتها النووية او مواجهة العقوبات الاقتصادية ,اذ

دعا الرئيس الامريكي جورج بـــوش ايران الى احــــترام مهلة الامم المتحدة,مشددا على ان سلوكها المتحدي ستكون له عواقب ,واكد بوش (حان الوقت لكي تختار ايران ,نحن اخترنا .وسنواصل التعاون بشــكل وثيق مع حلفائنا للتوصل الى حل دبلوماسي غير ان سلوك التحدي الايراني ســتكون له عواقب ولا يجب السماح لايران بصنع سلاح نووي)[١١] كما يؤكد امكانية العقوبات مساعد وزيرة الخارجية الامريكية نيكولاس بـيرنز بقـوله(من الواضح ان الايرانيين ماضون في بحوثهم النووية,ويقومون باشــياء لاتريد الوكالة الدولية للطاقة الذرية ان يقوموا بـــها,ويجب ان تكون هناك اجابـــة دولية ونعتقد انه سيكون هناك راي واحد).

بالمقابل وفي تحد واضح للموقف الغربي اعلن الرئيس احـمدي نجاد في ٢٣تشرين الاول(اكتوبر)٢٠٠٦وامام حشود خارج طهران ان(الاعداء لجؤ الى الدعاية,يريدون اعادتنا عن تحقـيق(التكنولوجيا النووية)لكن يجب ان يعرفوا اليوم ان قدرات امتنا متعددة بعشـــرة اضعاف عن نفس الفترة في العام الماضي)[١٢].

لقد رفضت إيران رفضا قاطعا التراجع عن مواقفها المتعلقة بـــالمضي قدما في حقها بتخصيب اليورانيوم. وأتى ذلك الرفض عشـــية انتهاء المهلة التي حددها مجلس الأمن الدولي حتى نيسان٢٨(ابريل) ٢٠٠٦. ولم يلاحظ حدوث أية مرونة في مواقف القيادة الإيرانية ، بل إن المســـؤولين جميعهم شددوا مرارا وتكرارا على تصميم طهران على "عدم التراجع قيد انملة" عن برنامجها، تاكيدا لما صدر عن الرئيس محـــمود احـــمدي نجاد، الذي وجه كلاما واضحا للغرب بقوله: "لن نخضع للظلم والضغوط. ان أرادوا انتهاك حقوق الشعب الإيراني، سنوصم جباههم بـــالعار". وأضاف "اننا الآن بـــلد نووي. نريد السلام والأمن ولا نشكل تهديدا لاي شعب من الشعوب. نحـــن مستعدون للحوار من أجل نزع أسلحة القوى العظمى من اجل تعزيز السلام والأمن في العالم". وقال "لقد حصلنا على تكنولوجيا الوقود النووي بأنفســنا

ولا يمكن لأحد حرماننا منها". [١٣]وتوالت التهديدات عن مسؤولين آخرين بالرد بقوة على أي هجوم أمريكي على بلادهم، وهو ما حذر منه المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية آية الله علي خامنئي.

وبعد تمكن العلماء الإيرانيين من تخصيب اليورانيوم أصبحت الحكومة الإيرانية تتحدث عن نشوء أرضية للتفاوض مع الغرب تختلف عن تلك التي كانت سائدة قبل هذا الإنجاز التقني. ومنذ ذلك التاريخ لا تُسمع في إيران أصوات داعية إلى تسوية أو على الأقل إلى التفاوض على الملف النووي الإيراني، الأمر الذي يعتبره المراقبون إشارة سيئة على إمكانية التوصل إلى حل يجنب المنطقة تبعات حرب جديدة. وإذا ما تتبع المرء تصريحات المسؤولين الإيرانيين في الفترة الأخيرة يجد أنهم ينطلقون من كون إيران وصلت في أبحاثها النووية الى مرحلة لا تجد في ظلها ضرورة للتنازل أو حتى التفاوض. بالمقابل يحاول الإيرانيون التنويه الى وجود ضرورة للحديث مع الولايات المتحدة والغرب عموما حول قضايا إقليمية تتعلق بأفغانستان والعراق والشرق الأوسط على اعتبار أن تخصيب اليورانيوم أصبح حقيقة ثابتة وأمرا واقعا

الموقف المتصلب للقيادة الايرانية حول تخصيب اليورانيوم ورفض طهران القيام بذلك على الأراضي الروسية يدفع المحللين الى الاعتقاد بأن المواجهة قادمة لا محالة، لاسيما وان أركان الإدارة الأمريكية من بوش وتشيني ورايس الذين لم يستثنوا في تصريحاتهم الأخيرة اللجوء الى كافة السبل لمنع ايران من امتلاك اسلحة نووية. ولم يعد الأمر سرا أن الولايات المتحدة قامت بدراسة سيناريوهات مختلفة لشن حرب على ايران. هذا التباعد في موقف الطرفين يجعل الحاجة ملحة الى دور متزن لمجلس الأمن والوكالة الدولية للطاقة الذرية أكثر من أي وقت مضى. وبهذا الاتجاه تدفع كل من بريطانيا وفرنسا والمانيا التي تساند علنا موقف الولايات المتحدة من الملف النووي الايراني، الا انها لم تشأ حتى الآن الخوض في غمار اللجوء

الى لغة التهديدات العسكرية التي تعقد الأمور أكثر مما هيه عليه الآن. هذه الدول تتخذ موقعا متوسطا في تشددها ازاء الحكومة الإيرانية بين الولايات المتحدة من جهة وروسيا والصين من جهة أخرى(١٤).

وتصب تجربة تخصيب اليورانيوم في اتجاه تصعيد الازمة بين ايران والاطراف الاخرى,باعتبار ان التخصيب يمثل جوهر الازمة,فضلا" عن ان التجربة جاءت عقب فترة قصيرة من المهلة التي تضمنها بيان مجلس الامن في ٢٨اذار(مارس)٢٠٠٦,والذي امهل ايران مدة٣٠يوما"للاستجابة لمطالب محددة,ابرزهاالوقف الكامل والشامل لانشطة تخصيب اليورانيوم.

وفي تاكيد على عدم تراجع ايران عن برنامجها النووي قال المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانيةفي٢٣ايار(مايو)٢٠٠٦, إن بلاده لن تتراجع عن المضي قدما في برنامجها النووي.

وأكد المتحدث، حميد آصفي، أن بلاده عازمة على "عدم التخلي عن حقها في إنتاج الطاقة النووية"، مشيرا إلى أن الأجندة الإيرانية في هذا الصدد "لا تشمل أنشطة مشبوهة." وشدد آصفي على أنه "لا رجعة عن البرنامج النووي الإيراني لساعة أو دقيقة أو ثانية"(١٥).

ان تجربة التخصيب تمثل اذاً,تحديا"للاطراف التي وقفت وراء صدور البيان الرئاسي المذكور.والاكثر من ذلك ان هذه التجربة تلقي مزيدا" من الضوء على الشكوك القائمة بالفعل,بشأن الدوافع الحقيقية للانشطة النووية الايرانية,والتي تدور حول التشكيك في الطبيعة السلمية-المدنية لهذه الانشطة,وهي شكوك تتمحور منذ فترة ليست بالقصيرة حول تساؤل مفاده:انه اذا كانت هذه الانشطة تندرج في الاطار السلمي,فما الذي يدفع ايران,الدولة الغنية بالنفط والغاز الطبيعي,الى تكبد هذه التكاليف الباهظة لانتاج الطاقة بالوسائل النووية؟

وتضيف تجربة التخصيب تساؤلا"جديدا مفاده:اذا كانت انشطة ايران تندرج في الاطار السلمي,فما الذي يدفعها الى تكبد تكاليف باهظة لتنفيذ

انشطة غير مجدية اقتصاديا"في مجال تخصيب اليورانيوم؟وما الذي يدفعها الى تحــدي المجتمع الدولي لتنفيذ هذه الانشـــطة اذا كانت بـــالفعل اهدافها تقتصر على الاستخدامات السلمية.اي بـــما لا يســـتوجب الدخول في نزاع بشانها؟

ومما يزيد من تعقيد الموقف ان الحكومة الايرانية اعلنت,عقب التجربة اعتزامها تركيب الآف الاجهزة الاضافية في منشــــأة ناتانز,بــــل وتنفيذ التجارب القـــادمة باجهزة(بي٢)الأحـــدث والاكثر تطورا",والتي تزيد في الاداء باربعة اضعاف عن الاجهزة(بـــي١)التي اســـتخدمت في التجربـــة الاولى.وبغض النظر عن حقيقة ان هذه الخطط الايرانية ربما تنطوي على مبالغة واضحة,في ضوء محـــدودية القـــدرات الايرانية الراهنة في مجال تخصيب اليورانيوم,فان الدلالة الاهم هنا تكمن في ان هذه الخطط تنطـــوي على المزيد من الاســـتفزاز للاطراف الدولية الاخرى.لانها تؤكد ان ايران تعتزم الوصول بقدراتها الى مســـتويات تمكنها من انتاج يورانيوم مخصب بنسبة عالية,وصالحا" للاستخدام العسكري.

وفي مواجهة تزايد الضغوط الغربـــية جدد الرئيس الإيراني محـــــمود أحمدي نجاد، تمسك بلاده بحقـــها في امتلاك التكنولوجيا النووية، مؤكداً أن الإيرانيين سيدافعون عن هذا الحق حـــتى النهاية، ملوحـــاً في ذات الوقـــت بـــــ"غصن الزيتون" إلى الغرب، داعياً الدول الكبـــرى إلى دعم "الحقـــوق المشروعة" للشعب الإيراني.

وقال الرئيس الإيراني، في كلمه ألقاها أمام تجمع لأهالي مدينه "شيراز"، بوسط محافظه "فارس"، جنوبي إيران،في١٧نيسان(ابريل)٢٠٠٧ إن "على القوى المستكبرة أن تعلم جيداً بأن الشعب الإيراني، لن يتراجع عن حقوقـــه المشروعة والحقة قيد أنملة، وسيقف بكل حزم للدفاع عن حقوقه".

وأشار إلى أن هناك "بعض الدول المعينة التي تستخدم وســـائل القـــوة لحماية مصالحها في المنطقة، ولكنها بذلك تعرض نفسها وشعوبها للخطر"،

في إشارة إلى الولايات المتحدة وشركائها في التحالف الذي يقوده الجيش الأمريكي بكل من العراق وأفغانستان.

ونقلت وكالة الأنباء الإيرانية "إرنا" عن الرئيس نجاد قوله: "إننا ندعو إلى السلام والأمن والاستقرار والإخوة والتقدم"، مضيفاً قوله، موجهاً حديثه للغرب: "اعلموا جيداً بأنكم لن تتمكنوا من إيجاد خلل في إرادة الشعب الإيراني عن طريق الأنظمة التي صنعتموها بأيديكم، والقوانين التي وضعتموها."وأضاف إن الشعب الإيراني "شعب متحد ومتماسك، ومتواجد على الساحة، وسيتمر بكل حزم في مسيرته، وهو ملتزم بالملف النووي حتى تحقيق حقوقه النووية".

وحملت تصريحات نجاد نبرة تهديد، بدت في قوله: "إن رسالتنا للقوى الكبرى تدعو إلى الكف عن الأساليب السابقة، وعدم الإضرار بنفسها وشعوبها، وأن تعمل على إقرار الإخوة والصداقة مع الحكومات والشعوب الأخرى، بدلاً من معاداتها."كما هدد الرئيس الإيراني بأن بلاده ستعلن عن "إنجازات نووية جديدة"، إذا تواصل الضغط عليها بسبب برنامجها النووي، قائلاً: "إذا مرروا (الدول الكبرى) قراراً آخر ضد إيران، ستكشف أمتنا عن إنجازات نووية جديدة".

وأعلنت إيران انها بدأت الاستعدادات لتخصيب اليورانيوم على المستوى الصناعي، وهي عملية يخشى الغرب من أن تستخدمها في تصنيع أسلحة نووية، ولكن طهران تنفي أن يكون لبرنامجها النووي أية أغراض عسكرية، وتصر على أن هدفها هو توليد الطاقة.

تزامنت تصريحات نجاد، مع إعلان قائد القوات البحرية الإيرانية، الأدميرال سجاد كوجكي، أن "الذين يهددون المياه الإقليمية الإيرانية، سيواجهون رداً حازماً وغير متوقع من قبل القوات البحرية الإيرانية."وقال المسؤول العسكري الإيراني: "إن قوات البحرية الإيرانية ستكون على أهبة الاستعداد، لمواجهة أي تهديد للعدو ضد مياهنا الإقليمية"، مضيفاً أن قوات

البحرية تسعى من أجل زيادة قدرتها الدفاعية في إطار إستراتيجية الدفاع الشامل عن الحدود المائية للبلاد.

وأكد أن خبراء القوات البحرية في الجيش "يواصلون العمل في مجال إقامة منصات لإطلاق الصواريخ التي تستهدف نقاط ضعف العدو"، مشيراً إلى أن المنصات التي تم صنعها داخل القوات البحرية "تتطابق مع تهديدات العدو، واستهداف نقاط ضعفه"(١٦).

وفي٢٤نيسان (ابريل)٢٠٠٧,أعلن الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد ، دخول بلاده مرحلة الإنتاج الصناعي للوقود النووي، فيما هدد المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، بإعادة النظر في التعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، إذا ما واصلت الدول الغربية معارضتها لأنشطة إيران النووية.

وقال نجاد في حشد، حضره السفراء الأجانب لدى طهران، على هامش ما تطلق عليه إيران "اليوم الوطني للتقنية النووية"، في منشأة "ناتانز" النووية، بمدينة أصفهان، إنّ إيران "دخلت النادي النووي العالمي.. وهو إنجاز نقدمه إلى قائد الثورة الإسلامية والشعب الإيراني وكل الشعوب الحرة في العالم."غير أنّ الرئيس الإيراني قال في خطابه في "ناتانز" إنّ هذا "الإنجاز سيساهم في توفير ٢٠ ألف ميغاواط سنوياً من الطاقة التي تساعد في المجالات الزراعية وإنتاج الكهرباء وكذلك الطبّ."وأضاف أنّ أعداء إيران يقفون أمام "تقدم الشعب الإيراني وحقه في امتلاك التقنية النووية".

وجدّد الرئيس الإيراني انتقاده للغرب، داعياً الدول الكبرى إلى الاعتراف بحق بلاده في امتلاك التكنولوجيا النووية السلمية.وقال إنّ ٨٠ %من كميات الكهرباء في الاتحاد الأوروبي يتمّ توفيرها بالطاقة النووية، وهناك المئات من المحططات النووية في العالم، معتبراً أنّ "الوقوف أمام الشعب الإيراني للاستفادة من هذه التقنية، مرده أسباب سياسية لأن جميع الأنشطة(الإيرانية) كانت تتمّ على مرأى من مفتشي الوكالة

الدولية للطاقة الذرية."وأضاف أنّ من واجب الوكالة تقديم المساعدة لإيران وفقاً لبنود معاهدة منع الانتشار النووي.

وتزامن خطاب نجاد مع احتفالات أقامتها المدارس في جميع إنحاء البلاد لإحياء "اليوم الوطني للتكنولوجيا النووية" الذي يصادف الذكرى الـ ٢٧ لقرار واشنطن قطع علاقاتها الدبلوماسية مع طهران(١٧).

ومن جانبه، هدد أمين عام المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، علي لاريجاني، بأن بلاده قد تعيد النظر في التعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، إذا ما واصلت الدول الغربية معارضتها لأنشطة إيران النووية.

وحول الرد الذي ستعتمده طهران في حال صدور قرار دولي جديد بتشديد العقوبات على إيران، قال لاريجاني: "إذا واجهنا تعاملاً سيئاً، فمن الممكن أن نعيد النظر في قراراتنا تحت ضغط البرلمان".وفي ما يتعلق بالتقارير التي تحدثت عن سماح طهران لوكالة الطاقة الذرية، بنصب كاميرات المراقبة في منشأة "ناتانز"، أجاب لاريجاني: "نحن لن نسمح بنصب الكاميرات، خارج ما تنص عليه معاهدة الحد من الانتشار النووي."وأضاف قائلاً: "سنواصل برنامجنا النووي السلمي، لأن لا مكان للأسلحة النووية في إستراتيجيتنا الأمنية، وإذا ما غامرت الدول الغربية بعدم الاعتراف بحقوقنا المشروعة، فإن تداعيات ذلك سيعود عليها."

وأشار كبير المفاوضين النوويين الإيرانيين إلى أن منسق السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي، خافيير سولانا، أعرب عن رغبة الأوروبيين في استئناف المفاوضات بغية التوصل إلى اتفاق ثنائي.وتابع لاريجاني: "لقد أعلنوا بأنهم يعترفون بحقنا في امتلاك الطاقة النووية السلمية، ونحن بدورنا نرحب باستئناف المفاوضات المنطقية والعادلة".

وقبل ذلك، كان نائب رئيس الجمهورية الإيراني، غلام رضا آغا زادة، قد أعلن أن انتاج بلاده النووي "بلغ مرحلة التصنيع"، وذلك خلال احتفال أقيم في مفاعل ناتانز النووي.آغا زادة الذي كان يتحدث قبيل اعتلاء الرئيس

الإيراني أحمدي نجاد المنصة، شكر الله على تمكينه إيران من "وضع خطط التخصيب الصناعي"، معلناً أن إنتاج بلاده النووي دخل مرحلة التصنيع.

وكانت طهران قـد دعت سـفراء الدول الإسـلامية ودول منظمة عدم الانحياز لديها إلى حـضور مهرجان خاص في مفاعل ناتنز النووي.ويعني الإعلان أنّ البرنامج الإيراني سمح حـتى الآن بتشـغيل ثلاثة آلاف جهاز طرد مركزي.

و كشـف رئيس منظمة الطاقـة الذرية الإيرانية رضا آغازاده ، أن برنامج بـلاده في مجال منشـآت تخصيب اليورانيوم في مفاعل ناتانز لا يقتصر على نصب ثلاثة آلاف جهاز طرد مركزي فقط بل أن إيران تخطط لنصب وتشغيل ٥٠ ألف جهاز.

وأكد آغازاده أن طهران "خططت ووظفـت رؤوس أمـوال فـي مفاعل ناتانز من أجل تشغيل ٥٠ ألف جهاز طرد مركزي" مشـيراً إلى أن البنية التحتية المخصصة لاستقبال تلك الأجهزة مثل وسـائل تنقـية الهواء والكهرباء وكامل التقـنيات الصناعية اللازمة "تم تخطيطها من اجل نصب ٥٠ ألف جهازاً للطرد المركزي".

وجاءت مواقف المسؤول الإيراني جاءت في مقابلة مع وكالة الأنباء الرسمية الإيرانية(ارنا) قـال خلالها آغازاده أنه تعمّد عدم ذكر عدد أجهزة الطرد المركزي المنوي تشغيلها "منعاً لوجود أي غموض بشان بـرنامجنا، ومخافة أن يتحدد عدد الأجهزة بثلاثة آلاف جهازا."وأضاف آغازاده "عندما نعلن دخولنا المرحلة الصناعية، فإننا سنستمر في هذا المجال"(١٨).

وتكمن أهمية هذه الخطوة في أنها تمنح طهران القـدرة على إنتاج الوقود النووي بكميات صناعية.على أن ذلك لا يشـكل مفاجأة بحـد ذاته، باعتبار أن طهران شددت بشكل متواصل وفي عدة مناسبـات على "حقـها الذي لن تتراجع عنه،" وفق تعبيرها، في تخصيب اليورانيوم.

والواقع ان تجربـة تخصيب اليورانيوم لم تؤد الى تعزيز الموقـف

الايراني في الازمة,فهي لم توفر لايران اوراق قوة اضافية.ومايتحدث عنه الرئيس الايراني احمدي نجاد من ان التجربة جعلت الضغوط الغربـــية غير مجدية لوقف انشطة التخصيب الايرانية,ربـــما كان جائزا" فيما لو ان ايران انتجت الســـلاح النووي,وليس مجرد اجراء تجربـــة محـــــدودة لتخصيب اليورانيوم بنسب متدنية.وما حدث بـــالفعل هو على العكس مما يشـــير اليه احمدي نجاد,حيث خلقت التجربة مزيدا" من الشكوك حـــول حقيقـــة دوافع ايران النووية,واضعفت موقـــــف مؤيديها في مجلس الامن (روســــــيا والصين),وزادت من اصرار خصومها على الاســـراع بـــــاتخاذ خطوات ضدها,وهو مايضع ايران امام ضغوط متزايدة,بدأت بفرض عقوبات دولية عليها,وربما تصل الى تصعيد عسكري عنيف ضدها[١٩].

كما ان التجربة التي قامت بـــها ايران في مجال تخصيب اليورانيوم تتســـم بالمحدودية الشديدة ,اذ انها تقـــتصر على اســـتخدام ١٦٤ اســـطوانة للطرد المركزي,من اجل تخصيب كميات من اليورانيوم بنسبة٣،٥%,وهي نسبـــة متدنية للغاية ,وتمثل فقط الحد الادنى اللازم للاســـتخدام كوقـــود للمفاعلات النووية.وربما تتمثل القيمة الاكبر لهذه التجربة في المنظور الايراني في انها تعني امتلاك ايران القدرة على تخصيب اليورانيوم,وهي قـــدرة لاتمتلكها الا تسع دول فقط:الولايات المتحدة,وروسيا,وفرنسا,واليابان،والصين،وباكستان وبـــــــــــــــريطانيا والمانيا وهولندا التي تدمج جهودها معا"من خلال كونسورتيوم(يورينكو).وقـــد ادى نجاح ايران في اجراء تجربـــة التخصيب وانظمامها الى هذه المجموعة من الدول,الى اعتقاد القـــادة الايرانيين بـــان بـــــلادهم اصبحـــــــت في مصاف القـــــوى الكبـــــرى في العالم والاشكالية الرئيسة هنا ان امتلاك تكنولوجيا تخصيب اليورانيوم قد لايرتبـــط بـــالضرورة بمســـتوى التقـــدم العلمي والتكنولوجي للدولة,اوبـــمكانتها في معادلات القوة والنفوذ على الساحة الدولية,بقدرما يرتبط باعتبارات الجدوى الاقــــــــــــــتصادية من وراء تطوير وامتلاك مثل هذه التكنولوجيا.

هذا المعيار يفضي الى نتائج مختلفة عما يذهب اليه كبـــار المســؤولين الايرانيين,بل ان هناك قناعة واسعة,حتى في اوساط الكثير من الايرانيين,بان ايران تكبدت تكلفة باهظة لامتلاك تكنولوجيا التخصيب بدون وجود حـــاجة جوهرية لها.فالخطاب الرســمي الايراني يبـــرر هذه التكلفة بحـــاجة ايران لامتلاك قدرة وطنية لانتاج الوقود النووي اللازم لتشــغيل مفاعل بوشـــهر الاول,الذي ينتظر ان يبــدأ العمل بـــــه في العام ٢٠٠٦,وايضا لتشــــغيل المفاعلات التي تعتزم ايران انشاءها.وتنبع الرغبة في امتلاك هذه القدرة من اعتبــارات السيادة,حــتى لاتجد ايران نفســها رهينة لمواقــف القـــوى الخارجية,كما تنبــع من اعتبـــارات التكلفة,حــيث يؤكد الايرانيون ان تكلفة الانتاج المحــــلي للوقـــود اقـــل بـــكثير من تكلفة الاســــتيراد.

بــيد ان احــتياجات ايران من الوقـــود النووي تعد,وفق هذا المنطق ذاته,محدودة,واقل بــكثير من ان تتكبــد ايران تكلفة بــناء قــدرة تخصيب وطنية.فامتلاك هذه القدرة يصبــح مجديا"اقــتصاديا"اذا كانت الدولة تمتلك عددا"كبير نسبيا" من المفاعلات النووية التي تحتاج الى كميات كبيرة نسبيا" من الوقــود النووي.اما دون ذلك,فان الامر يصبــح غير مجد وفق معادلة التكلفة- العائد,مما قــد يعني ان ايران اســتثمرت مبــالغ ضخمة في مجال التخصيب ,بدون جدوى اقتصادية حقيقية.

ومما يدلل ايضا" على انعدام الجدوى الاقتصادية لمثل هذه الانشطة في حالة ايران ان الاحتياطي المتاح من خام اليورانيوم في المناجم الايرانية يعد ضئيلا",ولايكفي لانتاج الوقود النووي لمحــطة بوشــهر لاكثر من سبــع سنوات,وهو مادفع باحد اســاتذة الفيزياء النووية البــارزين في ايران,وهو احمد شيرزاد,الى انتقاد تجربـــة التخصيب في مقــالة باحــدى الصحــف الايرانية,اشار فيها الى ان ايران سوف تضطر في المستقبــل الى شــراء اليورانيوم الخام من السوق السوداء باسعار باهظة,لان الدول الغربـــية لن تسمح لها بان تستورد اليورانيوم بشكل قانوني ,مما يضعها تحــت رحــمة

البائعين والوسطاء في هذه السوق.ودلالة ذلك,اذن,ان ضآلة احتياطيات ايران من اليورانيوم الخام تقدم مزيدا" من المؤشرات على ضعف الجدوى الاقتصادية لانشطة تخصيب اليورانيوم,ناهيك عن تكلفتها السياسية الفادحة(٢٠).

المبحث الرابع,المواقع النووية الايرانية.

تمتلك ايران بنية نووية متكاملة الى حد ما اذ استفادت من التعاون والخبرات الاجنبية المختلفة التي ساعدت ايران في بناء المفاعلات والمختبرات المهمة وابرز المنشآت النووية الايرانية المعروفة هي:- (٢١).

١-مفاعل بوشهر:

تم بناؤه وتجهيزه على يد شركات روسية, وهويعمل بالماء المضغوط, ومخصص لتوليد الطاقة الكهربائية وتحلية المياه. بدأ العمل فيه زمن محمد رضا شاه في العام ١٩٧٦ لانتاج الطاقة الكهربائية في محطتين تعملا بقدرة ١٢٠٠ ميجاوات لكل منهما وبلغت نسبة الأشغال المنفذة في المحطة الاولى ٨٥% وفي المحطة الثانية حوالي ٥٠ % في العام ١٩٧٩ .وبعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران تعطل عملها في بداية الحرب الإيرانية -العراقية، وقد قصفت الطائرات الحربية العراقية تلك المنشأتين ست مرات اذار(مارس) ١٩٨٤، وشباط(فبراير)١٩٨٥واذار (مارس) ١٩٨٥,وتموز(يوليو)١٩٨٦ومرتين في تشرين الثاني (نوفمبر)١٩٨٧). بعد تدمير المنشأتين جراء القصف العراقي وانتهاء الحرب في العام ١٩٨٨ تم اعادة بناء المنشأتين من جديد.

٢-مفاعل سقند:

للأبحاث النووية بهدف امتلاك تكنولوجيا التحكم في اليورانيوم, وتشرف عليها المنظمة الإيرانية للطاقة النووية بمسوؤلية الدكتور غسان سليماني, احد ألاعضاء البارزين من علماء الوكالة الإيرانية للطاقة الذرية.

٣- مختبر امير اباد:

أسسه الشاه محمد رضا في العام ١٩٦٧, وأعاد الأميركيون تحديثه وتجهيزه في العام ١٩٧٤, ويجري طلاب العلوم الفيزيائية في جامعة طهران أبحاثا عليه. وكانت أميركا قد زودت المركز بأول مفاعل حراري بقوة ٥ ميغاوات, ثم بقوة ١٢ ميغاوات. وحصلت طهران على اليورانيوم المخصب في ما بعد لهذا المختبر من الجزائر والأرجنتين.

٤- منشأتين في كرج:

تقع مدينة كرج على بعد أربع كيلومترات من غرب طهران, وتبعد المنشأتان عن بعضمها حوالي خمس كيلومترات حيث تقع الأولى قرب منطقة "لشكر اباد" وتعرف باسم "المزرعة الرئاسية" وتمتد على مساحة ثمانين هكتارا وهي شكل مصغر من منشأة ناتانز وتحتوي على ما يقارب ٥٠٠ آلة من أجهزة الطرد المركزي التي تستخدم لتخصيب اليورانيوم. وتقع الثانية بقرب منطقة "رامندة" ومحاطة بجدار عال يبلغ ارتفاعه عشرة أمتار وهي محمية على مدار الساعة من قبل الحرس الثوري الإيراني (الباسداران) ومزودة بمفاعل للأبحاث, تعمل باليورانيوم المخصب وحصلت عليه إيران من الصين. ويشرف على هاتين المنشأتين رضا اغا زادة(رئيس الطاقة الذرية السابق).

٥- موقع اصفهان:

ويعد الأهم والأبرز في إطار الخطة الكبرى لحيازة التكنولوجية النووية.تأسس في العام ١٩٨٤ ويستفيد هذا المشروع من خبرات روسية وصينية. ويعمل موقع أصفهان لتحويل اليورانيوم إلى ثلاثة أشكال:

١ -غاز سداسي الفلوريد الذي يستخدم في أنابيب نقل الغاز.

٢- أوكسيد اليورانيوم الذي يستخدم معامل الوقود.

٣- المعدن الذي غالبا ما يستخدم في أساس المتفجرات النووية.

تستخدم إيران لتمويه الأطراف المعنيين, شركة بيشكام (پیشگام) والتي

يوجد مقرها في اصفهان, ومسجلة كشركة مدنية لاستيراد وتصدير الالكترونيات المدنية. ولكن هذه الشركة تعمل منذ التسعينيات للتستر على مقتنيات مفاعل تحويل اليورانيوم من تجهيزات ووقود نووي ومواد انشطارية.وهناك شركات كثيرة لعبت دور التمويه والتستر وسجلت في ايران كشركات مدنية تعمل لاغراض تجارية في مجالات الالكترونيات المنزلية والصناعية.لكن في الواقع تخطط ايران للوصول الى السوق السوداء والبيضاء والمعاملة بغرض شراء المواد والاجهزة التي تستخدم في مشروعها النووي.ومن تلك الشركات اهمها: شركة "نورافزار غستار" مؤسسها ومديرها جمشيد سباغ زادة,يعمل باسم تاجرا عاديا لكن هوفي الواقع (دكتور في الاختصاص النووي ويعد من اقرب مساعدي رضا اغا زادة الرئيس السابق للطاقة الذرية الايرانية) وهناك شركات اخرى تعمل لنفس الغرض مثل: "بيشكام" و" راه كار صنايع نوين" و"ايران بارس-طهران كمباني" كالا الكتريك" يديرها مرتضى بهداد و" انرژي نوين". وتعمل هذه الشريكات بأسماء مستعارة خارج حدود إيران, في بداية شهرايار(مايو) ٢٠٠٦ ضبطت الحكومة التركية, شركة إيرانية تتخذ من أنقرة مقرا لها, تشحن مكونات صواريخ موجهة ومعدات استخدام مزدوج للبرامج النووية إلى إيران، بما في ذلك قضبان المنيوم عالية القوة. وذكر التقرير الحكومي التركي ان هذه الشركة قد استوردت المعدات إلى تركيا من شركات ودول كثيرة في العالم، بينها الولايات المتحدة، ثم قامت إيران بتزوير أوراق المعاملات من اجل إخفاء الحمولات وأعادت شحن المواد بشكل غير قانوني إلى إيران.(وفقا لتقرير الجمارك التركية المؤرخ بتاريخ ١٢-٥-٢٠٠٦).

٦-موقع معلم كلاية:

يقع بالقرب من مدينة قزوين شمال غرب طهران. جهزته وزودته

الصين بـــالآليات ومواد نووية وهوربـــما الأكثر تكاملا على مســــــتوى التجهيزات.

٧- موقع جرجان (گرگان):

يقع شمال مدينة جرجان ويشرف عليه المساعد الاسبق لمنظمة الطاقـــة الذرية الايرانية- منصور حـــاج عظيم وهومن الاختصاصيين في علوم الذرة وغلام رضا اغا زادة, وزير النفط سابقـــا ويحـــظى بثقـــة مرشـــد الجمهورية الايرانية علي خامنئي.

٨- موقع ناتانز:

يقع مقابل بـــلدة زيرة (على بـــعد ٤٠ كيلومترا جنوب شـــرق مدينة كاشان) وعلى ارض مساحتها حوالي الف كيلومتر مربع. موقـــع ناتانز يحتوي على أكثر من عشرين بناية بما فيها قاعتان تحت الأرض بنيتا مع جدران يبلغ سمكها ٦ أقدام ومن المفترض أن تكون محمية بواسطة سقفين كونكريتيين مع رمل وصخور. ولانجاز هذا المشروع خصصت مساحة مائة الف متر مربع من المباني الادارية والسواتر المحكمة وتحـــصينات تحت الارض. وقام ببناء هذا المشروع مؤسســـــة " جهاد التنمية وتطوير البناء" اي (جهاد سازندگي), بـــفاتورة إجمالية قـــدرها ٩٥ مليار تومان إيراني. وفر هذه الميزانية المجلس الأعلى للأمن القومي الذي يرأسه مير حسين موسوي.

ومن اجل الحفاظ على السرية القصوى, تأسست شـــركة تســـمى" كالا الكتريك"(البضائع الالكترونية) تتم متابعة جميع الأعمال الخاصة بالأجهزة والمنظومات من خلالها وقد زار مسؤلو هذه الشـــركة كلا من الصين والهند وباكســـتان مرات عدة منذ العام ٢٠٠١.ورئيس شـــركة كالا الكتريك,داود اقاجاني الذي يتولى إدارة مشروع ناتانز. يعمل موقـــع ناتانز في تخصيب اليورانيوم للأغراض العسكرية بعد استخراجه من منجم سقـــند. ويســـتخدم ألف آلة من أجهزة الدفع(الطرد) المركزي التي تســـــــــتخدم لتخصيب اليورانيوم.

وجاء في تقرير مسرب للوكالة الدولية في العام ٢٠٠٣ أنه عثر على يورانيوم من الدرجة المطلوبة للأسلحة في عينات أخذت من موقع ناتانز، وانكرت إيران ذلك وبررت وجود اليورانيوم في العينات بسبب تلوث المواد المستوردة من الخارج.

وذكرت بعض التقارير حول قدرة مفاعل ناتانز, حين يتم العمل به قد يضم حوالي ٥٠ ألف من أنابيب نقل الغاز المتطورة، ما يسمح لها بإنتاج ما يكفي من اليورانيوم من درجة الأسلحة لتطوير ما يزيد عن ٢٠ سلاحا نوويا كل عام.

وقدرت بعض التقارير، إن مفاعل ناتانز سوف يكون لديه خمسة آلاف أنبوب للنقل بعد تكملة المراحل الأولية من التخصيب. وحسب هذه التقارير ان إيران قادرة من إنتاج ما يكفيها من اليورانيوم, لصناعة القنبلة النووية في الأعوام القليلة المقبلة.

٩- موقع اراك:

وقد بدأ بناؤه في العام ١٩٩٦ واكتمل في العام ٢٠٠٣ في مربعات "خنداب" القريبة من مدينة اراك وهوجزء مفصلي في دورة إنتاج الوقود النووي ومتخصص في توفير الماء الثقيل الذي يستخدم في البلوتونيوم الذي يؤدي إلى إنجاز أسلحة نووية. مشروع خنداب يشرف عليه الدكتور محمد غنادي احد أعضاء البارزين في الوكالة الإيرانية للطاقة الذرية. وبرزت إشارات لوجود منشأة للمياه الثقيلة في هذا الموقع للمرة الأولى في نهاية العام ٢٠٠٢ حين نشرت صور التقطت من الجو، حازت عليها مؤسسة العلم والأمن الدولي الأمريكية.

١٠-موقع مفاعل نووي "بارجين" يقع في جنوب شرق طهران.

١١-مفاعل نووي منطقة دار خوين الواقع بين مدينتي المحمرة والاحواز العربيتين.

١٢-مركز بحوث جامعة طهران (كلية مجمع أمير أباد)

تأسس في العام ١٩٥٨ وساهمت في إنشاءه الولايات المتحدة الامريكية. أنشأت فيه أول وحدة للتجارب في العام ١٩٦٧ وقدرته ٥ ميغاوات.

١٣-مركز رازي, أسس في العام ١٩٨٣ لصناعة وتعدين الوقود النووي.

١٤-مشروع ميناء(بندر) عباس

وهومشروع خاص لبناء الصواريخ الحاملة للرؤوس النووية. في بداية شهرايار(مايو)/حزيران ٢٠٠٦, أعلن رئيس وكالة الطاقة النووية الإيرانية نائب الرئيس الإيراني غلام رضا آغا زاده اكتشاف منجم كبير لليورانيوم جنوب البلاد بالقرب من مدينة بندر (ميناء) عباس، وستكون عملية استخراج اليورانيوم منه أقل كلفة من منجم سغند في منطقة يزد. وأوضح إن التقديرات الأولية تشير إلى إن هذا المنجم كبير جدا ويسمح بإنتاج ثلاثين طنا من اليورانيوم سنويا.

١٥-مركز جامعة رشت, متخصص للبحوث النووية.

وهناك عدة مراكز للتدريب مرتبطة بالمشروع النووي وأهم تلك المراكز هي-:

١-مركز (ايران خودرو) تأسس في العام ١٩٦٤ .

٢-مركز اراك, تأسس في العام ١٩٦٨.

٣-مركز تبريز , تأسس في العام ١٩٦٦ .

٤-مركز (ايران تراكتور) , تأسس في العام ١٩٦٦ .

٥-معهد الادارة الصناعي , تأسس في العام ١٩٦٢ .

٦-مركز ايديم, تأسس في العام ١٩٧٧ .

٧-معهد (أي-سبلت), تأسس في العام ١٩٨٥ .

وابرز الدول التي ساعدت وساهمت في بناء مشروع إيران النووي وموادە ومستلزماته هي: الولايات المتحدة الأمريكية, روسيا, كازاخستان, الأرجنتين , الجزائر,كوريا الشمالية, الهند, باكستان, الصين , فرنسا , ألمانيا.

وحسب التقارير الأوروبية إن هناك مواقع أخرى لم تكشف عنها إيران وأكثرها قد بنيت تحت الجبال وخصنت تحت الأرض بأمتار, حيث يصعب تدميرها بصواريخ وقنابل عادية. وهذا ما تدركه واشنطن وتسربت أخبار عن خطة أمريكية لضرب إيران بقنابل نووية لتدمير مواقعها المتسترة تحت الأرض, حيث كشفت مجلة "اميركان كونسرفتف" أي (المحافظ الأمريكي) الأسبوعية التي تصدر في الولايات المتحدة, تقريرا كتبه المحلل الأمريكي "فيليب جيرالدي", إن وزارة الدفاع الأمريكية تلقت طلباً من مكتب نائب الرئيس ديك تشيني, يطلب فيه تكليف القيادة العسكرية الاستراتيجية في البنتاغون بإعداد خطة لقصف ٤٥٠ موقعا إيرانيا تحت الأرض يعتقد الأمريكيون ان طهران تطور بداخلها سلاحا نوويا, بالإضافة إلى عدد من المواقع العسكرية الأخرى

ويوضح مصدر اخر انه توجد في إيران عشرة مواقع نووية معلنة، تتنوع ما بين مناجم لاستخراج اليورانيوم، أومصانع لتنقية الخام، أو مفاعلات نووية لتحويل أو تخصيب اليورانيوم، أو لأغراض البحوث العلمية.وهي حسب سياق العمل[٢٢].

أول هذه المواقع هو منجم "ساغند"، الذي تم الكشف عن وجود خام اليورانيوم فيه في العام ١٩٨٥، وكان من المزمع أن يبدأ المنجم والمصنع في العمل مع بداية العام ٢٠٠٦، باستخدام ١٢٠ طناً من اليورانيوم الخام لإنتاج من ٥٠ إلى ٦٠ طن يورانيوم سنوياً.

الموقع الثاني هو مصنع "أردكان"، الذي يتم فيه تنقية اليورانيوم الخام كي يصبح يورانيوم خاماً مركزاً والذي يعرف باسم "الكعكة الصفراء"، ويمكن أن ينتج المصنع من ٦٠ إلى ٧٠ طن يورانيوم سنوياً.

ثالث المواقع النووية الإيرانية هو مصنع "جيهان"، الذي يتم تطويره لإنتاج نحو ٢٤ طناً من "الكعكة الصفراء" سنوياً.

أما الموقع الرابع فهو مفاعل "أصفهان"، ويتم فيه تنقية اليورانيوم من الشوائب، من أجل تحويله كيميائياً إلى غاز هكسافلورايد اليورانيوم، ومن ثم يتم تبريده وتنظيفه إلى أن يصير صلباً.

الموقــع الخامس هو مركز "نتانز"، والذي تســـتخدم فيه أجهزة الطرد المركزي لزيادة نسبة نظائر "اليورانيوم ٢٣٥" في اليورانيوم الصلب النقي، وتستخدم مفاعلات الماء الخفيف لإنتاج الكهربـاء، وتتطلب هذه العملية أن يصل تركيز "اليورانيوم ٢٣٥" إلى ما بين ٢,٥ إلى ٣,٥ في المائة.

والموقع السادس يوجد في شركة "كالاي" لتوليد الطاقــة الكهربــائية بــالعاصمة طهران، ورغم أنه تم تفكيك مفاعل التخصيب بالشــركة، فإن مفاعلات الأبحاث ومنشآت تخزين مخلفات الإشعاع، مازالت تعمل في هذا الموقع.

ويوجد الموقع النووي السابــعِ، والذي يعد أهم المواقــع الإيرانية، في "بوشهر"، حيث يضم الموقع مفاعلاً للماء الخفيف ساعدت روسيا في بنائه، ويمكن أن ينتج مادة "البلوتونيوم المنضب"، التي تستخدم في صنع الأسلحة النووية.

والموقــع الثامن هو مفاعل "أراك" لأبحــاث الماء الثقــيل، الذي يمكن استخدامه في إنتاج البلوتونيوم المنضب.

أما الموقع التاسع فهو "أناراك"، وهو موقع لتخزين المخلفات النووية.

ويوجد الموقع العاشر في "خوزستان"، والذي مازال تحت الإنشاء، حيث تخطط طهران لإنشاء مفاعل جديد بالمنطقة

المبحث الخامس. مخاطر الطاقة النووية في ايران.

كما هي الحال بالنسبة إلى سائر البرامج النووية في مختلف أنحاء العالم، ترتبط المنشآت النووية في إيران بطائفة من المخاطر التي تهدد سلامة البيئة وصحة البشر.فيما يكتمل تطوير البرنامج النووي في إيران وتنتهي أعمال بناء المنشآت ويبدأ تشــغيلها، يتنامى الخوف من خطر وقــوع الحــوادث. أضف إلى ذلك التوجّس الجدي من احتمال توجيه ضربة عسكرية إلى إيران للقضاء على برنامجها النووي. ولهذا لا بــد من التنبّه إلى إمكانية أن تؤثر العقوبات في مقدرة إيران على التزوّد بأفضل التقــنيات و التجهيزات الآمنة

وغير ذلك من الحاجات الضرورية لإدارة برنامجها النووي. وجدير بالذكر أيضاً أن إيران منطقـــة معرّضة للزلازل، ما يعني أن الهزات الأرضية في المنطقة قد تولّد مخاطر إضافية بالنسبة إلى برنامجها النووي.

في ضوء ماتقدم نجد ان هناك مخاطر جدية تواجه بعض المنشات النووية المهمة ,وتتباين المخاطر حسب موقع و اهمية المنشأة ,ولهذا تم تحـــديد اهمها وهي:– [٢٣].

١ –مركز طهران للأبحاث النووية.

يقع مركز طهران للأبحاث النووية في منطقة سكنية من طهران، على بعد ٥ كيلومترات تقريباً من شمالي الوســط. ويضمّ المركز مفاعل طهران للأبحاث النووية، ومنشأة لإنتاج النظائر المشعة، ومنشـــأة لمعالجة النفايات المشعة.

و ينبثق الخطر الأبرز في الموقع عن قلب مفاعل الأبحـــاث، و عن قـــلب المفاعل الآخر "المستخدم" والأكثر قدماً المخزّن أيضاً في الموقع.وبـــما أن المركز يشكل المنشأة الرئيســـة للأبحـــاث النووية في إيران، وواحـــداً من مراكزها الرئيسة في مجال الخبرة النووية، فقد يُعتبر هدفاً سياسياً لضربـــة عسكرية. وهذا ماتخوفت منه إيران التي أبلغت الوكالة الدولية للطاقة الذرية رســـمياً بـــتخوّفها من خطر تعرّض بـــرنامجها النووي لهجوم مســـــلّح وبـــالرغم من ذلك نجد أن المفاعل يتميّز نسبـــياً بقـــدرة متدنية، تجعل من المستبعد أن يقع حادث ينطوي على انفجار قوي بما يكفي لإطلاق جزيئات انشطارية في الهواء. لكن في المقابل، قد تنبعث بعض النظائر المشعة التي يتم إنتاجها في المفاعل. وفي مثل هذه الحالة، من الضروري إيجاد ملاذ آمن أو حتى إخلاء المنطقة على امتداد كيلومترات عدة من المصنع.

اما في حال تعرض الموقع لضربة عســـكرية، فيمكن أن تكون الأضرار بالغة الحدة وتشمل المناطق السكنية المجاورة، الأمر الذي يستوجب حـــتماً اتخاذ إجراءات مضادة كتوفير يودات البوتاســـيوم والملجأ الآمن والإخلاء.

أما حجم الإجراءات المضادة، فتحـــدده الظروف المســـيطرة يوم وقـــوع الحادث..

٢-مركز أصفهان للتكنولوجيا النووية.

يعد مركز أبحـــاث التكنولوجيا النووية في أصفهان المركز الأكبـــر للأبحاث النووية في إيران. يقع المركز على بعد ٤١٦ كيلومتراً من جنوبي طهران، هذه المدينة الشهيرة عالمياً التي يبلغ عدد سكانها نحـــو ١,٥ مليون نسمة وتتشكل أهم منطقة تستقطب السياح في إيران. ويشـــكل المركز موطناً لأربعة مفاعلات أبحـــاث، ويضم مصنعاً لإنتاج الوقـــود ســـيصنع خطوط تجميع الوقود للمفاعلات في أراك وبوشهر، ومنشـــأة لتحـــويل اليورانيوم تتولى إنتاج فلوريد اليورانيوم السداسي UF6 لنشاطات التخصيب في ناتانز

وتتمثّل المخاطر الإشعاعية الأبرز في الموقع بقلوب مفاعلات الأبحاث الصغيرة. لكن خطراً أكبـــر ينشـــأ عن ركاز اليورانيوم وغاز فلوريد اليورانيوم السداسي المستخدم والمنتج في المنشأة. وقد أشـــارت التقـــارير الأخيرة في إيران إلى أن ٢٥٠ طناً من غاز فلوريد اليورانيوم السداســـي تُخزَّن في أنفاق تقع تحت المنشأة.

والواقع أن احتمالات تعرّض الموقع لضربة عسكرية تبدو كبيرة بـــفعل أهمية أصفهان في البرنامج النووي الإيراني. وقـــد أبـــلغت إيران الوكالة الدولية للطاقة الذرية رسمياً بـــتخوّفها من خطر تعرّض بـــرنامجها النووي لهجوم مسلّح

في هذا السياق لا بد من الإشارة إلى أن حوادث عدة وقعت في منشـــآت تخصيب اليورانيوم في مختلف أنحاء العالم. فعلى سبـــيل المثال، وقـــع في العام ١٩٨٦ حادث في منشأة تخصيب اليورانيوم التابعة لشـــركة ســـيكويا فيولز Sequoyah Fuels في أوكلاهوما – الولايات المتحـــدة الأميركية. وقد أدى هذا الحادث إلى مقتل عامل واحد وإصابة ٤٢ عاملاً آخرين و ١٠٠ شخص من سكان المنطقة المجاورة أُدخلوا إلى المستشـــفيات وتبـــيّن أنهم

يعانون اضطرابات في الكلى بفعل التعرض لليورانيوم. لكن الموقع أُقفل أخيراً في العام ١٩٩٢ نتيجة لتلوّث التربة والمياه الجوفية.

والجدير بالذكر أن هذه المفاعلات تتميّز نسبياً بقدرة متدنية، من المستبعد أن ينطوي الحادث الأسوأ على انفجار قوي بما يكفي لإطلاق جزيئات انشطارية. لكن التخوّف الأكبر ينشأ عن احتمال وقوع حادث ما أو توجيه ضربة عسكرية، الأمر الذي من شأنه أن يتسبب بانبعاث فلوريد اليورانيوم السداسي في الجو. فلدى الاحتكاك بالهواء، يتفكك فلوريد اليورانيوم السداسي إلى فلوريد اليورانيل وفلوريد الهيدروجين، وهذا الأخير عامل حث كيميائي شديد القوة يمكن أن يكون بالغ الخطورة بمجرد استنشاق كميات قليلة منه، كما يمكن أن يتسبب بحروق خطيرة لدى احتكاكه بالجلد. كذلك يمكن أن ينطوي الانفجار الذي يؤدي إلى تشتت اليورانيوم المخزّن في الموقع على معدل سميّة مرتفع بالنسبة إلى الأفراد المتواجدين في محيط المنشأة، مما يؤدي إلى تضرر الأعضاء الداخلية، ولا سيّما الكلى، ويعزز مخاطر إصابة الأفراد المتضررين بالأمراض السرطانية والتشوّهات الجينية الأخرى

٣- مفاعل بوشهر النووي.

يبعد مفاعل بوشهر النووي مسافة ١٧ كيلومتراً فقط عن جنوب مدينة بوشهر التي يبلغ عدد سكانها ١٦٥ ألف نسمة. ويشكل مفاعل بوشهر واحداً من مفاعلين تقرر بناؤهما في الموقع. وقد أنجزت الوكالة الدولية للطاقة الذرية إجراءات التفتيش النهائية بشأن السلامة في الموقع؛ وفي حال استُكمل المشروع وفقاً للمهل الزمنية المحددة، سيتم إمداد الموقع بوقود اليورانيوم غير المشع الروسي الصنع تقريباً بحلول آذار (مارس) العام ٢٠٠٧، وذلك بحسب ما أعلن عنه رئيس شركة الصادرات الروسية آتوم ستروي Atom Stroi Export Company التي تزوّد الموقع بالوقود. وبموجب الاتفاقية الموقعة مع روسيا الاتحادية، ينبغي أن يبدأ العمل في

المصنع في أواخر العام ٢٠٠٧؛ ومن المتوقع أن يُنتج الموقــع عندئذٍ الجيل الأول من الطاقة.

وبانتظار أن يبدأ تشغيل المفاعل، ستنطوي الأطنان الثمانين من وقــود اليورانيوم التي يتم إمداد الموقــع بــها على خطر كيميائي ملحــوظ وخطر إشعاعي محدود نوعاً ما. لكن عندما يتم تشــغيل المفاعل، سيصبــح موقــع بوشهر المصدر الأكبر للنشاط الإشعاعي في المنطقة. وسيبلغ الخطر ذروته بعد مرور ثلاث سنوات على بدء تشــغيل المفاعل، أي تحــديداً أواخر العام ٢٠١٠ بحسب الجدول الزمني المحدد.

الى جانب هذه الاخطار ينشأ خطر مهم اخر عن حوض تخزين الوقــود المستنفد. فقد تحفّز الحوادث في المفاعل حوادث في حوض تخزين الوقــود وبالعكس، ما يؤدي إلى انبعاثات إشعاعية متزايدة. وجدير بالذكر أن اقتراحاً قُدِّم لجهة إعادة الوقود إلى روسيا الاتحادية على دفعات بــعد مرور نحــو خمس سنوات على تبريد قلب المفاعل. لكن ترتيبات نقل الوقود المشــع من حوض التخزين لمّا تكتمل بــعد. وفي حــال تأخرت عملية إعادة الوقــود المستنفد، لنحو ١٥ عاماً على سبيل المثال، ســيتجاوز الخطر الإشــعاعي الناجم عن الوقود المتراكم في حــوض التخزين الخطر الذي يمثّله الوقــود الناشط في قلب المفاعل.

وقد ينشأ الخطر الاكبر من توجيه ضربة عسكرية إلى مفاعل بوشــهر قبل البدء بتشغيله بهدف تعطيل بــرنامج إيران النووي. يضاف الى هذا ان المفاعلان اللذان يتم بناؤهما في بوشهر يتميزان بقدرة كبيرة على مســتوى الطاقة، ويعملان عند درجة حرارة ومعدل ضغط مرتفعين، ما يسرّع تآكل المكوّنات. وجدير بالذكر أن القصور في مولِّدات البخار يشكل نقطة ضعف شهيرة قد تؤدي إلى انبعاثات إشعاعية تتجاوز نطاق الاحتواء، كما قد تفضي

في أسوأ الحالات إلى حوادث بالغة الخطورة. وغالباً ما تظهر التصدعات في رأس وعاء المفاعل. وبما أن النظام ينطوي على إنتاج الهيدروجين، قد تطرأ انفجارات هيدروجينية في سياق أي حادث في حال تم التلاعب بضغط وعاء المفاعل، الأمر الذي يزيد من فداحة الحادث. أضف إلى ذلك أن وقوع حادث في أحد المفاعلين في المنشآت المكوّنة من وحدتين قد يؤثر في سلامة المفاعل الآخر.

كما تجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من المفاعلات يعتمد أكثر بكثير من الأنواع الأخرى على نظام سلامة معقد يرتكز على التزوّد المستمر بالتيار الكهربائي. ومن الضروري بالتالي أن تكون أنظمة الطوارئ، وعلى وجه الخصوص تلك المسؤولة عن توفير مخزون احتياطي من الطاقة، موثوقة على نحو استثنائي (وهي ليست كذلك في غالب الأحيان)، ولا سيّما لجهة مقدرتها على الصمود في وجه المخاطر الطبيعية كالزلازل والفيضانات والعواصف[٢٤].

فضلاً عن ذلك، تنطوي عملية نقل الوقود، ولا سيّما إعادة الوقود المستنفد إلى روسيا، على مخاطر هامة تهدد صحة البشر وسلامة والبيئة.

وعلى الرغم من أن الوكالة الدولية للطاقة الذرية قد طوّرت مسوّدة لمعايير سلامة نقل المواد النووية، إلا أن هذه المعايير لا تعكس بكل بساطة الظروف المحيطة بالحوادث. فمن المطلوب على سبيل المثال أن تتحمّل براميل الوقود المستنفد السقوط من علو مقداره ٩ أمتار فقط وتقاوم درجات الحرارة المساوية لثمانمائة درجة مئوية حتى ٣٠ دقيقة. لكن الدراسات التي أُجريت، وضمناً تلك التي أجرتها غرينبيس، أظهرت أنه في ما يتعلق بالحوادث الفعلية، في البحر أو في الأنفاق مثلاً، تندلع الحرائق في غالب الأحيان عند معدلات حرارة تتجاوز الثمانمائة درجة مئوية وتستمر لوقت

أطول بكثير من ٣٠ دقيقة. كما أن أي حادث نقـل جوي ينطوي حـتماً على سقوط من علو يزيد عن تسعة أمتار

أما تخزين النفايات، فسيظل ينطوي على مخاطر كبـيرة باعتبـار أن المصنع سيشكل المصدر الأكبر للنفايات المشعة في إيران. وتشير المزاعم إلى إمكانية تخزين أو تصريف النفايات المنتجة في البـيئة ضمن الحـدود المسموح بها

والرغم من أن الانعكاسات الإشعاعية تبقى طفيفة في مرحلة ما قبـل تزويد المفاعل بالوقود وتشغيله، إلا أن الخطر الكيميائي والسمّي الناجم عن انبـعاث اليورانيوم في الجو يشـكل خطراً جدياً في أعقـاب تشـغيل المفاعل،وسيشكل موقع بوشهر المصدر الأكبر للانبعاثات الإشـعاعية في المنطقة، مع احتمال أن يضاهي معدل الانبعاثات المرتبـط بحـادث خطير معدل الانبعاثات التي سُجِّلت في سياق حادثة تشيرنوبل أو يتجاوزه. وقـد يحدث ذلك بعد مرور ثلاثة أعوام تقريباً على بدء تشـغيل المفاعل. أضف إلى ذلك أن وقوع حادث يتسبب بـتضرر حـاد في المفاعل أو في منطقـة الاحتواء، سيستوجب اختباء الأفراد المتواجدين في محيط الموقع في ملاجئ آمنة ويستدعي ربما إخلاءهم بـاتجاه الرياح على مسـافة ١٠٠ إلى ١٥٠ كيلومتراً تقريباً بحسب الظروف الجوية المسيطرة. وفي حال وقوع حادث واسـع النطاق، قـد تحـتاج على الأرجح الدول المجاورة، وضمناً قـطر والمملكة العربية السعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة، إلى تطبيق الإجراءات الملائمة لحـماية مواطنيها من التعرض للانبـعاثات المشـعة واستنشاقها[٢٥].

هوامش الفصل الثاني

١-عبـد الواحـد الجصاني.هل يهدد البـرنامج النووي الايراني الامن القـومي العربـي. ٣تموز(يوليو)٢٠٠٦).شبـكة البـصرة.ايضا:- احـمد ابـراهيم محمود.البرنامج النووي الايراني:التطور والدوافع والدلالات الاستراتيجية.مجلة السياسة الدولية.العدد١٣١. يناير١٩٩٨.ص-٣١١-٣١٢ .

ايضا: - للمزيد من التفاصيل حـول هذا الموضوع ينظر Nuclear-: program of Iran.p.2.المصدر http;//en.wikipedia.org:- ايضا:-Irans, nuclear programp2المصـدر - :

http//www.aljazeera.com/me.asp?service-ID=10023

2-Ibid .pp.3-.

٣-وللمزيد من التفاصيل ينظر:فهد مزبان خزار الخزار و حـيدر عبـد الواحـد ناصر.الازمة النووية الايرانية,التطور-الدوافع-الدلالات الاسـتراتيجية.مجلة دراسات ايرانية.العددان٥-٦.مركز الدراسات الايرانية.جامعة البصرة.تشرين الاول٢٠٠٦.ص١٣٦ .

٤-كينيث آر.تيمرمان.العد العكسي للازمة,المواجهة النووية المقبلة مع ايران.دار العلم للملايين.بيروت.٢٠٠٦.ص٤٢ .

٥-وللمزيد من التفاصيل حول الجهود الايرانة في هذه المرحلة ينظر:-كينيث ار.تيمرمان.العد العكسي للازمة,المواجهة النووية المقبلة مع ايران.دار العلم للملاين.الطبعة الاولى.تشرين الاول(اكتوبر)٢٠٠٦.ص٤٢ومابعدها.ايضا-:

Nuclear program of Iran.op.cit.pp.4–7.

٦-ينظر Iran underkhatami; weapons of mass-: destruction,terrorism,and the arab-israeli conflict..المصدر-:

www.washingtoninstitute .org.

٧-وللمزيد من التفاصيل ينظر :سكوت ريتر .مصدر سابق. ٢٠- ٢٨وما بعدها.

٨-التسلح ونزع السلاح والامن الدولي.٢٠٠٧.مركز دراسات الوحدة العربية بيروت.٢٠٠٧.ص٧١٤-٧١٥ .

٩-جريدة الشرق الاوسط.العدد٩٩٩٧.بتاريخ٢٠٠٦/٤/١

١٠-المصدر نفسه.

١١-جريدة الراي.العدد١٣١٢٤ .بتاريخ٢٠٠٦/٩/١ .ايضا:جريدة الحياة.العدد١٥٨٨٥ .بتاريخ.٢٠٠٦/١٠/١

١٢-المصدر نفسه.

13-Nuclear program of Iran.op.cit.pp.4–8.

١٤-جريدة الحياة.العدد١٥٧٢٦ .بتاريخ٢٠٠٦/٤/٢٥

١٥-ماذا بعد انتهاء المهلة الممنوحة لايران بشان تخصيب اليورانيوم؟٢٠٠٧/٥/٢٦ .المصدر :-دوتش فيليه.

١٦-ايران:لاتراجع عن البرنامج النووي.٢٠٠٦/٥/٢٣ .المصدر-cnnarabic-: com..www.

١٧-نجاد الغرب يضر بمصالح شعبه لمعارضة "نووي"ايران.٢٠٠٧/٤/١٧. cnnarabic–com. www.

١٨-ايران:دخلنا مرحلة التخصيب النووي الصناعي.المصدر-www.cnn-: com.2007/4/24

١٩-ايران:سننصب الف جهاز طرد في مفاعل ناتانز ٢٠٠٧/٤/١٦ .المصدر:- .www.cnnarabic- com

٢٠- احمد ابراهيم محمود.تخصيب اليورانيوم...قفزة للمجهول في الازمة الايرانية.ملف الاهرام الاستراتيجي.عدد١٣٧ .السنة١٢ .مايو ٢٠٠٦.ص٥٠ .

٢١-المصدر نفسه.ص٤٩ .

٢٢-وللمزيد من التفاصيل عن المواقـــــع النووية الايرانية ينظر Nuclear -:
program ofIran.op.cit.pp.10-14

٢٣-١٠مواقـــــع نووية معلنة في ايران..المصدر-www.cnnarabic-:
.comايضا المواقـــع النووية الايرانية الرئيســـــة.ص١-٢.المصدر-:
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle-east-news/newsid-4624000/4624934.stm

٢٤-مخاطر الطاقة النووية في ايران.المصدر:- جرين بيس.

٢٥-وللمزيد من التفاصيل ينظر-Iran's nuclear program.op.cit .pp2:

2. 3ايضا عن تفاصيل هذا المشروع ينظر Bushehr-Iran Nuclear-:
Reactor.pp.1-5
ww.globalsecurity.org/wmd/world/iran/bushehr.htm

الفصل الثالث

ابعاد البرنامج النووي الايراني

المقدمة

استخدم القادة الايرانيون قضية البرنامج النووي كجزء من برنامجهم السياسي,وتدخلت المؤسسات السياسية الايرانية في التعبير عن وجهة نظرها في اهمية ومستوى تقدم هذا البرنامج والتاكيد على اهميته كأحد الثوابت الرئيسة في سياسة البلاد باستخدام الطاقة النووية للاغراض السلمية,والتاكيد على ان البرنامج حق مشروع لايران التي هي عضو في معاهدة الحد من انتشار الاسلحة النووية. و مما لا شك فيه أن القرارات الإيرانية بشأن القضية النووية تتخذ في أعلى مستوى في القيادات السياسية والعسكرية في طهران والتي يقف على رأسها مرشد الثورة آية الله علي خامنئي ، يشاركه في القيادة السياسية رئيس الجمهورية محمود أحمدي نجاد وفي القيادة العسكرية كل من رئيس الحرس الثوري اللواء يحيى رحيم صفوي ووزير الدفاع اللواء علي شمخاني ، وذلك في إطار مجلس الأمن القومي الذي يشغل حسن روحاني منصب الأمين العام له ، وكان المكلف بالملف النووي لعدة سنوات.ولهذا نجد ان البرنامج النووي قد اتخذ اكثر من بعد داخل وخارج ايران

المبحث الاول ,البعد السياسي للبرنامج النووي الايراني

اصبح البرنامج النووي الايراني ذا بعد سياسي مهم وقد ظهر انعكاس ذلك بصورة واضحة على مستويين :داخليا" ودوليا."

اولا"–على المستوى الداخلي.وينقسم هذا المستوى على عدة درجات وحسب هيكلية النظام السياسي في ايران وهي:–

١ – دور المرشد الاعلى للجمهورية الاسلامية.

فقد حدد الزعيم اية الله علي خامنئي عددًا من الأسس التي تبني القيادة

موقفها عليها ، وكان من الطبيعي أن يبدأ بالوحـدة الوطنية باعتبـارها الأساس المتين الذي يلتف من خلاله الإيرانيون حول محـوري الإمام والدستور والبنية الأساسية للنظام الإسلامي

وانطلق الزعيم من هذه النقطة يضرب المثل ويشرح موقفه من القـضية التي بـاتت تهدد أمن إيران، وهي إصرار الزعامة على الاسـتمرار في المشروع النووي الإيراني رغم التهديدات التي أصبحت واقـعًا مع إحـالة الملف النووي إلى مجلس الأمن وما تلاها من فرض عقوبات ضدها، ومن الواضح أن قـيادتها مصممة عليه، فقـد أكد خامنئي أن المشـروع النووي الإيراني رغبة شعبية عظيمة، وحق من حقـوق الشـعب الإيراني الوطنية والجمهورية الإسلامية، وأن التراجع عنه هزيمة وهدم للاستقلال والسـيادة الوطنية، بـما يكلف إيران الكثير فالاسـتفادة من الطاقـة النووية احـتياج ضروري لا يمكن تجاهله من أجل مستقبـل البـلاد، وتقـدم العمل في كل المجالات

ويظهر من حـديث الزعيم خامنئي أن إيران لم تفاجأ بالموقـف الغربي وكانت تتوقع إحـالة ملفها النووي إلى مجلس الأمن وتطرق الزعيم إلى أسباب الضجة التي تفتعلها الولايات المتحدة الأمريكية ضد إيران بسبب مشروعها النووي، مؤكدًا أنها تتركز في سببـين: الأول هو منع إيران من التقدم عبر استخدامها للتقنية الحـديثة، والثاني هو الدعاية المضادة للنظام الإسلامي وترويج الشائعات حول فشله السياسـي مشـيرًا إلى أن الولايات المتحدة مازالت تتخذ الموقف الذي كانت تتخذه منذ سبعة وعشرين عامًا في مراحل مختلفة ، وفي مواجهة مثل هذه القضايا لكن الذي لم تدركه الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوروبيون أن إيران بنظامها الإسـلامي وشعبـها قـد صارت أكثر قوة من أي وقـت مضى ، وأنها صامدة مثل الفولاذ اللامع في مواجهة أي ضغوط أو مؤامرات، بـاعتمادها على الله سبحـانه وتعالى، وباستخدام العقل والتدبير، وبالمحافظة على الوحدة والتضامن، وبـالاتجاه

إلى الأخذ بالتقنية المتقدمة ، ومنها التقنية النووية كما أشار خامنئي إلى أن استمرار الحرب النفسية ضد النظام الإسلامي ، ومنعه من التقدم في مجالات العلم والتقنية هما السببان الرئيسيان في معارضة الولايات المتحدة لاستفادة إيران من التقنية النووية في الأغراض السلمية، وأنها لا تريد أن تصغي إلى ما كرره فقهاء النظام من أن العقيدة الإسلامية التي يقوم عليها النظام الإيراني لا تحبذ بل تستهجن استخدام العلم والتقنية في مجال إنتاج أسلحة الدمار الشامل ، ومن ثم فإن إيران لن تعمل في هذا الاتجاه ، ولن تحرص على امتلاك أسلحة الدمار الشامل

ويعتقد الزعيم خامنئي أن نجاح النظام الإسلامي في إيران جعله عامل جذب في المنطقة بحيث إن الاتجاهات الإسلامية في دول المنطقة أصبحت موضع تأييد الجماهير في أي انتخابات سواء في العراق أو مصر أو فلسطين مما أقلق الولايات المتحدة الأمريكية ، ولم يعد في مقدورها أن تتحمل النظام الإسلامي لذلك يعتبر خامنئي أن وجود نظام إسلامي في إيران يقود شعبًا مؤمنًا متدينًا واعيًا ومجربًا يزيد من تقدمه وقوته الداخلية ونفوذه العميق في العالم الإسلامي وهو ما يجعل أسس النظام متينة ، وهو في الوقت نفسه يجعل مواجهة الولايات المتحدة تتخذ من الملف النووي الإيراني ذريعة لاستمرار حربها النفسية ضد إيران فهي سبيلها الأساسي في مواجهة النظام الإسلامي ، فإذا تراجعت إيران عن حقها المشرع في امتلاك التقنية النووية فإن الولايات المتحدة سوف تبحث عن حجة أخرى لاستمرار حربها النفسية ضد إيران.

وعن دور الوكالة الدولية للطاقة الذرية في الموضوع اكد الزعيم خامنئي أن إيران كانت خلال السنتين ونصف السنة الماضية تتعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، إلا أن الأوروبيين قالوا : إن على إيران أن ترفع يدها عن أي نشاط نووي حتى نثق بها ، والولايات المتحدة ودول أوروبا يدركون أن القدرة العلمية أساس القدرة الاقتصادية والسياسية، لذلك

فإنهم مع إدراك هذه الحقيقة يسدون الطريق على امتلاك إيران قدرة علمية ، ومن المعروف أن أية دولة لا تمتلك طاقة كهربائية ولا تعتمد على الطاقة النووية ، فإنها تواجه مشكلات أساسية لذلك فالطاقة النووية احتياج حقيقي ، ولذلك دعا المسوؤلين إلى ضرورة أن يستمروا في التحرك تجاه التقنية المتقدمة ، ومنها التقنية النووية دون الاستلام في مواجهة الضغوط كما أن من الضروري التنبه إلى المسيرة العامة لحركة العدو من أجل إدراك أهدافه الحقيقية؛ لأن التجارب المتكررة للشعب الإيراني والتأمل في الأهداف العامة للولايات المتحدة تشيران إلى أن إيران لو قصرت اليوم في قضية الطاقة النووية، فإنهم سوف يتطرقون غدا إلى قضية البحث العلمي في جامعاتها ؛ لأن المسألة ليست هي الطاقة النووية فقط. وإنما هي مثابرة من جانب العدو في محاولات متصلة لمنع تقدم إيران وازدهارها وقوتها، وهذه الحقائق تحول القضية إلى قضية مصيرية، وهو ما ينبغي أن يقف عليه المسوؤلون الإيرانيون لإدراك مصلحة البلاد ومستقبل إيران ، وهذا ما جعل الثورة تنتصر من قبل وتصمد في تحمل تبعات الانتصار وتحقق النصر.

ويؤكد الزعيم خامنئي أن المعاهدة الدولية لمنع انتشار الأسلحة النووية تعطي لجميع الدول الحق في الاستفادة من الطاقة النووية ، وقد اعترفت بعض الدول الغربية بحق إيران في الاستفادة من هذه الطاقة ، وهذا الاعتراف بحق قانوني وبديهي ، وإن كان امتيازًا ظاهريًّا يعتبر كلامًا فارغًا ولا معنى له؛ لأن هذا الحق مسجل رسميًّا في المعاهدات الدولية ، ولا حاجة لإيران في اعتراف الأوربيين بالاستفادة منه .

ويستنكر الزعيم خامنئي اتهام الغرب إيران بإخفاء معلومات حول مشروعها النووي عن المجتمع الدولي ؛ مؤكدًا أنه اتهام غير منطقي ؛ لأن من الطبيعي أن تتكتم الدول على المعلومات التي تتعلق بأبحاثها العلمية في مراحلها المختلفة حتى تصل فيها إلى نتيجة

ومن الواضح أن الزعيم خامنئي لا يخشى عرض الموضوع النووي الإيراني على مجلس الأمن ولا يخشى من القرار الذي يمكن أن يتخذه ضد إيران، فقـــد عاد في لقـــائه مع ســـفراء إيران في الخارج يوم ١٤ اذار(مارس)٢٠٠٦ إلى التأكيد بأن المضي قدمًا في المشـــروع النووي الإيراني قرار لا يقبل التراجع تحت أي ظروف ، وأن مستقبل إيران منوط بتحقيق هذا المشـــروع ، وأن تقـــدم إيران ورقـــيها وتحقـــيق الإنجازات الحضارية منوط بامتلاك التقـــنية النووية وأنه بـــغير طاقـــة نووية تتعثر مشروعات التنمية الاقتصادية، كما أكد على أن إيران في وسعها أن تقـــاوم كل من يمنعها عن المضي في هذا السبـــيل؛ لأنها تدرك أن التنازل اليوم سيتبعه سلسلة لا تنتهي من الضغوط التي تؤدي إلى تنازلات أخرى ليس في طاقة شعب إيران تحملها .

وقد عدُ الزعيم خامنئي ميدان الدبلوماسية ساحة للتعامل وتوفر المجال لتأمين المصالح الوطنية والتأكيد على أن النموذج الإسلامي الإيراني ليس كنموذج طالبـــان أو نموذج الإســـلام الأمريكي وأن إيران لديها إمكانات طبيعية وبشرية متنوعة وعمق اســـتراتيجي ووعي شعبـــي عميق كما أن إيمان شعبها والتفافه حول قيمه الإسلامية وتحليه بروح الاستشهاد وتأييده لنظامه السياسي وعمق العلاقة بين وبين قيادته يمثل منظومة قوة لا تعطي غير الصمود خيارًا آخر، وتحـــول دون التراجع وتدعو إلى اســـتثمارها للمستقبل

كما أكد مرشـــد الجمهورية أن هناك خطوات علمية لضمان عدم التراجع والتأكيد على أن كل فعل من جانب أي طرف ســـيكون له رد فعل مناسب معه ومساوٍ له في القـــوة والتأثير، وأعلن وزير الخارجية الإيراني أن وزارته سوف تستفيد من كل السبـــل الدبلوماســـية ، وكذلك الإيرانيون المقيمون في الخارج في دعم قضية بلاده ووفق رؤية زعيم البلاد كما أعلن داوود دانش جعفري وزير الاقتصاد خطة الوزارة في حالة تعرض إيران

لعقوبات اقتصادية ، وقد أنهى مجلس الشـورى الإسـلامي الجدل حـول ميزانية البلاد ووافق عليها مع تخفيض بعض البنود بحيث صارت صالحة للتطبيق مع وجود حصار اقتصادي ، بل أكد الخبراء أنه مع وقف بـعض المشروعات يمكن تحمل وصول سـعر بـرميل النفط الإيراني إلى ثمانية دولارات فقط.

ومع تأكيد الزعيم خامنئي أن تعاليم الإسلام لا تبيح استخدام أسلحة الدمار الشـامل مما يعني أنه لا طائل من الإنفاق على صنعها ، وتحـمل التكاليف الباهظة لإنتاجها, وهذا يعني أن إيران في المرحلة الراهنة ليست قادرة على تحمل تبعات إنتاجها في الوقـت الحـالي مع تأكيد خامنئي فإنه يبدو واثقًا من قدرة بلاده على تحمل تبعات إصرارها على الاستمرار قدمًا في مشروعها النووي ، وأن الإيرانيين لا يفقدون الأمل في إدراك المجتمع الدولي لعدالة مطلبهم وسوء نية الولايات المتحدة الأمريكية وخطأ موقـفها ولا يملون من الانتظار لكنهم لا يتراجعون عما يرون أنه من حقهم كما أن قادتهم لا يتوقفون عن الاسـتعداد لأية عواقـب محـتملة ، ويزيدون من الخيارات المتاحـة لهم في مختلف المجالات وعلى كافة الأصعدة ، وفي محاولة لرفع الروح المعنوية أعلن خامنئي أنه لا يخامره أدنى شـك في أن الله سينصر شعب إيران ويعينه كما فعل من قبل[1].

ولهذا تعهّد المرشد الأعلى للثورة الإسلامية علي خامنئي يوم ١١تشرين الاول (اكتوبر)٢٠٠٦,بأن تواصل بلاده بـرنامجها النووي وألا تتراجع أمام الضغوط الدولية التي تطالبـها بوقـف تخصيب اليورانيوم. وأكد خامنئي في ظهور له على محـطة التلفزيون الايرانية الرسـمية على ما اعدَه "حق بلاده في تطوير تكنولوجيا نووية"[2].

٢- دور رئيس الجمهورية

اكتسبت الانتخابات الرئاسـية التي جرت في حـزيران(يونيو) ٢٠٠٥م أهمية كبرى لعدة اعتبارات، من بـينها تزامنها مع تطور أخطر الملفات

الإيرانية الخاص بالأنشطة النووية ، وفي هذا الإطار حاولت الولايات المتحدة الاستفادة من هذه الانتخابات، بحيث يتم في نهاية المخطط الذي تتبناه تقليل قدرات إيران على المناورة في عدد من القضايا، من بينها القضية النووية، وقضية الشرق الأوسط الكبير، وبالطبع قضية العراق، أملاً في أن يقوم الرئيس الإيراني القادم بإصدار أمر بالوقف الكامل، لدورة الوقود النووي وتخصيبه.

إلا أن الانتخابات الإيرانية أتت بمفاجأة، حيث حقق (محمود أحمدي نجاد) فوزاً يكاد يكون ساحقاً، وكان من بين الأسباب التي أدت إلى هذا الفوز – بحسب المراقبين – أن هناك تصوراً لدى الشارع الإيراني بأن العالم ينزع إلى تشكيل حكومات قوية متشدده على نحو ما هو حادث في الولايات المتحدة وإسرائيل، ومن ثم فإن هذا التشدد يحتاج إلى تشدد في مواجهته، وتم بالفعل اختيار أكثر المرشحين المستفزين للولايات المتحدة، باعتبار أنه كان من طلاب خط الإمام ، وهم الطلاب الذين حاصروا الدبلوماسيين الأمريكيين في طهران، فيما سمّي بقضية الرهائن الأمريكية، فكان وصول الرئيس الجديد في توقيت دقيق للغاية بالنسبة للمفاوضات الإيرانية الأوروبية، حيث كانت جولة ايار (مايو) ٢٠٠٥م قد انتهت بالتوصل إلى اتفاق يقضي بأن تقوم الدول الأوروبية الثلاث بإعداد مقترحات تفصيلية لإيران في ضوء اتفاق باريس المعقود في تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٤م . وعلى أساس هذه المقترحات يتحدد مضمون الموقف الإيراني من مسألة الوقف الكامل والدائم والنهائي لعمليات تخصيب اليورانيوم ، وبات الجميع في حالة ترقب مما سوف يحدث في الخطوة المقبلة ، فقد كان المتوقع أن تتم عرقلةاحتمالات التوصل إلى صفقة بسبب أفكار الرئيس الجديد ، فضلاً عن أنه سوف يشجع العناصر الأكثر تشدداً، والداعية إلى التمسك بحق بلادها الكامل في مواصلة عمليات التخصيب، بل والانسحاب من معاهدة منع الانتشار النووي إذا دعا الأمر.

وقد أفضى وصول الرئيس الجديد إلى السلطة في إيران إلى حدوث تحول كبير في الموقف من الأزمة النووية، لا سيما من حيث إن الموقف الإيراني منها أصبح يندرج في إطار رؤية أكبر، تتعلق بالتصميم الإيراني على إعادة تشكيل الشرق الأوسط وفق مفهوم إيراني خاص. وفيما يتعلق بإدارة الأزمة النووية في عهده، فقد أصبحت تتميز بدرجة أكبر من الاتفاق بين أقطاب السياسة الإيرانية عن ذي قبل، كما طرأت بعض التحولات الملموسة في التعامل الإيراني مع ملف هذه الأزمة في عدة اتجاهات، فقد جرى تعيين المحافظ المتشدد (علي لاريجانى) في منصب كبير المفاوضين عقب استقالة سلفه المعتدل (حسن روحاني)، وأسفر هذا التعديل عن رفضه الكامل للمقترحات الأوروبية، ووصفها بأنها أشبه "بمقايضة لؤلؤة بقطعة حلوى". كما تغير مضمون الخطاب السياسي بشأن الأزمة من خلال طرح مجموعة جديدة من الأفكار لتسويتها ، فضلاً عن حدوث تحول في طبيعة السياسة النووية الإيرانية، فقد بدا من الواضح أن الرئيس الجديد يقوم بتنفيذ سياسة لا تقوم فقط على التمسك الكامل بثوابت الحق الإيراني ، بل تسعى أيضاً إلى كسب المزيد من الوقت والانتظار إلى حين انتهاء فترة رئاسة (بوش) الثانية ، واستنزاف الولايات المتحدة في العديد من بؤر الصراع في المنطقة، مستفيداً من زيادة قدرات بلاده الاقتصادية بفعل ارتفاع أسعار النفط، والانقسام الحادث بين القوى الدولية بشأن الأزمة النووية الإيرانية. وعلاوة على الرفض الإيراني للمقترحات الأوروبية، فقد تم التهديد باستئناف أنشطة التخصيب بالكامل، ووقف التفتيش المفاجئ، واستخدام سلاح البترول. على أن الإجراء الإيراني الذي تمحورت حوله الأحداث فيما بعد، هو القرار الإيراني برفض المقترحات الأوروبية والمضي في أنشطة تخصيب اليورانيوم التي كانت قد بدأتها بالفعل في اب(أغسطس) ٢٠٠٥م [٣]

فالرئيس محمود احمدي نجاد و بعد اعلان فوزه بينّ للشعب الايراني وبشكل ملموس اولويات نهجه: فقد زار اولا ضريح قائد الثورة الايرانية اية الله الخميني بعد ذلك توجه للقاء الزعيم الروحي للبلاد وصاحب اوسع السلطات في الدولة الايرانية اية الله علي خامنئي.

وبعد هذه الخطوات ذات الدلالة قدم محمود احمدي نجاد نفسه للصحافيين في مؤتمر عقده. وبظهوره هذا حاول الرئيس الجديد للبلاد تقليص حجم الاضرار الناجمة عن انتخابه كرئيس متشدد. فقد بذل احمدي نجاد جهدا اضافيا من اجل كسب ثقة المجتمع الدولي. وبات ذلك واضحا عندما اجاب على ثاني سؤال في مستهل مؤتمره الصحافي طرحه احد الصحافيين الأمريكيين قائلا: "ان حكومته المقبلة ستكون حكومة السلام والاعتدال وإنه يرفض اي نوع من التطرف"، في اشارة الى سمعته في هذا السياق. لكن الرئيس الجديد في ايران اعلن موقفا مبهما بخصوص حرية التعبير عن الراي وحقوق الانسان مشيرا فقط الى ان الحرية جزء من الثورة الاسلامية. وبهذه الاجابة تهرب احمدي نجاد من تحديد مفاهيمه بشكل ملموس في هذا المجال. ونفس الشئ يقال ايضا عندما تحدث الرئيس الايراني الجديد عن ملف علاقات بلاده مع الولايات المتحدة والتي انقطعت منذ احتلال السفارة الامريكية في طهران في بداية الثورة الاسلامية في نهاية السبعينيات من القرن الماضي. كما ترمي العقوبات الاقتصادية الامريكية على ايران بظلالها الثقيلة على الاقتصاد الوطني ناهيك عن التهديدات الامريكية بين الحين والاخر الرامية الى غزو البلاد والتي تعكر الاجواء عموما. لكن احمدي نجاد تطرق الى هذا الملف بقليل من الاهمية مشيرا الى ان ايران في طريقها صوب التطور لاتحتاج الى علاقات مع الولايات المتحدة. لكنه وضع النقاط الاساسية لسياسته الخارجية المقبلة والمتمثلة بالتعايش السلمي والعدالة والسلام والتكافؤ في العلاقات الثنائية مع دول العالم. وهو يبقى بذلك ضمن اطار السياسية الخارجية الايرانية المتبعة لحد الان. وبعبارة اخرى ايران لا تغلق الابواب امام العلاقات مع الولايات المتحدة لكنها تتوقع الخطوة الاولى من واشنطن بهذا الصدد.

اما بخصوص الملف النووي الايراني والذي اثار ومازال يثير نقاشا ساخنا في واشنطن والعواصم الاوربية الاخرى فلم ينحرف احمدي نجاد

عن موقف ايران المعلن قيد أنملة. فالامر بالنسبة له يتعلق بالاستخدام السلمي للتكنولوجيا النووية. وهو حق لايران لا تتنازل عنه حسب تعبير الرئيس الجديد. مشيرا الى مواصلة ايران لبرنامجها النووي. وهذا يعني ان ايران ستقوم بمواصلة الجهود من اجل الحصول على اليورانيوم المخصب والتي علقت بسبب استمرار الحوار الايراني الاوربي بهذا الصدد. لكن الرئيس الايراني الجديد اكد ضرورة استمرار الحوار مع الترويكا الاوربية. يذكر ان اوربا تسعى في مفاوضاتها مع ايران الى اقناع طهران بالتخلي عن برنامجها النووي مقابل تعاون اقتصادي و اسع النطاق يشمل ايضا نقل التكنولوجيا الغربية الى ايران. لكن المفاوضات وصلت الى طريق مسدود, بعد مدة ليست طويلة من تولي الحكومة الايرانية الجديدة مهام عملها [٤]

ولأن رئيس الجمهورية الجديد يُعدّ في نظر أجهزة المخابرات الغربية من المتشددين ، فهو لا يختلف في توجهاته إزاء القضية النووية عن باقي عناصر صنع القرار السياسي والأمني في إيران من حيث الاتفاق حول ضرورة امتلاك إيران للسلاح النووي بأسرع وقت ممكن ليكون رادعاً في مواجهة التهديدات التي تواجهها إيران سواء من قبل الولايات المتحدة أو إسرائيل وليكون في ذات الوقت وسيلة دعم لتحقيق أهداف إيران القومية بعيدة المدى.

ويؤكد الرئيس نجاد على قوة ايران بقوله: (ان اية دولة مهما بلغت قوتها لايمكنها ان تهاجم ايران لانها ستكون عملية انتحارية,وبالتالي لايفترض بنا ان نخضع للتهديدات الاوربية فوارداتنا تمثل ٣٠ مليار دولار,انها وسيلة ضغط ضخمة في المفاوضات حول البرنامج النووي,ويمكننا بهذه الطريقة ان نفرض شروطنا ,و اذا رفضوها يمكننا ان نتوقف عن شراء منتجات منهم).[٥]

٣-دور وزارة الخارجية

اقر مجلس الشورى الاسلامي في العام١٩٨٥,قـانونا عرف بالقـانون المنظم لوزارة الخارجية,وتضمن تعديلا للاطار السابـق الذي ظل يحـكم الخارجية الايرانية طيلة ١٢٠عاما,وتحـــــديدا منذ عهد ناصر الدين شاه(القاجاري),وعكس تاثرا بالجوهر الاسلامي للنظام.

ومن حيث الهيكل,شهدت الوزارة اعادة هيكلة شاملة بـعد الثورة,تم بمقتضاها التخلص من سـفراء الشـاه وموظفي الوزارة,واحـل محـلهم مسـؤولون ملتزمون بمبـادىء الثورة,وعهد اليهم بـمراجعة المعاهدات السارية ومشروعات التعاون الدولي وتبعاتها.كذلك توالى توسـيع الجهاز الاداري للوزارة وزيادة عدد العاملين فيه,الامر الذي رتب احيانا ازدواجية في المسؤولية آثارت نقد مجلس الشورى للهيكل الاداري للوزارة.(٦)

اما عن السياسة الخارجية فقد كانت وما تزال موضع جدل بين مختلف الاطراف في الداخل والخارج وساحـة لتبـادل الاتهامات بـين مختلف الاطراف ولهذ نجد ان أبلغ وصف لهذه السياسـة هو ما كتبـته صحـيفة (انتخاب) الأيرانية الأسبوعية تقول :يتساءل الكثير من المراقبين من الذي يشرف على السياسة الخارجية الإيرانية في الوقت الراهن: وزير الخارجية متقي ام علي لاريجاني امين مجلس الأمن القومي، حيث قام هذا الاخير بدلا من متقي اخيرا بزيارة للعراق وتحدث عن سياسـة ايران الخارجية حـيال مؤتمر شرم الشـيخ.. حـتى ان لاريجاني يحـتكر الملف النووي الذي تم اخراجه بالكامل من يد وزارة الخارجية. لم يكن مثل هذا الوضع قـائما في عهد حكومة خاتمي حيث تحددت مهمة الشيخ حسن روحاني الأمين السابق لمجلس الأمن القـومي في الملف النووي بالتنسـيق الكامل مع وزارة الخارجية في تلك الفترة. ولم يكن روحاني يقوم بأي جولات بدلا من وزير الخارجية انذاك، لا بل ان لاريجاني تحـدث اخيرا بـأمور تتعلق بـملف الخلافات السياسية بين طهران وواشنطن، وكأن لاريجاني اضحى المسؤول

المباشر عن هذا الملف. ويقول السياسي الايراني داود باوند ان لاريجاني يعد نفسه مندوبا مطلق الصلاحية من جانب المرشد علي خامنئي، وانه يمثل سياسة ايران الخارجية. حتى انه قام بزيارات الى دول عربية عدة وغير عربية في الآونة الاخيرة وتحدث عن ملفات السياسة الخارجية الإيرانية مع مسؤولي هذه الدول

وفي هذا السياق ينتقد السياسي الايراني مرتضى فيروزي نهج لاريجاني في هذا المجال ويقول ان تصريحاته وزياراته الأخيرة لدول في المنطقة تؤكد وجود خلافات بين اركان النظام، وان بعض الجهات السياسية تحاول السيطرة على ملفات هي في الاساس من اختصاص وزارة الخارجية.ويدعي بعض المراقبين ان القوى الاصولية المتطرفة لا تزال تعارض السياسية المرنة والمعتدلة التي تمارسها وزارة الخارجية، وان احالة الكثير من الملفات الى مجلس الأمن القومي تؤكد معارضة هذه القوى لأي مرونة او مساومة قد تقوم بها وزارة الخارجية. لكن بعض المراقبين يقولون ان اركان النظام ربما تعمدت ممارسة مثل هذه السياسة، حيث اذا منيت سياسة لاريجاني بالفشل فان الخارجية او بالاحرى حكومة احمدي نجاد ستكون بمنأى او بعيدة اصلا عن اي انتقادات قد توجه اليها في هذا المجال(٧).

بعد كل ماتقدم نجد انه وبالرغم من الاهتمام الكبير الذي توليه الحكومة الايرانية للبرنامج النووي,الا ان اللافت للانتباه ان هذه الحكومة لم تبد قدرا" كبيرا" من الاهتمام ببلورة مجموعة متماسكة من الاهداف الحاكمة والمحركة للبرنامج النووي ,كما انه ليس هناك قدر كبير من الجدل الداخلي في ايران بشان الابعاد المختلفة للبرنامج النووي,سواء من حيث جدواه الاقتصادية او المجالات المختلفة للاستفادة من الطاقة النووية.وغير ذلك.فمواقف القادة الايرانيين تجاه التسلح النووي تباينت كثيرا" مابين منتصف الثمانينيات حتى منتصف التسعينيات.في منتصف

ونهاية الثمانينيات لم يتردد القادة الايرانيون في اطلاق تصريحات تعكس اهتمامهم بالتسلح النووي,ثم تحول الموقف الرسمي الايراني الى صيغة اكثر تحفظا" منذ بداية التسعينيات واصبحت تصريحات المسؤولين وكتابات الاكاديميين الايرانيين تكتفي بالاشارة الى ان البرنامج النووي الايراني يهدف الى بناء مفاعلات تكفي لتوفير نسبة مهمة من الطاقة الكهربائية للبلاد ,فضلا" عن الاشارة الى ان هذا البرنامج يستمد قوة الدفع من ان ايران كانت قد استثمرت بالفعل في عهد الشاه مبالغ طائلة في اقامة البنية النووية الاساسية في البلاد ,وان من العبث تبديد هذه البنية واهمالها.

المبحث الثاني, البعد الاقتصادي للبرنامج النووي الايراني.

تشير الحكومة الايرانية الى ان البرنامج النووي لايران يرمي الى تامين ٢٠%من طاقتها الكهربائية بواسطة المحطات النووية,وذلك لتخفيض استهلاكها من الغاز والنفط,ولاسيما ان الزيادة السكانية العالية وخطط التنمية الاقتصادية سوف تزيد من معدلات استهلاك الطاقة في ايران، وتشير الحكومة الايرانية الى انها لاتسعى فقط الى الحد من نسب الزيادة في استهلاك الطاقة,ولكنها تسعى ايضا الى تخفيض النسب الحالية من اجل توفير ثروتها القومية من النفط والغاز الطبيعي ,بهدف توجيههما نحو التصدير,من اجل الحصول على العائدات المالية,والتاكل المتزايد في القدرات التصديرية الايرانية من النفط,وكذلك بسبب العقوبات احادية الجانب الامريكية التي ادت الى منع ايران من زيادة قدراتها الاستخراجية والانتاجية والتصديرية في مجال النفط والغاز الطبيعي.

كما تشير الحكومة الايرانية الى اهمية الطاقة النووية ,لمواجهة الانفجار السكاني والتصنيع السريع للبلاد,ونشير هنا الى حقيقة ان سكان ايران قد ازدادوا باكثر من الضعف في ٢٠عاما",والبلاد تستورد البانزين والكهرباء,وان استخدام الوقود الاحفوري بقدر كبير يضر بالبيئة بشكل كبير.

تشير بعض الدراسات ان لدى إيران مخزون من النفط مقداره ١٢٦ بليون برميل يشكل ما نسبته ١٠% من الاحتياطي العالمي، ومع الاستكشافات النفطية الحديثة في الأهواز ارتفع الاحتياطي إلى ١٣٣ بليون برميل وهو ما يعني وصول إيران إلى مكانة الدولة الثانية في الاحتياطي العالمي بعد السعودية[٨].

صحيح أن إيران جنت في سنة٢٠٠٧نحو ٤٤ بليون دولار حتى لو انخفض سعر البرميل إلى ٥٠ دولارا، لكن ذلك لا يخفي القلق المتزايد في إيران من خطورة الاعتماد على النفط.وينبع القلق من تعرض أهم حقول النفط الإيرانية للنضوب بمعدل ٨ إلى ١٣% كل عام، وهو ما يعني أن أغلب حقول النفط الإيرانية ستنضب خلال عقدين من الزمان.

وعلى الرغم من أن إيران تنتج أربعة ملايين برميل يوميا وتستهلك منها ١,٤ مليون برميل، مما يعني أن لديها القدرة على التصدير لمدة ٦٥ سنة بناء على كميات الاحتياطي المشار إليها من قبل، فإن الفرق بين التقدير الحسابي والتقدير الفعلي يكشف مشكلة مستقبلية في قطاع النفط الإيراني.فالتقدير الحسابي لا يأخذ في اعتباره النمو المتسارع للسكان وارتفاع معدلات استهلاكهم، كما لا يضع في حسبانه الخطط الاقتصادية الهادفة إلى دعم القطاع الصناعي الذي يعمل فيه ٤٠% من السكان.كما أن ذلك التقدير لا يتصور إمكانية حدوث أزمات نفطية كبرى تطيح بأسعار النفط إلى ٢٥% مما هي عليه اليوم، وهو ما سيدفع الحكومة الإيرانية كغيرها من الدول النفطية- إلى ضخ المزيد من النفط لتعويض العجز في الأسعار، ومن ثم استنزاف أكبر للحقول وعرقلة الاستثمارات وتحجيم الاستكشافات النفطية وتباطؤ معدلات الصيانة.

وإذا انتظرنا إلغاء الحظر الأميركي المفروض منذ العام ١٩٩٦ على الشركات الأميركية بان لا تستثمر في إيران أكثر من ٢٠ مليون دولار سنويا، يمكننا أن نفهم توقعات خبراء النفط بارتفاع إنتاج إيران من ٤ إلى ٧

ملايين بـــرميل في اليوم نتيجة الاندفاع المنتظر لرؤوس الأموال الأميركية إلى القطاع النفطي الإيراني.وستقلص مثل تلك الطفرة المنتظرة في الإنتاج من العمر النظري للاحتياطي النفطي الإيراني من ٦٥ إلى نحو ٣٥ ســنة، وإن قلل بعض الخبراء على الجانب الآخر من فاعلية هذا التوقع بسبب تزايد الاعتقاد بوجود استثمارات لشركات أميركية في النفط الإيراني تحت أسماء مستعارة لشركات أوروبية.

وفيما يخص الغاز الطبيعي فإن لدى إيران احتياطيا مؤكدا مقداره ٢٧ تريليون متر مكعب يعادل ١٦% من الاحتياطي العالمي ويمثل ثاني أكبــر احتياطي في العالم بعد الاحتياطي الروسي، وتنتج إيران سنويا ٧٩ بـــليون متر مكعب في وقـــت يبـــلغ فيه إجمالي ما تســـــتهلكه ٧٣ بـــــليون متر مكعب.ورغم وجود فائض حسابي من الغاز مقداره ٦ بـــلايين متر مكعب سنويا يوجه إلى الأسواق الآسيوية، فإن إيران تستورد سنويا نحو ٥ بلايين متر مكعب من أذربيجان وتركمانستان في حوض بحر القزوين وذلك لقرب هاتين الدولتين من المناطق الشمالية من إيران التي تقـــع بـــعيدة للغاية عن حقول الغاز في جنوب غرب البلاد.وقد وقعت تركمانستان وإيران في العام ١٩٩٧ عقدا مدته ربع قرن تورد بموجبه تركمانستان لإيران الغاز الطبيعي عبر خط من الأنابيب.كما اتفقت إيران وأرمينيا على تصدير إيران نسبة من الغاز المستورد من بحـــر القـــزوين إلى أرمينيا في مقابـــل تصدير أرمينيا الكهربـــاء لإيران.ويمكننا أن نرى في الاتفاقـــيات التي وقـــــعتها الصين وتركمانستان مع إيران والسارية لمدة تتراوح بين ٢٠ و٢٥ سنة، مؤشـــرا حقيقيا على قدرة النفط الإيراني على الاســـتمرار بتحـــمل عبء الميزانية لعقدين أو ثلاثة وليس لسبعة عقود كما تقدر الحسابات النظرية.

وعلى الرغم من أن إيران ذات موقع جغرافي حيوي لا يقـــل أهمية عن موقع تركيا التي تستفيد كثيرا من عائدات الأنابيب التي تمر بـــأراضيها، فإن مشكلات إيران الخارجية تحول بينها وبين الحصول على تلك المكانة وبصفة

خاصة في نقل نفط القزوين إلى السوق الخارجي، لتفضيل الولايات المتحدة دولا أخرى عليها مثل تركيا وجورجيا. وللمقارنة فإن باكستان ستحصل سنويا على نحو ٣٥٠ مليون دولار كرسوم مرور للغاز الإيراني عبر أراضيها إلى الهند[٩].

كما تجابه الميزانية الإيرانية التي تعتمد على ٤٥% من مصادر دخلها على النفط مشكلات متزايدة، أهمها تفاقم التضخم، وتزايد عبء القطاع العام على الميزانية، والاستمرار في تكبد خسائر كبيرة بسبب دعم أسعار الوقود طمعا في الولاء وضمان الالتفاف حول القيادة. هذا فضلا عن خطورة تذبذب الأسعار النفطية، وضعف القطاع الخاص أمام التدخل الحكومي، وتآكل الاستثمارات، وهروب رؤوس الأموال الوطنية إلى الخارج (وبصفة خاصة إلى الاستثمار في دبي بالإمارات)، وتحويل المدخرات بالريال إلى أي عملة أجنبية، وارتفاع نسبة السكان دون خط الفقر[١٠].

لهذا يمكننا أن ندرك قلق النظام الإيراني من الأوضاع الاقتصادية في الدراسات التي تقدمها مراكز الأبحاث الأميركية عن الاقتصاد الإيراني التي يترحم فيها أكاديميون إيرانيون على اقتصاد ما قبل الثورة الإسلامية الذي كان يحصل فيه الفرد على دخل سنوي يعادل نظيره الإسباني، وكان الإنتاج النفطي فيه يفوق الإنتاج الحالي بأكثر من ٣٥%. وحين نضع أمامنا المعلومات السابقة سنفهم لماذا أدرك عبد الرحمن الراشد وزملاؤه في صحيفة الشرق الأوسط أنهم لم يكونوا على حق قبل عامين حينما خوفوا القراء من البرنامج النووي الإيراني، فتجاوزوا اليوم تلك المرحلة وناشدوا الدول الأوروبية والولايات المتحدة أن يتركوا إيران تبني مفاعلها النووي!

يقول الراشد الذي كان يحذر مرارا من كارثة امتلاك الملالي قنبلة نووية: "لو كنت في موقع المفاوضين الأوروبيين والأميركيين، لفتحت الباب لإيران لتبني قنبلتها النووية، دعوا إيران تبني قنبلتها لأننا لا نرى

بديلا عن ذلك سوى المزيد من التنازلات الأخرى، في مساومات ستكسبها طهران في كل الحالات".والاستشهاد السابق يلمح إلى أن الميزانية الإيرانية تجني أرقاما فلكية كل عام نتيجة التخويف المثار حول أزمتها النووية. واستمرار توجس سوق النفط الدولي من احتمال توجيه ضربة إليها وتهديد طهران بإيقاف ضخ النفط وضرب الناقلات في الخليج وإغلاق مضيق هرمز وتلغيمه مما سيسبب كارثة للمستوردين الأوروبيين.وهي ذات الفكرة التي أشار إليها توماس فريدمان من قبل حين وجه النقد إلى الإدارة الأميركية لتسببها -بسوء إدارة الحرب في العراق وغموض التعامل مع الملف النووي الإيراني- بإدخال أرقام فلكية في جيوب الملالي في إيران ومن ثم توفير مدخرات كبيرة تنفق على المشروع النووي.

الواجب إذن ترك إيران تمضي في مشروعها النووي دون مماحكة من الغرب وإسرائيل وهو ما سيأتي بنتيجة عكسية نتيجة قيام النظام في إيران نفسه باستنزاف أموال النفط المنخفض الأسعار، والتهام عوائد المخزون النفطي في إقامة عدة محطات من المفاعلات النووية.وحين تفرغ إيران من مشروعها النووي فستقدمه إلى شعب جائع، ولن تختلف الصورة كثيرا عن حالة الشعب الهندي أو الباكستاني رغم ما لديهما من ترسانات نووية.هل سيحرك الشعب الجائع جيشه إلى أرض الجيران بعبور الخليج تحت غطاء نووي لقرصنة حقول النفط العربية؟ الإجابة تقدمها الغواصات والبوارج الأميركية التي تحمل أسلحة نووية والرابضة في مياه الخليج بالمرصاد.فلن تجرؤ إيران -كما يأمل العرب المتترسون بالسلاح الأميركي في الخليج- على تطوير خلافها السابق مع السعودية والكويت حول ترسيم حدود الرصيف القاري لحقول النفط التي أثيرت عام ٢٠٠٠ واتخذت فيها السعودية والكويت موقفا مشتركا ضد إيران.

فإيران لاتزال تحلم بالنموذج الروسي القائم على إنتاج الطاقة الكهربائية من المفاعلات النووية، ومن ثم توفير النفط والغاز للتصدير.لكن مفاعل

بوشهر الذي يدور حوله الجدل اليوم لن تزيد طاقة الإنتاج النووي فيه عن ٧٠٠٠ ميغاوات عند اكتماله عام ٢٠٢٠، وهو ما سيوفر طاقة مقدارها ١٠% فقط مما تستهلكه إيران من الغاز والنفط.وعلى الرغم من أن إيران كانت قد أعلنت قبل عدة سنوات أنها تهدف إلى توفير ٢٠% فقط من الطاقة الكهربائية مما يعني حاجتها إلى مفاعلين نوويين بحجم بوشهر، فإنها عادت مؤخرا وألمحت إلى أنها ستبني نحو عشرة مفاعلات تتوزع بشكل جغرافي على أنحاء البلاد كافة)[١١].

يضاف الى ذلك رغبة ايران في تنويع مصادر طاقتها ,والتي ستصبح فاقدة لعوائد النفط الايراني تدريجيا",فالتقديرات الحالية للمخزون النفطي بحوالي١٣٣مليار برميل,وبنسبة استخراج تصل الى مابين١،٥– ١،٨مليار برميل في السنة.ان هذا النفط يكفي ايران فقط الى٧٤–٨٩سنة,بافتراض ان نسبة الاستخراج ثابتة وعدم وجود عوائد اضافية.ومع الاخذ بنظر الاعتبار ان الشاه عبّر قبل عقود,عن الشعور الايراني بقيمة النفط واهمية استخدامه في منتجات ذات قيمة,وليس لتوليد الكهرباء البسيطة,اذ يقول:(البترول مادة نادرة واكثر قيمة من ان يحرق...ونحن نتوقع انتاج ٢٣الف ميجاواط من الكهرباء باستخدام المفاعلات النووية),كما تثير ايران المسألة المالية مشيرة الى ان تطوير قدرات التكرير في صناعتها النفطية سوف يكلفها ٤٠مليار دولار,في حين ان المفاعلات تكلف اقل من هذا بكثير بعدّ ان ايران لها موارد من خام اليورانيوم يمكن الوصول اليها,ويؤكد تحليل لاحد الباحثين الامريكان في مجال الطاقة هذه الرؤية,في ان ايران لها كامل الحق في تنويع موارد طاقتها ومن ضمنها الطاقة النووية,وهي الحاجة التي تتفاقم نتيجة العقوبات الامريكية على صناعة النفط الايراني.

ويقول الدكتور وليم.او.بيمان استاذ برنامج دراسات الشرق الاوسط في جامعة براون,والذي قضى سنوات في ايران,ان القضية النووية الايرانية هي نقطة توحيد في نقاشهم السياسي(الجانب الايراني من الحديث هو انهم

يريدون ان يعرفوا ويرون كدولة متطورة حديثة وبقاعدة صناعية حديثة متطورة,وتاريخ العلاقات بين ايران والغرب في المائة عام الماضية تضمن تطوير ايران لانواع مختلفة من الصناعة والتكنولوجيا المتقدمة,ليثبتوا لانفسهم- ومحاولة اثبات للعالم- انهم في الحقيقة صفة اساسية في البلاد)..

وقضية الطاقة النووية هي بالضبط ذلك,وعندما يتحدث الايرانيون عنها,وعن الولايات المتحدة يقولون(الولايات المتحدة تحاول كبتنا,وهي تحاول ان تجعلنا في الاسفل وتجعلنا متخلفين,وان تجعلنا امة من الدرجة الثانية وفي الحقيقة نحن لدينا القدرة على تطوير الصناعة النووية,وقد اخبرناها باننا لن نكون جيدين بما يكفي ولن نكون),وهذا مايجعل الشعب مؤيدا",ليس فقط في المؤسسة الدينية بل والشخص العادي وحتى عمر ١٦-١٧ عاما",وبتأييد للقضية الى حد الاطلاق وبما لايمكن للسياسيين التراجع في هذه القضية(١٢).

وفي السياق نفسه،تظاهر مئات الطلاب في طهران يوم٢٣اب(اغسطس)٢٠٠٥, أمام سفارات فرنسا وألمانيا وبريطانيا حاملين لافتات تقول "أوقفوا المحادثات العقيمة"، في إشارة إلى المحادثات بين الدول الثلاث وإيران لمحاولة إثنائها عن المضي في برنامجها لتخصيب اليورانيوم. وقال متحدث للمتظاهرين: "سندعو المفاوضين الإيرانيين إلى الانسحاب من معاهدة حظر الانتشار النووي وقطع المفاوضات النووية". كما ردد المتظاهرون: "الموت لأنظمة الشر الثلاث فرنسا وألمانيا وبريطانيا ."

وكانت بريطانيا وفرنسا وألمانيا ممثلة عن الاتحاد الأوربي قد قدمت اقتراحًا إلى إيران في ٥اب(أغسطس) ٢٠٠٥ يقضي بحصولها على حوافز اقتصادية مقابل تخليها عن الأنشطة النووية التي يشتبه الغرب في أنها قد تكون خطوات تحضيرية نحو صنع أسلحة نووية .

إلا أن إيران رفضت المقترحات التي تضمنت أيضًا عقد محـــادثات في ٣١منه ، وأثارت غضب الاتحـــاد الأوربـــي والولايات المتحـــدة من خلال استئنافها عملية تحويل اليورانيوم في منشأة بأصفهان في الثامن من آب (أغسطس) ٢٠٠٥، وهي خطوة تحضيرية لتخصيب اليورانيوم.[١٣]

والحقيقة ان الموقف الايراني يثير جدلا"حادا" بشـــان تقـــويم الاهداف الحقيقية للبرنامج النووي الايراني.فالاهداف الاقتصادية المشار اليها لاتبدو منطقية ,حيث يذهب المحـــللون الامريكيون والغربـــيون الى ان المفاعلات سوف تكلف مليارات الدولارات بالعملة الصعبـــة,وهي ليســـت ذات فائدة كبيرة من الناحية الاقتصادية بالنسبة لدولة مثل ايران تمتلك مخزونا" ضخما من النفط والغاز الطبيعي يمكن استغلاله لتوليد الكهربـــاء بـــتكلفة لاتتعدى ١٨-٢٠% من تكلفة الكهرباء النووية في ظل أسعار السوق ,فضلا" عن ان إيران ركزت انشاء مفاعلاتها النووية في منطقة واحدة جنوب البلاد بـــعيدا" عن المدن الإيرانية والمنشآت الصناعية في البلاد وهو ما يقـــلل من امكانية الاستفادة من هذه المفاعلات في توليد الطاقة لخدمة الاحتياجات الاستهلاكية للمدن والمصانع الايرانية . ورغم ان ايران ربما تكون قد اســـتفادت من ان روسيا حددت اسعار عقـــودها الاولية من المفاعلات النووية المصدرة الى ايران بصورة ادنى بكثير من الاسعار العادية في الســـوق العربـــية , الا ان تكاليف البـــرنامج النووي تظل غير اقـــتصادية بالنسبـــة لدولة تمتلك ثروة ضخمة من النفط والغاز الطبيعي.[١٤]

لقد تحولت التوترات بشأن الملف النووي الايراني الى عامل رئيسي في التأثير على اسعار النفط في عام ٢٠٠٦ ومطلع ٢٠٠٧،ولادراك سبـــب هذا التأثير واحتمالات تطوره لابـــد من تناول وضع ايران كمنتج ومصدر للنفط والغاز وكدولة تمتلك احتياطيات هائلة منهما تضعها ضمن الدول التي ستظل مالكة لاحتياطيات كبيرة بعد ان تستنفذ الاحتياطيات النفطية والغازية لغالبية بلدان العالم . تنتج ايران اكثر من ٤ ملايين بـــرميل من النفط يوميا"

في الوقت الراهن تضعها في المرتبة الرابعة بـين اكبـر منتجي النفط في العالم بعد المملكة العربية السعودية وروسيا والولايات المتحـدة ويشـكل الانتاج النفطي الايراني نحو ٥% من الانتاج النفطي العالمي , وهي نسبـة يصعب على الاقتصاد العالمي الاستغناء عنها خاصة ان الغالبية الساحقة من الانتاج النفطي الايراني تذهب للتصدير وتشـكل نحـو ٨ر٥ % من الصادرات النفطية العالمية وفي ظل الارتفاع الكبـير في اسـعار النفط في الاعوام الاخيرة , والتي وصلت الى ٦ر٥٠ دولار للبرميل من سلة خامات اوبك في المتوسط في عام ٢٠٠٥ , وفي ظل اسـتمرار العوامل المسببـة للارتفاع مثل النمو الاقتصادي العالمي وما ترتب عليه من نمو سريع نسبيا" في الطلب على النفط , مثل التوترات الامنية والعرقية والسياسية في العديد من البلدان المصدرة للنفط بما يثير المخاوف بشان استقرار تدفقـات النفط منها ويؤدي الى ارتفاع اسعار النفط , بالاضافة الى الدور الذي تقـوم بـه شركات النفط من اجل ابقاء اسعار الخام مرتفعة لتحقيق اربـاح اسـتثنائية خاصة بالنسبة للشـركات التي تملك احـتياطيات نفطية كبـيرة من خلال اتفاقيات التنقيب والاستكشاف وتقاسـم الانتاج التي تبـرمها مع العديد من الدول النامية المنتجة للنفط.

والواقع ان أسواق الطاقة حول العالم باتت شديدة الحساسـية إزاء أي تلميح بعقوبات أو ضربة عسكرية لإيران التي يقودها طموحها النووي نحو الإصرار على تخصيب اليورانيوم، وسـط مخاوف من المجتمع الدولي.ويرى مراقبون أن الغرب ربما يتضرر من ارتفاع أسعار النفط في حال تعرضت إيران لحرب تقودها الولايات المتحدة، لكن الضرر الأكبـر ستعانيه منطقة الخليج الجارة لإيران، والشرق الأوسط عموماً.

صعدت ايران من تحذيراتها للدول الغربية بشـأن ملفها النووي، مؤكدة انها ستضطر لالغاء كامل التزاماتها بمعاهدة حـظر الانتشـار النووي اذا

واصلت هذه الدول تهديداتها بوقف نشاطاتها النووية واستخدام الخيارات العسكرية اذا لزم الامر، كما تلوح اميركا. ولم يستبعد الايرانيون استخدام سلاح النفط في هذه المواجهة[١٥].

وبالنسبة للغاز الطبيعي تصدر ايران نحو ٨٠ مليار متر مكعب سنويا" بما يوازي نحو ٣% من الصادرات العالمية منه • وتاتي ايران في المرتبة السادسة عالميا" في تصدير الغاز الطبيعي بعد روسيا والولايات المتحدة وكندا وبريطانيا والجزائر • وترتيباً على هذه المكانة فان خروج الغاز الايراني سيضر بشدة بالاقتصاد العالمي وبالذات بالدول المستوردة له والتي ستحرم منه اذا صدر قرار دولي بحظر استيراده • وفي ظل هذا الوضع فان غياب الغاز الايراني وغياب نحو ٥ر٣ مليون برميل من الصادرات النفطية الايرانية عن السوق العالمية سوف يشعل الاسعار ويرتفع بها الى مستويات قياسية جديدة قد تتجاوز كثيرا" مستوى ١٠٠ دولار لبرميل النفط , وصحيح ان الدول المستوردة وعلى راسها الولايات المتحدة والاتحاد الاوربي والصين واليابان وكوريا الجنوبية يمكنها استخدام مخزوناتها التجارية والاستيراتيجية من النفط لتعويض غياب النفط الايراني ولتهدئة الاسعار , لكن هذا الاستخدام له حدود خاصة في حالة ايقاف صادرات النفط العراقية والخليجية التي تتدفق عبر الخليج العربي مما يزيد الوضع حرجا" في سوق النفط العالمية واذا كان المخزون التجاري النفطي العالمي قد بلغ ٤٨٦٥ مليون برميل تكفي احتياجات الاستهلاك العالمي من النفط لنحو ٦٠ يوما" , فان توزيعها غير المتوازي مع احتياجات الاستهلاك , والقيود الفنية سيجعل استخدامها محدودا" زمنيا" • وقد تكون امريكا الشمالية اوربا بمخزوناتهما التجارية البالغة ٢٢٠١ مليون برميل والتي تكفي لتغطية استهلاكهما الفعلي لنحو شهرين , وتعويض وارداتهما لفترة تقرب من ثلاثة اشهر , اكثر قدرة على تحمل غياب النفط الايراني خلال هذه الفترة القصيرة. اما بعد هذه الشهور الثلاثة فان السيىء فعليا" لن يكون

ارتفاع الاسعار بصورة مذهلة,وانما سيكون تعطيل جزء من الجهاز الانتاجي وتغيير نمط الحياة المترفه في الغرب بتقليل الاعتماد على وسائل النقل والادوات والاجهزة المعتمدة على النفط او على توليد الطاقة منه.

اما بالنسبة للبلدان الاكثر اعتمادا" على النفط الايراني مثل اليابان التي بلغت قيمة وارداتها النفطية من ايران نحو ١٠مليارات دولار في عام٢٠٠٥ ,والصين التي زادت قيمة وارداتها النفطية من ايران عن ٥مليارات دولار ,وجنوب افريقيا التي تجاوزت قيمة وارداتها النفطية من ايران نحو٣،٣مليار دولار وكوريا الجنوبية وقيمة وارداتها ٣،١مليار دولار وتركيا وقيمة وارداتها٢،٥مليار دولار,وحتى بعض الدول الاوربية مثل هولندا واليونان وفرنسا واسبانيا,فانها يمكن ان تتعرض لاضرار اقتصادية اكثر فداحة من غيرها خاصة انه لن يكون من الممكن تعويض النفط الايراني في ظل الظروف الراهنة المحيطة بسوق النفط,واذا تطورت المواجهة الغربية مع ايران الى صراع مسلح فان ايران يمكن ان تشكل تهديدا"جديا" لتدفق النفط العربي عبر الخليج ولحركة ناقلات النفط فيه[١٦].

ويؤكد هذه الرؤيةتهديد المرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية آية الله علي خامنئي بقطع امدادات النفط في حال قيام الولايات المتحدة بما وصفه بـ "خطوة خاطئة" تجاه بلاده.وقال خامنئي في خطاب بثه التلفزيون الايراني بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لرحيل الامام الخميني مخاطبا الولايات المتحدة "اذا قمتم باي تحرك خاطئ ضد ايران فانه سيؤدي بالتأكيد الى تعريض امدادات النفط القادمة من الخليج لمخاطر حقيقية".غير ان خامنئي لم يحدد ما يقصده بالضبط من تعرض امدادات النفط للمخاطر .[١٧]

وهذه الاحتياطيات الايرانية الهائلة من النفط والغاز الطبيعي تعني ان هذا البلد الكبير يشكل ركنا" اساسيا" لاستقرار امدادات النفط والغاز عالميا" في الاجل الطويل,بما يعني منذ البداية ان أي حظر اقتصادي عالمي يشمل قطاع النفط والغاز لايمكن ان يكون اجراء طويل المدى لان العالم لايملك

ترف الاستغناء عن النفط والغاز الايرانيين اللذين يشكلان نسبة كبيرة من اجمالي الاحتياطي العالمي من هاتين المادتين الخام الاستراتيجيتين للاقتصاد العالمي[١٨].

وارتفعت أسعار النفط في ايار(مايو)٢٠٠٦، إلى ٦٩ دولاراً للبرميل، بعد قليل من إعلان الرئيس الإيراني، محمود أحمدي نجاد، أن بلاده نجحت، لأول مرة، في تخصيب اليورانيوم، وسط مخاوف من أن يؤدي ذلك إلى أن يقفز سعر النفط إلى أرقام قياسية.ويتخوف المتعاملون في قطاع النفط من أن يؤدي اشتعال الصراع بين إيران من جهة، والغرب من جهة أخرى، وكذلك استمرار العنف في نيجيريا، إلى أن تفقد أسواق النفط العالمية ما يزيد على نصف مليون برميل من النفط يومياً، مع الوضع في الاعتبار أن إعصار كاترينا، الذي ضرب الساحل الأمريكي الغربي، تسبب في نقص إمدادات النفط من خليج المكسيك بنحو ٣٠٠ ألف برميل يومياً. ويمثل صعود أسعار النفط في الآونة الأخيرة، استمرارا لموجة الصعود التي بدأت في مستهل عام ٢٠٠٢، وكان سعر النفط وقتها ٢٠ دولاراً للبرميل.وقال محللون، إن ارتفاع أسعار النفط كان رد فعل للتقارير التي تحدثت عن احتمال شن الولايات المتحدة ضربة هجومية ضد إيران[١٩].

ولتاكيد اهمية النفط في توجهات ايران في التعامل السياسي, أعلن مسوؤل عمليات التنقيب في شركة النفط الوطنية الايرانية محمود محدث في كانون الاول(ديسمبر)٢٠٠٦, أن إيران ستطرح مناقصات دولية للتنقيب عن النفط واستخراجه في ١٧حقلا نفطيا في مناطق متفرقة بالبلاد.وقال "محدث" أن الحد الادنى لقيمة الاستثمار في هذه الحقول الـ ١٧هي ٣٤٠ مليون يورو. موضحا أن ١٢ حقلا موجوده في البر و ٥ في البحر. وأضاف كما ورد في وكالة الأنباء الإيرانية "آرنا" أن مساحة هذه الحقول تبلغ ١٢٩ ألف كيلومتر مربع وتقع في ٩ محافظات في البلاد.[٢٠]

وتعتقد ايران ايضا" ان لها الحق القانوني في تخصيب اليورانيوم

للاغراض السلمية بموجب معاهدة الحد من الانتشار النووي,(NPT)وهو الحق الذي بدأت الولايات المتحدة والدول الاوربـــية الثلاث,(EU-3) تؤكد انه قد صودر بالبرنامج النووي السري الذي كشف في العام٢٠٠٢.والحقيقة ان برنامج تخصيب اليورانيوم كان موضع نقاش مفتوح في الاذاعة الوطنية الايرانية,ومفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية(IAEA)قد زاروا منشـــآت اليورانيوم الايرانية.ويقارن السياســيون الايرانيون بـــين معاملتهم كدولة موقعة على معاهدة(NPT)مع ثلاث دول تتســـلح نوويا" ولم توقـــع على معاهدة,(NPT) وهي اســـرائيل والهند وباكســـتان,وكل هذه الدول الثلاث تطور قـــــدرات اسلحـــــة نووية وطنية.فاســـــرائيل امتلكتها بحــــلول العام١٩٦٨,والهند امتلكتها بحلول العام١٩٧٤,وباكستان امتلكتها بحـــلول العام١٩٩٠,وليس هناك شرط في معاهدة(NPT)او في أي مكان اخر فيها يصادر حق الدولة في تطوير القـــدرات النووية الســـلمية للدول الاعضاء فيها,والاشارة هنا الى حقيقـــة ان بـــعض الدول اعلاه هي حـــليفة للولايات المتحدة وبالرغم من امتلاكها للقـــدرات النووية الا انه لم يعلن عن مصادرة حقوقها في معاهدة(NPT)

المبحث الثالث. البعد العسكري للبرنامج النووي الايراني.

تتسم الاعمال الاكاديمية الايرانية التي تعبـــر عن منطلقـــات ايران في المجال النووي بالندرة الشديدة ,وتؤكد الاعمال القليلة في هذا الشان على ان ايران لاتسعى الى امتلاك الســـلاح النووي ,ولاتهتم هذه الاعمال بـــطرح موقف متماسك بشأن الاهداف المحركة للبـــرنامج النووي الايراني,بقـــدر ماتهتم بنفي وتفنيد الحجج الغربية بشان المسعى الايراني لامتلاك الاسلحـــة النووية .وفي هذا الصدد,يؤكد احد الاكاديميين الايرانيين انه على الرغم من ان هناك قوة في المنطقة(اسرائيل)تمتلك بـــالفعل اسلحـــة نووية.الى جانب الهند وباكستان ,وفي ظل ظروف كالتي تمر بها المنطقة فلابد من ان يكون هناك في ايران من يفكر في ان الطريق النووي يمثل السبيل الاسهل والاكيد

نحو الامن المطلق,الا ان هناك عددا" من الاسباب التي تجعل الخيار النووي خيارا" غير عقلاني بالنسبة لايران,لاسباب عديدة تتعلق بالصعوبــات الفنية والاقتصادية,ومشكلات نقل التكنولوجيا النووية,والضغوط الدولية.

فمن حيث الصعوبات الفنية والاقتصادية,يشــير هذا الطرح الى انه اذا ارادت ايران ان تبــني اسلحــة نووية من خلال الحــصول على مســاعدة تكنولوجية اجنبية,ســواء من خلال فصل اليورانيوم او تخصيبــه,فان هذا الجهد سوف يحتاج الى بنية اساسية فنية وعلمية سرية ومكثفة,كما سيحتاج الى استثمارات هائلة في الموارد البشرية والمادية,وهو ماسيكون عملا" غير منتج من الناحية الاقتصادية بالنسبة لدولة تسعى الى اعادة بناء اقــتصادها الذي دمرته الحرب على العراق.اما من حيث تاثير البــيئة الدولية,فان هذا الطرح يقوم على انه اذا ارادت ايران ان تشتري تكنولوجيا معقدة بــدرجة اكبر,مثل التكنولوجيا اللازمة لتخصيب اليورانيوم او الاسلحة النووية ذاتها او مكونات هذه الاسلحة,فانها سوف تضطر الى مواجهة عالم معاد وشــديد الحساسية تجاه هذه المسألة,وهو مايمكن ان يؤثر بشــدة على رغبــة ايران المعلنة بشان اجتذاب رؤوس الاموال الاجنبية.

ويرى الايرانيون انه على الرغم من ان هناك عددا" مــن الــدول التــي نجحت في امتلاك السلاح النووي سرا",الا ان الظروف كانت مختلفة حــيث استفادت تلك الدول من دعم دولة عظمى ما او انها استفادت من النظام ثنائي القطبية في فترة الحرب الباردة,وكانت تلك الفترة تســمح بنقــل التكنولوجيا النووية,مثلما حدث مع العراق مثلا",الا ان الظروف تختلف تماما في الوقت الحاضر,علاوة على ان الوجود العسكري الامريكي الكثيف في الخليج يمكن ان يمنع ايران من السير في الطريق النووي.

الا ان المرشد الاعلى آية الله علي خامنئي شــدد على ان طهران لن تتنازل عن حقها في انتاج الوقود النووي.وقــال ان الاتهامات بــأن ايران

تسعى الى انتاج قنبلة نووية هي مجرد "اكاذيب"، واضاف "لا نحتاج قنبلة نووية. ولا يوجد لدينا اهداف تستدعي استخدام قنبلة نووية، ونعتبر استخدام الاسلحة النووية مخالف لقواعد الاسلام".

وشن خامنئي هجوما عنيفا على الولايات المتحدة، واصفا اياها بانها "اكثر بلد مكروه في العالم".وتسآل خامنئي "كيف يمكن للولايات المتحدة الحديث عن حقوق الانسان ورفض الارهاب في الوقت الذي تدير فيه سجونا مثل جوانتانامو وابو غريب؟".واضاف ان واشنطن تسعى الى التأثير على الرأي العام العالمي باستخدام آلتها الدعائية، لكنه لا يوجد اجماع دولي على رفض البرنامج النووي الايراني.وقال ان الدول الاسلامية ودول عدم الانحياز وغيرها من الدول المستقلة تؤيد موقف ايران[٢١].

وانطلاقا" من تقويم اتجاه السياسة الايرانية وانماط السلوك واهداف النظام الحالي,يبدو من غير المنطقي استبعاد احتمال وجود اهداف عسكرية وامنية دافعة للبرنامج النووي الايراني ,بل ربما كانت الاهداف العسكرية هي الاكثر اهمية لهذا البرنامج .فمن المؤكد ان العوامل الاكثر خطورة واهمية المحركة للتفكير السياسي والاستراتيجي الايراني في الفترة الراهنة تتمثل في الدروس المستفادة من الحرب العراقية- الايرانية ,والتهديدات الامريكية- الاسرائيلية لايران ,وتجربة احتلال العراق ٢٠٠٣,ويذهب بعض الباحثين المختصين في الشؤون الايرانية الى ان السلوك الايراني في المجال النووي يمثل نتاجا" للدروس التي استخلصتها ايران من الحرب على العراق, حيث تعرضت ايران في تلك الحرب لقصف كيميائي عراقي , كما عانت وقتذاك من العزلة الاقليمية والدولية وخضعت لحظر دولي حاد في مجال مبيعات السلاح , وبالتالي فان ايران استخلصت من تلك الحرب دروسا" متعددة تمثلت في انه لابد من ان تستعد لاية مفاجات تكنولوجية , مما دعا المسؤولين الايرانيين الى توقع امكانية التعرض الى ما هو اسوأ من القصف الكيميائي والبيولوجي في المستقبل . اضف الى ذلك ' ان ايران استنتجت انها لايجب ان تعتمد كثيرا" على القيود الذاتية التي قد يفرضها

المنافسون المستقبليون على انفسهم او على تمسكهم بـــالالتزامات الدولية , كما لايجب على ايران ان تعتمد على مســاعدة المنظمات الدولية , ممايعني ان دورس هذه الحرب شكلت اساسا للتفكير الاستراتيجي الايراني في عقدي الثمانينيات والتســعينيات وفي الفترة التالية بـــــرزت العديد من التهديدات الفعلية والمحتملة التي تستشعرها ايران من جانب كل من الولايات المتحدة واســـرائيل في المستقبـــل , ورغم اختلاف هذه التهديدات الا ان من الممكن استنتاج ان ايران وجدت ان السير على طريق انتاج الاسلحة النووية يمكن ان يوفر لها ضمانا" ضد اية تهديدات في المستقبل. ومن ناحية اخرى يشير بعض الباحثين في الشؤون الامنية الايرانية الى انه على الرغم من ايران لم تتخذ بعد قرارا" حاسما" بشان الاسلحة النووية , ورغم ان قرار طهران في هذا المجال يمكن التراجع عنه , الا ان اتجاه القــيادة الايرانية نحــو الخيار النووي ربما كان ناجما" عن العزلة الاقليمية والدولية التي تعاني منها ايران, بالاضافة الى ان التفكير السياسي الايرانى القــائم على المؤامرة والوقـــوع ضحية للمؤامراة الخارجية ربـــما يمثل القـــوة المحـــركة وراء محـــاولتها المفترضة للحصول على الاسلحة النووية (٢٢).

وعلى هذا الاساس , يمكن القول ان ايران قد تسعى الى امتلاك الســـلاح النووي , سواء لاسباب سياسية عامة او ردا" على تهديدات محددة ورغم ان القدرات النووية الحالية لإيران ما زالت في مرحـــلة بـــدائية واولية , الا ان الاهداف والنوايا الايرانية تدرج البعد العسكري كمحـــرك بـــالغ الاهمية في البـــــــرنامج النووي . والخلاصة من ذلك , ان الجهود الايرانية في المجال النووي تبدو مدفوعة برؤية ايران للعالم وادراكها لدورها وقيمها ومصالحها والدروس المستمدة من تاريخها , بالاضافة الى ادراكها لطبـــيعة التهديدات الفعلية والمحتملة التي تجابهها في الفترة الحالية والمستقبلية, الا انه يظل من الضروري التاكيد ايضا" على انه ليست هناك دوافع ملحـــة تحـــرك الجهود الايرانية في المجال النووي , فايران لاتواجه تهديدا" لوجودها , وانما تسعى

اساسـا" الى التحسـب لتهديدات محـتملة في ظل التحـرش الامريكي والاسرائيلي المتزايد بها , ولاسيما ان اسرائيل بدورها بدأت عقـب حـرب الخليج الثانية في ١٩٩١ تضع ايران في المرتبة الاولى كمصدر تهديد بعد ان تلاشى الخطر العراقي[٢٣].

ويؤكد هذه الرؤية علي رضا جعفرزاده بقوله: قناعتي هي ان أحـمدي نجاد ومنذ ما تربع على هذا المنصب رئيسًا جديدًا للنظام فان خطته ومهمته كانت ايصال النظام إلى مرحلة اقتناء أسلحة نووية مهما كلف الأمر فلذلك لن يتراجع ولن يكف عن محاولات النظام للحصول على القنبلة النووية. انه سيخرق الاتفاقيات الدولية.انه ينهمك مؤخرًا على تعبئة أكثر من ثلاثة الآف من أجهزة الطرد المركزي في موقع ناتانز[٢٤].

لقد اشارت الكثير من التحـليلات الى ان نجاح ايران ,او أي دولة,في تخصيب اليورانيوم ,يمكن ان يؤدي تلقائيا" الى انتاج السـلاح النووي,وهو استدلال يفتقر الى الدقة,وينطوي على قدر كبير من الاستخفاف بتعقـيدات هذه المسالة,سواء من حيث محدودية التجربة التي قامت بـها ايران,او من حيث ان امتلاك يورانيوم مخصب بنسبة عالية لايعني تلقائيا امكانية تحويله الى سلاح نووي جاهز للتجربة والاستخدام.

ولاتزال هناك مسافة طويلة تفصل بـين ايران وامتلاك القـدرة على انتاج يورانيوم مخصب بنسبة عالية وبكميات ضخمة,يمكن ان تسـتخدم في انتاج الاسلحة النووية,الا ان الاهم من ذلك انه حـتى اذا نجحـت ايران في انتاج يورانيوم مخصب بنسبـة عالية,وبـكميات ضخمة, فان ذلك لايعني ببساطة امكانية تحويله الى سلاح نووي,بالنظر الى التعقـيدات الهائلة التي تحـيط بمسـالتي بـناء الراس النووي وتركيب هذا الراس على وسـائل الايصال.

فيما يتعلق ببناء الراس النووي,فان من الضروري ان يكون حجم وقطر الراس ملائمين للتركيب على الصواريخ البالسـتية التي تمتلكها ايران,ومن المعروف ان معظم هذه الصواريخ هي نسـخ مطورة من الصواريخ

السوفيتية القديمة,سواء كان مصدرها الصين او كوريا الشمالية او التطوير المحلي الايراني,وكان الاتحاد السوفيتي السابق ,ومن بعده روسيا الاتحادية,حريصين تماما على عدم تصدير صواريخ بالستية صالحة لتحميل رؤوس نووية عليها,وانما اقتصرت صادراتهم على صواريخ قادرة على حمل رؤوس تقليدية فقط,حتى الى اقرب حلفائهم واصدقائهم .ويعني ذلك انه برغم التطورات العديدة التي ادخلها الايرانيون على ماالديهم من صواريخ بالستية ذات الاصل السوفيتي,فانه سوف تظل هناك صعوبات جمة في استخدامها كوسائل ايصال للرؤوس النووية.

اما فيما يتعلق بامكانية استخدام الطائرات القتالية كوسائل للايصال,فان من المعروف ان القوات الجوية الايرانية تعاني من صعوبات ناجمة عن انها كانت تعتمد بالكامل على التكنولوجيا الامريكية والغربية في عهد الشاه,الاان قيام الثورة الحق اضرارا" بالغة بهذه القوات.وعلى الرغم من ان ايران حصلت من روسيا منذ بداية التسعينيات على اعداد من الطائرات القتالية الحديثة نسبيا(ميج٢٩)و(تي يو٢٢ام)و(ميج٣١)و(ميج٢٧),الاان حجم السلاح الجوي الايراني وقدراته النوعية مازالتا تتسمان بالمحدودية,حتى بمعايير الخليج والشرق الاوسط.

وحتى بافتراض ان الطائرات القتالية لدى القوات الجوية الايرانية قادرة على حمل القنابل النووية,فان من الضروري اولا" تطوير تكنولوجيا معقدة لحمل هذه القنابل بطرق تحقق الامان والاسقاط السليم,حتى لاتحدث اخطاء كارثية بسبب الكهرباء الاستاتيكية او سوء استخدام اقفال الامان الداخلية للرأس النووية،مما قد يؤدي الى حدوث صدمة اوانفجار(كلي او جزئي) السلاح النووي ذاته,وهو مازال على الارض[٢٥].

المبحث الرابع,البرنامج النووي الايراني والاوضاع الداخلية.

لقد اظهرت قضية البرنامج النووي الايراني مدى قوة الراي العام الايراني وحساسينه فيما يتعلق بالملف النووي,فهو ذات طبيعة مركبة ومعقدة,لان تايبد الرأي العام الايراني لموقف حكومته من هذه المسألة

واستعداده للتصدي لاي عدوان ينجم عن ذلك انما يمثل رصيد قوة للموقف الايراني في معادلة الصراع المحتملة ,بل ان هذا الدعم الداخلي قد يدفع الاطراف الخارجية للامتناع عن تنفيذ خططها العدوانية المحتملة اذا ايقنت انها سوف تؤدي الى نشوء مواقف في الداخل الايراني بصورة معاكسة لما هو مستهدف من مثل هذه الضربات . مثل هذا التوجه من جانب الرأي العام الايراني يعني في واقع الامر ان حدوث تنازلات جوهرية من جانب حكومة طهران,وتخليها عن بعض التوجهات التي ظلت لفترة طويلة تحشد التأييد الداخلي حولها,يمكن ان يتسببا في احباط وردة فعل عنيفة من جانب قطاعات واسعة من الراي العام الايراني ,لاسيما ان هذه المسالة تتزامن مع وضع سياسي داخلي شديد التعقيد,اذ ان قطاعات واسعة من الشعب الايراني حسمت خياراتها لصالح المحافظين بتوجهاتهم المتشددة في المجالات كافة,ومن بينها المجال النووي,ورفضت في المقابل منح دعمها للاصلاحيين بعدما كانت ايدتهم في فترات سابقة,لانهم لم يستطيعوا تقديم بديل حقيقي للقضايا الجوهرية في السياسة الايرانية ومن بينها المسالة النووية.ولن يكون ممكنا– والحال كذلك– للراي العام الايراني ان يقبل بحدوث تنازلات من جانب رئيس حكومة منح تأييده ودعمه الكامل لبرنامجها السياسي,لاسيما في المسألة النووية.غير ان هناك وجهة نظر اخرى ترى ان الداخل الايراني غير ملائم لخوض معركة كبيرة,وتستند وجهة النظر هذه الى تردي الاحوال الاقتصادية في الداخل الايراني ,ذلك ان عائدات النفط الضخمة لن تكون كافية بعد ان ضاعفت التطورات الاخيرة باحالة الملف النووي الى مجلس الامن من مخاوف المستثمرين,مما ادى الى اهتزازات في السوق,لم تسلم من أثارها سائر القطاعات التقليدية للاستثمار المحلي.ويرى بعض المحللين ان الدولة الايرانية قد تستطيع,بسيطرتها الواسعة على الاقتصاد,ان تسد بعض ثغرات انكماش الاستثمار,الا انها ستعجز حتما عن رفد السوق بالمال الكافي لتعزيز الثقة بها,وهو امر سيزداد

سوءا" بعدما فرضت عقوبات دولية على ايران,مما يجعل تاثيرها على جميع قطاعات الاستيراد بلا استثناء.كما ابدت الوكالة الدولية للطاقة الاستعداد لاستخدام احتياطيها الاستراتيجي من النفط للتعويض عما قد يتسبب به وقف التصدير الايراني(٢،٣مليون برميل يوميا"),وكان المدير التنفيذي للوكالة كلود مانديل,قداعلن ان في الوسع تامين التعويض هذا لفترة تتجاوز السنةو النصف؟وفي ضوء هاتين الوجهتين,فان ايران سوف تعمل على تغليب المصالح الاستراتيجية على الاعتبارات الايديولوجية[٢٦].

من جانب اخر يؤكد الرئيس الايراني السابق السيد محمد خاتمي ان ممارسة الضغوط على ايران تؤدي الى زيادة قوة المتطرفين. وجاء تاكيد خاتمي هذا لدى لقائه رئيس الوزراء الياباني (جونيشيرو كويزومي) في طوكيوفي ٢٤اب(اغسطس)٢٠٠٤, ان ممارسة الضغوط على الجمهورية الاسلامية الايرانية فيما يخص برنامجها النووي السلمي سيؤدي الى زيادة قوة المتطرفين.واعرب رئيس المركز الدولي للحوار بين الحضارات عن امله بان يتم تسوية هذا الموضوع في نهاية الامر من خلال الحلول الدبلوماسية.

وشدد الرئيس الايراني السابق في كلمته التي القاها امام جامعة الامم المتحدة في طوكيو، شدد على ان ايران لن ترغب بانتاج الاسلحة النووية. واكد ان الجمهورية الاسلامية الايرانية تصر على حقها في استخدام التقنية النووية لاغراض سلمية بحتة مثل الدول الاخرى, وعدم رغبتها في انتاج اسلحة نووية وذلك لانها ليست بحاجة لها.واوضح خاتمي: انه لاداعي لقلق بعض الدول التي تخشى ان تبادر ايران الى انتاج اسلحة نووية لاسيما وان طهران تنتمي لعضوية معاهدة الحد من انتشار الاسلحة النووية (NPT) ووقعت على البروتوكول الاضافي[٢٧].

كما لعب البرلمان الايراني دورا واضحا في هذه القضية اذ تقدم عدد من النواب المحافظين الذين يسيطرون على أغلبية المقاعد في البرلمان الإيراني

في ٢٨تشرين الاول(اكتوبر) ٢٠٠٤ بمشروع قانون يلزم الحكومة باستئناف تخصيب اليورانيوم ووقف زيارات المفتشين الدوليين المفاجئة للمنشآت النووية الإيرانية.

وكان واضحا إن النواب يريدون أن يعطوا مشروعهم صفة الاستعجال،حيث أكدت النائبة رأفت بيات إنه منذ اليوم الذي تتم فيه الموافقة على المشروع، فالحكومة ستكون ملزماة باستئناف تخصيب اليورانيوم، مشيرة إلى أن المشروع وقعه ٩٣ نائبا من أصل ٢٩٠ نائبا موجودين في البرلمان.

ومع أن مسؤولين حكوميين إيرانيين أكدوا أنه لن يكون بمقدورهم تجاهل هذا المشروع فيما لو وافق البرلمان الإيراني عليه، فإن دبلوماسيين غربيين قللوا من أهمية هذه التصريحات، وعبروا عن قناعتهم بأن الحكومة الإيرانية ستلجأ إلى المشروع البرلماني كورقة ضغط في المفاوضات الجارية مع الأوروبيين حول ملفها النووي.وقالت هذه المصادر إن القيادة الإيرانية ستفرض في نهاية المطاف ما تريده على البرلمان وليس العكس.

وجاء الإعلان عن هذا المشروع عشية استعداد الوفد الإيراني المفاوض للتوجه إلى فيينا لإطلاع المفاوضين الأوروبيين على رد طهران على العرض الذي قدمته باريس ولندن وبرلين لإيجاد تسوية للأزمة الإيرانية النووية.

الجدير بالذكر أن العرض الأوروبي تضمن مطالبة طهران بوقف مفتوح لبرامج تخصيب اليورانيوم، مقابل حصولها على مكاسب اقتصادية، كما أن الأوروبيين عرضوا على إيران منحها مفاعلا نوويا يعمل بالمياه الخفيفة يلبي حاجاتها المدنية إذا أثبتت نواياها السلمية.

فيما اعتبرت إيران أنه لا يزال هناك "الكثير من الغموض" في الاقتراح الأوروبي الذي سيجنبها عقوبات دولية محتملة إذا تخلت عن تخصيب اليورانيوم.وقال المتحدث باسم فريق المفاوضين الإيرانيين حسين موسويان

عشية اجتماع جديد بين الأوروبيين والإيرانيين في فيينا إنه وفقا لهذا الغموض لا يمكن لطهران اتخاذ قرار وستبقى في انتظار رد الأوروبيين على الملاحظات الإيرانية.

وأثناء ذلك اللقاء اجتمع دبلوماسيون ألمان وبريطانيون وفرنسيون مع الإيرانيين للاستماع إلى جواب طهران على الاقتراح الأوروبي المتعلق بتزويدها بالتكنولوجيا المدنية بما فيها مفاعل أبحاث يعمل بواسطة المياه الخفيفةوكشرط مسبق سيكون على طهران أن تثبت أنها لا تسعى إلى امتلاك السلاح الذري، وذلك عبر البدء بتعليق الأنشطة المرتبطة بتخصيب اليورانيوم حتى أجل غير مسمى.

في هذا الصدد قال موسويان إن الطرف الإيراني سيعرض وجهات نظره بشأن عرض الأوروبيين, ولكنه دعا إلى أن يكون هذا العرض متوازنا "وأن تكون الضمانات والتعهدات وإجراءات الثقة متبادلة."

وأكد المسؤول الإيراني ضرورة أن تكون طبيعة التعاون محددة وأن تكون هناك ضمانة لتطبيق نتائج المفاوضات. وأضاف "إذا قبل الأوروبيون مبادئنا ومعاييرنا فلن أكون متشائما بشأن احتمال التوصل إلى تسوية, لكننا بحاجة أيضا إلى اجتماعات عدّة "واضاف إن فترة التفاوض ينبغي أن تكون غير محددة, مشيرا إلى حاجة المتفاوضين لبضعة أشهر من المحادثات حتى يتضح هل يمكن التوصل إلى تسوية أم لا.

وتريد واشنطن أن ترفع القضية إلى مجلس الأمن الدولي تمهيدا لفرض عقوبات دولية على إيران, في حين أن فرنسا وألمانيا وبريطانيا تفضل طريق الحوار مع طهران .وعد الأوروبيون هذه المفاوضات بمثابة "الفرصة الأخيرة" قبل الدورة المقبلة للوكالة الدولية للطاقة الذرية في ٢٥ تشرين الثاني(نوفمبر) ٢٠٠٤ في فيينا. وسيكون على الوكالة التابعة للأمم المتحدة أن تحدد عندئذ ما إذا كانت سترسل الملف الإيراني إلى مجلس الأمن.

وبعد فشل المفاوضات مع الاوربيين احيل الملف الايراني الى مجلس

الامن وصدر القرار ١٧٤٧ الذي فرض عقوبات اقتصادية مشددة على ايران و وصفت الخارجية الإيرانية قرار مجلس الأمن بفرض عقوبات على طهران بأنه غير قانوني ويأتي خارج صلاحيات المجلس.

وصرح مسؤول إيراني للتلفزيون الرسمي بأن إيران ستواصل – رغم العقوبات– برنامجها النووي ومشروع تركيب ثلاثة آلاف جهاز طرد مركزي في مصنع لتخصيب اليورانيوم.واتهمت إيران مجلس الأمن باستخدام معيار مزدوج في فرض عقوبات على ما قالت إنه برنامج نووي سلمي لطهران في حين يتجاهل الترسانة النووية لإسرائيل.

واكد السفير الإيراني لدى الأمم المتحدة جواد ظريف إن "من دفعوا المجلس لاتخاذ إجراءات عقابية بلا أساس ضد إيران هم أنفسهم الذين منعوا المجلس بصورة منتظمة من دفع النظام الإسرائيلي لإخضاع نفسه لقواعد منع الانتشار النووي".وأشار ظريف إلى تصريحات رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت الذي ذكر لأول مرة في مقابلة مع تلفزيون ألماني أن بلاده تمتلك أسلحة نووية.

في هذه الاثناء كان البرلمان الايراني(مجلس الشورى) يعد مشروع قانون يلغي الاتفاق المبرم في طهران في اكتوبر (تشرين الاول) ٢٠٠٣ مع دول الترويكا الاوروبية، وهي بريطانيا وفرنسا وألمانيا، والذي وافقت طهران بموجبه طواعية على وقف تخصيب اليورانيوم. وحذر رئيس لجنة الطاقة بالبرلمان كمال دانشيار من أن إيران ستلغي التزامها بمعاهدة حظر الانتشار النووي إذا واصل الاتحاد الاوروبي والولايات المتحدة تهديداتهما. وحذر شكر الله عطار زاده نائب رئيس لجنة الطاقة من أنهم ربما يستخدمون النفط كسلاح سياسي في مواجهة العقوبات المحتمل فرضها على ايران بسبب برنامجها النووي. وقال »إذا فرضت عقوبات على إيران بطريقة تهدد مصالحها الوطنية فإنه يتعين حينئذ استخدام النفط كأداة سياسية وفي٧كانون الاول(ديسمبر)٢٠٠٦مجددا" بحث قانون يجبر الحكومة على

إعادة النظر في تعاونها مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، بعد تبني مجلس الأمن قرارا ينص على فرض عقوبات على طهران.

وفي المناقشات طالب بعض النواب بتشديد القانون لمنع وجود مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية في إيران. وتطلب الصيغة الحالية من الحكومة مراجعة التعاون بين إيران والوكالة بما يتيح لها حرية اتخاذ قرار. وقبل الجلسة الرسمية للمجلس عقد النواب جلسة مغلقة بحضور وزير الخارجية منوشهر متقي للبحث في قرار مجلس الأمن بشأن البرنامج النووي الإيراني.

في السياق نفسه كررت إيران تهديداتها بأنها مستعدة لاستخدام صادراتها الكبيرة من النفط سلاحا للدفاع عن نفسها إذا رأت أن ذلك ضروري في النزاع الدولي بشأن برنامجها النووي. وقال وزير النفط الإيراني كاظم وزيري هامانه إن بلاده ستستخدم أي سلاح للدفاع عن نفسها إذا لزم الأمر. ودعا الدول الأوروبية لمنع صدور قرارات غير مناسبة إذا أرادوا أن يستمر تدفق النفط الإيراني، إلا أن الوزير أضاف أن رابع أكبر منتج للنفط في العالم يفضل ألا يلعب بورقة النفط.

فيما يرى بعض الخبراء أن حكومة محمود أحمدي نجاد قد تقرر وقف صادرات النفط الإيراني تماماً أو تخفيضها رداً على عقوبات مجلس الأمن أو على غارة جوية أمريكية على منشآتها النووية. ويستشهد هؤلاء الخبراء بتصريحات المسؤولين الإيرانيين خلال الأشهر الماضية, التي تضمنت تهديدات صريحة بوقف الإمدادات النفطية، كما يستشهدون بأن الحكومة الحالية تحاول العودة بإيران إلى الحقبة الخمينية عندما قرر الإمام آية الله خميني تخفيض الإنتاج الإيراني من ستة ملايين برميل يومياً قبل الثورة الإسلامية إلى ٣,٥ مليون برميل يومياً في فترة ما بعد الثورة حتى لا تؤدي زيادة الأموال إلى إفساد [٢٨]الواقع يشير إلى أنه ليس من صالح الحكومة الإيرانية، تحت أي ظروف، استخدام سلاح النفط. لانه سيكبد إيران خسائر فادحة وسيسبب لها مشاكل متعددة منها:- [٢٩].

١ – احتمال انهيار الحكومة بسبب توقف أو انخفاض إيرادات النفط.

إيران هي البلد الوحيد ضمن أكبر الدول المنتجة للنفط التي ما زالت تعاني عجزا كبيرا في ميزانيتها،التي قد تصل إلى ١٢ مليار دولار. ويعود ذلك إلى برامج الإعانات التي تستهلك جزءاً كبيراً من الموازنة، خاصة إعانات المشتقات النفطية والمواد الرئيسة والإسكان. وقد أجبر ارتفاع أسعار النفط الحكومة الإيرانية على سحب مبلغ ٢,٦ مليار دولار من صندوق التوازن، وذلك لأنها رفضت رفع أسعار المحروقات لاقتناعها بأن ذلك سيؤدي إلى مظاهرات وقلاقل سياسية في جميع أنحاء البلاد. ويشير استخدام الحكومة الإيرانية أموال الصندوق في فترة الأسعار المرتفعة إلى عمق المشاكل الاقتصادية في إيران ومدى الصعوبات التي تواجهها الحكومة في الوفاء بمتطلبات الشعب الإيراني، خاصة أن مستوى البطالة وصل إلى ١٤ في المائة، وتجاوز أكثر من ٢٠ في المائة ضمن الشباب. فإذا كانت الحكومة تخاف من مظاهرات بسبب ارتفاع أسعار المحروقات، فما الذي سيحدث لو توقفت صادرات النفط التي تمول ٩٠ في المائة من الإنفاق الحكومي؟ لذلك فإنه ليس من صالح الحكومة الإيرانية وقف صادرات النفط حتى لساعة واحدة.

٢ – انخفاض إنتاج النفط الإيراني بسبب انسحاب رأس المال الأجنبي.

إذا قامت إيران بتخفيض صادراتها النفطية فإن إنتاجها المستقبلي سينخفض بسبب تخفيض شركات النفط العالمية العاملة في إيران استثماراتها من جهة، وعزوف الشركات الأخرى عن الاستثمار في المشاريع الإيرانية الجديدة. فكيف يمكن للشركات الأجنبية العاملة في إيران أن تسترجع رأسمالها أو تحقق أرباحاً إذا منعت من الإنتاج والتصدير؟

فالواقع الإيراني صعب للغاية: الحكومة موجودة بسبب الدعم الشعبي، الشعب يعتمد على الإعانات الحكومية، الإعانات الحكومية تمولها عوائد

صادرات النفط، استمرار العوائد يتطلب استمرار إنتاج النفط، لكن معدلات النضوب في الحقول الإيرانية عالية، الأمر الذي يخفض الإنتاج باستمرار. لذلك فإن إيران بحاجة ماسة إلى الاستثمار الأجنبي، ليس لزيادة الطاقة الإنتاجية فحسب، وإنما لمنع الإنتاج الإيراني من الانخفاض. إن هذه المشكلة هي التي دفعت الحكومة الإيرانية إلى توقيع عقود نفطية بمليارات الدولارات مع عدة شركات عالمية.

وتشير بعض التقارير إلى أن إيران بحاجة إلى استثمار مليار دولار سنوياً لمنع إنتاج إيران من الانخفاض، وأكثر من ١,٥ مليار سنوياً لزيادة طاقتها الإنتاجية. إن الاستثماز الأجنبي في إيران هو أحد الأسباب الرئيسة لاستقرار الحكم في إيران. من هذا المنطلق قررت الحكومة الإيرانية في خطتها الخمسية استثمار ٧٠ مليار دولار في القطاع النفطي على أن يغطي الاستثمار الأجنبي ٦٠ في المائة منها. كيف يمكن لإيران أن تجذب هذه الأموال الهائلة إذا قررت تخفيض الإنتاج أو وقفه؟. إذا قامت إيران بتخفيض الإنتاج، ماهي الشركات الأكثر تضرراً في هذه الحالة؟ هل ترغب إيران فعلاً في إيذاء الشركات الصينية والروسية، والصين وروسيا عضوتان في مجلس الأمن؟

٣-خسارة زبائنها المخلصين.

تعلمت إيران درساً قاسياً في الخمسينيات بعد تأميم محمد مصدق صناعة النفط في إيران وطرد البريطانيين منها. فقد تم التأميم دون تجهيز كادر إيراني ليحل محل العمال البريطانيين، ودون تملك إيران ناقلات النفط اللازمة لنقل النفط الإيراني إلى الأسواق. نتج عن ذلك وقف صادرات النفط الإيرانية تماماً وخسارة إيران زبائنها. ولما عاودت إيران التصدير، وجدت أن زبائنها قد وقعوا عقوداً طويلة الأجل مع دول أخرى. حاولت حكومات الثورة الإسلامية المتعاقبة خلال الـ ٢٩ سنة الماضية إقناع الدول الأوروبية والآسيوية بأنها شريك نفطي آمن ومستقر يمكنهم

الاعتماد عليه، فهل تقوم الحكومة الحالية بالتضحية بكل هذه الجهود وبمستقبل النفط الإيراني عن طريق استخدام النفط سلاحا؟.

4-تحسن وضع الدول العربية المجاورة على حسابها.

رغم تحسن العلاقات الدبلوماسية بين إيران ودول مجلس التعاون الخليجي في السنوات الأخيرة، إلا أن الواقع يشير إلى أن آخر ما ترغبه إيران هو تحسن الأوضاع الاقتصادية والسياسية والعسكرية في هذه الدول على حسابها. فإذا قامت إيران بتخفيض الإنتاج أو وقفه فإن دول الخليج ستستفيد بشكل كبير من ارتفاع الأسعار وزيادة الإنتاج. في الوقت نفسه ستظهر هذه الدول بأنه يمكن الاعتماد عليها في وقت الأزمات كمصدر مهم للنفط. إضافة إلى ذلك فإن الزيادة الكبيرة في إيرادات هذه الدول من جراء تخفيض إيران صادراتها ستمكن هذه الدول من شراء أسلحة متقدمة، الأمر الذي يتنافى مع المصالح الإيرانية.

٥-خسارة دعم الدول النامية.

تحظى إيران، بشكل مباشر أو غير مباشر، بدعم الدول النامية بشأن برنامجها النووي، خاصة أنها تظهر بمظهر الضحية، مثلها مثل بقية الدول النامية. فإذا قامت إيران بتخفيض صادرات النفط فإن هذا سيرفع أسعار النفط بشكل يؤثر سلبياً في اقتصادات هذه الدول، الأمر الذي سيجعل هذه الدول تقف ضد إيران، خاصة أن إيران ليس لديها الموارد المالية لتعويض هذه الدول عن خسائرها من جراء ارتفاع أسعار النفط. إذا أضفنا إلى ذلك أثر الإعلام الأمريكي والمعونات الأمريكية لبعض هذه الدول فإننا سنجد أن إيران ستظهر بمظهر العدو بسبب استخدام سلاح النفط، مع أنها كانت تحظى بعطف هذه الدول قبل استخدامه .

٦-المعاناة من أزمة طاقة خانقة

على الرغم من أن إيران من أكبر مصدري النفط الخام في العالم إلا أنها تعاني شحا كبيرا في المشتقات النفطية. نظرا لخطورة الأمر فإن بعض الخبراء الإيرانيين يطلقون على مشكلة البنزين "القنبلة الموقوتة". لتغطية

هذا العجز تقوم الحكومة الإيرانية باستيراد كميات لا بأس بها من المنتجات النفطية، بما في ذلك خمسة ملايين برميل من البنزين شهرياً، إضافة إلى كميات من الغاز الطبيعي من دول وسط آسيا، خاصة تركمانستان، وتدفع ثمنها وفقاً للسعر العالمي ثم تبيعها للإيرانيين بأسعار مخفضة. إذا قامت إيران بتخفيض صادراتها النفطية انتقاماً لفرض مجلس الأمن عقوبات عليها، أو رداً على غارة جوية، فإن الدول الأخرى ستعاملها بالمثل وستتوقف عن تصدير المشتقات النفطية والغاز إلى إيران، الأمر الذي سيؤدي إلى أزمة طاقة لا تحمد عقباها. حتى لو لم تقم الدول الأخرى بوقف صادرات المشتقآت النفطية إلى إيران، فإن الحكومة الإيرانية قد تعجز عن شراء هذه المشتقآت بسبب انخفاض الإيرادات الحكومية في الوقت الذي سترتفع فيه أسعار هذه المشتقات بشكل كبير.

٧-انهيار سوق النفط المستقبلية في إيران.

قررت إيران افتتاح سوق نفط مستقبلية باليورو. ونجاح هذه السوق يعتمد اعتماداً كلياً على استمرار الصادرات الإيرانية من جهة، واستمرار هذه الصادرات في النمو من جهة أخرى. إن أي تخفيض أو وقف للإنتاج سينهيان التعامل في هذه السوق، الأمر الذي سيكبد إيران خسائر مالية كبيرة، كما أنه يعتبر هزيمة سياسية للحكومة الحالية. لذلك فإن أي تخفيض للإنتاج ليس في صالح الحكومة الحالية.

٨-انهيار مشروع أنبوب الغاز إلى الباكستان والهند

قامت الحكومة الإيرانية الحالية بتسريع عمليات المفاوضات بينها وبين الهند وباكستان بشأن أنبوب الغاز الممتد من إيران إلى هاتين الدولتين لما لهذا المشروع من منافع اقتصادية وسياسية للحكم الحالي. فالمشروع سيضمن سوقاً متنامية للغاز الإيراني، وسيضمن مليارات الدولارات سنوياً للحكومة، وسيعزز قدرة إيران التفاوضية، سواء في المجالات السياسية أو الاقتصادية. حاولت الولايات المتحدة الضغط على الهند

لوقف المشروع لكن محاولاتها باءت بالفشل بسبب حاجة الهند الماسة إلى الغاز. وأعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش خلال زيارته للهند، وبشكل مفاجئ، أن الولايات المتحدة لن تعارض هذا المشروع. فالمشكلة الحقيقية التي تواجه المشروع لا تتمثل في المعارضة الأمريكية، ولكن في مدى مصداقية الحكومة الإيرانية في التعامل مع شركائها. إن تخفيض الصادرات النفطية أو وقفها سيجعل كلا من الباكستان والهند تصرفان النظر عن المشروع، كما أن انخفاض الإيرادات النفطية لن يمكن الحكومة الإيرانية من تمويل الجزء الخاص بها من هذا المشروع.

٩-أثر التخفيض بسيط ولكن يغير من مواقف الدول الأخرى

لن يؤثر تخفيض صادرات النفط الإيرانية في أسواق النفط بشكل كبير فإذا أوقفت إيران كل صادراتها البالغة ٢,٥ مليون برميل يومياً، فإن الدول الأعضاء في وكالة الطاقة الدولية تستطيع استخراج مليوني برميل يومياً من احتياطيها الاستراتيجي ولعدة أشهر، كما أن المخزونات التجارية وحدها كافية لتغطية العجز في أسواق النفط العالمية لفترة تتجاوز ثلاثة أشهر. وفي الفترة نفسها ستتمكن دول "أوبك" من إضافة نحو مليون برميل يومياً، هذا يعني إضافة أكثر من ثلاثة ملايين برميل يومياً في الوقت الذي يبلغ فيه الانخفاض ٢,٥ مليون برميل يومياً فقط.

فالولايات المتحدة لن تتأثر مباشرة لأنها لا تستورد أي نفط إيراني، كل ما في الأمر أنها ستعاني ارتفاعا في أسعار النفط لكن الولايات المتحدة قد تستخدم الاحتياطي الاستراتيجي لتخفيض الأسعار. هذا الاحتياطي يغطي وحده كل الصادرات الإيرانية لمدة تسعة أشهر .اعتماد إيران على صادرات النفط أكبر بكثير من اعتماد أي دولة في العالم على واردات النفط الإيرانية، لذلك فإن الدول الأوروبية والولايات المتحدة تستطيع العيش دون النفط الإيراني، ولكن هل تستطيع الحكومة الإيرانية البقاء أسبوعاً واحداً دون صادرات نفطية؟.

إن المسوغات السابقة لعدم استخدام النفط سلاحا لا يعني أن إيران لن تستخدمه. فاحتمال استخدامه وارد، خاصة إذا كان القرار عاطفياً أو يهدف إلى تحقيق أهداف قصيرة المدى. في كثير من الأحيان، المنطق آخر ما يفكر به السياسيون, فتخفيض الإمام الخميني الإنتاج الإيراني في فترة ما بعد الثورة لم يكن منطقيا من الناحية السياسية والاقتصادية، ومع ذلك تم تخفيض الإنتاج. احتلال الولايات المتحدة العراق لا يدعمه أي منطق، ومع ذلك قامت الولايات المتحدة باحتلال العراق.

خلاصة الأمر أن استخدام إيران سلاح النفط سيرتد عليها، وقد يؤدي إلى سقوط الحكومةفي النهاية لذلك فإن استخدام إيران سلاح النفط عملية انتحارية سيرحب بها الامريكيون .

المبحث الخامس,المخاطر التي تواجه البرنامج النووي الايراني

وفي الجانب العسكري تبرز قضية مدى امكانية توجيه ضربة امريكية واسرائيلية لايران,المعلومات المتوافرة لدى كلا الطرفين تؤكد ان توجيه ضربة للمنشآت النووية الايرانية امر ليس سهلا",ولن يحقق اغراضه,لان الايرانيين بنوا استراتيجيتهم على اساس انهم سيتعرضون لضربات من الطرفين بسبب كثرة التصريحات التي قيلت في هذا الشأن,ولهذا قاموا ببناء المحطات والمنشآت النووية في اماكن كثيرة ومختلفة,وكثير منها تحت الارض ويصعب ضربه الا بتعليمات معقدة وامدادات لوجستية باهظة التكاليف,يضاف الى ذلك ان لدى كل الاطراف معلومات مؤكدة بان ايران قادرة على اعادة بناء ذلك في اقل من ستة اشهر بعد ان تكون قد ردت ردا" موجعا" لكلا الطرفين.يضاف الى ماسبق ايضا" ان الثمن الذي سيدفعه الطرفان باهظ جدا",فلدى ايران انواع من الصواريخ متعددة الاغراض والمهام,ابرزها بالطبع صاروخ شهاب-٣ الايراني الصنع الذي يصل مداه الى اكثر من ٢٠٠٠كم,واسرائيل تعرف جيدا" انه يصل الى تل ابيب وانه

مجهز لحمل رؤوس نووية وكيماوية وبيولوجية,كما ان اسرائيل لديها معلومات بان ايران اشترت اسلحة نووية عندما تفكك الاتحاد السوفيتي,لان اسرائيل نفسها اشترت من نفس السوق,ولهذا,فان المحللين السياسيين والعسكريين يرون ان توجيه ضربة اسرائيلية لايران ليس عملية سهلة,ولو كان كذلك لفعلته منذ زمن طويل,كما فعلت ذلك مع مفاعل تموز العراقي الذي سوته بالارض عام ١٩٨١,اضافة الى اوراق ايران الاخرى في لبنان وفلسطين وغيرها.اما عن قيام الولايات المتحدة بتوجيه ضربة,فايران تقول في هذه الحالة ان اكثر من ١٤٠ الف جندي امريكي في العراق سيصبحون رهائن لدى ايران,لانهم محاصرون من كل جانب بالشيعة وهم تحت النيران الايرانية.ويتضح مما سبق ان توجيه ضربة عسكرية امريكية لطهران سيكون اخر الخيارات الامريكية في حالة فشل كل المساعي الدبلوماسية لتسوية الازمة.

فالرسالة التي تحاول القيادة الايرانية ايصالها الى الغرب مفادها انها لاتخشى خيار الحرب وانها مستعدة له وواثقة من الانتصار,وبالفعل تستعد القوات الايرانية لحرب غير متكافئة مبنية على تكتيكات واستراتيجية حرب غير تقليدية.وتستطيع ايران في حال المواجهة العسكرية ان تفتح خمس جبهات هي: الجبهة البحرية في مياه الخليج العربي,وجبهة الفضاء عبر الصواريخ البالستية,والجبهة البرية عبر حدودها مع كل من العراق وافغانستان,والجبهة الخلفية في عمق بعض دول المنطقة والعواصم الغربية عبر تنظيمات او خلايا استخباراتية نائمة,والجبهة الاسرائيلية بواسطة حزب الله والمنظمات الفلسطينية وسوريا[٣٠].

الا ان رئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام في ايران يرى غير ماتقدم بقوله:" أنا أستبعد أن تتعرّض إيران لضربة عسكرية ببساطة، لأن ذلك يرجع الى أن الثورة الإسلامية في إيران استطاعت إخراج الأميركان من

إيران في العام ١٩٧٩، بالاعتماد على الشعب والمساجد فقط، فكيف يمكن للدول الغربية الانتصار الآن في ظل القوة الكبيرة التي تمتلكها الجمهورية الإسلامية؟"[٣١].

وقد تكون تصريحات وزير الدفاع الامريكي في الاتجاه نفسه مع اختلاف واضح في النوايا,اذ يؤكد روبرت غيتس ان الغرض من الحشد العسكري الامريكي في منطقة الخليج توجيه رسالة الى الاصدقاءو"الاعداء المحتملين"على السواء,ولكنه رفض بشدة وجود اية نية للادارة الامريكية باستهداف ايران.وقال غيتس بالحرف الواحد(ردا على مخاوف الكونجرس من ان الادارة تنوي توجيه ضربة عسكرية الى طهران,في ضوء الخطاب المتشدد الذي دأبت على استخدامه في الفترة الاخيرة وقرارها بارسال حاملة طائرات ثانية الى مياه الخليج):"نحن لانخطط لخوض حرب مع ايران."

واعترف غيتس بان تكثيف الحشود البحرية في الخليج,اضافة الى تصاعد الجهود الموجهة ضد الشبكات الايرانية التي تهرب الاسلحة الى العراق,قد زاد من التكهنات القائلة بأن واشنطن تنوي مهاجمة ايران.ولكنه اضاف:"الحقيقة هي ان الغرض من التحشيد هو توجيه رسالة الى اصدقائنا في المنطقة والى اعدائنا المحتملين كذلك مفادها ان الولايات المتحدة تعتبر استقرار منطقة الخليج في صلب المصالح الامريكية الحيوية.هذا هو الحال منذ عقود طويلة,وفي ظل عدد كبير من الرؤساء.نحن نريد التاكيد لاصدقائنا انهم يستطيعون الاعتماد علينا للدفاع عن مصالحنا ومصالحهم ايضا[٣٢] الا ان هذا الموقف لم يمنع الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد من التحذير من عواقب توجيه أي ضربة عسكرية إلى بلاده معتبرا أن الرد الإيراني سيكون "قاسياً وسيدفعهم للندم",وتمسك الرئيس الإيراني في الوقت عينه بحق بلاده في استخدام الطاقة النووية وأكد أن الدول الكبرى تعلم بأنها غير قادرة على منع بلاده من امتلاكها. وكان الرئيس الايراني يتحدث في العاصمة الإماراتية أبوظبي التي وصلها بوصفه أول رئيس إيراني يقوم

بهذه الخطوة قال في لقاء مع الصحفيين رداً على استفسار حـول ردة الفعل المرتقبة لطهران في حال تعرضها لهجوم "الأمر غير وارد وهم يعلمون أنه حال ارتكاب مثل هذه 'الخطيئة' فإن الرد الإيراني سيكون قاسياً وسـيدفعهم للندم."وأضاف نجاد، الذي تحـدث بالفارسـية فيما تولى أحـد المترجمين ترجمة كلامه، أن الطموحات النووية لبلاده "أمر مشروع" وأكد أن طهران تعمل في إطار القانون والضوابط للاستفادة من حق امتلاك هذه الطاقة التي وصفها بأنها "سلمية" وأن "الظروف" تساعد على مواصلة السير بها حـتى النهاية.وتوجه نجاد إلى "الدول الكبرى" قائلاً إنها "لن تحـول" دون امتلاك إيران للطاقة النووية، وأردف "إذا قرروا توجيه ضربة لإيران، أقول بحزم إن هذا العهد ولي ولن يسـتطيعوا توجيه ضربـة لنا، والشـعب الإيراني قادر على الدفاع عن نفسه بكل صلابة[٣٣].

وبالرغم من كل ماتقدم تبرز حقيقة ان الموقف الايراني في التصعيد يسـتند الى عدة اوراق,هي:- [٣٤]

الورقة الاولى:ان لدى ايران جيشا"عقائديا" يصل تعداده لاكثر من نصف مليون جندي,والاكثر من هذا ان لدى ايران من قـوات الحـــرس الثوري والمتطوعين قرابة العشرة ملايين جندي.

الورقة الثانية:اوشكت ايران على انتاج صاروخ شهاب-٤ الذي يستطيع الوصول الى واشنطن ويستطيع ان يحمل اقمارا"الى الفضاء, وايران تعلم ان اضعف نقطة في التسـليح الامريكي في الخليج هو سـلاح البحـرية,ولهذا اشـترت احـدث الغواصات الروسـية,التي يمكن ان تسـتخدم الاسلحـة النووية,ونجحت ايران في تصنيع فرقاطات بحرية.ولهذا,قال علي شمخاني ان بوسع ايران في ربـع سـاعة ان تحـول الخليج الى قـطعة نار,وعندما احتجزت ايران الزوارق البـريطانية في الخليج كانت رسـالة موجهة الى الجميع.

الورقـــة الثالثة:ان ايران تسـيطر على مضيق هرمز الذي يمر

فيه ٤٠%من البترول العالمي,وانها تستطيع ان تغلقه تماما,كما ان ايران يمكن ان توقف ضخ بترولها في حال تعرضها لاي اعتداءات ,وهو ما تلوح به بعد احالة ملفها النووي الى مجلس الامن.

الورقة الرابعة:لدى ايران علاقات اقتصادية قوية مع كل من روسيا والصين,ويكفي ان اخر صفقة تمت بين ايران والصين وكذلك مع الهند,بلغت ١٢٠مليار دولار,الا ان روسيا والصين قد تقدمان تنازلات للجانب الامريكي اذا ما ارتأتا ان مصالحهما قد تتعرض للاضرار من جانب الولايات المتحدة الامريكية.

الورقة الخامسة:طبيعة الوضع الدولي الراهن,ووضع الولايات المتحدة في كل من افغانستان والعراق,وكم الخسائر المادية والبشرية التي لحقت بها وتدهور سمعتها الدولية.

وفي مواجهة التهديدات المتزايدة,بدأ الحرس الثوري الايراني مناورات جوية وبحرية في منطقة الخليج استخدم فيها الصواريخ,وتاتي وسط تصاعد التوتر بشأن البرنامج النووي الايراني. واستمرت تلك المناورات على مدى يومين في منطقة الخليج وبحرعمان ,وقد اطلق على المناورات البحرية اسم(رعد)واستهدفت تعزيز قدرات الدفاع وجاهزية الوحدات البالستية للقوات البحرية لحرس الثورة.اما المناورات الجوية التي اطلق عليها اسم(الصاعقة)واستهدفت تعزيز القدرات العملياتية والدفاعية للقوات المسلحة,واختبار معدات حديثة لمراقبة القدرات البالستية للعدو والصواريخ الايرانية.[٣٥] كما اختبرت ايران فيها بنجاح صاروخ ارض بحر يبلغ مداه ٣٥٠كم ,واكد مساعدقائد سلاح الجو في الحرس الثوري علي فدوي(اختبرنا بنجاح صاروخا" عابرا" اطلق عليه اسم رعد),واوضح ان هذه الصواريخ يمكن ان تضرب انواعا" مختلفة من السفن الكبيرة في الخليج وبحر عمان وشمال المحيط الهندي.ويمكن ان تنقل شحنة تزن ٥٠٠كغم وتحلق على ارتفاع منخفض وتتجنب الرادارات.

ومن الواضح ان هذه المناورات والتجارب الصاروخية هي لاثبات ان ايران قادرة على مواجهة أي تهديدات محتملة,ومن ضمنها تجربة ناجحة

لنظام دفاعي روسي جديد مضاد للطيران(تور ام ١),بعد اقل من شــهر من تسلمه من موسكو[٣٦].

ثانيا"- على المستوى الدولي.

البرنامج النووي ومعاهدة الحد من الانتشار النووي.(NPT)

اضحى البرنامج النووي الايراني مثيرا" للجدل,بالرغم من ان برامج الطاقة النووية المدنية,مسموح بها صراحة ضمن بنود معاهدة(NPT) حيث اثيرت ادعاءات بان ايران قد تحركت نحو بــرنامج للاسلحــة النووية في خرق لمعاهدة.(NPT)في حين تؤكد الحكومة الايرانية بان الطاقــة النووية هي احدى السبــل لتحــديث وتنويع مصادر طاقــتها الى جانب مخزوناتها الكبــيرة من النفط والغاز,وهي القـضية التي يتفق عليها كل السياســيين والحكومة والشعب,بانه يجب ان تطور ايران صناعتها النووية السلمية.

اذأ ان هناك شكوك دولية حــول امكانية اســتخدام ايران للتكنولوجيا النووية,وبــالرغم من ان ايران عضو في معاهدة الحـــد من الانتشـــار النووي,(NPT)وقد صدقت عليها عام ١٩٧٠,الا ان الوكالة الدولية للطاقة الذرية,(IAEA)تشـــير الى ان عدم التعاون الايراني مؤخرا" يجعل من المستحيل اجراء تفتيش مناسب للتاكد من ان التكنولوجيا النووية لم تحــول لاستخدامها في صنع اسلحة,ولابد ان هذه الاشارة تجاهلت تذكر ان المرشد الاعلى اية الله علي خامنئي قـــد اصدر فتوى تقـــول ان انتاج وتخزين واستخدام الاسلحة النووية محرم في الاسلام.

وبالتاكيد ,ان أي استخدام خارج انتاج الطاقــة الســلمية,يعد خرقــا" لمعاهدة(NPT)التي صدقتها ايران في عام١٩٧٠,وقــد عبــر العديد من الزعماء الايرانيين قبــل الثورة عن دعمهم لهذا التوجه,وهذا مايعبــر عنه. مثلا" اردشـــير زاهدي الذي ادخل ايران في معاهدة(NPT)خلال العهد البــهلوي,في مقابــلة معه في ايار ٢٠٠٦,اذ قــدم دعمه للبــرنامج النووي الايراني,واصفا" اياه بانه(حق لايران لايمكن التنازل عنه)[٣٧].

هوامش الفصل الثالث

١-ينظر بالتفصيل في هذا الموضوع:- محمد السعيد عبد المؤمن.قراءة في الرؤية النووية للزعيم خامنئي.المصدر(www.ALBAINAH.com-:

٢-وللمزيد من التفاصيل ينظر:- خامنئي يؤكد حق بلاده في تطوير تكنولوجيا نووية١١/١٠/٢٠٠٦.المصدر. www.bbcarabic.com-:

٣-حول دور الرئيس الايراني ورؤيته لهذه القضية وتطورها ينظر بالتفصيل:- علي المليجي علي"معدا".الملف النووي الايراني,ظروف التصعيد وسيناريوهات المستقبل.مجلة كلية الملك خالد العسكرية.العدد ٨٣بتاريخ١/١٢/٢٠٠٥

٤-انظر:- تعليق:الرئيس الايراني الجديد.بتاريخ٦/٥/٢٠٠٧(وعلى الموقع دوتش فيليه).

٥-جريدة الشرق الاوسط.العدد٩٩٩٧.بتاريخ١٢/٤/٢٠٠٦ .

٦-انظر :نيفين عبد المنعم مسعد.صنع القرار في ايران والعلاقات العربية - الايرانية.مركز دراسات الوحدة العربية.بيروت.نيسان٢٠٠١.ص١٠٣- ١٠٤ .

٧- لاريجاني يتصرف كوزير خارجية...ويصول ويجول,صراع مخفي بين الخارجية والامن القومي١١/٥/٢٠٠٧..المصدر:- الجيران نت.

٨-علي المليجي علي"معدا".مصدر سابق.

٩-التحولات العالمية والتنافس الدولي على آسيا الوسطى .في محمد السيد سليم (محرارا).اسيا والتحولات العالمية.مركز الدراسات الاسيوية.جامعة القاهرة.١٩٩٨.ص ٣٣٨-٣٤٠.ايضا: حسام سويلم.البرنامج النووي الايراني....اختبار حاسم للرئيس الايراني الجديد.مختارات ايرانية.العدد٦١.اغسطس٢٠٠٥.المصدر. www.ALBAINAH.net-:

10-Nuclear program of iran.op.cit.p.9

١١ -عاطف عبد الحميد.الحجج النفطية في برنامج ايران النووي.٣٠/٣/٢٠٠٦

١٢-في عام ١٩٠٨ اكتشف النفط الإيراني ونشأت معه واحدة من كبريات شركات النفط في العالم وهي شركة بريتش بتروليوم، ولعب النفط الإيراني دورا حيويا في الاقتصاد البريطاني، وبصفة خاصة في الحرب العالمية الثانية

وذلك قبل أن يتم تأميم القطاع النفطي وتصبح شركة النفط الوطنية الإيرانية أولى شركات النفط في الشرق الأوسط عام ١٩٥١.وتصاعدت أهمية النفط الإيراني خلال ٥٠ سنة الماضية وتشابكت أدواره منذ السبعينيات مع وضع اللبنات الأولى للبرنامج النووي.عن تاريخ وبداية انتاج النفط الايراني وتطوره ينظر:د.عبد المنعم عبد الوهاب.النفط بين السياسة والاقتصاد.وكالة المطبوعات.الكويت.ص٧٨-٨١.وعن اهم الحقول النفطية الايرانة.نفس المصدر:-٨١- ٨٢ .

١٣-الغاء مباحثات اوربا وايران حول النووي٢٣/٨/٢٠٠٥.اسلام اون لاين.نت.

١٤-احمد ابراهيم محمود. البرنامج النووي الايراني:التطور والدوافع والدلالات الاستراتيجية.مصدر سابق. ص ٣١٥ .

١٥-ايران تهدد باستخدام سلاح النفط ضد الغرب.جريدة الشرق الاوسط.العدد٩٧٥٦.بتاريخ١٤/٨/٢٠٠٥ ..

١٦-د.فهد مزبان خزار.الملف النووي الايراني وارتفاع اسعار النفط:رؤية تحليلية استشرافية.الملف الاقتصادي.مركز الدراسات الايرانية.جامعة البصرة.عدد١٣شباط٢٠٠٧.ص٥-٧ .

١٧-خامنئي يهدد بقطع امدادات النفط اذا هوجمت بلاده.جريدة الحياة.العدد١٥٧٦٧.بتاريخ ٥/٦/٢٠٠٦.

١٨-د.فهد مزبان خزار.مصدر سابق.ص٥-٧ .

١٩-نووي ايران يرفع النفط الى٦٩دولارا للبرميل ١٢/٥/٢٠٠٦ .المصدر -: www.bbcarabic.com.

٢٠-جريدة الحياة.العدد١٥٧٢٦.بتاريخ٢٥/٤/٢٠٠٦ .

٢١-جريدة الحياة.العدد١٥٧٦٧.بتاريخ٥/٦/٢٠٠٦.

٢٢-ممدوح حامد عطية.مصدر سابق.ص٤٨- ٤٩.ايضا ايران تطرح مناقصة دولية لاستخراج النفط في ١٧حقلا٢٦/١٢/٢٠٠٦.المصدر -: www.maktoob.com

٢٣ -احمد ابراهيم محمود.البرنامج النووي الايراني:التطور والدوافع والدلالات الاستراتيجية.مصدر سابق.ص٣١٦ .

٢٤-علي رضا جعفر زادة:يوجد ٣٢الف عميل ايراني في العراق تدفـع طهـران رواتبهم وتكاليف عملهم٢٢/١/٢٠٠٧ .الجيران .نت.

٢٥-وللمزيد عن جهود التسليح الايرانية ينظر بالتفصيل:ظافر ناظم سلمان وانيس محمد حسن.التسلح العسكري الايراني في التسعينيات,دراسة في اثر المتغيرات الاقـليمية والدولية.مجلة دراسـات اسـتراتيجية.العدد٧.مركز الدراسـات الدولية.جامعة بـغداد.٢٠٠٠.ص١٤٧-١٥٠.ايضا:- احـمد ابـراهيم محـمود.تخصيب اليورانيوم...قـفزة للمجهول في الازمة الايرانية.مصدر سابق.ص٤٩-٥٠ .

٢٦-احمد السيد تركي.ابعاد احالة الملف النووي الايراني الى مجلس الامن.مجلة السياسة الدولية.العدد ١٦٤.ابريل٢٠٠٦.ص١٥٥-١٥٦ .

٢٧-خاتمي ممارسـة الضغوط على ايران يؤدي لزيادة قـوة المتطرفين.جريدة الوفاق.العدد٢٥٨٧.السنة التاسعة.بتاريخ٢٤/٨/٢٠٠٤.

٢٨-ايران تهدد باسـتخدام سـلاح النفط ضد الغرب.جريدة الشـرق الاوسط.العدد ٩٧٥٦.بتاريخ١٤/٨/٢٠٠٥.

٢٩-انس بن فيصل الحجي.سلاح النفط الايراني:انتحار ينتظره الامريكيون.قـناة. العربية الفضائية٤/٤/٢٠٠٦.

٣٠-رياض قهوجي.الخيارات العسـكرية للمواجهة الامريكية – الايرانية.مجلة السياسة الدولية.العدد١٦٨.ابريل٢٠٠٧.ص١٢١ .

٣١-المشاهد السياسي.رفسـنجاني:هذه ليسـت اول مرة تتفاوض فيها ايران مع امريكا. مصدر سابق.

٣٢ -غيتس:لاننوي مهاجمة ايران.المصدر. www.bbcarabic.com:-

٣٣-نجاد:اذا ارتكبوا"خطيئة" ضربنا فان ردنا سـيكون قاسـيا وسـيدفعهم للندم ١٤/٥/٢٠٠٧.المصدر:- الجيران نت.

٣٤-احمد السيد تركي.مصدر سابق .ص١٥٦ .

٣٥-حرس الثورة الاسلامية بايران يبدأ مناورات عسكرية بـالخليج.المصدر:- الجزيرة.نت.

٣٦-ايران تختبر بنجاح صاروخ ارض بحر.المصدر:- الجزيرة.نت.

37–nuclear program of iran.op.cit.p.8.

الفصل الرابع
التداعيات الاقليمية للبرنامج النووي الايراني

المقدمة:-

إذا أمعنا النظر إلى الموقف الإيراني المعلن، فإن إيران تعد من الدول الداعية إلى إخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل، كما أنها أبقت على رقابة الوكالة الدولية للطاقة الذرية على مفاعلاتها النووية، وأثبتت بالفعل أنها لأغراض سلمية. وسعى الرئيس خاتمي لربط نزع أسلحة الدمار الشامل العراقية بنزع أسلحة الدمار الشامل الإسرائيلية. كما أكد أن إيران ملتزمة باتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية وأنها لا تسعى لإنتاج أسلحة نووية، وأن الإنجاز الإيراني هو في مجال الطاقة النووية. وانتقد الوكالة الدولية للطاقة الذرية لفشلها في مساعدة إيران في الحصول على المعرفة التكنولوجية النووية بل وخلق العقبات أمام إيران. وأعلن الرئيس أن إيران بدأت في استخراج اليورانيوم من حقل على بعد ٢٠٠ كيلو من "يزد" لإنتاج الوقود لمصانعها النووية. كما أعلنت إيران أن ٨٠ طنا من اليورانيوم المخصب نسبيا والمنتج في روسيا سيصل إلى طهران في مايو ٢٠٠٣ لتشغيل محطة بوشهر، حيث أعلن نائب رئيس هيئة الطاقة النووية الإيرانية أن هذا اليورانيوم لتشغيل محطة بوشهر في النصف الثاني من العام ٢٠٠٤، وأنه سيتم فتح مفاعلها للتفتيش الدولي في أي وقت دون أن تلتزم بأي اتفاقيات تضيف مزيدًا من العوائق لبرنامجها النووي. وذكرت بعض التقارير أن محطة نتانز لتخصيب اليورانيوم تعد متقدمة للغاية، وأن إيران في طريقها إلى إنتاج كمية من اليورانيوم بحلول العام ٢٠٠٥ تكفي لصنع قنابل نووية. فقامت الخارجية الأمريكية بإعلان أن طموح إيران والمتابعة المكلفة لإنتاج دائرة كاملة من الوقود النووي لا يبدو منطقيا إلا بتبنيها لبرنامج للأسلحة النووية. وترفض إيران هذه الادعاءات التي ترى أنه لا أساس لها وعلى استعداد للحوار مع المنظمات المؤهلة لإزالة أي غموض [1].

المبحث الاول ,الموقف العربي من البرنامج النووي الايراني.

في البدء لا بد من وضع الأزمة النووية الإيرانية وموقف العرب منها ضمن السياق التاريخي للعلاقات العربية الإيرانية . الوقائع تشير الى أن العلاقات العربية الإيرانية شهدت خلال العصر الحديث حالة من الصراع والتأزم وعدم الإستقرار في إنعكاس واضح لإرث التاريخ والجغرافية منذ سقوط الدولة الفارسية الساسانية على يد الفاتحين العرب المسلمين . وكانت ايران هي الطرف الذي يثير الأزمات والصراعات. فهي التي إحتلت في العام ١٩٧١ الجزر العربية الثلاث في مدخل الخليج العربي وضمّتها اليها ، وهي التي سعت ولا زالت تحلم بضمّ البحرين اليها وهي التي تدعي حق الوصاية على العرب الشيعة في الوطن العربي وشكلت ومولت أحزابا مختلفة إستخدمتها لتحقيق بعض اهدافها في الدول العربية وبالذات في دول الخليج العربي ، أما العراق ، الدولة العربية الوحيدة التي لها حدود برية مع إيران ، فقد كانت هناك عدة مواجهات سياسية وعسكرية في مختلف مراحل التاريخ .

وإستنادا الى المعطيات التاريخية أعلاه لا يمكن أن نتصور ان حيازة إيران لبرنامج نووي يمكن تحويله للأغراض العسكرية قد لايصب في صالح الأمن القومي العربي بل العكس هو الصحيح . فالشواهد تشير الى أن إيران تطمح الى التفوق العسكري بشقيه التقليدي والنووي لتصبح القوة الإقليمية الأولى في المنطقة بدأً من الخليج العربي ومنه تمد نفوذها الى بقية الوطن العربي.

اضافة لذلك ,للعرب موقف واضح وموثق منذ سبعينيات القرن الماضي يدعو لمنع إنتشار وإزالة الأسلحة النووية من على وجه البسيطة . وضمن هذا السياق طالب العرب بإنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية في الشرق الأوسط من خلال إزالة الترسانة النووية للكيان الصهيوني . ولتحقيق هذا الهدف تسعى الدول العربية في جميع المحافل لإجبار الكيان الصهيوني على الإنضمام لمعاهدة عدم الإنتشار. مثلما تسعى من أجل بلورة رأي عالمي

يعزز سياقات منع إنتشار ونزع السلاح النووي . وفيما عدا قلة من الدول الحائزة على الأسلحة النووية، فإن جميع دول العالم ، شعوبا وحكومات ، تطالب اليوم ببدء سياق جدي يتضمن جدولا زمنيا لإزالة الأسلحة النووية. كما يشارك العرب بفعالية في جهود الأمم المتحدة ومؤتمر نزع السلاح وبقية المنظمات الدولية والأقليمية ذات العلاقة لإعداد وتنفيذ سلسلة من الإتفاقيات التي تعزز سياقات منع إنتشار ونزع السلاح النووي ومن ذلك إتفاقية الحظر الشامل للتجارب النووية وإتفاقية حظر إنتاج المواد الإنشطارية لإغراض التسلح وإتفاقية منع نشر الأسلحة في الفضاء الخارجي وغيرها من الإتفاقيات. ومن المتوقع أن تتصاعد الجهود الدولية لتحقيق هذه الحزمة من الإتفاقيات وبما يقود الدول النووية في النهاية الى الإقرار بضرورة نزع أسلحتها النووية. ومن شواهد هذا التوجه قرار برلمان الإتحاد الأوربي بتأييد خطة محافظ هيروشيما لخلق عالم خال من الأسلحة النووية في العام ٢٠٢٠ وإستنادا الى هذا الموقف التاريخي والفاعل من مسألة عدم إنتشار ونزع الأسلحة النووية ، فإن الدول العربية مطالبة بإن تدعم جهود الوكالة الدولية للطاقة الذرية في السهر على آليات عدم الإنتشار وتعزيزها ولا يجب أن يكون البرنامج النووي الإيراني إستثناء من هذه الجهود.

الى جانب كل ماتقدم نجد ان البرنامج النووي الايراني قد دفع الى ازدياد الانفاق العسكري في الشرق الاوسط بنسبة٧%بالمعدلات الحقيقية في العام٢٠٠٥ .وهذا يمثل استمرارا للاتجاه في الاعوام العشرة الماضية,التي كان الانخفاض الوحيد خلالها في العام٢٠٠٢ .ففي الاعوام العشرة١٩٩٦-٢٠٠٥ ,ازداد الانفاق العسكري في المنطقة بنسبة٦١%بالمعدلات الحقيقية.وبالنسبة الى منطقة غنية بالنفط,كانت الزيادة في عام٢٠٠٥متواضعة نظرا الى اسعار النفط التي ارتفعت على نحو غير عادي طوال تلك السنة.

وفي ظل مستويات انفاق عسكري ثابتة نسبيا-ومنخفضة في حالات

كثيرة– في جميع دول الشرق الاوسط تقريبا,فان زيادة المنطقة منسوبة كليا,الى المملكة العربية السعودية،المنفقة الاكبر في الشرق الاوسط حيث ازداد انفاقها العسكري في العام٢٠٠٥بنسبة٢١%او ٤،٦مليارات دولار بمعدل الدولار الثابتة بينما ازداد اجمالي انفاق المنطقة٤،١مليارات دولار.ومع ان زيادة السعودية في العام٢٠٠٥عالية,فانها دون زيادة البلد القياسية في العام١٩٩٧(٣٦%),وقد كبحتها ضرورة التركيز على مشكلات اجتماعية داخلية متصاعدة وعلى ديون هائلة.فيما واجهت الكويت مشكلات داخلية اقل مما واجهته السعودية وبالرغم من الكسب المفاجيء من النفط,فقد إزداد انفاقها العسكري بشكل معتدل,وبنسبة٠،٥%فقط,في العام٢٠٠٥,بينما كانت الزيادة بنسبة ١٣%في العام٢٠٠٤ .

وكذلك ازداد الانفاق العسكري في ايران بنسبة٣،٩%في العام ٢٠٠٥وكان هذا ارتفاعا بسيطا قياسا بالزيادتين بنسبة١٧،٣%ونسبة١٤،٩%في العامين٢٠٠٣و٢٠٠٤,على التوالي.وكانت الزيادة في العام٢٠٠٥على خلفية ضغط دولي متصاعد على البلد بشان برنامجه النووي.وهناك اشارات الى ان هذا الاتجاه سيستمر عقب تاكيد الرئيس محمود احمدي نجاد للجنة البرلمانية للدفاع والامن في مجلس الشورى(البرلمان)انه سوف يزيد الانفاق على الدفاع.

وعلى النقيض من الانفاق، المتزايد في الدول المنتجة للنفط,تراجع الانفاق الرسمي الاسرائيلي بنسبة٥%في العام٢٠٠٥,بعد زيادة نسبتها٣%في العام٢٠٠٤.ومع ذلك ,شكك مراقب حسابات الدولة في التراجع في رقم الانفاق العسكري الاسرائيلي,وانتقد الحكومة على تقديمها للبرلمان(الكنيست)ميزانيات دفاع ذات انفاق متراجع بينما تنفذ ميزانية مختلفة كليا وذات انفاق متزايد.ففي العام٢٠٠٤مثلا,كان هناك اختلاف بنسبة١٠،٣%بين ارقام الانفاق العسكري ومجموع ماانفق فعلا.علما ان اسرائيل تتلقى مساعدة عسكرية سنوية من الولايات المتحدة تبلغ٢،٢مليار

دولار ,وهذا المبلغ يشكل جزءا" من الانفاق العسكري الاجمالي للبلاد.[٢]

وبعد ماتقدم نجد ان احدى التداعيات المهمة للبرنامج النووي الايراني تبرز في امكانية نشر ايران للتكنولوجيا النووية في المنطقة وبالشكل الذي يمكن ان يشكل تهديدا جديا للامن القومي العربي ,وتصريحات الرئيس الايراني اوضح مثال في هذا الصدد حيث قال أحمدي نجاد في وقت سابق إن بلاده مستعدة لتبادل أسرارها النووية مع دول إسلامية أخرى لأغراض سلمية. وقوله إن الجمهورية الإسلامية "لا تسعى مطلقا للحصول على أسلحة دمار شامل." وكان نجاد، الذي ينتمي للتيار المحافظ ، قد أدلى بهذه التصريحات أثناء اجتماعه برئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان في ايلول(سبتمبر)٢٠٠٥ ,ونقل عنه قوله: "فيما يتعلق باحتياجات الدول الإسلامية، نحن على استعداد لنقل معرفتنا النووية إليها"[٣]

اولا ,امكانية الخيار النووي العربي.

تثير مسالة البرنامج النووي الايراني التساؤل عن مكانة العرب بحكم جوارهم الجغرافي من ايران من الطموح النووي بشكل عام ,وهل هناك اي امكانية لتفكير العرب في التوجه نحو امتلاك القدرات النووية في عالم يتسارع فيه الجميع في السير نحو هذا الاتجاه ,ففي الاطار الرسمي نجد ان مدير إدارة نزع السلاح بجامعة الدول العربية وائل الأسد يؤكد في ايلول (سبتمبر)٢٠٠٦ ,أن مسألة استخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية لم تعد مسألة اختيارية في الوقت الراهن وأن العرب مطالبون بالدخول في المجال النووي السلمي. وقال الأسد " نحن مطالبون كعرب بالدخول في هذا المجال ولا يجوز اطلاقا أن يتخلف العرب والدول النامية عن الركب العلمي، خصوصا أن الفجوة العلمية بيننا وبين الغرب تزداد اتساعا ". وأضاف أن القرار المصري بتوليد الكهرباء عن طريق المفاعلات النووية ينسجم مع القرار الذى اتخذه مجلس الجامعة العربية الذي عقد في أوائل شهر سبتمبر ٢٠٠٦ بقيام تعاون عربي في هذا المجال، موضحا ان مصر

بحكم وضعها ومركزها وخبراتها السابقة مؤهلة ليس فقط لدخول العصر النووي، بل وقيادة الدول العربية وتوفير قاعدة إقليمية للتعاون في المجال النووي. وأوضح الأسد أنه لا يوجد خلاف على أن التحرك نحو التكنولوجيا النووية للأغراض السلمية أصبح ضروريا وحيويا لأسباب كثيرة، مشددا على أنه يأتي في مقدمة هذه الاسباب أن التكنولوجيا النووية في الوقت الراهن أصبحت آمنة إلى أقصى الحدود الممكنة وذلك بخلاف فترة الثمانينيات التي كانت تنطوى على المخاطر خصوصا أن الطاقة النووية الآن دخلت في عدة مجالات مثل الطب والزراعة ودورة موارد المياه وغيرها. كانت مصر قد أعلنت مؤخرا خلال أعمال المؤتمر السنوي الرابع للحزب الوطني الديموقراطي / الحاكم / انها ستشرع في استخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية ومنها توليد الكهرباء[٤].

ولعل من اهم تداعيات البرنامج النووية الايراني على المنطقة ما صرّحت به رئيسة وكالة الطاقة النووية في بريطانيا بأن دول الخليج العربي الثرية قد تقود النهضة في مجال الطاقة النووية لأنها تمتلك السيولة النقدية لتمويل المصانع ولا تواجه المعارضة السياسية التي غالباً ما تحبط أعمال البناء.وأوضحت رئيسة هيئة الطاقة الذرية البريطانية، الليدي باربرة طوماس دجادج ، أن دلالة الطاقة النووية تتعزز في عالم يحدق به الاحترار العالمي وتقلص مخزون النفط، حتى لدى الدول التي تمتلك أكبر مخزون احتياطي من النفط.

وخلال منتدى الشرق الأوسط لرؤساء مجالس الإدارة الذي نظمته مجلة فوربز في الدوحة، قالت دجادج: "ما الذي يدفعكم إلى الحديث عن الطاقة النووية في منطقة يتدفق فيها النفط والغاز كاللبن والعسل؟ الجواب هو أمن المخزون ومشكلة التغير المناخي".هذا وأشارت دجادج إلى أن منطقة الخليج تشكل موقعاً مثالياً لتطوير الطاقة النووية لأنها لا تضم مجموعات بيئية تعترض في غالب الأحيان على الطاقة النووية.وفي هذا

السياق قالت المتحدثة: "في منطقة الخليج، نحن أحرار في بناء ما نريد."

وكان مجلس التعاون الخليجي المكّون من ست دول قد بدء محـــادثات مع الوكالة الدولية للطاقــــــــــة الذرية في فيينا– النمســـــــــــا خلال شباط(فبراير)٢٠٠٧. تمحورت حول جدوى بناء منشآت نووية. ولا بد من الإشارة في هذا السياق إلى أن مجلس التعاون الخليجي،(الذي يضم المملكة العربية السعودية وقطر والكويت وعمان والبحـــرين والإمارات العربـــية المتحدة)، يود استخدام الطاقة النووية في عملية تحلية مياه البحر بالطاقـــة المركّزة.هذا وقد أعلنت دول إقليمية أخرى، وضمناً مصر، عن مخططاتها لتطوير الطاقة الذرية. واعتبـــر المحـــللون العســـكريون أن إصرار إيران الشديد على تخصيب اليورانيوم يحث الدول العربـــية على تطوير بـــرامج نووية خاصة بها.

لكن التحرك العربي لامتلاك الطاقة النوويه قد حظي أصلاً بالموافقة من إدارة بوش. وفي هذا الإطار، أوضح مســؤولون أميركيون أن أميركا ستساعد حلفاءها في منطقـــة الخليج على تطوير الطاقـــة النووية "المدنية" كوسيلة للحد من انبعاثات غازات التدفئة المرتبطة بالاحـــترار العالمي. هذا وقد قدّم الرئيس الروسي فلاديمير بوتين عرضاً مماثلاً الى المملكة العربية السعودية.وقالت دجادج من جهتها: "لقـــد خرج المارد من القمقـــم. وإن هم أرادوا بناء هذا المشروع، فهذا هو المكان الأمثل."

أضف إلى ما تقـــدم، والحـــديث ما زال لدجادج، أن دولاً أخرى تُعد مصدِّرة أساســـية للنفط، وضمناً فنزويلا ونيجيريا، تبحـــث أيضاً في خطط تطوير الطاقة النووية. ويبدو هذا التحرك منطقياً بالنسبة إلى الدول المنتجة للنفط التي تحقق عائدات أكبر من تصدير النفط عوضاً عن اســـتخدامه في الداخل.وبموازاة ذلك، يتم العمل على بـــناء منشـــآت جديدة عدة في الصين والهند حيث الطلب على الطاقـــة يرتفع كالســـهم. أما فرنســـا، التي تتزوّد بالطاقة بنسبة ٨٠ في المائة من منشآت الطاقة النووية لديها والبـــالغ عددها

٥٩ منشأة، فتشكل مصدراً رئيساً للتكنولوجيا المدنية.ولا بد من الإشارة إلى أن الاحترار العالمي يحث هو أيضاً الحكومات على البحث في تطوير الطاقة النووية باعتبار أنها تنتج جزءاً بالغ الصغر من ثاني أكسيد الكاربون المنبعث من منشآت الطاقة المستهلكة للفحم أو الغاز أو النفط.وأضافت دجادج قائلةً إن "الطاقة النووية باتت اليوم قابلة للاستخدام في أماكن كان اعتماد النووي فيها من قبل أكثر صعوبة".لكن مسؤولاً قطرياً أوضح هنا أن الطاقة النووية لا تبدو منطقية بالنسبة إلى مملكة غنية بالغاز الطبيعي. فقد أشار هشام العمادي، الذي يرأس قطاع أعمال شركات الطاقة في الدوحة، إلى أن قطر تمتلك أصلاً مخزوناً من الغاز يكفي لتلبية حاجات عدد سكانها الضئيل على مر أجيال عدة. فدولة قطر تمتلك أضخم حقل للغاز الطبيعي في العالم.وقال العمادي في هذا السياق: "لا أعتقد بأن الطاقة النووية تندرج على جدول أعمالنا. ما الذي يجبرنا على إنفاق أموالنا على مصادر أخرى للطاقة؟ نحن لا نمتلك موارد الأبحاث والتطوير الضرورية لتطوير هذه التقنيات"(٥)

والواقع أن منطقة الخليج لا تزال متأخرة جداً عن العالم المتقدّم في مجال الحفاظ على الطاقة والتكنولوجيا الصديقة للبيئة. وأكثر من ذلك، تندرج دول مثل الإمارات العربية المتحدة والكويت في قائمة دول العالم التي تعاني أعلى معدل تلوّث بثاني أوكسيد الكاربون لكل نسمة واحدة. كما أن عدداً ضئيلاً جداً من مئات ناطحات السحاب قيد الإنشاء في دبي وأبو ظبي والدوحة وغيرها من المدن الخليجية تعتمد التكنولوجيا التي تسمح بادخار الطاقة.

الى جانب ماتقدم نجد ان مجلس التعاون الخليجي قد بدأ تحركا في هذا الاتجاه فقد دعا عبدالرحمن بن حمد العطية الامين العام لمجلس التعاون الخليجي في ١٠ايلول(سبتمبر)٢٠٠٦, إلى اقامة تعاون نووي عربي مشترك كضرورة مستقبلية ملحة، حتى يتمكن الوطن العربي من التصدي

لهذا التحــدي العلمي بــوضع الاســس المشــتركة لهذا التعاون في اطار مسوؤلية جماعية عربية تتوزع فيها الواجبات والاعبــاء وتتمكن من خلاله الدول من اقامة مشروع نووي عربــي للطاقــة النووية للاســتفادة منه في مختلف المجالات .

وقــال العطية في كلمة له في افتتاح مؤتمر مخاطر وتداعيات الانتشــار النووي على منطقة الخليج في المنامة في ١٠ ايلول(سبتمبر)٢٠٠٦,تحــت رعاية الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء بمملكة البحــرين ان قلق دول مجلس التعاون من أزمة الملف النووي الايراني هو قلق حقيقــي ومبرر، مذكراً بتوقيع دول المجلس وايران منذ عدة سنوات على العديد من الاتفاقيات للتعاون في المجال الحيوي والبيئي المشترك وعلينا جميعاً تقــع التزامات واجبة الاحترام فى هذا الشأن باعتبارنا اطرافاً في منظمة اقليمية تعنى بحماية البيئة البحرية.

وطالب العطية المجتمع الدولي والقوى الدولية بالتخلص من الازدواجية في التعامل مع دول المنطقة وقضاياها، فإذا كانت هناك مطالبــة بــغرض تطبيق القرارات الدولية الصادرة عن مجلس الامن على أطراف عربية أو ما يتم حالياً بالتلويح بفرض عقوبات على ايران فإنه بــات من الضروري الابتعاد عن الممارسات التمييزية في هذا المجال والعمل على تطبــيق نفس المبدأ والمعايير على(اسرائيل) التي ضربت عرض الحــائط بالقــرارات الدولية والقانون الدولي وأظهرت بشكل عملي ازدراءها لها[٦].

وتبقى الحقيقــة هي ان المشــروع الإيراني لإنتاج الكهربــاء النووية وتوفير النفط والغاز للتصدير ليس بعيدا عن معطيات دول المنطقــة، وفي مقدمتها السعودية التي يعوزها النظر في اقتصاد ما بــعد النفط. فلا تزال السعودية، القوة الديموغرافية الأكبــر بــين دول الخليج العربــية، تعيش الاقتصاد الأحادي المعتمد على الريع النفطي. وهي أكثر حــاجة من غيرها في دول مجلس التعاون إلى تبني المنهج الإيراني في إنتاج الطاقــة النووية

لأغراض عدة في مقدمتها تحلية مياه البحر بصفتها أكبـر مسـتهلك للمياه المحـلاة في العالم والأكثر قربـا من كارثة نضوب خزانات المياه الجوفية.كما تحتاج السعودية -بنفس الحـجج الإيرانية- إلى تخفيف العبء عن النفط وتوفيره للتصدير بإنتاج الكهربـاء من محـطات نووية في دولة مترامية الأطراف مبعثرة المراكز العمرانية.والجدير بالملاحظة أنه حـين ارتفعت بعض الأصوات في الإعلام السعودي مطالبـة بإقـامة مفاعلات للطاقة النووية والاستعداد لحقبة ما بعد النفط، قوبلت الدعوة بـعدم اكتراث بل وانتقدها البـعض معتبـرا إياها مدعاة لفتح البـاب أمام التدخل الدولي وتأليب الرأي العام الدولي.فالحجة الإيرانية بإقامة مشروعات نووية لتوفير النفط سبق وأن طرحتها مصر قبل عشر سنوات لكنها قوبلت برفض شديد من الدول الأوروبية وإسرائيل وأغريت مصر في المقابل بتسـهيل إقـامة محطات كهربائية تقليدية بمنح وتسهيلات غربية، وسكتت مصر[٧].

ففي شباط (فبراير) ٢٠٠٥ قـدم ١٥ عضوا في الكونغرس الأميركي خطابا إلى وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس بهدف التحقق من تقـارير تفيد استعادة البرنامج النووي المصري لنشاطه، وبداية البـرنامجين السـوري والسعودي أبحاثهما النووية بتقنيات قدمها العالم الباكسـتاني عبـد القـدير خان.البرنامج المصري أثار الانتباه، بعد قـيام وكالة الطاقـة الذرية مطلع ٢٠٠٥ بالتفتيش على المفاعلات النووية التي يعود تاريخ إنشائها إلى مطلع ستينيات القرن الماضي.وعلى الرغم من تداول وسـائل الإعلام الغربـية والإسـرائيلية في العام ٢٠٠٥ لوجود "مؤشـرات" على طموحـات نووية مصرية، فإن شيئا جديا لم يثبت بشأن العمل في هذا البرنامج الذي اعترفت أوساط علمية مصرية عديدة بأنه قد وضع في "البراد" منذ أمد طويل.وكل ما تملكه مصر مفاعل سوفياتي بطاقة ٢ ميغاوات ومفاعل أرجنتيني بطاقة ٢٢ ميغاوات، أما المفاعل الكبير الذي جاهدت مصر لإقامته في منطقة الضبعة

غربي الإسكندرية قبل ١٥ سنة فقد وئد قبل أن يتم أيامه الأولى بسبب الضغوط الدولية والإسرائيلية.

وبالنسبة لسوريا فليست هناك تواريخ دقيقة لبدء الطموح السوري تجاه السلاح النووي، وكل ما تملكه دمشق هو مفاعل للأبحاث النووية بطاقة مقدارها ٣٠ ميغاوات ويخضع لمراقبة وكالة الطاقة الذرية بشكل دوري.والمعلومات التي تروجها إسرائيل حول الطموح السوري لامتلاك سلاح نووي، تنحصر في اتهامات بإخفاء برنامج نووي تحت قناع محطات تحلية المياه بتقنية روسية.وقد أقامت إسرائيل الدنيا يوم أعلنت روسيا في كانون الثاني(يناير) ٢٠٠٣ أنها ستبني على ساحل البحر المتوسط السوري محطة كهرباء نووية ومحطة تحلية مياه تدار بالطاقة النووية، وقد نجحت إسرائيل في إقناع موسكو بإلغاء المشروع.وإذا كانت السعودية لا تملك برنامجا نوويا فإن ما يثار حولها يتركز غالبا في الترويج لشرائها أسلحة نووية جاهزة في صورة رؤوس نووية من إسلام آباد(٨).

وإذا كان البرنامجان العربي والإيراني قد انطلقا سويا في عقد الخمسينيات فقد اختلف مسارهما، وتوقفت الخطى بالمشروع العربي رغم أن نظيره الإيراني لم يكن في مأمن من الحروب والنزاعات والثورات الداخلية والصراع مع جماعات المعارضة ولا نجا من الضغوط الدولية.ولا ينطلق حرمان العرب من التقنية النووية من مبررات الخوف على إسرائيل فحسب، ولا من مخاطر تقديم التقنية النووية لحكومات متسلطة تتنازعها جماعات المعارضة الإسلامية، ولا من اعتماد القرصنة أسلوبا لاقتناص الحكم من الآباء والإخوة، بل السبب في حقيقته هو عدم وجود إرادة لا بل عدم وجود نية لإقامة هذا المشروع.

ان على صانعي القرار في البلدان العربية ان يدركوا ان قضية انتشار الاسلحة النووية في الشرق الاوسط هي اولا وقبل كل شيء قضية

عربية,اي انها قضية تهم كل البلدان العربية على السواء,وانها ليست قضية مصرية او سورية او لبنانية.

فموقف البلدان العربية,بشان السلاح النووي في الشرق الاوسط,يخدم الطرف المضاد,واقل مايمكن قوله في هذا الصدد ان اختلاف الرؤى بين الدول العربية ليس فقط في المجال النووي,بل في مجالات عدة,قد افقدها القدرة التفاوضية السياسية اللازمة تجاه اسرائيل,وحتى على مستوى المحافل الدولية.وفي الوقت نفسه,اضاف لاسرائيل وزنا اكبر في هذا المجال.

وعلى الرغم من التنازلات السياسية العديدة والمتنوعة التي قدمتها البلدان العربية لاسرائيل,فقد تبين فشل المدخل السياسي- الدبلوماسي العربي في التوصل الى اقناع اسرائيل بمراجعة سياستها النووية والانضمام الى اتفاقية الحد من انتشار الاسلحة النووية.فاذا كان السلاح النووي عامل اللااستقرار,فهو في الوقت نفسه في حالات معينة عامل استقرار,وهذا ماينطبق على منطقة الشرق الاوسط.

ان تبني البلدان العربية لسياسة الردع المتبادل,عن طريق تطوير مشاريع عسكرية نووية,وبالنظر الى الوظيفة السياسية للسلاح النووي,سيكون اضافة لايستهان بها الى القدرة التفاوضية العربية واعطائها وزنا افضل مما هي عليه اليوم.كما سيمكن البلدان العربية من كسر الاحتكار النووي الاسرائيلي وادارة افضل للعلاقات الدولية في المنطقة.وفي حالات قصوى,سيدفع السلاح النووي العربي بالدول المعادية للتفكير اكثر من مرة قبل اتخاذ اي اجراء غير مرغوب فيه[٩].

لا يبقى لنا في النهاية إلا أن نقارن بين مشروعين، أحدهما مفتقر إلى الإرادة ناظر تحت قدميه، وآخر ينظر إلى مرمى البصر وبمراوغة إستراتيجية، وإن احتال بالحجة النفطية، فمن كان له حيلة فليحتل بها .

ولعل هذه المفارقة الواضحة هي التي دفعت الشخصية السعودية.

الكبيرة ووزير البترول السابق احمد زكي يماني للاستغراب من موقف الدول العربية تجاه إيران واعتبارها عدوا اشد ضراوة من إسرائيل على تهديد أمنها خاصة فيما يتعلق بمحاولة امتلاك إيران للبرنامج النووي والتي تلقي معارضة شديدة من الدول العربية في حين تلتزم فيه الصمت تجاه "٢٠٠" قنبلة نووية تمتلكها إسرائيل ، وقال يماني خلال محاضرة له بجامعة القاهرة بعنوان "قراءة في المحطات الاستراتيجية للحالة العربية" انه يستغرب من الخوف من وجود ما يسمى بالمد الشيعي في مصر مشيرا إلى أن هناك جهات معادية تحاول أن تعبث بهذا الملف لأهداف سياسية مشيرا ان مصر تتمتع بثبات يمكنها من المحافظة على شخصيتها دائما وقدرة على مواجهة أي أفكار دخيلة متسائلا عن السر وراء قلق المصريين من المد الشيعي في ظل المد السلفي الخطير والذي بدا ينتشر وسط صمت مطبق.وأوضح "يماني" أن اخطر ما يواجه العرب من أفكار هي الأفكار السلفية المتزمتة والمتنطعة مشيرا بسخرية إلى ما يتردد حاليا في الدول العربية حول مصطلح الديموقراطية واصفا إياه بأنه مرض سرطاني خطير البعد عنه "غنيمة" مؤكدا أن أكثر الحكام ديموقراطية في العالم العربي كان "صدام حسين" والذي كان يفوز بنسبة ١٠٠% وكأنه لا يوجد أي شخص يتعارض معه بالإضافة إلى بعض الحكام الديمقراطيين في بلاد عربية أخرى والذين يفوزون في الانتخابات أو الاستفتاءات علي "كرسى" السلطة بنسبة ٩٩,٩%.

وأكد وزير البترول السعودي السابق أن هناك "٣" أطراف مؤثرة في "لعبة" المنطقة وهي أمريكا وإيران ودول الخليج وهي عناصر تتفق فيما بينها في المصالح وتتعارض فقط في كيفية تحقيقها مشيرا إلى الخطأ الفادح الذي وقعت فيه أمريكا باحتلال العراق وإزاء هذا الفشل فإنها ستبقى في المنطقة وهو ما يحقق رغبة معظم دول الخليج في ظل تنامي قوة إيران

وامتلاكها أوراقا جيدة من اللعبة السياسية لا يمكن أن تقفلها أمريكا تحت أي ظرف من الظروف فصاروخ واحد تطلقه إيران على ناقلة بترول سيؤثر في السوق العالمي للبترول وستتأثر أمريكا بشكل خطير ويتحول الأمر إلى بركان وهو ما تعيه الولايات المتحدة الأمريكية جيدا.

وقال "يماني" أن مصر أصبحت محملة بالعديد من المشاكل الثقيلة لذلك تراجع دورها ولن تستطيع أن تلعب هذا الدور الفاعل الذي كان في الماضي وطالب الحضور بان "يدعو" للمملكة العربية السعودية أن تلعب نفس الدور الذي كانت تلعبه مصر في الماضي[١٠].

لا يختلف اثنان على أن ايران سترد على أية ضربة عسكرية لبرنامجها النووي، فقد أكد ذلك المسوؤلون الإيرانيون في أكثر من مناسبة. الاختلاف يكمن في طبيعة وحجم الرد وعن القوى والدول التي ستتدخل عندئذ، الامر الذي قد يحول أي ضربة عسكرية الى حرب اقليمية شرسة. تداعيات أية ضربة استباقية اسرائيلية على منطقة الشرق الاوسط لا يمكن لاي محلل سياسي وعسكري الآن أن يتنبأ بها، ولنا في العراق خير مثال. من ناحية أخرى تعتبر ايران رابع اكبر منتج للنفط في العالم وتمكنت في العقدين الأخيرين من بناء ترسانة عسكرية ضخمة تضم فيما تضم صواريخ بعيدة المدى قادرة ربما على حمل رؤوس كيماوية والوصول الى الدولة العبرية، وهذا سيناريو مرعب بالنسبة لاسرائيل. هذه الاخطار الاستراتيجية دعت اسرائيل دائما الى تطبيق استراتيجية الضربات الاستباقية كما حصل أيام حرب الايام الستة عندما دمر الطيران الاسرائيلي سلاح الجو المصري قبل البدء بالحرب البرية ومن ثم قصف المفاعل النووي العراقي في العام ١٩٨١. وفي هذا السياق حذر مدير الوكالة الدولة للطاقة الذرية محمد البرادعي الحائز على جائزة نوبل للسلام لعام ٢٠٠٥، حذر في حديث لصحيفة نرويجية "من أن العمل العسكري لن يثني أي بلد من السعي لامتلاك أسلحة نووية" [١١]

والحقيقة ان من السذاجة البينة وضع التأييد الجماهيري العربي على الأسس الدعائية التي واكبت الملف النووي الإيراني، وليس بمعجزة وضع اليد على مرتكزين هامين يؤثران في الحالة الجماهيرية العربية، وهذين البعدين هما من خارج النطاق النووي الإيراني، وأولهما هو تزايد واشتداد العداء للولايات المتحدة وتصاعده في الاوساط الجماهيرية العربية، وثانيهما الموقف من مصالح وحقوق الشعب الفلسطيني، واتخاذ إيران مواقف واضحة من احتلال الأراضي العربية بعدوان حزيران في العام ١٩٦٧.

وإذا كان ذلك سمة واضحة للموقف الجماهيري من الملف النووي الإيراني فإنه لا يعني بالضرورة عدم رؤية الثغرات التي تضمنتها الدعاية الإيرانية وضعف طابعها العقلاني في عدد من المسائل. وفي هذا الصدد ترد بعض الحجج باعتبارها مبررات أكثر مما هي علل فعلية يقبلها العقل، وهنا تجدر الإشارة أن السلام النووي سابق على وضع المسألة التكنولوجية الراهنة التي تعانيها البلدان النامية، وإذا جاز لنا أن نعتبر ذلك أمراً عقلانياً فإن على إيران أن تعلن وتقبل وتساعد كل دولة نامية على امتلاك ملف نووي خالص بها مادام ذلك هو السبيل للعلم الحديث والتطور التكنولوجي.

وحتى مسألة امتلاك إسرائيل للسلاح النووي لم توضع في الإطار الذي يجعل الوضع ينثني نحو البحث في ذلك السلاح وتجريد إسرائيل منه ومنع إنتاج أسلحة الدمار الشامل في المنطقة، ولم يلحظ أن الدعاية الإيرانية ذهبت بعمق في هذا الميل لكنها استندت إليه للمضي في تحصيل حقوقها النووية، كان من المهم أن تركز إيران على أن أفق ملفها النووي مرهون بالوضع النووي لإسرائيل، ولكن ذلك لم يكن أساسياً في الدعاية الإيرانية رغم كل مواقف إيران وسياساتها الداعمة لنضال الشعب العربي الفلسطيني.

ثم أن المرء يضع يده على عدد من المفارقات الأخرى التي تتضمنها الدعاية الإيرانية، فإذا كان تنويع مصادر الطاقة ضروري للبلدان النفطية الأساسية، فكيف سيكون الأمر بالنسبة للبلدان غير النفطية والتي تدفع مبالغ طائلة لتأمين احتياجاتها من البلدان النفطية المعروفة وفي الصف الأول منها دولة إيران

كما يلاحظ بوضوح أن الدعاية الإيرانية في الوقت الذي لم تركز على إخلاء المنطقة من أسلحة الدمار الشامل، في الوقت نفسه، لم نركز على أهمية خطة عالمية لنزع عالمي للأسلحة الذرية، وتمركزت على حقوق إيران النووية, وهو ما فتح الباب واسعاً أمام تداعيات دعائية حول الاستراتيجية الإيرانية في المنطقة وأدى الأمر إلى بروز آراء تربط بين تلك الاستراتيجية من جهة وبين آفاق الملف النووي الإيراني.

ثم أليس من الواضح أن الملف النووي الإيراني ومهما كانت طبيعته لا يمكن إلا أن يكون مادة لتبرير مرحلة من سباق التسلح في المنطقة برمتها، وحتى إذا تجاوزنا ذلك حيث يتطلب سباق التسلح ضرورة تأمين مستلزماته السياسية والعسكرية في العلاقات الدولية، إن سباق التسلح في المنطقة يوسع أبواب التبعية ويضعف النضال الوطني ويبرر للكثير من الحكام تزايد التصاقهم بالبنتاغون تحت حجة الخطر النووي الإيراني، إذا تجاوزنا ذلك ألا يعني أن واقع الحال النووي العالمي سيصبح عاملاً غير مباشر في فرض ضروب من التبعية على أية دولة حديثة في الميدان النووي، وفي هذا الصدد فإن الهند دولة نووية، وتمتلك أسلحة نووية، ورغم ذلك فإن ملفها النووي تطلب علاقات نووية مع الولايات المتحدة، وليس غريباً أن تلك الصفقة النووية التي أقدم عليها بوش هي قبل أن تكون نووية تعد صفقة سياسية بامتياز وهي فرملة للعلاقات الروسية الهندية من جهة وتأجيج للخلافات الهندية الصينية وفي أضعف الأحوال فهي صفقة لتأزيم الأوضاع

في تلك المنطقة، أن العلاقات الناجمة عن البون الكبير بين دول نووية قديمة وعريقة في هذا المجال وبين دولة حديثة في هذا الميدان يصبح ويتحول إلى حزمة من المسائل السياسية التي تمس السيادة الوطنية، ومن البديهي القول أن تلك العلاقات لا تتضمن مقومات علاقات التكافؤ وال؟؟، ويبدو أن إيران تمسك بذلك ومن هذا المنطلق حددت مدة للتخصيب على الأراضي الروسية ووضعت شرط مساهمة فريق إيراني في تلك العمليات، لكن ذلك لا يبدد جوهر المسألة، كما أنه لم يلاق القبول ولم يحل المشكلة.

ومن الطبيعي أن يتساءل المرء هل زيادة عدد الدول النووية هو السبيل لمعالجة قضايا عالمنا، وإذا كان السلاح النووي ضرورة وطنية في ظروف تصاعد العدوانية الأمريكية كما تتضمن ذلك الدعاية الإيرانية ألا يعني من جهة أخرى مشروعية الرضوخ للإمبريالية الأمريكية أو غيرها من أجل امتلاك السلاح النووي، إن تجربة التاريخ أكدت أن الاندفاع في مسارات سيادة الرعب النووي لم يحل دون كوارث سياسية واجتماعية ودولية أصابت البشرية.

ثانيا .الرؤية الرسمية العربية والبرنامج النووي الايراني

إذا كانت الجماهير العربية تتعاطف مع إيران في دفاعها عن ملفها النووي وحقوقها في هذا المجال، فإن الوضع العربي الرسمي له رؤيته الخاصة، ولكن تلك الرؤية الرسمية تعتمد الجماهيرية العربية الكثير من المسائل التي تضعف أسس المعارضة العميقة لتلك الرؤية الرسمية الخاصة وأن العلاقات الرسمية العربية الإيرانية تتضمن مسائل الخلاف التي تترك تأثيراتها في الأوساط الجماهيرية العربية ويلحظ في الواقع العربي الرسمي اتجاهات متباينة، فيجد البعض أن الملف النووي الإيراني دعامة للنضال ضد العدوانية الصهيونية ويشكل عامل ضغط على إسرائيل لإرغامها على القبول بإخلاء المنطقة من أسلحة الدمار الشامل، وتلك الآراء لا تشكل إلا

عدداً محدوداً جداً في الأوساط الرسمية العربية، لكن الملاحـظ أن ذلك لا يشكل جوهر الخطة الإيرانية المهتمة وقبـل كل شـيء في أن تكون إيران دولة نووية وطبـيعي أن يضعف ذلك النضال من أجل منطقـة خالية من أسلحة الدمار الشامل.

أما الاتجاه الآخر فإنه يعبر عن امتعاضه بالتركيز على موضوعة إخلاء المنطقة من أسلحة الدمار الشامل ويتضمن خطابـه شـيئاً من عدم الارتياح للملف النووي الإيراني، وهناك عدد من الدول تعارض بـوضوح إيران النووية وترى في ذلك دعامة لاستراتيجية إيرانية في المنطقة بكاملها والتي تسمى بمنطقة »الشرق الأوسط الكبـير« وتبـنى تلك الدول موقـفها على مخاطر المحطات والأفران والمراكز النووية، وتذهب في معارضتها نحـو عدم الاكتفاء بمعارضة امتلاك إيران للأسلحة النووية بـل تعلن معارضتها للمشاريع النووية السلمية بسبب مسائل التسـرب النووي والتلوث البـيئي ومخاطر ذلك على كل دول المنطقة، وهناك من لا يخفى أن العرب أصبحوا بـين فكي كماشـة نووية ويتذرع في ذلك لتمرير مناهج لا تخدم شـعوب المنطقـة ويضاف إلى ذلك أن الوضع النووي في المنطقـة يصبـح عامل إحراج للعديد من الحكام العرب ويدفع نحـو امتلاك ملفات نووية من قبـل بعض الدول العربية ولا ينبغي أن تسـتغرب أن يصل الأمر إلى التنويه إلى أنه ما من أحد ضامن لأفق الحكم في إيران وتحولاته أو تغيراته، وليس من المستغرب التفكير بسياسات الشاه الإيراني. وأبعد من ذلك، أن لا غرابة في إيراد تلك التنويهات التي تشير إلى أن أية ثغرة في الحدود العربية الشرقية أو غيرها لا يمكن أن تقف عند حد قبل أن تصل إلى ضفاف المحـيط والبحـر الأبيض المتوسط.

ويضاف إلى ذلك أن تجربة التاريخ دلت أن ضغط الأسلحة الذرية قـد يحفز إلى تفاهمات بين القوى النووية، كما أن الرعب النووي قـد يفعل فعله باتجاهات مضادة لمصالح الشعوب وتطورها وتحررها.

وينبغي القول أن الدفاع عن الملف النووي الإيراني وجد في الدعاية الأمريكية سنداً هاماً أكثر مما وجده في الدعاية الإيرانية وذلك لتعاظم النداء لإدارة بوش وتصاعد عدوانية الولايات المتحدة وافتضاح أكاذيبها بشأن احتلال العراق، فهي دعاية فقدت المصداقية وأضحت هشة في مقوماتها التي اعتمدت على الأمن الأمريكي وتهديده إذا امتلكت إيران الأسلحة النووية، ونظراً لافتضاح خواء تأثير هذا الجانب في الدعاية الأمريكية، فقد جرى التركيز الدعائي الأمريكي على الفوضى النووية ومخاطرها وتثبيت خطوط حمر استراتيجية بهذا المجال تجمع الدول النووية الكبرى، وخاصة دول مجلس الأمن، على الالتزام بها، ولم تبخل إدارة بوش في تكرار تنبيه الروس إلى مخاطر الملف النووي الإيراني على الأمن الروسي وتأثيراته في البنية الديمغرافية في روسيا الاتحادية، وطبيعي فإن بوتين وحكومته لا يرون في ذلك جديداً، كما أنهم لن يخرقوا الخطوط الحمراء النووية الاستراتيجية، ولكنهم في نفس الوقت يجدون في الملف الإيراني مادة لتقوية علاقاتهم بإيران، كما أن ربطهم للملف بالتخصيب على الأراضي الروسية يشكل صمام أمان لاستمرار وتعميق تلك العلاقات في منحنى غلبة الأهواء الروسية، وينبغي القول أن حكومة بوتين تنبه الإدارة الأمريكية إلى مخاطر ضغطها على الخاصرة الروسية سواء في جورجيا أو في أوكرانيا.

وأمام تهافت العمود الآخر للدعاية الأمريكية ألا وهو أن إيران تشكل البنك المركزي »للإرهاب« على حد تعبير رايس وزيرة خارجية إدارة بوش، فإن الاتجاه الذي تعاظم مؤخراً هو أن الخطر الكبير يهدد أوربا حيث تمتلك إيران صواريخ تطال في مداها الدول الأوربية على حد الزعم الأمريكي، وكان ذلك التوجه الدعائي يحفز الموقف الأوربي أكثر فأكثر ضد الملف الإيراني النووي، وتظل المشكلة الأساس هي مستقبل الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة، وقد دخل ذلك بعدّهامادة أساسية في خطب

بوش .تلك جوانب من ساحـــات العراك السياســـي و الفكري والدعائي التي لازمت مشكلة الملف النووي الإيراني لكن تبـــاين الأمزجة واختلافها بـــين أعضاء مجلس الأمن قـــد لا تخرج إيران إلى الفضاءات التي ترغب بــــها لمستقبل ملفها النووي وقد تجد نفسها محـــاصرة بـــالخطوط الاســـتراتيجية الدولية، وقد يزداد الارتباك وتجد إيران نفسها أقـــرب ما تكون إلى الوضعية التي نجد أفضل تعبير عنها في الشعر العربي القائل: »كفارس تحت القتام لا يستطيع الانتصار ولا يطيق الانكسار[١٢].

المبحث الثاني, التداعيات على مجلس التعاون لدول الخليج العربي.

خلال العقدين الأخيرين من القرن العشـــرين يمكن الحـــديث عن ثلاث محطات مهمة في مسيرة العلاقات بين إيران والدول الخليجية:-

١-الثورة الإســـلامية في إيران في العام ١٩٧٩، والتغيير الثوري في نظام الحكم الذي أدى بدوره إلى تحول كبـــير في التوجهات الخارجية الإيرانية نحو خط ثوري أيديولوجي، وتبني إيران لمبدأ تصدير ثورتها الإســـلامية إلى الدول الخليجية، وهو ما ساهم في تفجر الصراع بـــين إيران والعراق من صراع على النفوذ الإقليمي إلى صراع عسكري امتد ثمان ســـنوات (١٩٨٠-١٩٨٨)، ســـــاندت خلالها الدول الخليجية العراق ضد إيران بعدّها خط الدفاع الأول عنها

٢-حرب الخليج الثانية في العام ١٩٩١، ومجمل التداعيات التي أحـــدثتها، وفي مقـــدمتها أن النظام الإقـــليمي الخليجي لم تعد تحـــكمه معادلة مثلث الهيمنة التقليدي بين القـــوى الإقـــليمية الكبـــرى الثلاث، إيران والعراق والسعودية، ولكن هذا النظام بات أسير معادلة مســـتطيل التوتر بـــدخول الولايات المتحدة طرفًا أساسيًا، إن لم يكن الطرف الأساســـي، في توجيه تفاعلات هذا المستطيل الذي تسيطر عليه الطبيعة الصراعية، باســـتثناء العلاقـــة بـــين مجلس التعاون الخليجي والولايات المتحـــدة. وخلال هذه

الفترة، شهدت العلاقات بين إيران والدول الخليجية الست قدرًا من التحسن نتيجة التعاطي الإيجابي من الجانبين، مع الرغبة في تحسين العلاقات بينهما، ودرء الخلافات، وإن لم تحقق النتائج المرجوة منها في هذه الفترة.

٣- تولي الرئيس محمد خاتمي الحكم في إيران (١٩٩٧) وانتهاجه سياسة إصلاحية تصالحية على الصعيدين الداخلي والخارجي، حيث سعى إلى إصلاح الصورة الدولية لإيران عن طريق الحوار، وتعزيز الثقة بها، والتزم بسياسة نزع التوترات وتغليب التعاون على علاقات الصراع، والعمل على تحجيم الدور الأمريكي في الخليج من خلال تقوية العلاقات مع دول مجلس التعاون، وبالأخص السعودية التي تلعب دورًا رئيسًا في المجلس، حيث وصلت العلاقات إلى مستوى غير مسبوق بين إيران وهذه الدول خلال الفترة الرئاسية الأولى لخاتمي (٩٧-٢٠٠١)، وخلال الفترة الثانية (٢٠٠١-٢٠٠٥). وقد نجح خاتمي -كما نجح من قبله الرئيس هاشمي رافسنجاني- في توظيف المتغيرات الدولية والإقليمية لصالح كسر عزلة إيران الدولية والإقليمية[١٣].

لقد شهدت العلاقات الخليجية الإيرانية في عهد الرئيس خاتمي ما يمكن تسميته بالنقلة النوعية نحو تطبيع العلاقات الإيرانية الخليجية، بل وأخذت منحى متميزًا في جميع أشكاله وبصورة غير مسبوقة عن ذي قبل، وهو الأمر الذي دعى إلى التكهُّن باستمرار مثل هذا النهج التعاوني مستقبلاً.

ويعكس هذا التطور في العلاقات مجموعة من التفاعلات الخليجية الإيرانية التي بدأت تأخذ شكل العلاقات الطبيعية بين ضفتي الخليج، وهو أمر لم يكن معهودًا من ذي قبل، وقد تُوِّجت هذه العلاقات بالاتفاقية الأمنية بين قطبي الخليج: إيران والسعودية، وهو ما يمثل تأسيسًا لبداية مرحلة جديدة لعلاقات متميزة خليجيًّا وإيرانيًّا.

لا شك أن تقـييم التقـارب الإيراني الخليجي في المرحـلة الراهنة أمر صعب، في ظل المتغيرات المتلاحقة التي تكتنف الساحة السياسية في إيران، والظروف التي تمر بها المنطقة والمؤثرات الدولية عليها، إلا أنه يمكن رصد طبيعة هذا التقارب وأبعاده وآثاره القريبة والمستقبلية.

أولا–مرتكزات العلاقات الخليجية الإيرانية

ولكننا قبل أن نقوم بهذا نلم أولاً بالمرتكزات التي تقـوم عليها العلاقـات الإيرانية الخليجية، والتي يمكن أن تُستنتج من التاريخ الحضاري، والجغرافيا السياسية والاقتصادية منذ العصور الموغلة في القدم؛ حيث تشـير وقـائع محـددة في هذه الموسـوعة إلى وجود تعاون وتعايش بـين الإيرانيين والخليجيين أدى إلى مصاهرات في النسب، وتزاوج في العقائد، وتداخل في اللغة والثقافة والأدب، وشواهد ذلك أكبر من أن تُعد، أو تحصى، إلا أنها تؤكد وجود أرضية صالحة لقيام علاقات صحية ومتطورة بين الطرفين، وإذا كان الاحتكاك في عصور ما قبل الإسلام قد أوجد جسرًا من التفاهم والتلاق بينهما فإن الإسلام بمبادئه القويمة، وروحه السمحة قـد خلق نوعًا من التَّوحُّد بـين الشعوب، قاده الفكر الإسلامي الذي اسـتند إلى مصدريه الرئيسـين وهما: القـرآن الكريم، والسـنة المطهرة.. وأما الخلافات التي ظهرت بـعد وفاة الرسول(عليه الصلاة السلام) فقد تعلقت بأمور سياسـية، أو مصالح دنيوية؛ فلقد كان انتشار القبائل العربية في إيران واستقرارها في مختلف ربـوعها؛ لتَكُون مراكز دينية واقـتصادية، وقـواعد انطلاق للتعاون في الفتوحـات الإسلامية – فضلاً عن نزوح الكثير من الإيرانيين إلى الجزيرة العربية لتلقي العلوم الدينية والعربية والتجارة – من العوامل الفعالة في تحقـيق المزيد من التعارف والتعاون.. وإذا كانت إيجابـيات هذه الفترة كثيرة فإن سلبـياتها لـم.

تَخْلُ من فائدة؛ حيث إن تصارع النفوذ والمصالح قد أضاف تراثًا حضاريًا. إلى تلك المنطقة، وما الحركة الشعوبية التي ظهرت في تلك الفترة إلا مظهرًا من مظاهر هذا التراث؛ حيث أثرت الثقافة الإسلامية عامة، وثقافة المنطقة خاصة بل لعلها قد ساعدت على تحديد الموقف، وتوضيح الاتجاهات وتأكيد كلٍ لدوره في بناء الحضارة الإسلامية، ولقد أكدت محنة الغزو المغولي للعالم الإسلامي أهمية التواصل والإيجابية في العلاقات بين العنصر العربي والعنصر الفارسي، رغم ما بينهما من خلافات فكرية وعقائدية؛ حتى إنه لم تنقطع العلاقات بين إيران وبين عرب الخليج ــ بالرغم من إعلانها المذهب الشيعي الاثنا عشري مذهبًا رسميًا لإيران في عهد الدولة الصفوية ــ الا ان الخلافات المذهبية لم تمنع استمرار العلاقات الاقتصادية، في حين خضعت العلاقات السياسية لمؤثرات الأحداث الإقليمية من ناحية، وللسياسات الدولية تجاه المنطقة من ناحية أخرى.

١ –واقعية النظام الإيراني

يعتبر نجاح الثورة الإسلامية في إيران، وما أفرزته من نظام يتمثل في الجمهورية الإسلامية، وولاية الفقيه التي تستند إلى عقائد شيعية، يظاهرها فقه متحرك ومرن يتيح لعلمائه إمكانية التعامل مع المستجدات والتواؤم مع الشخصية الإيرانية، إضافة إلى تجربة حرب السنوات الثمان مع العراق ــ من المُوجِّهات الأساسية لإيران في علاقاتها مع دول الخليج العربية.. ولا شك أن قبول إيران وقف الحرب قد أدخلها مرحلة جديدة في علاقاتها مع العالم عامة، ومع دول الخليج خاصة؛ حيث استتبع هذا القرار سلسلة من التغييرات، في شكل النظام وتوجهاته، مع تعديل في استراتيجية، بل وتطوير في نظرية ولاية الفقيه ذاتها؛ بما يتلاءم مع المستجدات.. إلا أن اتجاه النظام الإيراني إلى الواقعية لم يكن يعني التخلي عن الأفكار الأساسية التي قام عليها، وإنما محاولة التقارب مع معطيات دول الخليج، ومن أهم هذه المحاولات الدعوة إلى وحدة العالم الإسلامي، وما تتطلبه من إجراءات حيث

بادر النظام الإيراني إلى تخصيص أسبوع للوحدة الإسلامية، يُحتفل بــه كل عام في ذكرى مولد الرسول (عليه الصلاة والسلام) ما بين ١٢ و١٧ ربــيع الأول، أي تاريخَيْ ذكرى مولده عند السنة والشيعة، يقول الزعيم خامنئي: " ينبغي على الأخوة المسلمين من سنة وشيعة أن ينسوا الماضي، وأن يوحدوا كلمتهم وتوجهاتهم وأخوتهم، ويمكن تأسيس جدار للتقريب بين المذاهب على أساس التضامن والتعاون والوحدة الفكرية بين علماء السنة والشــيعة، إننا لا نريد أن يدخل الأخوة من أهل السنة في مذهب الشيعة، أو أن يدخل الشيعة في مذهب أهل السنة، بل ينبغي أن تتكون الوحدة والتضامن الأخوي الإســلامي حول محور ومجال مشترك" .فقد فسر خامنئي المحور المشترك بأنه محبــة آل البيت؛ بعَّدها واجبًا لدى جميع المذاهب والفرق الإسلامية؛ ولأنها تتفق مع مبدأ "التولي والتبــري"، (الولاء والبراء)الإســلاميين ومبــدأ "اللاشرقــية واللاغربية" هي المبــادئ التي تقــوم عليها السياســة الخارجية الإيرانية.. وتَرَضِّي فكرة إنشاء الحكومة العالمية الإسلامية التي يؤمن بها علماء الشيعة، والتي تُسَهِّل عملية تصدير الثورة الإسلامية، فإن خامنئي يكون قد سبق بذلك إلى نقطة وسط، يمكن التباحث حولها، وسوف يؤدي تطبيقها إلى تحديد حجم العلاقات بين إيران ودول الخليج العربية، بل سوف تجعل هذه العلاقــات في منزلة بين المنزلتين؛ حيث تتسع وتنكمش حسبما تُحَدّد المصالح المشــتركة، وفي هذه الحالة يمكن للتَّقِيَّة والسياسة أن تقوما بدور فعّال في حل المشكلات التي قد تطرأ بين الطرفين أصحاب المصلحة، تمامًا كما حــدث في مســألة الحج السياسي.. وقد عبر الكاتب محسن شهيدي عن هذه السياسة بقــوله:" لا ينبغي أن تكون سياستنا سياســة خلق أعداء ولكننا أيضًا لا ينبــغي أن نُلْبِس العدو قناع الصديق أو أن نَعدَهُ عدوًا بلا خطر ."

ولا شك أن متغيرات القوة الخليجية بعد حرب الخليج الثانية قد أتاحــت الفرصة لإيران كي تمد جســور العلاقــات إلى الدول الخليجية، وأن تطرح مشروعات لحل المشاكل المعلقة مع كل منها، وفيما يتعلق بأمن الخليج أيضًا،

يؤكد كبار المسوؤلين في إيران، أن من أهم التحديات التي تواجه العلاقـات الإيرانية الخليجية هي قـضية الجزر المتنازع عليها مع دولة الإمارات العربية المتحدة، وقـضية وجود القـوات الأجنبـية في الخليج والتي تعوق التوصل إلى اتفاق حول مشروع لأمن الخليج، وقضية العلاقات مع العراق .

٢- إيران تخطط للتقارب مع الخليج

لقد اعتمد النظام الإيراني في تقاربـه مع دول الخليج العربـية أسـلوب المبادأة، وهو أسلوب ضاغط، لا ينتظر مبادرات، بل يقـدمها، وردود أفعاله جاهزة ليس فيها مجال للتردد، وهذا يعني أن إيران حـريصة على هذا التقارب وخططت له على المدى القريب والبعيد، ووضعت في خططها كافة الاحتمالات، معتمدة على خبرتها في علاقاتها مع هذه الدول، وعلى قـدرتها في التحرك السريع الفعّال، وإمكانات الفقه السياسي المسـاعدة؛ وهذا يعني أيضًا عدم وجود احتمال للتراجع، كما يشـير كذلك إلى أن هذا التقـارب لن يكون على حساب مكاسب حققتها إيران في المنطقة، أو في غيرها أو حـتى داخل إيران قبل الثورة، أو بعد انتصارها؛ فنظرية أمن الخليج الإيرانية مثلاً تقوم على نَفْس فكرة المبادأة؛ باعتبار أن من حق إيران بما لديها من مبررات تاريخية، وجغرافية وبشرية، وسياسية وعقائدية أن تضع نظرية لأمن الخليج تحقق مصالحها وطموحاتها، وتكون قابلة للتطبيق من خلال اتخاذ الأساليب المناسبـة وفق المتغيرات الدولية، وتقـدم هذه النظرية عددًا من المعطيات القابلة للمناقشة ولها إمكانية القبول من الأطراف الأخرى أهمها :

١ -إن الجانب العسـكري في مفهوم الأمن -رغم كونه الجانب الغالب- لم يعد يلعب دورًا أساسيًا بعد أزمة الخليج وحرب الخليج الثانية؛ لأن دول المنطقة تستورد السلاح ولا تُنْتجه، والسلاح المسـتورد لا يحقـق أمنًا قوميًا بل أمنًا مستوردًا .

٢ -إن الاتحاد والتضامن والتعاون بين دول المنطقة وحدها هو الأسـاس الذي يمكن أن يقوم عليه أمن المنطقة، من خلال القضاء على الخلافات

بين هذه الدول أو خفضها إلى أدنى مستوى، خاصة في أربع مسائل، وهي: الخلاف الحدودي، الخلاف المذهبي، الخلاف العرقي، الخلاف الأيديولوجي.

٣- ضرورة توافر عدة عناصر للمشروع الأمني أهمها: الإدراك المشترك لمعنى الأمن بعيد المدى، عدم التعارض مع الأمن العالمي، التطرق إلى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية،كافة قابلية التطور الطبيعي مع تقدم الأنظمة العالمية .

وتتدرج نظرية الأمن الإيرانية من هذه المعطيات إلى بعدين أساسيين أحدهما: بُعد عقائدي يتمثل في تغيير سلوكيات المنطقة في اتجاه قِيَم آل البيت؛ للالتفاف حولها وتنفيذ وصاياها ودمج العبادة بالسياسة، وبُعْد نضالي يتمثل في إيجاد قوة ذاتية من دول المنطقة بكل إمكانياتها البشرية، والعسكرية والاقتصادية والأمنية تَحُول دون وجود قوى أجنبية .

وإذا كان المشروع الإيراني يحل قضية اشتراك العراق في الترتيبات الأمنية في المنطقة إلا أنه لا يَحُل قضية جزر الإمارات الثلاث، وذلك من خلال طرح استعداد إيران للدخول في مفاوضات مباشرة مع الإمارات حول مصير الجزر.. ومن الواضح أن هذه المفاوضات ليست من أجل ترتيبات إعادة الجزر إلى دولة الإمارات؛ حيث أكدت إيران رسميًا وشعبيًا في أكثر من مناسبة أن هذه الجزر إيرانية، وأن إعادتها للإمارات مَحْض وَهْم، وإذن فليس من المتوقع من هذه المفاوضات أكثر من أن تعطي للمواطنين من أبناء الإمارات الذين كانوا يسكنون هذه الجزر حق الإقامة الدائمة، والعمل على استثمار الزراعة والرعاية أو تعويضهم ماديًا عن الأضرار التي لحقت بهم خلال الفترة الماضية حق التنقل بين هذه الجزر ودولة الإمارات.. ومن الواضح أن هناك فرقًا بين مثل هذه التسوية ـــ إن تمت ـــ وبين تسوية قضية الحج السياسي مع المملكة السعودية العربية، وبين تسوية التوتر مع البحرين و تسوية المشاكل المعلقة مع العراق.. ولعل هذا الفرق يأتي من تباين موقف

كل من الإمارات، والسعودية، والبحرين، والعراق وعدد الأوراق الرابحة التي يملكها كل طرف، وهو يكشف أيضًا طبيعة التقارب الإيراني الخليجي؛ فإيران لا تتعامل مع دول الخليج مجتمعة ـ ولو من خلال مجلس التعاون الخليجي ـ وإنما يأتي تقاربها مع كل دولة على حدة دون أن تتدخل في طبيعة العلاقات بين دول الخليج، وتعتبرها شأنًا داخليًا، ودون أن تعطي الفرصة لأي تداخل بين هذه العلاقات وبين علاقاتها بكلٍّ منها، ويبدو أن دول الخليج قد فهمت الإشارات الإيرانية في هذا الصدد وتسعى لاحترام هذه الرغبة.

ثانيا-المستقبل رهن بالتحركات الإيرانية

أن مستقبل التقارب الإيراني الخليجي رهن بالتحركات الإيرانية، وإيران تعي ذلك تمامًا؛ ومن ثَمّ فهي لا تقف عند محاولات تحسين العلاقات التقليدية، وإنما تبادر لتعميق وتطوير سبل التقارب؛ لتشمل المجالات من سياسية واقتصادية، واجتماعية وثقافية، كافةرغم الاختلافات الجوهرية في هذا المجال، وتسعى لابتكار وسائل وأساليب جديدة في هذا الصدد ـ وما جمعيات الصداقة التي تنشئها من جانب واحد إلا حلقة من سلسلة محاولاتها المستمرة في هذا الشأن ـ. يقول أحمد بورنجاتي ـ رئيس جمعية الصداقة الإيرانية السعودية ـ:" إن الجمعية تهدف إلى القيام بدور المعادل في العلاقات بين طهران والرياض بعيدًا عن النقابات السياسية، والأخذ بمبدأ علاقة الصداقة؛ ولذلك فهي تعتمد على الحوافز والإمكانات الشخصية والشعبية، مع التنويع الاجتماعي لمشارب مؤسسيها والاهتمام بالمجالات المشتركة الواسعة بين الشعبين لتكون عاملاً مؤثرًا في تعميق الروابط بين البلدين؛ لذلك فقد طالبت هذه الجمعية المسوؤلين في الدولتين أن يأخذوا أهداف الجمعية على محمل الجد ويتعاملوا معها بإيجابية وفعالية ". وقد يبدو أن هذه الجمعيات مبادرات شعبية، أو ذات توجه شعبي يسعى إلى مساعدة الدولة للخروج من عزلتها على مستوى المنطقة أو العالم، إلا أن واقع الأمر

أنها جمعيات تنشـئها العناصر التابـعة للنظام، وتعمل على وفق توجيهاته، وتكون بمثابة مؤسسة من مؤسساته تسعى لتحقيق أهدافه – وإن بدت شعبـية في شكلها أو كوادرها– ومن هنا يمكن القول: إن التقارب الإيراني الخليجي رسمي قبل أن يكون شعبياً، تحـدده مصالح الدولة والنظام، وليس معنى هذا أنه هرولة في اتجاه دول الخليج بـل تَحَرٌّ مدروسٌ ومخطط له، يسـعى إلى توريط دول الخليج في علاقة من نوع خاص مع إيران ؛ لذلك فإن مستقبل هذا التقـارب كما هو رهن بالتحـرك الإيراني فهو رهن كذلك بـرد فعل دول الخليج، ومدى قوة مجلس التعاون الخليجي في تحديد معقولية هذا التقـارب، وحفظ التوازن في العلاقات الخليجية الإيرانية، والمحـافظة على المصالح العربية في الخليج.. إن التقارب الإيراني الخليجي سلاح ذو حـدين، ويمكن أن يأتي بـآثار سلبـية على دول الخليج إذا تَركت المبـادرة في يد الطرف الإيراني؛ لأنه لا شك يسعى لتحقيق مصالحه ولو على حساب بـعض أو كل دول الخليج العربية، حـتى ولو كانت مبـادراته تبـدو في صورة معقـولة ومقبولة؛ لأن لديه القـدرة على الانتقـال من هذه الصورة إلى الوضع الذي يعطي الأولوية لمصالحه

ولا شك أن محاولاته ــ مُركِّزة على حـركة التقـارب في علاقـاته مع المملكة العربية السعودية ــ تمثل دليلاً على سعيه لتحقـيق هذه الانتقـالية، ولكن أخذ زمام المبادرة منه لصالح دول الخليج يتطلب التنسيق الواعي بـين هذه الدول، والتمسك بالوحدة الفكرية، ووحـدة المصالح بـينها ومراعاة أن يكون هذا التقارب تدريجياً ومقنناً بضوابـط تمنع تحقـق مصلحـة لطرف خليجي مع إيران على حسـاب طرف خليجي آخر، وتجعل الصفقـات الإيرانية كافة مع أية دولة خليجية صفقـات متعادلة، لا تؤدي إلى إثارة حساسية أو سوء ظن لدى دولة خليجية أخرى؛ لأن هذا سوف يفسد العلاقات بين الدول الخليجية وسوف يفسد بالتالي التقـارب الإيراني الخليجي، ولذلك فمن الضروري أن تتفق دول مجلس التعاون الخليجي على الدراسة، وتقويم

خطوات التقارب الإيراني تجاه كل دولة من دول الخليج وآثارها المستقبلية على المجلس ودوله، وكذلك ردود الفعل التي ينبغي أن تُتخذ حيالها، ويقدم المبادرات لحلول واقعية للمشاكل المعلقة بين دول الخليج وإيران؛ حتى تدرك إيران أن تحقق التقارب الكامل مع هذه الدول رهن بحل المشاكل المعلقة، وأن هذا التقارب ما هو إلا وسيلة لتحقيق هذا الهدف، وحتى تدرك إيران أيضاً أن هذا التقارب لن يكون على حساب أية دولة عربية، أو صديقة لدولة من دول الخليج(١٤).

الى جانب ماتقدم هناك موقف خليجي عبّر فيه الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي عن معارضة السعودية لـ »الحل العسكري« مع إيران بشأن برنامجها النووي لأن »النزاع مع إيران سياسي ويجب أن يحل بالدبلوماسية« معتبرا أن الحل العسكري »يجب أن يكون الخيار الأخير، فالقوة لا يمكن أن تبرر اعتداء يستهدف توفير هيمنة«. وأضاف وزير الخارجية السعودي: »إن القيام بعمل عسكري ضد إيران سيكون بمثابة غلطة خصوصا أن ثمة قاسما مشتركا بينها وبين المفاوضين الأوروبيين حول احترام بروتوكول الوكالة الدولية للطاقة النووية فيما المسألة المعلقة تبقى مسألة تخصيب اليورانيوم«. وأعرب الوزير سعود الفيصل عن قناعته بوجود إمكانية للتوصل الى حلول عبر الدبلوماسية«. منها الحل القائم على إيجاد كونسورتيوم دولي يتولى التخصيب ويكون مركزه في بلد محايد حتى خارج الشرق الأوسط و»يوفر ضمانات حول عدم استخدام البرنامج النووي لأغراض عسكرية(١٥).

ثالثا-طبيعة التفاعلات الخليجية- الإيرانية.

بالنظر إلى طبيعة التفاعلات الخليجية الإيرانية في إطارها التعاوني، نلحظ أنها شهدت العديد من الأشكال على مستويات دول الخليج العربي، كافةوإن كانت بصورة مختلفة بين دولة وأخرى:

فقد شهدت العلاقات مع عُمان وقطر زخمًا في العلاقات، سواء من حيث

الاتفاقيات الاقتصادية والثقافية والتعليمية أو حتى على مستوى الزيارات الرسمية، ولا نبالغ بالقول: إن درجة التقدم في العلاقات وصلت إلى الحديث عن أنباء تم تناقلها بشأن توقيع اتفاقية دفاعية مشتركة بين إيران وعُمان في نيسان(أبريل) ٢٠٠٠، بَيْد أن الخارجية العمانية سارعت إلى نفي هذه الأنباء، وَعدت تعاونها مع إيران من قبيل التعاون الروتيني والفني، كما ترتبط عمان بإيران باتفاقيات ذات طبيعة أمنية تتعلق بالعمل المشترك؛ لمكافحة التسلل والتهريب، ومراقبة الممرات البحرية للحد من مثل هذه الحوادث، كما تعقد الدولتان اجتماعات دورية للجنة المشتركة بينهما.

وتأتي زيارة أمير قطر إلى إيران حلقة في سلسلة التقارب الخليجي- الإيراني عامة، والقطري- الإيراني خاصة، ولا سيما بعد تولي الرئيس خاتمي الحكم في إيران، حيث تم تبادل العديد من الزيارات بين مسؤولين حكوميين من البلدين، وتوقيع بعض الاتفاقيات. وكان أبرز هذه الزيارات زيارة الرئيس خاتمي إلى الدوحة ضمن جولته العربية الأولى. وتأتي زيارة الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني استجابة لدعوة خاتمي له لزيارة طهران.

وتكتسب هذه الزيارة أهمية خاصة لكونها الزيارة الأولى التي يقوم بها رئيس دولة خليجية لإيران منذ عشرين عامًا، كما أن هذه الزيارة تتجاوز اللقاءات الأخوية والمجاملات السياسية إلى تفعيل العلاقات بين البلدين من خلال توقيع مجموعة من الاتفاقيات في مجالات محددة.والتوقيع على اتفاقيات اقتصادية وثقافية وصحية، من ضمنها اتفاقية للتعاون الثقافي، وأخرى في مجال الإعلام وتبادل المعلومات والأخبار، وفتح مكاتب لوكالات الأنباء وبروتوكول للتعاون الصحي، فضلا عن وضع آليات جديدة لتفعيل الاتفاقيات المبرمة بين البلدين في المجالات الاقتصادية والاستثمارية وفي مجال الطاقة .

وعلى صعيد التعاون المتبادل بين البلدين يأتي مشروع نقل مياه الشرب

من نهر كارون الإيراني إلى قطر، الذي تتوافر له الإمكانيات الأولية للتنفيذ، لا سيما بعد نجاح التجربة الإيرانية في مد أنابيب فولاذية وخراسانية تحت الأرض لمسافة ١٨٠ كم. وقد جرت مشاورات مكثفة بين خبراء البلدين لاستغلال المياه السطحية التي تتسرب في مناطق الجنوب الغربي في إيران إلى مياه الخليج دون فائدة، ووفقا للدراسات فإن طول الأنبوب الذي سيمر عبر المياه الخليجية يبلغ ٧٥٠ كم وينقل المياه بمقدار ١٠-٢٠ مترًا مكعبًا في الثانية، ولا زال المشروع قيد البحث والإعداد.

١-التقارب القطري- الإيراني.

على مدى عقدين منذ انتصار الثورة الإسلامية في إيران كانت الدوحة العاصمة الخليجية الأقرب إلى طهران حتى في ظل بلوغ التوتر الإيراني الخليجي قمته، ولم تصل أبدًا حد الخلاف والقطيعة، واستعصت على الظروف والسياسات التي صنعت من إيران عدوًا وهميًا للخليج.وفضلا عن البعد الرسمي في العلاقات فإن التواصل الشعبي لم ينقطع على الإطلاق، فالهجرات والاستقرار، بل والتوطين المتبادل قديم وموغل في القدم، ويشير إلى حقيقة ترابط شعوب المنطقة بميراث حضاري واجتماعي ومنظومة قيمية واحدة، وهذه الظاهرة رغم أنها ليست خاصة بقطر وحدها، بل تمتد لتصدق على كامل الساحل الخليجي من الكويت إلى الإمارات وعمان- فإنها تتجلى أكثر ما يكون في قطر .

ويعد التقارب القطري- الإيراني الذي عززته زيارة امير قطر جزءا من سياسة إذابة الجليد الذي جمَّد العلاقات الإيرانية- الخليجية؛ هذه السياسة التي أضحت ضرورة ملحة في هذه المرحلة لأسباب سياسية واستراتيجية، فإيران من جانبها لم تجد بدا من نزع عباءة الثورة وتصديرها، وارتداء ثوب الدولة المدنية التي تتطلع إلى بناء علاقات طبيعية مستقرة وإيجابية مع الخارج ومع دول الجوار من باب أولى، وهو التوجه الذي ركز عليه خاتمي، وإن كانت بدايته ترجع إلى الرئيس الإيراني السابق هاشمي رفسنجاني الذي بدأت في

عهده الخطوات العملية لترطيب الأجواء في المنطقة وإزالة غيوم التوتر منها، كما نشطت الدبلوماسية الإيرانية على الصعيد الخارجي والغربي بشكل خاص بالاستجابة لكل الإشارات الإيجابية القادمة من دول أوروبية، وحتى من الولايات المتحدة التي سماها قادة الثورة "الشيطان الأكبر" ، فكان من الطبيعي أن تحظى منطقة الخليج وقطر في مقدمتها بقدر أكبر من مبادرات التطبيع وتطوير العلاقات ، بحكم أن علاقتها بقطر لم تصل إلى باب مسدود كما كان مع دول خليجية أخرى .

أما قطر فإن سياستها الخارجية كانت على الدوام سياسة توفيقية وتقاربية مع الأطراف العربية والإقليمية،كافة فقد كانت أول دولة خليجية تخرج على حالة القطيعة مع إيران ونادت بضرورة إشراك إيران في مهام حفظ الأمن الخليجي، لكونها أحد أكبر عناصر المنظومة الخليجية وأقواها، والموقف نفسه كان تجاه العراق إذ نادت قطر – على لسان وزير خارجيتها حمد بن جاسم آل ثاني– برفع الحصار عن العراق إلا أن معطيات عربية وعراقية حالت دون تطور هذا النداء إلى مبادرة فاعلة، ولا ننسى مبادرات قطر من أجل حل الخلافات العربية بين العديد من الدول وكثير منها كانت موفقة وآتت أكلها .

ومما يسرع خطوات التقارب هذا مصلحتان مشتركتان لكلتا الدولتين، وهما: الحفاظ على أسعار النفط، وأمن الخليج

وإذا كانت المصلحة الأولى تلقى تجاوبًا مشتركًا بسبب إعتماد البلدين على النفط بشكل أساسي وحرصهما معا على عدم تدهور أسعاره، فإن المصلحة الثانية (تأمين الخليج) لا تزال آليات تحقيقها غير متفق عليها؛ بسبب الخلاف حول وجود القوات الأجنبية، ومع ذلك فإن هذه المصلحة تكتسب أهمية بالغة، ولا سيما من أجل موازنة الأحلاف الأجنبية في المنطقة، وعلى رأسها التحالف الإسرائيلي– التركي في إطار استراتيجية حلف الأطلنطي في المنطقة العربية[١٦].

٢- العلاقات الايرانية-الاماراتية.

أما العلاقات مع دولة الإمارات فإنها تشهد فترات من المد والجزر بحكم قضية الجزر، وهذه الفترات يغلب في طابعها العام ارتفاع درجة السجال السياسي والإعلامي، بَيْد أن الإطار العام لعلاقات الدولتين يظل في صورة معتدلة. وتعتمد الدعوة الإماراتية لحل قضية الجزر بالحوار أو المفاوضات أو التحكيم، في حين يرفض الموقف الإيراني أي صورة تخرج عن الإطار الثنائي. ورغم هذه القضية الخلافية فإن العلاقات الاقتصادية بين إيران وإمارة دبي تشهد نمواً مطرداً في حجم العلاقات، حيث يبلغ التبادل التجاري بين الطرفين نحو ١,٢ مليار دولار.

ويقع بين النموذجين السابقين النموذج الوسط في إدارة العلاقات الإيرانية مع البحرين والكويت، حيث شهدت العلاقات مع البحرين نمواً ملموساً تمثل في زيارات متبادلة لوزراء خارجية البلدين، وهو أمر يمثل علامة بارزة في ظل التوترات البحرينية مع إيران والإرث التاريخي السيئ لعلاقات الدولتين، وقد تُوِّجت العلاقات باستئناف العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين في كانون الثاني(يناير) ١٩٩٩.

ويرجع التطور في العلاقات بين البحرين وإيران إلى عاملين هامين أولهما: وصول الرئيس الإيراني خاتمي إلى السلطة في طهران وتوجهاته العامة بالانفتاح، وتطبيع العلاقات مع دول الجوار، وثانيهما: التقارب الإيراني – السعودي الذي لعب ب دوراً كبيراً في تحسين العلاقات البحرينية – الإيرانية.

أما الكويت ففضلاً عن قضية الجرف القاري المتنازع عليه بين الدولتين، فإن هناك درجات متعاظمة من التنسيق الأمني والعمالي بين الدولتين، وحتى الاقتصادي الذي تمثل في مشروعي تصدير الغاز والمياه الإيرانيين للكويت. وقد أكدت إيران والكويت في تموز (يوليو) ٢٠٠٠ أنه ليس هناك نزاع حول ترسيم حدود حقل الدرة البحري للغاز الطبيعي. وصرّح وزير

البترول الكويتي في مؤتمر صحفي في طهران بأنه سيتم بحث القضية بين الجانبين بعد الانتهاء منها بين الكويت والسعودية، مشيرًا إلى أنه تم الاتفاق من ناحية المبدأ على اتباع مبادئ القانون الدولي وترك هذه المسألة للجنة فنية، كما تم توقيع اتفاقية كويتية إيرانية لتبادل العمالة والخبراء، والتعاون في مجال التدريب المهني. الجدير بالذكر أن العمالة الإيرانية في الكويت تصل إلى نحو ٥٧ ألف إيراني يعملون في العديد من القطاعات، وأهمها تجارة التجزئة والفندقة. أما العلاقات مع السعودية فتحتل أهمية خاصة، بعدّها مفتاح العلاقات الإيرانية مع الخليج، ومن ثَم سيتم الحديث عنها لاحقًا بصورة أكثر تفصيلاً.

رابعا– عوامل تفعيل التقارب الخليجي – الإيراني.

ساهمت عوامل عديدة في دفع عجلات التقارب الخليجي الإيراني في عصر الرئيس خاتمي، وهي تمثل امتدادًا في جزء كبير منها لسياسات سلَفه الرئيس رافسنجاني نحو تطبيع العلاقات مع دول الخليج، وعليه يمكن النظر إلى العناصر الآتية:(١٧).

أولاً: أطروحات الرئيس خاتمي الخاصة بحوار الحضارات والانفتاح على دول العالم وخاصة دول الجوار الجغرافي، وتنطلق أطروحة خاتمي من الدعوة لبلورة فكر حضاري إسلامي جديد ليس مناهضًا للغرب وحضارته بل ندًّا له.. تأكيد خاتمي على قيم الاحترام المتبادل في العلاقات الدولية وتوفير الأمن للجميع، والاعتراف بالمبادئ والموازين الخاصة لكل دولة.. بطبيعة الحال كانت هذه الأطروحات بمثابة رسائل مباشرة لدول الخليج، ولغة جديدة لم يَعْهدوها في سياسة طهران التي اعتمدت لفترة غير قصيرة نموذج "تصدير الثورة". وفي هذا المجال فقد نعت الرئيس خاتمي – خلال زيارته لقطر – العمالة الإيرانية في دول الخليج بأنها "رسل المحبة والسلام"، وفي ذلك إشارة واضحة إلى دور هذه العمالة في تذويب الخلافات الإيرانية الخليجية.

ثانيا: التحولات الأيديولوجية الداخلية في إيران، ونعني بها التحول في إيران من الثورة إلى الدولة، حيث شهدت فترة الخميني الالتزام الصارم بمفاهيم وقيم الثورة الإيرانية، خاصة فيما يتعلق بنشر مبادئ الثورة الإيرانية، التي كان الحديث عنها يمثل عنصر قلاقل لدول الخليج العربي. وعليه فإن اختفاء الوهج الثوري بعد رحيل الخميني وقدوم قيادات إيرانية جديدة تنتهج المنهج الإصلاحي والبراجماتي في إدارة علاقات إيران الدولية والإقليمية، ساهم إلى حد كبير في تقريب المواقف الخليجية والإيرانية.

ثالثًا: سياسة العقوبات الأمريكية إزاء إيران وفرض مزيد من العزلة الدولية والإقليمية على إيران، دفعت بالسياسة الإيرانية إلى العمل على تحسين العلاقات مع دول الجوار لضمان جملة من الأهداف، أبرزها: جذب الاستثمارات الأجنبية، وفتح الأسواق الخليجية للبضائع والعمالة الإيرانية، وتنسيق السياسات النفطية الخليجية الإيرانية لضمان استقرار أسعار النفط، بعَدْ النفط المحور الرئيسي للاقتصاد في الخليج وإيران.

رابعًا: تخفيف حدة الإنفاق العسكري في المنطقة، فقد انطلقت السياسة الإيرانية من فرضية هامة وجوهرية ترى أن تطبيع العلاقات مع دول الخليج، وتخفيف حدة التوترات السياسية يسهمان في تقليل حدة الإنفاق العسكري، ومن ثَم تخفيف الضغط على الميزانية الإيرانية وكذلك الخليجية، وفي هذا الخصوص فإن الإنفاق العسكري لدول الخليج الست بجانب إيران والعراق قد بلغ عام ١٩٩٩ حوالي ٣٦ بليون دولار، كما تراوح الإنفاق العسكري ما بين ٦% إلى ١٥% من الناتج المحلي لهذه الدول. كما أن دول الخليج تمثل ١٥% من حجم سوق السلاح العالمية و٤% من الإنفاق العالمي على الدفاع.

خامسًا: تغيّر نظرة دول الخليج تجاه السياسة الإيرانية، وهو الأمر الذي بدأ منذ القمة الثامنة لمجلس التعاون الخليجي في العام ١٩٨٧، حيث مثّلت

علامة مميزة في تاريخ العلاقات الخليجية الإيرانية، وذلك من خلال وضع مبادئ عامة كأساس لأي حوار إيراني خليجي بحيث يضمن قواعد حسن الجوار، احترام سيادة الدول، عدم التدخل في الشؤون الداخلية، الاعتراف بالمصالح المشتركة.

وكانت النتيجة الطبيعية لمثل هذه المبادئ هي المساهمة في تغيير النظرة الإيرانية تجاه دول الخليج، كما أن السياسة الإيرانية بدأت تعيد النظر في قضايا جوهرية، مثل مبادئ تصدير الثورة، والتدخل في الشؤون الداخلية لدول الخليج.

خامسا-المحور السعودي الإيراني وتوجيه العلاقات الخليجية-الإيرانية.

تكتسب العلاقات السعودية الإيرانية أهمية خاصة في تشكيل منظومة العلاقات الخليجية الإيرانية، وذلك بحكم الثقل السياسي والتاريخي والديني والاقتصادي الذي تمثله الدولتان؛ لذلك لم يكن غريبًا أن سياسة واشنطن تجاه منطقة الخليج قد اعتمدت على الدورين السعودي والإيراني كثيرًا في توجيه سياستها تجاه المنطقة.

وقد تنبهت السياسة الإيرانية خاصة منذ عهد رفسنجاني لأهمية العلاقة المتوازنة مع المملكة العربية السعودية لكونها الدولة الكبرى في منظومة التعاون الخليجي، وكونها مفتاحًا لعلاقات عربية متوازنة؛ لذلك شهدت العلاقات الإيرانية السعودية في العقد الأخير درجة عالية من التنسيق السياسي والاقتصادي، ترجمتها زيارات المسؤولين للبلدين، خاصة أنها كانت على مستوى رفيع إيرانيًا وسعوديًا، وقد تُوِّجت هذه العلاقات الآخذة في التصاعد والنمو بتوقيع الاتفاقية الأمنية بين البلدين في طهران في شهر نيسان(أبريل) ٢٠٠١، بحيث يمكن القول: إن هذه الاتفاقية تمثل مرحلة مفصلية ليس في تاريخ الدولتين فقط، بل في تاريخ الإقليم الخليجي كله؛ وذلك نظرًا إلى الاعتبارات الآتية:[١٨]

١ -أهمية الدولتين في تشكيل وترسيخ السياسات الأمنية في الخليج، علاوة على اقتناعهما بأن العلاقات بينهما قد وصلت مرحلة من النضج والعقلانية غير مسبوقين، يعكس هذا الخطابان: الرسمي والإعلامي، الإيراني والسعودي بصدد إشادتهما بالاتفاقية .

٢-رغم الطابع الأمني للاتفاقية بالمعنى البوليسي وخاصة في مواجهة عمليات تهريب المخدرات، والجريمة المنظمة، وغسيل الأموال، فإن دلالاتها السياسية أكبر بكثير من تلك المسائل الفنية، فقد تكون بداية مرحلة تنسيق سياسي بين البلدين، وقد تُعدّ مقدمة لتعاون أمني بالمعنى الإستراتيجي، ثالثًا: يُعَدّ الأمن مفتاح التنمية والضمان الأساسي للاستقرار السياسي أهمية الاتفاقية في تعزيز عناصر الثقة بين دول الخليج وإيران، وهو الأمر الذي قد يقود مستقبلاً لحل القضايا العالقة بين ضفتي الخليج، مثل قضية الجزر المحتلة، وقضية الجرف القاري، وهنا من الأهمية بمكان التأكيد على عنصر الثقة في حفظ الضمانات السياسية بين الدول، وضمان الاستقرار السياسي والعسكري لدول المنطقة .

٣-في ضوء ماتقدم نجد ان الاتفاقية خطوة من خطوات تنسيق الجهود بين البلدين في المجالات الاقتصادية والثقافية والإعلامية، في ظل مبادئ التعاون الجماعي واحترام خصوصية الآخر. .

الا ان زيارة الرئيس الإيراني محمد خاتمي إلى المملكة العربية السعودية التي اختتمها في ١٤ ايلول(سبتمبر) ٢٠٠٢، وقام خلالها بأداء مناسك العمرة ولقاء الأمير عبد الله ولي العهد وكبار المسؤولين السعوديين، لم تحظ بما تستحقه من اهتمام من قبل وسائل الإعلام العربية والأجنبية، بالرغم من أهميتها، لا سيما في ظل سخونة التفاعلات المحيطة بكل من الدولتين، وذلك رغم حرص كل منهما على إبراز الطابع غير الرسمي للزيارة.

هناك دوافع واضحة لدى الساسة الإيرانيين للمبادرة إلى الدفع بخاتمي نحو زيارة جدة، والاجتماع بكبار المسؤولين السعوديين، وهذه الدوافع ليست

بعيدة عن مثيلتها الخاصة بالسعودية. ومن المفارقات أن الدولتين اللتين وقفتا على طرفي نقيض إبان الحرب العراقية الإيرانية طوال عقد الثمانينيات هما اللتان يجمعهما الملف العراقي ذاته بعد عقد ونيف من انتهاء حـــرب الخليج الأولى.

فإذا كانت الرياض تخشى تقسيم العراق واستبــعاده من معادلة القـــوة والتوازن في المنطقة العربية، فإن طهران تخشـــى ذلك التقســـيم أيضا، لكن لأسباب أخرى، فهي لا تخشى استبعاد القوة العراقية من المعادلة الإقـــليمية لأن هذا يصب في صالح الثقل الإقليمي الإيراني، بل إن تقسيم العراق سيعني مباشرة إقامة دولة شيعية في الجنوب تكون بمثابـــة رأس حربـــة للسياســـة الإيرانية في كتف الجسد العربي، لكن في المقابـــل ســـيكون على طهران أن تقبل إقامة دولة كردية في شمال العراق، وهو ما يجعل شبح انتقـــال عدوى الاستقلال إلى الأقليات في إيران غير بعيد.

كما أن مجرد طرح فكرة تقسيم العراق من شأنه أن يرسي مبـــدأ قابـــلاً للتكرار في المنطقة، وهو ما تدركه جيداً الرياض وطهران، وربما تصبـــح هذه النقطة مفصلية في الموقف السعودي، نظراً لتمتع طهران بـــنظام حـــكم أكثر ديمقراطية وأكثر تعبيراً عن الشعب واقتراباً من الحـــريات السياســـية بالمعنى الليبرالي الغربي، وهو ما تفتقده الرياض، وإن كان نظام الحكم فيها من أكثر النظم الحاكمة في الخليج والعالم العربـــي استقـــراراً، لكن التدهور الحاصل في العلاقات مع الولايات المتحدة لا بد أن يثير قلق العائلة الحـــاكمة في الرياض من أية احتمالات لتدخل أمريكي بصورة أو بأخرى بعد الانتهاء من الملف العراقي.

العامل الأمريكي أيضاً يلعب دوراً في توازي المخاطر وتطابق المصالح بين إيران والسعودية، فقد شهدت السنوات السابقة تناغماً كبيراً بين السياسات الأمريكية والخليجية في قضايا وموضوعات عديدة، مقابل تنافر وتوتر بين واشنطن وطهران، خاصة في فترات كانت طهران تمثل فيها تهديداً مباشراً

لأمن دول مجلس التعاون الخليجي، التي مثلت في المقابل علاقاتها مع واشنطن رادعاً لطموحات إيران الإقليمية.

غير أن سياسات واشنطن بدأت تتجه مؤخراً بعيداً عن المصالح الخليجية، مقابل تحسن كبير طرأ على العلاقات الإيرانية الخليجية على مختلف المستويات.

وبعد تفجيرات سبتمبر ٢٠٠١،وانكشاف النظرة الأمريكية العدوانية للعرب والمسلمين، فإن ضلع التناغم في أضلاع مثلث (أمريكا - إيران - الخليج) لم يعد (الخليج - أمريكا) لتحييد أو تحجيم إيران، إذ انتقل هذا التناغم إلى ضلع (الخليج - إيران) للحد من جموح واندفاع رأس المثلث (أمريكا).

وفيما يتصل بالعامل الأمريكي أيضا، يشار إلى بدء الولايات المتحدة مؤخراً فتح ملفات داخلية سعودية تمثل حرجاً للعائلة الحاكمة، ليس فيما يخص حقوق الإنسان فقط، بل في اتهامات بفساد مالي وأخلاقي لأفراد من العائلة الحاكمة أيضا، توازياً مع اتهام السعودية بتصدير الإرهاب عبر نظام التعليم بها، وتمويل المؤسسات التعليمية الإسلامية في مناطق متعددة في العالم.ومعلوم أن هذا الدور السعودي يمثل إضافة لعناصر قوتها ومكانتها المعنوية، ولذا فإن ما تفعله واشنطن هو بالفعل ضرب كل مقومات الدور السعودي خارجيًا، وتقويض دعائم الحكم داخليًا. والقادة السعوديون على وعي بذلك، وبالتالي فإن عدم التصدي للضغوط الأمريكية سيضع ساسة السعودية قريباً في مأزق يصعب عليهم الخروج منه.

وبالرغم من ذلك لا يزال التقارب الإيرانى العربي في طور التكوين، وبالتالي يصعب التنبؤ بفرص نجاحه، لكن بالإمكان استشراف تلك الفرص من خلال المؤشرات والإرهاصات المتاحة بالفعل.

وأول هذه المؤشرات أن بداية التقارب تأتي من الجانب الإيراني، وهي مسألة لها دلالتها في مصداقية طهران في رغبتها للتنسيق مع العرب لمواجهة واشنطن، فلو أن الخطوة الأولى كانت عربية لأصبح موقف طهران محل شك، أو على الأقل محل جدل كبير ما لم تثبته عمليًا.لكن الحاصل أن

إيران هي التي بادرت إلى التحرك نحو الخليج والعرب في اتصال سياسي على أعلى مستوى، بما يعكس جدية تحركها من جهة، ورغبتها الملحة في استكشاف موقف القيادة السعودية على أعلى مستوى أيضاً.

وربما كان للزيارة التي قام بها ملك البحرين الشيخ حمد بن عيسى في ايلول(سبتمبر)٢٠٠٢دور في تمهيد الأجواء أمام طهران لإحداث اختراق، والارتقاء بمستوى التنسيق مع دول الخليج العربية. وهو ما يتسق أيضاً والبيان الصادر عن لقاء سبق تلك الزيارة وجمع وزيري خارجية السعودية وإيران، أعربا خلاله عن تطابق المواقف من القضايا والمستجدات في المنطقة.

كذلك فإن ما تناقلته الأنباء عما جرى في اجتماع مجلس الأمن القومي الإيراني عشية زيارة خاتمي لجدة يشير بوضوح إلى تحول بوصلة السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الدول العربية، وأن ثمة اقتناعا لدى القادة في طهران بأن مواجهة المخاطر المحدقة بالمنطقة ككل تستلزم مزيداً من التقارب والتنسيق مع الدول العربية عموماً والخليجية خصوصاً، الأمر الذي انعكس بعدها مباشرة في زيارة خاتمي للمملكة.

ومن اللافت للنظر أن ما تسرب عن ذلك الاجتماع عالي المستوى تضمن مقترحات تتعلق بالتعاون الإقليمي بين إيران والدول العربية بما فيها غير الخليجية، وتضمن أيضاً ضرورة تحسين العلاقات مع الدول التي لا تزال علاقاتها بطهران متوترة مثل مصر، وهو إشارة أخرى إلى جدية إيران في رغبتها التنسيق مع الأطراف العربية لعلمها أن المشاركة المصرية في أية ترتيبات إقليمية تمثل شرطاً ضروريًّا لنجاحها.

وبعد كل ماتقدم يثار التساؤل الاهم ,هل يعني هذا تطابقاً كاملاً في المواقف والسياسات بين طهران والرياض؟

تصعب الإجابة عن هذا التساؤل بالإيجاب، حيث لا تزال بعض المشكلات عالقة بين الدولتين، كما لا تزال بعض المواقف والسياسات تسير في اتجاهات غير متوازية، إن لم تكن متعارضة، هذا بالطبع فضلاً عن هاجس التهديد الأمني الذي يؤرق دول الخليج، ويمثل أحد ثوابت الفكر

الإستراتيجي الخليجي، خاصة ما يتعلق منه بإدراك دول الخليج لطموحات الجار الإيراني "اللدود."

على المستوى الأول تمثل مسألة الوجود العسكري الأجنبي عموماً – والأمريكي تحديداً – إحدى كبريات المسائل الخلافية بين طهران والرياض، فإيران ترفض هذا الوجود مبدئيًّا، وطالما تبنت مبدأ "أمن الخليج مهمة دول الخليج"، وهو ذاته الطرح الذي تبنته في مواجهة إعلان دمشق الذي كان يفترض أن يفسح دوراً في الأمن الخليجي لكل من سوريا ومصر.

-وعلى المستوى الثاني يُعد الموقف من الصراع العربي الإسرائيلي أحد مجالات التباين بين الدولتين، فرغم التراجع الكبير في شدة اللهجة الإيرانية الرافضة للتسوية السلمية حلاً للصراع، فإن التصعيد المتواصل في هذا الصراع أعاد منطق رفض التسوية السلمية من حيث المبدأ إلى صدارة الخطاب الإيراني، هذا بينما شددت المملكة العربية السعودية من لهجتها الانتقادية لواشنطن وتل أبيب جراء التواطؤ بينهما لوأد الانتفاضة الفلسطينية وتفريغ الحلول المتاحة من مضمونها، بما في ذلك مبادرة الأمير عبد الله التي تحولت إلى مبادرة عربية، لكن يظل التمسك العربي والخليجي (بما فيه السعودي بالطبع) برفع شعار "السلام خيار إستراتيجي" موضع اختلاف واضح بين الجانبين.

١-ومؤخراً برزت قضية مكافحة "الإرهاب" لتضاف إلى القضايا التي تتباعد فيها المواقف والسياسات السعودية والخليجية عموماً عن تلك الإيرانية، فرغم أن طهران قدمت عوناً كبيرا للولايات المتحدة في حملتها "العالمية" لمكافحة ما تسميه واشنطن "الإرهاب" – خاصة في مرحلتها العسكرية الأولى ضد أفغانستان – فإن تأييد طهران لواشنطن ظل دائماً مشروطا بتحفظات مبدئية.

٢-وفي المقابل فإن موقف الرياض كان، ولا يزال، أقل تحفظاً عن طهران،

وباستثناء رفض ضرب العراق فلا تحفظات أو اعتراضات سعودية تقريباً على التحركات الأمريكية لمكافحة ما تسميه واشنطن "الإرهاب"، بما في ذلك إدراج بعض منظمات المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي ضمن لائحة الإرهاب الأمريكية، فهذا التعسف من قبل واشنطن لم يقابل من السعودية بأي رد عملي تقريباً.

٣-بل فيما هو أبعد من ذلك، تعرضت المملكة لضغوط سياسية وإعلامية شديدة من واشنطن لوقف تقديم مساعدات اقتصادية للفلسطينيين، خاصة أسر الشهداء والاستشهاديين، حيث تعد واشنطن ذلك مساهمة من السعودية في تعويضهم، وتشجيعاً لغيرهم على ممارسة "الإرهاب.!"

ومن غير المعلوم يقيناً حدود الاستجابة السعودية لمطالب واشنطن بوقف "تمويل الإرهاب" بهذه الطريقة، لكن الملاحظ أن تلك الاتهامات الأمريكية للرياض قد تراجعت حدتها في مؤخراً"، وهو ما لم يكن ليحدث إذا لم تلمس واشنطن تلبية لمطالبها.

-أما فيما يتعلق بإدراك السعودية وبقية دول الخليج للعلاقة مع إيران، فمن الصعب تماماً على المراقب أن يتفاءل سريعاً باختفاء النظرة الخليجية المتوجسة تجاه إيران لأسباب عديدة منها:

الإرث التاريخي: فالعلاقة بين العرب والإيرانيين لم تكن في يوم أفضل مما هي عليه الآن، لا في العهود التاريخية القديمة التي كان للفرس خلالها طموحاتهم الإقليمية التوسعية على حساب العرب، ولا في التاريخ الحديث والمعاصر سواء في العهد الشاهنشاهي أو في ظل الجمهورية الإسلامية التي كان تصدير الثورة الإسلامية إلى الدول العربية المهمة الأولى لسياستها الخارجية على مدى سنوات.

التباين المذهبي: لا يحول اختلاف الأديان أو المذاهب دون قيام علاقات جيدة بين الدول شعوباً وحكومات، ويفترض بالتبعية أن يكون الاختلاف المذهبي أقل تأثيراً في إبطاء عجلة تحسن العلاقات بين إيران وجاراتها

العربيات، لكن الأمر الواقع يشير إلى غير ذلك، حيث توجد نسبة يعتد بها من الشيعة خاصة في البحرين والمنطقة الشرقية من السعودية، وبالتالي فمن الطبيعي أن يصبح الهاجس المذهبي حاضراً بقوة في العلاقات الإيرانية الخليجية حتى الآن، على الرغم من تخلي إيران الرسمية عن شعار تصدير الثورة منذ سنوات.

تفاوت القوة: شأن أي طرفين بينهما تفاوت في عناصر القوة، لا بد أن يخشى الضعيف القويَّ، وينظر له دائماً بارتياب وعدم ثقة، أو على أحسن تقدير بحذر، وفي الحالة الإيرانية السعودية، أو الإيرانية الخليجية عامة، فإن التفاوت في عناصر القوة واضح وكبير لصالح إيران، ويشمل مختلف هذه العناصر وليس القوة العسكرية وحسب، فهناك فجوة واسعة بين ضفتي الخليج في عدد السكان والموارد المتاحة، ومؤشرات الكفاءة البشرية بما في ذلك التعليم والصحة وغيرها.. فضلاً عن التفاوت في الجوانب الجيوسياسية والجيوإستراتيجية مثل المساحة والموقع الجغرافي وطبيعة المناخ والتكوين الطبوغرافي للأراضي. إضافة إلى الرصيد الحضاري والثقافي الذي يمثل رافداً مهماً لقوة الدولة بمعناها الشامل.

إذاً لا ينبغي توقع قيام تحالف إستراتيجي فجائي بين إيران والسعودية أو إيران ودول الخليج أو الدول العربية، فمقومات "إستراتيجية" هذا التحالف، أو بالأحرى ديمومته، صعبة التحقق. لكن ما يمكن التطلع إليه هو تحالف تكتيكي مؤقت يستهدف مصالح بذاتها ويدرأ أخطارا بعينها، مع ملاحظة أن السعودية هي أقل دول الخليج العربية تضرراً بالخلافات والعوامل المشار إليها قبل قليل،نظراً لكونها أكبر الدول الخليجية مساحة وسكاناً، ولتميزها في النواحي الجيوسياسية من حيث الموقع الجغرافي والثقل الإقليمي الذي تتمتع به،فضلاً عن الرصيد المعنوي لوجود المواقع الإسلامية المقدسة فيها.

لذلك فهي دائماً أقرب الدول إلى الاقتراب من إيران أو العكس، لكن هذه الخصوصية السعودية لا تفتح الباب أمام تحالف كامل ودائم غير قابل

للتفكك، ويظل تأثيرها محصوراً في حدودٍ كمية وليست نوعية، أي ربما تكون مساحة التوافق بينها وبين إيران أكبر، أو لفترة زمنية أطول، وربما يغطي التوافق قضايا ومجالات أوسع، لكنه يظل في النهاية محكوما بالثوابت الحاكمة للعلاقات بين إيران ودول الخليج، فضلاً عن ارتهانه بالثابت الأكبر وهو ارتباط الخليج الوثيق بواشنطن.(١٩)

سادسا-مؤشرات التقارب الايراني – الخليجي.

هناك أربعة مؤشرات تعبر عن مستوى العلاقات القوية بين الجانبين خلال السنوات السابقة (٩٧-٢٠٠٢)هي :

١-الزيارات الرسمية رفيعة المستوى بين إيران والدول الخليجية الست التي وصلت إلى أكثر من ٦٥ زيارة رسمية، منها ٤١ لإيران و ٢٤ لدول الخليج وكان من أبرزها زيارتي الرئيس خاتمي للسعودية في١٩٩٧ وفي ٢٠٠٢ على التوالي؛ وزيارة ولي العهد السعودي لطهران في ١٩٩٩ .

٢-عدد الاتفاقيات السياسية والاقتصادية التي تم توقيعها بين الجانبين منذ العام ١٩٩٧ وحتى ٢٠٠٢ التي بلغت نحو ٤٢ اتفاقية تتركز حول مجالات التعاون الاقتصادي والتجاري،كما أن هناك اتفاقية للتعاون العسكري مع سلطنة عمان،وأخرى للتعاون الأمني مع السعودية، وتعد أبرز الاتفاقات الموقعة بين إيران والدول الخليجية.وتشمل الاتفاقية أوجه التعاون في مجالات مكافحة الجريمة والإرهاب وغسيل الأموال وغيرها.

٣-عدد اللجان المشتركة بين إيران والدول الخليجية التي يتم من خلالها دعم التعاون بين الجانبين، وتبلغ ٨ لجان، أبرزها اللجان العليا بين الجانبين .

٤-حجم التبادل التجاري بين الجانبين الذي بلغ نحو ٤,٢ مليارات دولار في العام ٢٠٠١ .

سابعا-الحساسيات الخليجية للتقارب الخليجي – الإيراني.

صفة الحساسية المفرطة للعلاقات من أهم السمات التي تميز طبيعة العلاقات الخليجية الإيرانية، حيث يمكن القول: إن التقارب الإيراني مع بعض الدول الخليجية يمثل حساسيات لدى دول خليجية أخرى لديها مشكلات مع إيران، وهو الأمر الذي كشف عنه بوضوح الموقف الإماراتي من التقارب السعودي الإيراني، حيث تنظر أبو ظبي إلى هذا التقارب على أنه ذو تأثير سلبي على قضية الجزر الإماراتية المحتلة؛ وهو ما دعى وزير الخارجية الإماراتي في العام ١٩٩٩ لوصف هذا التقارب بأنه "تحدٍّ لبلاده"، فما كان من وزير الدفاع السعودي سوى وصف هذه التصريحات بأنها "طفولية"، ونعت وزير الخارجية الإماراتي "بالجاهل عدو نفسه."

وتُعَدّ هذه الأزمة السعودية – الإماراتية مثالاً بارزًا على التحديات التي تواجه تطبيع العلاقات الخليجية الإيرانية، حيث تردد وقتها أن الإمارات هدّدت بالانسحاب من مجلس التعاون الخليجي، ولعلّ مثل هذه الأزمة دفعت السياسة السعودية عقب توقيع الاتفاقية الأمنية مع طهران إلى نفي الربط بين الاتفاقية الأمنية وقضية الجزر الإماراتية المحتلة.

كذلك الحال بالنسبة لعُمان حين نفت توقيع اتفاقية دفاعية مع طهران، بل لم تكتفِ بالنفي، حيث سارعت إلى تأكيد دعمها للموقف الإماراتي بشأن قضية الجزر، والتأكيد على الانتماء الخليجي للسياسة العمانية.وتنهج بقية دول مجلس التعاون النهج نفسه بصدد علاقاتها مع إيران بالمسارعة بتأكيد دعمها لحل قضية الجزر الإماراتية المحتلة.كما يدخل في هذا السياق أيضا سعي الكويت – عقب توقيع اتفاقية تسمح باستيراد الغاز من إيران – إلى طمأنة قطر بشأن استيراد الغاز القطري[٢٠].

ثامنا -تداعيات ١١ ايلول(سبتمبر) ٢٠٠١ على دول الخليج-:

فرضت أحداث ١١ ايلول(سبتمبر) وتداعياتها تحديات خطيرة على منطقة الخليج، وطرحت الكثير من التساؤلات حول مستقبل العلاقات

الخليجية-الأمريكية في ضوء ازدياد الانتقادات الخليجية للسياسة الأمريكية، وحول مستقبل علاقــات دول مجلس التعاون مع إيران في ضوء التقــارب الإيراني-الخليجي، والتنسيق الأمريكي-الإيراني بشأن أفغانســتان، فضلاً عن تزايد الوجود العســكري الأمريكي في المنطقــة الذي كان مرتكزًا في شمال الخليج فقط لتحجيم التهديدين العراقــي والإيراني والخطر الروســي، حيث امتد الوجود الأمريكي المباشر من بحر قــزوين شــمالاً إلى الجنوب (عمان- اليمن- القرن الإفريقي) حيث البحر الأحمر والمحيط الهندي وبحر العرب، وهي الممرات الإستراتيجية الرئيسة اللازمة للســيطرة على مناطق الخليج وجنوب آسيا، إضافة إلى تكثيف الوجود العسكري في آسيا الوسطى.

ويلاحظ أن الوجود الأجنبي الأمريكي شمال الخليج وجنوبه قد يؤثر في الوضع الداخلي لدول المنطقة، ويخلق مشكلات أمنية خطيرة لها، فضلا عن التأثير في وضعية السعودية -الدولة القــائد- في مجلس التعاون، وإحــكام الحــصار العســكري على إيران .وعلى ذلك تبــدو منطقــة الخليج بــعد ١١ ايلول(سبتمبر)في قلب ثلاثة أقاليم جغرافية سياسية مضطربة، تتقــاطع فيها شبكة المصالح الاقتصادية بما يجعلها مواقع لحروب المستقبــل. ويضم الإقليم الأول أفغانستان وآسيا الوســطى، والثاني المحــيط الهندي، والثالث إقــليم القوقاز.ووقــوع الخليج وســط هذه الأقــاليم الثلاثة يجعل قــيمته الإستراتيجيةلا تقتصر على النفط فقط، بل بعُده منطقة مؤثرة في أقاليم العالم الجديد.

فقد شكلت الأزمة بين الولايات المتحــدة والعراق و الغزو العســكري لبــغداد تحــديًا خطيرًا لكل من إيران ودول مجلس التعاون الخليجي. فعلى الجانب الإيراني ارتبطت المواقف الإيرانية من احتمالات العدوان الأمريكي على العراق ارتباطًا قــويًا بــالمصالح الإيرانية في الخليج، ومجمل الرؤى الخاصة بالعلاقات الإقليمية، حيث يتعارض هذا الغزو مع سعى إيران لدعم وجودها ونفوذها في إقليم الخليج، عبر نزع أسباب التوتر مع العراق وتقوية

العلاقات مع دول الخليج، وعبر الحد من النفوذ الأمريكي، وبالذات بعد ما تم وضع إيران ضمن دول محور الشر مع العراق وكوريا الشـمالية على وفق تصنيف الرئيس الأمريكي أمام الكونجرس في كانون الثاني(يناير) ٢٠٠٢.

فإيران تدرك أن نجاح الغزو مقـدمة للاعتداء عليها، كما أنه يؤسـس وجودًا عسكريًا أمريكيًا في العراق، وسيكون كذلك مقدمة لترتيبات إقـليمية تسمح لإسرائيل بـأن تتواجد في العراق بالقـرب منها. ومن ثم فإن معادلة العلاقات الإقليمية في الخليج سوف تشهد اختراقًا إسرائيليًا غير مسبـوق في ظل رعاية وحماية أمريكية لهذا الاختراق .

أما على المستوى الخليجي فإن مستوى التحديات لا يقل في خطورته عن تلك التي تواجهها إيران إن لم يكن يزيد عليها، حيث أصبح الإقليم قـريبًا من مراكز تخطيط السياسة العالمية، وهو ما يبرز تحديين رئيسين يواجهان دوله العربية على صعيد إعادة هندسة الأمن الإقـليمي الخليجي؛ أولهما خطورة قيام الولايات المتحدة بشن عدوان على ، وثانيهما اهتزاز ثقة البناء التحالفي بـين أمريكا ودول مجلس التعاون، وتنامي الاتجاهات الشعبـية المعارضة للوجود الأمريكي في الخليج .

ولذلك فإن دول المجلس ليس لم يكن أمامها سوى السـعي على العمل في اتجاهين: أولهما الحيلولة دون وقوع عدوان أمريكي ضد العراق، والإسراع بتحديد السياسات التي يجب أن تقوم بـها دول المجلس لمواجهة المتغيرات الجديدة التي يمكن أن تنشأ في حال وقوع الغزو وإسقـاط النظام الحـاكم في بغداد. وثانيهماإعادة تأسيس أنماط جديدة من العلاقـات مع أمريكا، تهدف لاستعادة الثقة والبحث في حدود الدور الأمريكي في الخليج.. وإن كان العمل في هذين الاتجاهين لا يمكن أن يتم بدون بلورة سياسة جديدة للعلاقات بـين دول المجلس وإيران، واحـتمالات التقـارب الإيراني–الأمريكي في هذا الشأن[٢١].

وبإعلان الرئيس أحمدي نجاد امتلاك بلاده للتقنية النووية أعادت دورية

أتلانتك نشر دراسة كانت قد أجرتها في ايلول(سبتمبر) ٢٠٠٤ استشارت فيها جنرالات سابقين من البنتاغون لبحث الرد الأميركي المناسب على التهديد النووي الإيراني لدول الجوار.ووصلت الدراسة إلى أن الولايات المتحدة ليس في مقدورها توجيه ضربة قاصمة إلى إيران لأن الأخيرة استفادت من الدرس العراقي، وقامت بتوزيع قدراتها النووية على مساحة جغرافية أوسع وفي أماكن محصنة يصعب حصرها.كما أن تعاطف شيعة العراق مع إيران سيوقع الجيش الأميركي في ركن من أركان جهنم إذا ما ضربت إيران، فماذا بوسع دول الخليج أن تفعل إذن؟

هناك أربعة خيارات لمواجهة البرنامج النووي الإيراني، أولها وأكثرها بساطة الاستمرار في الحالة التي تعيشها هذه الدول الآن وهو ما يمكن تسميته خيار الارتباك وإغماض العين عما يدور.وقد أعلنت السعودية أنها ليست قلقة من البرنامج النووي الإيراني طالما التزم جوانبه السلمية، بينما تخشى دولة الإمارات أن يؤدى وصول إيران إلى السلاح النووي إلى إغلاق ملف الجزر الثلاث إلى غير رجعة.وتعيش دولة مثل البحرين على جمر الخوف من اندلاع فتنة طائفية بين الشيعة والسُنة، وتعاني الهوية الوطنية فيها من مخاض البلورة بعد ٣٥ سنة من تشكيل الدولة. وتختلف فيها التوجهات تجاه البرنامج النووي الإيراني بين ما هو رسمي خائف من الطموحات الإيرانية التوسعية وما هو شعبي سعيد، بأغلبيته الشيعية، بما حققته إيران.ليس هناك إذن في خيار الارتباك والخوف وإغماض العين إلا مزيد من المكاسب لصالح إيران التي لم تنس بعد أن التاريخ العسكري للإقليم حديث للغاية، وأن القدرات الديموغرافية جد متواضعة.ولم تنس طهران كذلك أنها احتلت الجزر الإماراتية الثلاث مطلع السبعينيات في وقت كان فيه وليام لويس مقيما سياسيا بريطانيا في الشارقة، وفي فراغ عسكري عربي.

الخيار الثاني الذي يمكن أن تصل إليه دولة كبرى ذات عمق جغرافي وإستراتيجي مثل السعودية، هو الاستعانة بما يسمى توصيل الطلبات النووية

إلى الزبائن، وهو الخيار الذي روج جهاز الموساد الإسرائيلي أنه تحقق بالفعل، بل وحدد أن رأسين نوويين قد وصلا إلى الأراضي السعودية عبر وسطاء باكستانيين.

بالمقابل يحتاج الخيار الثالث، أي تبني برنامج نووي متكامل، إلى طريق علمي طويل وفترة قد لا تقل عن ثلاثة أو أربعة عقود بين مد وجزر مع القوى الدولية.وهذا الطريق لا توجد له حتى الآن أية علامات، ولا تؤشر عليه أية قواعد من بنى أساسية، حتى في أكثر دول المنطقة سكانا وأوسعها مساحة.الخطأ الذي يرتكب في تهيئة العقل العربي لرفض هذا الخيار يكمن في مزايدة بعض الكتاب العرب على أننا دعاة سلام، ولسنا ممن يجلب الدمار على البشر بالرد على إيران بامتلاك السلاح النووي.وهذا خطأ أقل ما يقال عنه إنه يستغفل العقل ويدلس عليه بل ويغرقه في خرافات باسم الدين، لأن الفرق كبير بين العفة عن قدرة والعفة الكاذبة.

لا يبقى من الخيارات سوى أكثرها سوءا وهو اللجوء إلى الحماية الدولية أمام الخطر "الايراني" وهو مسمى يحمل ازدواجية عرقية مذهبية كفيلة بإسكات الأصوات التي قد تعترض على لجوء الحكومات الخليجية إلى غطاء دولي بالانضمام إلى حلف الناتو على سبيل المثال.كما تتشابه دول الخليج -باستثناء السعودية- مع دول البلطيق التي عانت من التخويف الروسي المتسلح بالتقنية النووية في عدد من الملامح السياسية والديموغرافية.بل إن مفاعل بوشهر على الخليج لا يختلف عن مفاعل سان بطرسبرغ الروسي، على مقربة من موانئ دول البلطيق التي استغاثت بحلف الناتو لحماية ضعفها الديموغرافي ومواقعها الإستراتيجية.وقد مد لها الحلف يده وضمها إلى عضويته في العام ٢٠٠٣ واضعا كلمة النهاية للتهديد الروسي.فالتوتر بين الفرس والعرب في الخليج المدجج بالسلاح الأميركي والإيراني ما زال يقطع خطواته الأولى نحو مستقبل يموج بأشباح الحرب الطائفية، وتتربص به حروب إقليمية مهلكة[٢٢].

ويطرح الدكتور مصطفى العاني التساؤل عن فكرة تدمير المواقع النووية الإيرانية هل هي خيار جدي؟وهو التساؤل الأساسي الذي يدور في أروقة صناعة القرار في دول مجلس التعاون الخليجي، كما هو الحال في دول عديدة أخرى خارج وداخل منطقة الشرق الأوسط، هو :

١-هل من الممكن عدّ التهديدات الإسرائيلية الأميركية بتبني الخيار العسكري للتعامل مع الطموحات النووية الإيرانية خياراً جدياً؟ أم أنه مجرد تكتيك ووسيلة ضغط سياسي ومعنوي على القيادات الإيرانية، وكذلك على الدول التي تتخذ موقفا متساهلا إزاء المشروع النووي الإيراني، لكونه في حسابات الواقع العملي أمرا غير قابل للحدوث تحت أي ظرف من الظروف؟

٢ -هل يمثل هذا الخيار أحد الخيارات الجدية والحقيقية المتوفرة للتعامل مع ما يصطلح عليه بالخطر النووي الإيراني.إن الأطراف الخارجية المعنية ستلجأ إلى هذا الخيار (الخيار العسكري) فقط في حالة فشل الخيارات الأخرى، وبعد توفر ظروف خاصة، ربما تكون غير متوفرة حاليا، تسمح بتبني العمل العسكري كوسيلة للتعامل مع هذه القضية.لذا فإن موقف صناع القرار في دول المجلس يجب أن يبنى على فرضية "الخيار المؤجل"، أي أن العمل العسكري ضد المنشآت النووية الإيرانية أمر وارد وجدي، ولكنه ليس حتميا ولا وشيك الحدوث في ظل الظروف السائدة الآن .

٣-هل أمسى الخيار العسكري ضرورة حتمية للتعامل مع الطموحات النووية الإيرانية المفترضة، ومما يعزز حتمية تجسد هذا الخيار هو افتراض أو حقيقة وجود أسباب ودوافع تتجاوز هدف التدمير الفعلي للقدرات والمواقع النووية الإيرانية، مع أهداف سياسية في أجندة "الأطراف الخارجية" يُرجى تحقيقها عبر خيار العمل العسكري.وكانت مثل هذه الحسابات ماثلة في القرار الأميركي بالعمل على إزالة النظام العراقي بمعزل عن الهدف الذي كان معلنا، وهو هدف نزع العراق

لأسلحة الدمار الشامل.ويقوم هذا السيناريو على أساس افتراض أن العمل العسكري ضد المنشآت النووية الإيرانية لن يكون إستراتيجية أو خيارا أحادي الهدف، بل يُعَد وسيلة وغطاء لتحقيق عدد من الأهداف الأخرى، داخل أو خارج إيران .

٤-هل خيار العمل المخابراتي (خيار التدمير بوسائل غير عسكرية) للقضاء أو لتعطيل تقدم البرنامج النووي الإيراني يعد بديلا لخيار العمل العسكري المباشر؟ ومثل هذا الخيار هو ما تمت ممارسته بشكل واسع وفعال من قبل أجهزة المخابرات الإسرائيلية والغربية خلال فترة منتصف ستينيات القرن الماضي ضد البرنامج المصري لتطوير الصواريخ متوسطة وبعيدة المدى (سلسلة صواريخ القاهر والظافر).كما تمت ممارسته لاحقا خلال فترة أواخر السبعينيات وحتى التسعينيات ضد البرنامج النووي العراقي وبرنامج "المدفع العملاق" وغيرها من أعمال التخريب المخابراتي من قبل أجهزة المخابرات الإسرائيلية والغربية عموما.وهذه النشاطات المخابراتية هي التي سبقت قرار إسرائيل القاضي باللجوء إلى العمل العسكري في العام ١٩٨١ كوسيلة لتعطيل البرنامج العراقي، وقد تمثلت هذه النشاطات في حملة مخابراتية واسعة شملت في جغرافيتها دولاً عديدة في العالم قادتها أجهزة المخابرات الإسرائيلية، وترجمت عمليا بسلسلة من عمليات التصفيات الجسدية للعلماء العاملين في البرنامج النووي العراقي من عراقيين وغير عراقيين، ومحاولات متكررة لتدمير المعدات المتعاقد عليها في موانئ الدول المصدرة، وحتى محاولة تدمير معدات ومنشآت المفاعل العراقي على الأرض بسلسلة من عمليات التخريب المدروس للمعدات الأساسية التي يعتمد عليها البرنامج.ولكن لجوء إسرائيل إلى الخيار المخابراتي كوسيلة لتعطيل البرنامج النووي العراقي لم يثبت فاعليته إلا في حدود ضيقة نتج عنها تعطيل وقتي في سير البرنامج العراقي، واستطاع العراق تجاوزه باتخاذ إجراءات مضادة من قبل أجهزة الأمن العراقية.

المقومات المفترضة للموقف الخليجي

يعتقد العاني أن هناك حقيقة أساسية يمكن الانطلاق منها كبدهية طبيعية لفهم الموقف الخليجي من أي محاولة تهدف إلى تعطيل أو إنهاء تطوير البرنامج النووي الإيراني وهي: أن دول مجلس التعاون الخليجي الست، بالإضافة إلى الدول الإقليمية الأخرى المجاورة أو القريبة من إيران، وعلى الرغم من اختلاف مواقفها حول القضايا الأخرى وتضارب مصالحها، تجد هذه الدول مجتمعة أرضية مشتركة ومصلحة عليا موحدة في دعم سياسة الدول الغربية والمجتمع الدولي الهادفة إلى تجريد إيران من قدراتها النووية التدميرية الراهنة أو المستقبلية(الكامنة أو المحتملة) Actual or potential capability. كما كانت للدول الإقليمية مصالح مباشرة (معلنة أو غير معلنة) في عملية تجريد العراق من قدراته النووية وإزالة ترسانته من أسلحة الدمار الشامل.

ويتلخص الموقف المفترض لدول الخليج (الرسمي وربما الشعبي) حول قيام محور تفكير أساسي وجماعي يقوم على المبادئ مشتركة.

حيث أن دول المجلس تتبنى موقفا يؤمن بمبدأ وجوب قيام اتفاق إقليمي يشمل دول منطقة الخليج, وربما منطقة الشرق الأوسط عامة ويشمل إسرائيل بشكل خاص, هدفه ترسيخ الأسس القانونية لإعلان المنطقة "منطقة منزوعة السلاح النووي" أو "منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل".وأن تلتزم جميع دول المنطقة بتطبيق هذا المبدأ وأن تستحدث آلية دائمة وفعالة لتنفيذ الاتفاق ومراقبة الدول التي تمتلك برامج نووية للأغراض السلمية.وتم تأكيد هذا الموقف مجددا من خلال البيان الذي صدر عقب اجتماعات الدورة الـ٩٢ لوزراء خارجية مجلس التعاون الخليجي الذي عقد في جدة في ١٣ايلول(سبتمبر) ٢٠٠٤ حيث طالب أعضاء المجلس المجتمع الدولي "بالعمل على جعل منطقة الشرق الأوسط خالية من كافة أسلحة الدمار الشامل.وأن يتم الضغط على إسرائيل للانضمام إلى معاهدة الحد من انتشار

الأسلحـــة النووية, وإخضـاع منشـــآتها النووية كافة لنظام التفتيش الدولي وهنا تجدر الإشارة إلى أن جميع دول منطقـــة الخليج (دول مجلس التعاون بالإضافة إلى العراق وإيران واليمن) هي من الدول الموقعة على اتفاقية منع انتشار الأسلحةالنووية .(Nuclear Non-Proliferation Treaty NPT) وتجدر الإشارة هنا إلى حقيقة أن الحـــكومة الإيرانية كانت في العام ١٩٧٤ أول من تبنى مشروع إعلان منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من الأسلحة النووية وذلك في مشروع قدمه الجانب الإيراني بدعم من الحكومة المصرية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في ذلك العام.

وفي العام ١٩٩٠ قامت الحكومة المصرية بتقـــديم مشـــروع شـــامل اصطلح علية بـــ"مبادرة مبارك" يهدف إلى تقـــديم وثيقـــة متكاملة لإعلان منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من أسلحة الدمار الشـــامل.ورغم التأييد العربي الواسع للمبـــادرة فإن رفض إســـرائيل للمشـــروع أدى إلى تجميد الفكرة.وهناك أمثلة إقليمية ناجحة يمكن الاستدلال بها طورت نظاما ناجحـــا وفعالا لتطبيق هذا المبدأ ومنها مثلا "معاهدة تحريم الأسلحة النووية في دول أميركا اللاتينية" التي تم التوقيع عليها في ١٤ شباط (فبـــراير) العام ١٩٦٧ في مكسيكو سيتي والتي حافظت بشكل فعال على مبدأ بقـــاء قـــارة أميركيا الجنوبية منطقة خالية من الأسلحـــة النووية.هناك كذلك "معاهدة المنطقـــة الخالية من الأسلحة النووية لدول جنوب الباسفيك" التي وقعت في برزبـــن- أســـتراليا في ٦ آب(أغســـطس) العام ١٩٨٥, ثم أخيرا "معاهدة المنطقـــة الخالية من الأسلحة النووية للقارة الأفريقية" التي وقعت في القاهرة في ١١ نيسان(ابريل) العام ١٩٩٦ .

وفي هذا المجال فإن دول الخليج تؤمن بـــإمكانية اســـتعارة التجارب الإقليمية الناجحة وتطبيق مبـــادئها على المســـتوى الإقـــليمي لأجل تعزيز الاستقرار والأمن ودعم علاقات الثقة.وهي ترفض بشـــدة مبـــدأ الانتشـــار الإقليمي للأسلحة النووية ويعدَ امتلاك إسرائيل للقـــدرات النووية من أكبـــر

مصادر تهديد الأمن والسلام الإقليمي والدولي وعامل تشجيع للأطراف الأخرى في المنطقة لتطوير وامتلاك القدرات النووية مما سيقود المنطقة إلى حالة من سباق التسلح الخطير.

ويعد تخلي إسرائيل عن قدراتها النووية عاملا أساسيا وشرطا ضروريا لتحقيق مبدأ قيام منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل كما طالب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٤٩/ ٧١ الصادر في١٥ كانون الاول(ديسمبر) العام ١٩٩٤ الذي حث جميع الأطراف في منطقة الشرق الأوسط على اتخاذ الخطوات الجدية والعملية المطلوبة لتطبيق مشروع إعلان منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من الأسلحة النووية.كذلك تعتقد دول مجلس التعاون أن على إسرائيل العمل الجدي على تطبيق تعهداتها القانونية حول الالتزام بجعل منطقة الشرق الأوسط "منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل" التي جاءت ضمن الفقرة الرابعة من معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية لعام ١٩٩٤ (اتفاق وادي عربة).وقد تعهد من خلالها الطرفان على العمل لجعل منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل التقليدية وغير التقليدية ضمن إطار سلام عادل ودائم ومستقر.

وضمن الإطار العام للشعور بقيام حاجة لتأسيس منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل دون تأخير فإن رد الفعل الراهن لدول الخليج يتمحور حول وجود موافقة ضمنية غير معلنة وغير متفق عليها بشكل مسبق على مبدأ وجوب منع إيران من تطوير قدراتها النووية خارج إطار الاستخدامات السلمية.وعلى الرغم من البروز العلني خلال السنوات الماضية لقضية أخطار البرنامج النووي الإيراني والادعاء الافتراضي بإمكانية قيام إيران بامتلاك القدرات النووية العسكرية خلال فترة زمنية قصيرة، فإن قيادات دول المجلس الست لم تحاول أن تتخذ موقفا علنيا يحدد طبيعة مواقف دولها بشكل انفرادي.

وعلى المستوى الجماعي اختارت قمم مجلس التعاون الخليجي

واجتماعاته الرسمية تجنب طرح هذا الملف للنقاش الجماعي لغرض المداولة أو لغرض تقرير موقف وسياسة موحدة ومحددة المعالم تجاه ما يمكن عَدُّه تهديدا محتملا وخطيرا للوضع الإستراتيجي في منطقة الخليج.وتنبع دوافع هذا الموقف الخليجي الذي يؤمن بمبدأ وجوب منع إيران من امتلاك القدرات النووية العسكرية من حقيقة الواقع الجغرافي والسياسي لهذه الدول الذي سيجعل منها ومن وشعوبها الضحية المحتملة والهدف الرئيسي للضغوط السياسية والعسكرية الناتجة عن دخول إيران للنادي النووي.وأثار هذا التطور حدوث تغير جذري ودائم في ميزان القوى الإقليمي، إلى جانب حقيقة أن هذه الدول وشعوبها ستكون كذلك الضحية المحتملة لأي تلوث بيئي (متعمد أو عرضي) قد ينتج عن تسرب المواد النووية المشعة في أجواء أو مياه الخليج.وعلى الرغم من أن دعم فكرة وجوب منع إيران من تطوير قدراتها النووية يعد، وبشكل غير مباشر، إقرارا تلقائيا بحق إسرائيل في احتكار امتلاك السلاح النووي في المنطقة، وهو حتما يُعَد عاملا سلبيا في مواقف دول الخليج ودول المنطقة بشكل عام، فإن المصالح الذاتية وحتى الجماعية لهذه الدول تتطلب الفصل بين الأمرين.فامتلاك إيران للقدرات النووية سيعد تطورا جديدا ذا انعكاسات كبيرة على الاستقرار الإقليمي لمنطقة الخليج، وعلى طبيعة العلاقات الإيرانية -الخليجية والعلاقات العربية – الإيرانية على نحو أوسع.

ودول الخليج والعالم العربي عموما يشعر بالخطر المحدق من عامل امتلاك إسرائيل للقدرات النووية وبالعجز عن تغيير الواقع الراهن، ولكن الشعور العام هو رفض بروز دولة نووية أخرى في المنطقة تضاعف الأخطار من احتمال حدوث حرب غير تقليدية تؤدي إلى تدمير المنطقة وتعمق حالة عدم الاستقرار الإقليمي في عموم منطقة الشرق الأوسط.وفي ميزان الحسابات الخليجية أو العربية بشكل عام لا يعد امتلاك إيران للقدرات النووية بالضرورة عامل ردع وتوازن أمام القدرات النووية الإسرائيلية.

فالمصالح العليا لإيران قد تلتقي في الوقت الراهن مع المصالح العربية العليا في وجوب إيجاد وسيلة للحد من احتكار إسرائيل للقدرات النووية العسكرية في المنطقة، ولكن هذه المصالح تتعارض وتتقاطع وبشكل جذري في مواقع عديدة أخرى، مما يجعل قبول مبدأ دخول إيران للنادي النووي، في الحسابات الإستراتيجية الخليجية والعربية، عامل تطور سلبيا أكثر من كونه عاملا إيجابيا. وأمسى الموقف في منطقة الخليج تحديدا ذا حساسية عالية خلال فترة العقود الزمنية الثلاثة الماضية، وبالذات منذ بداية سياسة حكومة الشاه التوسعية في أوائل السبعينيات، تلتها الأخطار التي ترتبت على قيام الثورة الإسلامية في إيران والحرب العراقية – الإيرانية، ثم حرب الخليج الأولى العام ١٩٩١ والثانية العام ٢٠٠٣، مما جعل قضية الأمن والاستقرار الإقليمي تخضع لسلسلة من التطورات السلبية الخطيرة.

فإعلان طهران الأخير عن وصولها إلى تخصيب اليورانيوم بنسبة ٣,٥% وهي المرحلة المستخدمة في الدورة السلمية للطاقة النووية يعني أنها قادرة على زيادة نسبة التخصيب إلى مراحل أكثر تطوراً تصل من ٢٠-٩٠% وهي كفيلة بامتلاك سلاح نووي، الإصرار الإيراني على تحدي المجتمع الدولي في امتلاك قدرات نووية المتزامن مع طموحات طهران وقدراتها المتنامية تجاه المنطقة، يدفع بدول الخليج العربي إلى التعبير عن قلق مبرر من التعقيدات والمخاطر التي تسببها طهران لدول المنطقة وشعوبها، ذلك القلق نابع من أن قنبلة نووية واحدة قادرة على تدمير دول بأكملها كقطر والبحرين والكويت، هجوماً واحداً قادراً على تدمير كل منشآت النفط السعودية ودول الخليج، الانفجار الذري قد يتسبب في تدمير آبار النفط في معظم دول الخليج العربي تسرباً إشعاعياً في مياه الخليج قد يقضي على مصدر الحياة لسكان الخليج لعدم وجود أنهار، إعلان إيران عن دخولها النادي النووي الإيراني ضمن محيط إقليمي يطالب قادته بخلو

الشرق الأوسط والخليج العربي من جميع أنواع الأسلحة النووية من شأنه أن يزيد القلق على الرغم من محاولات طهران طمأنة جيرانها.

ومع نهاية كل قمة لدول مجلس التعاون الخليجي قضية أساسية يطالب بها دائماً البيان الختامي العمل على جعل منطقة الشرق الأوسط خالية من جميع أسلحة الدمار الشامل، موقف يعكس رغبة غير معلنة لدول الخليج في وجوب منع إيران من امتلاك قدرات نووية عسكرية، والأسباب تعود إلى تأثير ذلك على الواقع السياسي والجغرافي والعسكري لهذه الدول خصوصاً أن التجارب السابقة كثيرة، بدءاً باحتلال جزر الإمارات الثلاث العام ١٩٧١ ومن ثم إعلان إيرانيتها العام ١٩٩١ ورفض طهران الذهاب إلى محكمة العدل الدولية لحسم النزاع عليها، إضافة إلى محاولة إيران توسيع رقعة حرب الخليج الأولى بضربها مواقع كويتية وإطلاق مناورات عسكرية حية وإجراء تجارب لصواريخ شهاب، وعدم وجود تعاون عسكري مع دول الخليج، واختراق إيران للأجواء السعودية أوائل الثمانينيات، هذه الحوادث يضاف إليها مواقف أخرى زادت التوتر ففي العام ١٩٨٦ اعتقلت الشرطة السعودية حجاجاً إيرانيين كانوا يحملون أسلحة ومتفجرات ليتكرر الحادث أثناء حج العام ١٩٨٧ حين اصطدم إيرانيون بالشرطة السعودية وقتل مئات، ويجب عدم إغفال التخوف الخليجي من استعمال إيران سلاح النفط من خلال وقف تصديره للمجتمع الدولي ومهاجمة الناقلات، إضافة إلى التخوف من هجمات إيرانية على أهداف أميركية عسكرية دبلوماسية واقتصادية متمركزة بدول مجلس التعاون في حال حدوث هجوم عسكري على إيران، وليس آخراً استهداف المصالح النفطية في منطقة الخليج للتأثير على سوق النفط العالمية المضطربة اصلاً [٢٣].

وفي ضوء هذه الحقائق يُعَد تطوير القدرة النووية الإيرانية، من وجهة نظر دول الخليج، عاملا سلبيا إضافيا وتطورا حاسما ستكون له تأثيرات في

الأمن والاستقرار على المستوى الإقليمي لا يمكن التكهن بنتائجها الآنية أو على المدى البعيد.

اولا-بين المبدأ والوسيلةموقف إستراتيجي موحد واختلافات تكتيكية.

إذا افترضنا حقيقة وجود مصالح موحدة واتفاق غير معلن وضمني بين دول مجلس التعاون على مبدأ وجوب تجريد إيران من قدراتها النووية الراهنة أو المحتملة، ومنعها من تطوير القدرات النووية العسكرية فإن ذلك يشكل جزءاً أساسيا من القضية.هنا يبقى الجزء الأساسي الآخر في قضية التعامل مع هذه المسألة يتمركز حول طبيعة "الوسيلة" التي سيتم من خلالها تحقيق هذا الهدف.وهنا تبرز بذور الخلاف بين الموقف الخليجي الإقليمي، والموقف الأميركي الإسرائيلي.

مما لا شك فيه أن أفضل سيناريو ترغب بتجسيده قيادات الدول الخليجية لتحقيق هذا الهدف يتمثل بقدرة المجتمع الدولي على تفكيك البرنامج النووي الإيراني بوسائل الضغوط الدبلوماسية، ربما المشفوعة بدرجة محددة من وسائل الضغوط الاقتصادية، وأن يكون للمجتمع الدولي، ممثلاً بمؤسسات الأمم المتحدة والوكالات الدولية، دور محوري في تحقيق هذا الهدف عبر الوسائل غير العسكرية.ولكن في الوقت الذي تؤمن فيه هذه القيادات بمحدودية أو ربما بعجز الوسائل الدبلوماسية منفردة عن تحقيق هذا الهدف, تشعر بقلق عميق من احتمال لجوء بعض الأطراف المعنية (الولايات المتحدة أو إسرائيل) إلى خيار العمل العسكري كوسيلة لتحقيق الهدف.ولهذا القلق الملازم للموقف الخليجي الرافض للخيار العسكري مبرراته المنطقية وتساؤلاته المشروعة التي يمكن تلخيصها بالمحاور الأساسية الآتية:-

أ-تساؤلات حول أسلوب وجدوى العمل العسكري كوسيلة للقضاء على البرنامج النووي الإيراني.وتتركز هذه التساؤلات حول النقاط الآتية:

١-هل العمل العسكري ضد المنشآت النووية الإيرانية (إذا تم تبنيه) سيكون عملية أحادية يتم تنفيذها من قبل القوات الأميركية أو القوات الإسرائيلية بشكل منفرد أم أنه سيكون عملاً عسكريا مشتركا؟ وإذا كان عملاً أحاديا بمفهوم التنفيذ العسكري هل سيكون عملاً مشتركاً بمفهوم التعاون المخابراتي المطلوب لتنفيذ العملية؟.

٢-ما هي الرقعة الجغرافية للعمل العسكري المفترض، هل سيشمل بشكل حصري مواقع المفاعل الرئيسي في بوشهر أم سيمتد ليشمل أغلب أو جميع المنشآت النووية المرتبطة بالبرنامج النووي الإيراني وحتى برنامج التطوير الصاروخي الإيراني والمنتشرين كليهما على رقعة جغرافية واسعة من أراضي الدولة؟ .

٣-هل سيتم التمهيد للهجوم على المواقع النووية الإيرانية بعملية عسكرية استباقية تهدف أولا إلى تدمير مواقع التخزين ومنصات إطلاق الصواريخ الإيرانية بعيدة المدى لمنع قيام إيران بعمل انتقامي فوري، وربما استغلال الفرصة لتوسيع العمل العسكري ليستهدف تدمير منشآت تصنيع وإنتاج الصواريخ الإيرانية بعيدة المدى (سلسلة صواريخ شهاب)؟

٤- هل العمل العسكري، مهما كانت دقته وكثافته، سيكون حقا قادرا على إنهاء البرنامج النووي الإيراني بشكل فعال وفوري، أم أن إنجازات العمل العسكري ستقتصر على تعطيل جزئي ووقتي في قدرات إيران النووية؟ وفي هذا السياق يبرز الدرس الذي تم استنتاجه من العمل العسكري الإسرائيلي لتدمير المنشآت النووية العراقية العام ١٩٨١، والذي أثبت عدم جدواه في تحقيق الهدف المحدد له، حيث استمر البرنامج العراقي بالتطور، واقتصرت تأثيرات الهجوم على تعطيل وتأخير جزئي في البرنامج.

٥- هل سيكون توقيت العمل العسكري مرتبطا بعوامل التطورات السياسية؟

هل ستسعى الدول المعنية أولا إلى الحصول على قـــرار إدانة للموقـــف الإيراني في مجلس الأمن الدولي ليوفر غطاء ما لادعاء الشرعية لتبرير العمل؟هل التطورات على الساحة العراقية، أو ما يســمى بـــ"العامل العراقي" ستكون له تأثيرات سلبية أو إيجابـــية في حسابـــات الأطراف المعنية وتأثيرات في قرار تبني ذلك الخيار وفي قرار توقيته؟فالافتراض. المنطقي القائم يقول بعدم حكمة القيام بعمل عسكري أحادي أو مشـــترك ضد إيران ما دام المأزق الأمني والعســكري والسياســي الأميركي في العراق مستمرا .

٦- ما هي التأثيرات البيئية لهذا النوع من التدمير لمنشآت نووية يُفترض أنها في حالة العمل الفعلي؟ هل ستتجاوز آثاره الآنية وبعيدة المدى الرقـــعة الجغرافية المحدودة للمواقـــع النووية لتشـــمل المناطق المحـــيطة؟ هل سيؤدي هذا العمل إلى تلوث الأجواء ومصادر المياه في منطقة الخليج؟

تساؤلات حول قدرة الولايات المتحدة وحلفائها على السيطرة أو التعامل مع ردود الفعل الإيرانية (تطورات ما بـــعد الهجوم). إيمانا بـــالافتراض المنطقي القـــائل إن العمل العســـكري ضد المنشـــآت النووية الإيرانية (بوسائل: هجوم بسلاح الجو، هجوم بالأسلحة الصاروخية، عملية قوات خاصة... أو عملية متعددة الوســـائل) سيقـــع حـــتما ضمن الإمكانيات الواسعة للدولتين المعنيتين (الولايات المتحدة وإســـرائيل)، فهو عمل من الناحية التقنية والعملية قابل للتنفيذ بجهود وقدرات محدودة تمتلكها حاليا الدولتان بشكل أحادي منفرد أو بتعاون مشـــترك. إن الدولتين بشـــكل منفرد أو مشترك تمتلكان حاليا القدرات المخابراتية الكافية لتوفير الدعم المعلوماتي اللازم للقيام بأي إجراء عسكري.

والافتراض المنطقـــي الثاني يقـــول إن إيران لا تمتلك القـــدرات العسكرية لمنع قيام الهجوم بصفته الأحادية أو بصفته المشتركة، وقـــدرات

إيران الدفاعية لإفشال الهجوم تتصف بالقصور والمحدودية أمام الزخم التكنولوجي الهائل الذي سيتم تجنيده من ترسانة التكنولوجيا العسكرية المتقدمة التي تمتلكها الدولتان المعنيتان

هذان الافتراضان يقودان حتما إلى تعميق القلق الخليجي، فالاستنتاج بأن إيران عاجزة عن منع الهجوم العسكري أو إفشاله سيقود إلى التوصل إلى بديهية أن إستراتيجية القيادة الإيرانية ستعتمد بشكل أساسي على "إستراتيجية الرد"، وليس "إستراتيجية المنع أو الردع". وأن التركيز الأساسي سيكون على ردود الفعل الإيرانية بعد تنفيذ الهجوم التي ستأخذ حتما صفة الأعمال ذات الطبيعة الانتقامية، لذا فإن مصدر القلق الخليجي ينبع من محورين أساسيين:

الأول: يخص طبيعة وشكل ردود الفعل الانتقامية الإيرانية.

ستستند سيناريوهات الرد الإيراني بشكل أساسي على الوسائل "غير العسكرية"، وربما ستقوم على تجنيد القدرات الإيرانية المخابراتية والدبلوماسية التي أثبتت جدارتها في الماضي في دعم وتنفيذ الأهداف السياسية والإستراتيجية للقيادة الإيرانية.

ويخص الكلام هنا بالتحديد القدرات الإيرانية على تنفيذ سلسلة من العمليات المحدودة ذات النوعية العالية، والتي جرى وصفها بمصطلح "العمليات الإرهابية". واستعمال مصطلح "العمليات الإرهابية" هنا لا يعني بأي صفة تبني الباحث لهذا المفهوم، بل يشير إلى تصنيف الطرف الآخر له.وبافتراض أن القيادة الإيرانية ستتبنى موقفا هجوميا على الساحة الإقليمية والدولية، فإن هذا الموقف ستتم ترجمته عبر الأساليب والخيارات الآتية:

١-سلسلة من الهجمات الإيرانية "الإرهابية" على الأهداف الأميركية العسكرية والدبلوماسية والاقتصادية المتمركزة في دول مجلس التعاون وفي منطقة الشرق الأوسط بشكل عام.

٢- سلسلة من الهجمات الإيرانية "الإرهابية" لاستهداف المصالح الأميركية الإسرائيلية في أنحاء العالم.

٣-تقديم الدعم والإسناد لمنظمات "إرهابية" خارجية متحالفة للقيام بعمليات ضد المصالح الأميركية الإسرائيلية.

٤- تقديم دعم واسع لمنظمات الرفض والمقاومة الفلسطينية، وبالذات الإسلامية منها لتعزيز قدراتها على معاقبة إسرائيل.

٥-إعادة تفعيل جبهة المواجهة اللبنانية الإسرائيلية عبر نشاطات حزب الله في لبنان وخارجه, وبالذات تفعيل جبهة مزارع شبعا المحتلة, وربما تفعيل وقتي على طول الجبهة اللبنانية الإسرائيلية.

٦-تبني سياسة تدخلية هجومية واسعة، أمنية ودبلوماسية، في الساحة العراقية، هدفها معاقبة الولايات المتحدة وحلفائها على الساحة العراقية. ويتم ذلك بتوفير الدعم والإسناد العسكري والمادي لفئات مختارة من فصائل المقاومة العراقية، والعمل على تعزيز موقف إيران كلاعب محوري في التركيبة السياسية للعراق، مما سيهدد المصالح الأميركية في العراق وعلى مدى زمني طويل.

٧ -محاولة استهداف المصالح النفطية في منطقة الخليج للتأثير في سيكولوجية سوق النفط العالمية المضطربة أصلا، مما سيؤدي، ولو لفترة وقتية محدودة، إلى زعزعة استقرار الإمدادات والأسعار النفطية . ويتم الهدف هنا من خلال فعل التدمير المادي المحدود والتعطيل الوقتي لبعض منشآت البنية التحتية للصناعة النفطية في المنطقة. وسيتم عبر تبني هذا الخيار إحراج القيادة الأميركية داخليا ودوليا وإظهار الآثار السلبية لقرار اللجوء إلى الخيار العسكري ضد إيران.

والثاني: يخص تأثير الهجوم في الوضع السياسي الداخلي في إيران، فمما لا شك فيه أن الهدف والمصلحة الأساسية العليا لجميع دول مجلس التعاون، بشكل أحادي أو مشترك، هو دعم حالة الاستقرار السياسي في

إيران.وفي ظل هذه البديهية الأساسية هناك اعتقاد وقلق مبـــرر في أوســـاط القيادات الخليجية مفاده أن أي عمل عســـكري خارجي يســـتهدف المواقـــع الإيرانية ستكون له أصداء وإفرازات سلبـــية قـــد تكون خطيرة على الوضع الداخلي في إيران وعلى حالة الاستقرار السياسي في الدولة.ففي ظل حـــالة الصراع والتنافس القائمة بين مراكز القوى المتعددة ضمن تشـــكيلة القـــيادة الإيرانية، يميل الاعتقاد إلى أن العدوان الخارجي على إيران سيوفر فرصة ذهبية لتيارات معينة متشددة ومتطرفة داخل القيادة الإيرانية ستستغل الحدث لإقلاق حالة التوازن والمشاركة النسبية القائمة، والقيام باســـتغلال الحـــدث لدعم مصالحها الذاتية بالسيطرة على مقاليد الســـلطة بشـــكل فردي وإنهاء الممارسة الديمقراطية على الرغم من محدوديتها.وهذا تطور لا يخدم، تحت أي اعتبار من الاعتبارات، حالة الاستقرار والتطور السياسي والديمقراطي في إيران، ولا يُعَد من التطورات التي تخدم هدف تحسين العلاقات الإقليمية وإجراءات بناء الثقة بين إيران وجاراتها من الدول الخليجية.

ثانيا-خيار اللاخيار,وهذا مايثير تساؤلا مهما هو ما الذي تستطيع أن تفعله دول الخليج إذاً؟

مما لاشك فيه أن من الحكمة القـــول إن خيارات الموقـــف الخليجي تجاه احتمال لجوء الأطراف الخارجية إلى العمل العسكري ضد المواقـــع النووية الإيرانية هي خيارات محـــدودة أو ربـــما معدومة.فعلى الرغم من افتراض وجود مصلحة حقيقية تتشارك فيها أغلب، إن لم يكن جميع، دول الخليج لدعم مبدأ وجوب وضرورة منع إيران من الدخول إلى النادي النووي فإن قيادات دول الخليج تنظر إلى الخيار العسكري للتعامل مع هذه القضية بعين الشـــك والريبة، على أقل تقدير خلال المرحلة الراهنة.

وأمام هذا الواقع التزمت دول الخليج بتجنب تبني موقف علني صريح تجاه هذه القضية، وتجنبت التعليق على التصريحات والتقـــارير الصحـــفية

التي تشير إلى احـــتمال توظيف هذا الخيار من قبـــل الأطراف المعنية. فلا توجد مصلحة لهذه الدول في دعم أو تشجيع الخيار العسكري للأسباب التي تم التطرق إليها سابقاً.

وانطلاقاً من هذا الموقف، هناك احتمال ضعيف ان تقـــوم دول الخليج على تقديم التسهيلات العسكرية للقوات الأميركية، أو أن تسمح لها باستخدام القـــواعد الأميركية المتمركزة على أراضيها لغرض المســـاعدة على تنفيذ العملية ضد المواقـــع الإيرانية.فدول الخليج حـــريصة على عدم التورط في مغامرة عسكرية غير محسوبة العواقب, وحـــريصة على بـــناء العلاقـــات الإقليمية على مبادئ الثقة المتبادلة وحسن النوايا وتقدر مكانة ودور إيران في. استقرار وأمن المنطقة.كذلك لا تجد القيادات الخليجية مصلحة في منح التأييد العلني لخيار نزع القدرات النووية الإيرانية بوســـائل الضغط الدبلوماســـي، على الرغم من حقيقة تأييد هذه الدول الضمني لمســـار ومضمون هذا الخيار لكونه أفضل الوسائل لتحقيق الهدف المنشـــود.ولكن الشـــعور العام ضمن القيادات الخليجية قائم على عدم وجود حاجة حقيقـــية ملحـــة لتســـجيل هذا الموقف بشكل منفرد أو بشـــكل جماعي عبـــر مجلس التعاون الخليجي، مما سيسبب إحراجا في العلاقات الإيرانية – الخليجية، وربما يفسر بكونه دعما مباشرا للموقف الإسرائيلي.

لذا فإن القيادات الخليجية تراقب عن كثب السجال المباشر الدائر بـــين إيران من جهة والوكالة الدولية للطاقـــة الذرية IAEA إلى جانب الولايات المتحدة ودول أوربا الغربية من جهة أخرى حـــول هذا الموضوع. ولا تجد. حكمة في الوقت الراهن في الدخول طرفا في هذا السجال.

وفي ظل جميع السيناريوهات التي تمت الإشـــارة إليها سابقـــا فإنه من الممكن القول إن القلق الخليجي من أي عمل عســـكري خارجي يســـتهدف البرنامج النووي الإيراني هو قلق مشروع، وله مبرراته ودوافعه المنطقـــية

والعملية.ويعود أحد مصادر هذا القلق إلى قضية أساسية ومحورية هي انعدام ثقة القيادات الخليجية بعقلانية القرارات الأميركية، وبالأسس والاعتبارات التي يتم على أساسها اتخاذ هذه القرارات.ويتمثل هذا الموقف تحديدا فيما يلي:

أ) انعدام الثقة بقدرة القيادات في الولايات المتحدة على اتخاذ قرارات تتفهم الوضع الإقليمي وخصوصياته، وتأخذ في الحسبان حماية واحترام مصالح الحلفاء الإقليميين والاعتبارات السياسية الداخلية والإقليمية التي تتحكم بمواقفهم، إلى جانب الخوف من تأثير اعتبارات السياسة الداخلية الأميركية في مواقف القيادة الأميركية وقراراتها في مجال السياسة الخارجية، والقلق من دور النفوذ الإسرائيلي – الصهيوني في عملية اتخاذ هذه القرارات.

ب) انعدام الثقة في قدرة الولايات المتحدة على السيطرة أو التعامل الفعال والعقلاني مع تبعات وإسقاطات العمل العسكري والتطورات اللاحقة، وبخاصة في ظل واقع تجارب الماضي والحاضر التي أثبتت وجود حالة مقلقة من سوء الحسابات والافتراضات والتخمينات الأميركية، وانعدام وجود خطة، أو خطط، شاملة ومدروسة متوسطة أو بعيدة المدى للتعامل مع التطورات الميدانية اللاحقة

ومن المؤلم أن النتيجة الحتمية وربما الفورية التي سيفرزها دخول إيران إلى النادي النووي وامتلاكها القدرات النووية العسكرية هو إجبار دول الخليج ودفعها للاعتماد المتزايد على الحماية العسكرية الأميركية, وقبول مبدأ التواجد العسكري الأميركي الدائم في المنطقة، ومن ضمنه قبول مبدأ وجوب امتلاك القوات الأميركية المتواجدة في المنطقة لقدرات نووية عسكرية رادعة.ففي حالة حدوث تطور امتلاك إيران للقدرات النووية فإن دول الخليج ستترك دون خيارات ماعدا خيار عملي واحد يتمثل في وجوب الاعتماد الكلي على مصادر خارجية للحماية وذلك لإيجاد حالة من التوازن

والردع الإستراتيجي لتعطيل أو للتقليل من الميزة الإستراتيجية التي حققتها إيران بامتلاك القـــدرات النووية.وهذا الأمر سيقـــلق بشـــكل جذري ميزان. توازن القوى الإقليمي بما له من تأثيرات كبيرة على حالة الأمن والاستقرار في المنطقة.ورد الفعل الخليجي هذا ليس خيارا بل إجبارا كوســيلة حــتمية للتعامل مع الحقائق الإستراتيجية الجديدة التي نتج عنها التطور المذكور.

أخيرا فإن موقف دول الخليج أمام هذا الملف الســاخن وربــما بــنتائجه الخطيرة على أمن واستقرار دول المنطقـــة يمكن تلخيصه بالقــول: إن هذه الدول وقياداتها في وضع لا تحسد عليه بين الموقف الإيراني السائر بتصميم نحو تطوير البرنامج النووي لخدمة الأغراض العسكرية من جهة، والموقف الأميركي – الإسرائيلي المصمم على نزع القدرات النووية الإيرانية بجميع الوسائل ومهما كلف الثمن(٢٤).

بعد كل ماتقدم يبرز التساؤل الاهم هل تشــكل ايران مصدر خطر على منطقة الخليج وبالتالي على الامن القومي العربي؟

ثمة من يجيب بــنعم خاصة ان قــوة دفع خارجية في هذا الاتجاه تتولاها الولايات المتحدة التي تتعامل مع طهران بَعدّها مهدداً اساسياً للمنطقة بــعد زوال النظام العراقي السابق .غير ان ثمة جانبا آخر للخطر يمثله الاحتقــان الذي يســود العلاقــات الامريكية الايرانية على خلفية ملف طهران النووي والذي قد ينفجر في اي لحــظة خاصة في ظل توســيع الولايات المتحـــدة لوجودها العَسكري على المستوي النوعي وهو ما فهمه البعض بأنه رســالة لايران.وهذا مايعيد التساؤل هل تشكل طهران خطراً على المنطقة وما هي تجلياته والذي طرح على عدد من الخبراء وجاءت اجابــاتهم متراوحــة في مدى تقـــديرها لاشـــكالية الخطر ونوعيته والقـــدرة على تجاوزه. بـــدايةً ينظر الدكتور ابراهيم عرفات الباحث المتخصص في الشــؤون السياســية والاستراتيجية بقطر الي ايران بعدها خطرا محتملا فإنه وفقا لعلم السياســة ليس ثمة خطر مؤكد بنسبة مائة في المائة ولكن هناك احتمال للخطر بدرجة.

ما لافتا الى ان مصادر الخطر الايراني المحتمل تكمن اولا في وجود قـــدر من الخشية من الاضرار البـــيئية التي يمكن ان تنتج عن البـــرنامج النووي الايراني في صبغته الســـلمية المعلن عنها رســـميا والي حـــد ما فيما يتعلق بتوازن القوى الاستراتيجية.

والمصدر الثاني للخطر الايراني المحتمل يتمثل في الانعكاســـات الناجمة عن الانفجار الطائفي والمذهبي في العراق والذي تلعب طهران دورا واضحا على صعيده الامر الذي بات يستدعي في المقابـــل نوعا من التدخل من قِبـــل أطراف الاقليمية السنية ,وهو ما تجلى في تدخل الجماعات الاصولية السنية ثم اعلان بعض الاطراف الاقليمية عن عزمها التدخل في العراق دفاعا عن سكانه من السنة .

اما المصدر الثالث للخطر فينبع من الاحتقـــان الذي تشـــهده العلاقـــات الايرانية الامريكية وبـــالتالي فان اي مواجهة بـــين الطرفين لن تكون في اراضي اي منهما وانما الخليج سيكون هو المسرح الاقـــليمي الاوســـع لهذه المواجهة مهما كان شكلها ومستواها

ويقول الدكتور عرفات عن الورقة الشيعية التي تمســـك بـــها طهران في العراق وعما إذا كان بمقـــدور هذا العامل ان يدفع شـــيعة العراق الي حـــالة استقواء للدخول في حرب اهلية نذرها بدأت بالفعل وســـيكون لها تداعياتها الاقليمية بدون شك فيلفت الى ان شيعة العراق بعد نوع من الكبوة او الانكسار التاريخي امام السنة قـــد ينظرون الى ايران – حـــتى ولو لم تكن ترغب في ذلك – بحسبانها مصدر قوة لقهر السنة اذن القضية هنا لا تكمن في ماذا ترى ايران وانما ماذا يرى شيعة العراق وهنا قـــد تتبـــلور رؤيتهم في ان طهران تشكل لهم مصدر قوة اضافياً يمكن الاعتماد عليه فى تصحيح ما يرونه خللا سياسيا مع السنة.

ويضيف : ان خطورة الورقـــة الطائفية في العراق انها لن تقـــتصر علي الوجود الايراني في العراق فهناك ما يسمى في العلاقات الدولية بسياســـات

الترابط فما يحدث في منطقة يتردد صداه في مناطق اخرى والمنطقة العربية تحتوي على تكوينات سكانية شبيهة الى درجة كبيرة بالتركيبة السكانية في العراق. و"ربما يفسر ذلك ما تردد من تقارير من حزب الله وحركة امل في لبنان اعلنتا انهما سيساندان شيعة العراق في اي حرب اهلية مع السنة فيعقب. الدكتور عرفات : ان ذلك قد يجسد – ان صحت هذه التقارير – واحدة من صور هذا الترابط الذي اتحدث عنه وهنا الفت الى ما ذكر من قبل حول وجود هلال شيعي او محور سني ومن ثم فان ذلك وارد جدا من منطلق ان الانسان قد يلجأ في وقت الازمات الى الجماعة الاولية التي ينتمي اليها والتي قد تكون مذهبية او طائفية او دينية ويبدو بالفعل ان نوعا من التمحور بدأ يتسع في المنطقة وأحد أشكاله يتجلي في البعد المذهبي والطائفي. وفي الحالة العراقية – الكلام للدكتور عرفات – فان ثمة مخاطر عدة لهذا البعد اولها اختلال التوازن السياسي بين السنة والشيعة بفعل الثقل الايراني ,وثانيها امكانية امتداد هذا الاختلال الي سياق اقليمي اوسع في منطقة الخليج اوفيما وراء منطقة الخليج ولعل ذلك باتت ملامحه تتضح رويدا رويدا فيما نلمسه من حراك سياسي شيعي في البحرين في الآونة الاخيرة حتى في مصر بدأنا. نسمع عن بروز مطالب خاصة لواحد في المائة من سكانها ينتمون الى المذهب الشيعي ثم ما كشف مؤخرا عن جماعات شيعيةسرية في الجزائرفي المغرب العربي.

ثم يتوقف الدكتور عرفات عن بعد مهم من ابعاد الخطورة التي يمكن ان تنجم عن هذا المعطى ويتمثل في بروز الفوضي في المنطقة العربية سواء اكانت خلاقة او هدامة والمنطقة في حد ذاتها لا تتحمل المزيد من الفوضي بفعل ما تحتوي عليه من فائضها الكبير والمشكلة تنطوي علي امكانية التفاقم لان الصراعات المذهبية بطبيعتها تتسم بالتمدد خارج اطار المؤسسات السياسية والحزبية الامر الذي يقود الي حالة انفلات ليس على غرار ما نشهد

الان في الساحة الفلسطينية وانما على نحـــو اكثر خطورة من ذلك فهو يمتد من بيت الى بيت ومن شارع الى شـــارع ومن مســـجد الى مســـجد ومن ثم الدخول في حالة من عدم الاستقرار تهز اركان المنطقة وبالتالي تفتح الباب الى تدخلات خارجية نظرا للابعاد الاستراتيجية.

وهنا لابد من الاشارة الى التصريح الذي اعلنه مرشد الثورة الاســـلامية في ايران من ان لبنان سيكون ساحـــة لهزيمة الولايات المتحـــدة ,هل يمكن قراءته في ســـياق الحـــرب بـــين الطرفين التي تنطوي على تأثيرات على المنطقة؟

هنا يوضح الدكتور عرفات ان هذا التصريح ينطوي في حـــــد ذاته على اعتراف بأن لايران وكلاء في الساحـــة اللبـــنانية وفي الوقـــت ذاته يؤكد ان طهران باتت لاعبا اقليميا قويا ومن ثم فانه يتعين على دول الاقليم الى جانب الولايات المتحدة ان تقر بذلك وعلينا ان نتســـاءل هنا : هل ايران تهدف من وراء هذا التصريح الى تخويف الدول العربـــية ام ردعها للحـــيلولة دون ان تتخذ مواقف تحالفية مع الولايات المتحدة ضدها ولا شك انه يتعين علي هذه الدول ان تتعامل مع هذا التصريح بـــجدية وان كان ينبـــــغي النظر إلى هذا التصريح في السياق الذي اطلق فيه خلال الحملة الانتخابية لمجلس الخبـــراء والمجالس البلدية قبل فترة اي انه كان موجها للاستهلاك المحلي في محاولة لتقوية موقف المحافظين ومنح النخبة السياسية قدراً من الوجاهة امام الرأي العام المحلي وبعيدا عن هذا التصريح فان هناك وجودا ايرانيا قويا في لبنان ودعما لقوى سياسية معينة وبالتالي فان لهذا التصريح جزءاً من المصداقـــية يتعين وضعه في الاعتبار.

اخيرا هل يمكن النظر الى استعدادات ايران لبناء قوة اقليمية علي الصعيد العسكري والنووي ان صح القول في سياق انها تشـــكل خطرا حقيقـــيا علي الامن القومي العربي ؟

يؤكد الدكتور عرفات لا شك ان الامن القومي العربي يشهد حـــالة من

الاختلال منذ استقلال دول المنطقة عن الاستعمار الغربي وكان ذلك واضحا في الماضي بالنظر الى القوة العسكرية الاسرائيلية والان يتطلب ذلك قياسه مع دول اخرى غير اسرائيل ومن بينها تركيا وايران حاليا بيد ان السؤال يلفت الى امر شديد الخطورة مؤداه ان ميزان القوى بين الدول العربية مجتمعة وبين دول الجوار ايران وتركيا واسرائيل بات مختلا بالكامل لصالح هذه الاطراف الثلاث وهو ما يستدعي من الدول العربية – التي ليس بمقدورها الدخول في مواجهات مع هذه الاطراف الثلاثة في وقت واحد – ان تعمل علي احتواء بعض هذه الصراعات او بالاحرى الخلافات وفي مقدمتها مع ايران سعيا لتصحيح موازين القوى المختلة مع الجبهة الاسرائيلية مثلا واحسب ان احد مصائب النظام الاقليمي العربي الراهن تتمثل في اختلال موازين القوي لصالح دول الجوار الاقليمي جميعا وفي الوقت نفسه هناك حالة تشرذم عربي واضح لاتسهم في اي عملية تصحيح لهذا الاختلال مع اي من هذه القوى.

ويعبر الدكتور عبد الحميد الانصاري الاستاذ بكلية القانون بجامعة قطر عن رؤيته لمدى الخطر الذي باتت ايران تشكله على المنطقة بفعل امساكها بالورقة الشيعية في العراق ولبنان الى جانب ورقة حماس في فلسطين فيقول ان هذا هو سؤال الساعة مشيرا الي جملة من النقاط:-

اولها :ان الشيعة في العراق وبقية الدول العربية هم مواطنون بالدرجة الاولى وليس ثمة من يشكك في صدق انتمائهم الوطني الذي يقدمونه على انتمائهم المذهبي صحيح انه لهم مرجعياتهم الدينية في ايران فضلا عن عواطفهم الدينية الخاصة وليس بوسع احد ان يتجاهل هذه الانتماءات سواء القومية او المذهبية لكن الامر المهم هو ان المواطنة تجمع الكل : سنة وشيعة في سياق الانتماء الي الوطن الواحد.

ثانيا :ان ايران ترغب في ان تكون قوة اقليمية مهيمنة بل وحارسة للخليج بحيث تستطيع ان تفاوض القوى الكبري من موقع الندية والقوة فلا يحصل

اي تصرف سياسي في المنطقة الا بمشاورتها وموافقتها اي انها تريد ان تمارس الدور الاقليمي الذي كان يسعى اليه صدام حسين قبل حصاره واسقاط نظامه.

ثالثا : ان ايران في سبيل تكريس هذه الهيمنة تنفق آلاف المليارات علي التسلح وهي ترى ان امتلاكها القدرات النووية يوفر لها الهيبة والاحترام في المحافل الدولية وذلك على الرغم من الضائقة الاقتصادية التي يعاني. منها شعبها الذي يحرم من الكثير الذي يتمتع به الخليجيون الذين يعيشون على الضفة المقابلة مع ان ايران غنية بالموارد والثروات الطبيعية على نحو غير متاح لاهل الخليج غير انها في سبيل تثبيت عقيدة الهيمنة تبدد ثروتها كما تفعل دول عديدة في الشرق والغرب.

رابعا : التمدد الايراني واضح وملموس في المنطقة ولا احد بوسعه ان يجادل فيه غير انها تعتقد انها تمتلك الحق في ذلك بحسبان ان منطقة الخليج هي مجالها الحيوي وهي تحاول ان تتصرف كما تتصرف الدول الكبرى على صعيد التدخل في شوؤنها الداخلية لذلك فان ايران تدعم حلفاءها بالمال والسلاح والاسناد السياسي وهنايتعين التنبه الى ان هناك جماعات شيعية سياسية متحالفة مع طهران وليس كل شيعة المنطقة كما انها – اي ايران – لاتقصر دعمها على تلك الجماعات فقط بل انها تدعم ايضا سوريا وحركة حماس وذلك من منطلق سياسي مصلحي وليس طائفياً.

في ضوء هذه المعطيات – يتابع الدكتور عبد الحميد الانصاري القول – فان ايران تشكل خطرا على المنطقة خاصة اذا انساق حلفاؤها لخدمة اجندتها على حساب المصالح الوطنية الا انه يعرب عن اعتقاده بأن الشيعة على وجه العموم هم اذكي من الدخول في حرب طائفية ضد مواطنيهم لأنهم هم الذين سينالون الخسارة في النهاية فضلا عن ادراكهم لخطر الطائفية على الامن والاستقرار على نحو يفوق خطر الارهاب من خلال ما تفرزه من

تداعيات شديدة السلبية يمكن ان تقود الى انهيار الدولة وانبثاق الحرب الاهلية وصولا الى استدعاء التدخل الدولي وهنا يستبعد الانصاري خيار اللجوء الي الورقة الطائفية في العراق لأن اضرارها ستمتد اليها فضلا عن ان الشيعة في البلاد العربية هم اقلية ومن مصلحتهم تأكيد الجامع الوطني كضمانة لهم.

وينبه الانصاري الى ان السلوك الايراني في التعامل مع قضية الجزر الاماراتية الثلاث ينطوي على الكثير من التعالي ولا تكف طهران عن اصدار التهديد والوعيد ضد اي تصرف خليجي فاذا كان ذلك اسلوبها قبل امتلاكها السلاح النووي فكيف سيكون هذا الاسلوب بعد ان تمتلكه بالفعل ؟

ويرى الدكتور الانصاري ان مواجهة ما يسميه بالخطر الايراني تتطلب المزيد من التلاحم الداخلي والوحدة الداخلية بين عناصر الشعب الخليجي سنة وشيعة من خلال المزيد من احتضان الشيعة ورفع الغبن الذي قد يشعرون به في بعض المناطق بمنع التكفيريين المتشددين من الاساءة اليهم والتشكيك في عقيدتهم الدينية عبر تفعيل القواسم المشتركة واتخاذ اجراءات ملموسة وعملية في المناهج التعليمية وفي الخطاب الديني وفي المؤسسات الدينية وفي التشريعات الخاصة بالاحوال الشخصية وفي الحقوق السياسية وفي المناصب القيادية والوظائف العامة وفي القطاع الاقتصادي بحيث يتم ترسيخ مبدأ المواطنة بين الجميع لأنه في غيبة المواطنة او تهميشها يرجع الناس الي انتماءاتهم الاولية المذهبية والقبلية لتوفير الحماية لهم باختصار كما يقول فانه من الضروري ان يشعر الشيعة كطائفة بالمظلة الوطنية العامة التي تحميهم وتؤمن حقوقهم اسوة بالسنة لافتا الى انه يتعين كذلك توحيد الخطاب الخليجي والعربي الموجه لايران بحيث لا تستغل طهران الخلافات التي تنشب بين بعض دول المنطقة لتخترق الساحة فالذي يغري بمزيد من التدخل والتغلغل هو ان الخليجيين غير متوافقين على موقف سياسي واحد وحازم وكذلك العرب الذين لا يكادون يحسون بالمشكلة الخليجية مع ايران وهو ما يظهر في مواقف بعض الكتاب العرب الذين يعلنون تأييدهم لامتلاك

طهران برنامجا نوويا من منطلق احداث توازن مع اسرائيل وهو ما يعكس نوعا من السذاجة السياسية والمعرفية المتناهية لأن ايران لا تريد امتلاك قنبلة نووية للموازنة مع اسرائيل بقدر ما تسعى الى فرض الزعامة والوصاية على الخليج الذي يمثل لها مجالاحيويا واستراتيجيا والقنبلة هنا توفر لها الدعم النفسي والمعنوي فهي لن تخاطر ابدا بمهاجمة اسرائيل والاضرار بالمصالح الامريكية في المنطقة الا اذا تعرضت لاعتداء لان تلك المغامرة من قبلها تنطوي على عواقب وخيمة مثلها مثل مغامرة حزب الله والتي ادت الى نتائج كارثية علي لبنان وعلى الطائفة الشيعية حيث تم تحييد سلاحه الموجه الى اسرائيل بفعل الشريط الحدودي الواسع في الجنوب. واحسب ان ايران لن ترتكب مثل هذا الخطأ ابدا. وايران اخيرا – كما يرى الانصاري– لا تحترم الا لغة القوة وهو ما يتطلب من دول الخليج ان تسعى الى توثيق علاقاتها مع الدول الكبري اقتصاديا وسياسيا وامنيا خاصة ان للعالم مصالح حيوية في الخليج الذي يعتبر شريان حياته على صعيد الطاقة والصناعة ومن ثم فان من مصلحة الدول الكبري حماية امن الخليج

اما الدكتور احمد عبد الملك الاكاديمي القطري فيشير بداية الي ان ايران هي بالاساس دولة جارة وقدرها ان تعيش مع الجوار العربي كما هو قدر العرب ان يعيشوا معها ومن ثم فان هذا الجوار الجغرافي اضافة الي علاقات التاريخ والاسلام والثقافة المشتركة يحتم ان تكون بين ايران والدول العربية خاصة دول الخليج علاقات ودية قائمة على الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشوؤن الداخلية من قبل طرف ضد الطرف الاخر بيد ان ايران – يضيف مؤكدا – تثير التوجس فهي لا تكف عن تهديد دول مجلس التعاون وما مازالت تحتل جزر دولة الامارات الثلاث وتتشاكس مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية وتجاهر بمساندة حزب الله في لبنان وحركة حماس في فلسطين وتدعم الشيعة في العراق وهو ما يدخل ايران خانة الاضرار بالمنطقة ناهيك عن حالة الريبة بين طهران وواشنطن على خلفية ازمة الملف النووي

الايراني والاخيرة تتحين الفرص من اجل توجيه ضربة عسـكرية لايران ويلفت الدكتور عبد الملك الانتباه الى الدور الايراني الملحوظ في لبنان دعما ومساندة لحزب الله الشيعي المذهب وهو ما تجسده الشعارات والتصريحات التي تصدر عن قـادة وانصار هذا الحـزب في المعركة الدائرة الان في شوارع بيروت ولعل التدخل الاخطر الذي تمارسه ايران يتجلى على نحـو اكثر وضوحا في المشهد العراقي انحـيازا الى جانب الفريق الشـيعي الذي بات يشعر بحالة استقواء استنادا الى العامل الايراني وهو امر ينذر بمخاطر دفع العراق الى التقسيم ترابا وبشرا وهو ما ينطوي على انعكاسات شـديدة الخطورة على الاستقرار الاقليمي ليس لمنطقـة الخليج فحسـب وانما على مجمل المنطقة العربية ويعتقد عبـد الملك في هذا الصدد انه من الضروري ان يتوافق الجميع في المنطقة العربية بما في ذلك النظم الحاكمة والجماعات والاحزاب السياسية على سلبـية الدور الايراني والذي يضر بمصالحـهم بالاساس لزيادة رصيد طهران سياسيا وعسـكريا وامنيا بـل ومذهبـيا في المنطقة.

ومع تجليات الخطر الايراني التي رصدها فانه لا يرى امكانية لنشـوب حرب اقليمية بالرغم من كل تهديدات طهران بـتوجيه ضربـات للمصالح الامريكية –القواعد في منطقة الخليج – في حال تعرض منشأتها النووية الي هجوم مستندا في ذلك الي ان تقرير بيكر هاملتون الذي اوصى بادخال ايران ضمن منظومة امنية مشتركة في المنطقة لكن القضية الاساسية حسب اعتقاد الدكتور عبـد الملك تكمن في اعتبـار ايران للولايات المتحـدة الشـيطان الاكبر واعتبار واشنطن ان ايران احـد اضلاع محور الشـر في العالم وهو التعبير الذي دشنه الرئيس بوش في اعقاب احداث الحادي من ايلول(سبتمبر) ٢٠٠١ .

وقناعة الدكتورعبد الملك ان الامر يستدعي ابرام اتفاقيات امنية اقـليمية بمشاركة ايران وهو ما بات مستبعدا على الاقل في المرحـلة الراهنة بـعد

تجاهل قمة الرياض الخليجية لدعوة ايرانية بـــهذا الصدد لكنه يشـــدد في هذا السياق على اهمية بناء الارضية الصالحة لذلك غير انه يشـــير الى انه ما لم تحل ازمة الثقة والمصداقية القائمة حاليا على صعيد تعامل ايران مع القضايا العربية فلا امل في اي تقارب عربي ايراني اما اذا تغير النظام الحـــالي في ايران فذلك موضوع اخر يبحث في حينه(٢٥).

المبحث الثالث, ايران والوضع في العراق.

عند الحديث عن الوضع في العراق يبرز حديث الدكتور سيار الجميل في"ان الولايات المتحدة الامريكية مسؤولة اليوم عن العراق منذ ان اشـــعلت الحرب ودخلت الى اراضيه وبقـــيت هي الوحـــيدة صانعة لكل القـــرارات المصيرية .. ولا ننسى انها قد سحقت كل البنى العراقية التحتية منذ تحريرها للكويت في حـــــرب ١٩٩١ وجعلت العراق يعود الى ما قبـــــل الثورة الصناعية .. وعندما اسقطت نظام الحـــكم السابـــق ، كان عليها الا ترتكب اخطاء جسيمة بحق ليس مصير مؤسسات الدولة حسب ، بـــل كان عليها الا تتلاعب بمصير العراق الوطني .. انني افهم لماذا قـــضت على كل ما يتعلق بـــــدولة منهزمة في الحـــــرب ، وهذا هو منطق التأريخ العالمي فالدولة المنتصرة تسحق كل مؤسسات الدولة المهزومة .. ولكن الولايات المتحـــدة الامريكية لم تنجح في تأســـيس البـــديل الطبـــيعي للعراق .. انها أســـاءت لمتغيرات العراق منذ اللحـــظة التاريخية الاولى بـــصناعة الانفلات .. انها ارتكبت اكبر الاخطاء بـــالاعتماد على اجندة لا تصلح للعراق ابـــدا .. انها سحقت العراق من دون ان تعّوض الشعب العراقـــي عما خســـره من دمائه وارواح ابنائه وممتلكاته وكل ذخائرة وارشـــيفه .. الخ لقـــد غرر صاموئيل هانتغتون مراكز صنع القرار الامريكي بان العراق ســـيكون منسحقـــا مثل المانيا النازية .. ولقد اخطأ في ذلك خطأ جسيما،وتحملت الولايات المتحـــدة عبئه، اذ لم يكن العراق ابدا مثل المانيا او اليابان اثر الحـــرب العالمية الثانية كي تعتمد اســـاليب غير صالحـــة فيه .. ارتكاب اخطاء واســـتعجال خلق ظواهر ســـريعة في مجتمع كان مغيبـــا عن العالم وعن ميديا العالم وعن

متغيرات العالم جعله ينتج كل هذا الشقـــاء .. ومن الفواجع ان يأتي حـــاكما مدنيا امريكيا للعراق كي يحكمه من دون ان يعرف شيئا عن العراق ابـــدا !! لقد كانت امريكا وراء سحق العراق بعد كل انسحاقاته السابقـــة من دون ان ترحمه، بل واسرعت في صناعة الفوضى الخلاقة – كما وصفتها –وجعله ميدانا للارهاب العالمي،خلقـــت فيه انقســـامات لم تكن موجودة ابــــدا في السابق !! واعتقد ان العراقيين قد وعوا ذلك كله ، ولكن تاهت عليهم الطرق التي توصلهم الى شاطئ النجاة"

ويضيف الجميل" كان على العراقيين ان يستبدلوا كل اجندتهم السياســية والشعاراتية في ايام المعارضة ليكونوا عراقيين من نوع آخر .. كان عليهم ان يغيروا كل انظمة احزابـــــهم الداخلية .. كان عليهم ان لا يكونوا ضعفاء خائرين منذ اللحظة الاولى .. ولكن هذا لم يحصل ! والمشكلة هو بدء حالات التشظي بهروب كل عراقـــي الى انتماء وهمي له من دون العراق الذي عدّه منتهيا .. وستبقى هذه " الحالة " لسنوات طوال ان بقيت الاوضاع على ما هي عليه. "

ولهذا يرى الجميل" ان ارجاع العراق الى الطريق الصحيح في مســـيرته نحو الديمقـــراطية يتمّثل بالحـــلول التالية التي دوما ما انادي بــــها شـــفاها وتحريرا، وهي:

١–ولادة دستور مدني حقيقي لا يحـــتوي اي نص او تعبـــير او كلمة مضاد للحياة المدنية،دستور لا يفسح المجال لأي من رجال الدين ممارسة سلطتهم الروحية على الحياة العراقية،لأن في ذلك تبلور صراع خفي بين المذاهب والطوائف والملل والنحل كافة.

٢–على الاحزاب الدينية بعد ان فشلت في ادارة الحـــكومات وقـــيادة الدول والانظمة تجديد نفســــــــها من خلال تغيير نظمها الداخلية، فاما ان تؤمن بالديمقراطية حقيقة او تؤمن بالشورى حقيقة..اي تعلن عن تمسكها بالحياة المدنية اوتمسكها بالحياة الدينية وعند ذاك لا يحـــق لها اســـتغلال الاليات المدنية ولا لانتخابات الديمقراطية في تأسيس حكم ديني،فالحـــكم الديني له آلياته ومصادره التي يدركها اهل الحل والعقد.

٣-الغاء كل المشروعات التي قامت على اسس غيروطنية بدءا بالاجندة الطائفية وانتهاء بالاجندة الاثنية والعشائرية والقبلية والجهوية .. الخ اي بمعنى الغاء مفهوم المحاصصات التي مزقت شمل المجتمع.

٤-تتم الانتخابات على اسس سياسية مدنية ولا يحق لرجال الدين التدخل فيها ابدا ، مع احترامي لهم ، كما لا يحق لهم الترشيح والحديث عنها ، فهم من ابعد الناس عن الانتخابات ، فامكنتهم الجوامع والحسينيات لوعظ الناس وارشادهم اخلاقيا وتعبديا وفقهيا واصلاحيا.

٥-يتم تنفيذ الاليات الانتخابية على اساس الوحدات المناطقية وليس عدّ البلد كله منطقة واحدة ، ويتم الترشيح على اساس الدوائر الانتخابية ليعرف الناس من ينتخبون وليس على اساس الاحزاب والتكتلات والتيارات الطائفية والدينية .

٦-يتم تأليف البرلمان من الناس الفائزين بجدارة ومن دون اي مناورات ولا اي تدخل لمرجعيات .. وهنا اطالب ايضا بأن تتم الانتخابات التشريعية باشراف الامم المتحدة اشرافا مشاركا ، وكنت قد طرحت في الانتخابات السابقة فكرة بالامكان تنفيذها ، وهي تتخلص بان يكون هناك صندوقان انتخابيان الاول تشرف عليه هيئة قضائية عراقية والثاني تشرف عليه الامم المتحدة ، ويلزم الناخب بأن ينتخب من يريد في ورقتين اولاها يضعها في صندوق العراق وثانيتها يضعها في صندوق الامم المتحدة .. لمعرفة حجم التزويرات والمخالفات ان وجدت(٢٦).

اولا.الرؤية الامريكية للوضع في العراق.

منذ عقد الستينات من القرن العشرين والولايات المتحدة تسعى لاستراتيجية تحقق توازنا في الخليج العربي بين القوتين العراقية والايرانية.ولم تكن الولايات المتحدة تريد ان ترى العراق يظهر بعَدهُ القوة المهيمنة في المنطقة بعد الحرب العراقية – الايرانية في ثمانينات القرن

الماضي,وقد تصرفت ضد العراق حينما غزت قواته الكويت.ولكن واشنطن بالمثل لاتريد ان ترى ايران لايردعها رادع وتهيمن على المنطقة,انما تريد الولايات المتحـــدة ان يعود العراق الى دوره التقـــليدي في وقـــف المطامح الايرانية.وما يخشاه الامريكيون هو ان تسفر التطورات في العراق عن قوة ايرانية بلا رادع في الاجل الطويل.

هذا هو السياق الذي ينبغي ان تقرأ فيه المواجهة بـــين ايران والولايات المتحدة .صحيح ان الاسلحـــة النووية موضوع من المهم ان يناقـــش,ولكن المسالة الحقيقية على الطاولة هي مستقبـــل العراق .وتريد طهران بإلحـــاح نتيجة تؤمن – على الاقل– حدود ايران الغربية بصفة دائمة وتجعل ايران– على الاكثر– القوة الاقليمية المهيمنة.والايرانيون يفعلون ما باســـتطاعتهم لتحقيق ذلك الهدف,ومن المثير للاهتمام ان الولايات المتحدة لاتكاد تكون في موقـــع يمكنها من تهديد ايران.قـــواتها ليســـت في وضع يمكنها من ان تغزو.وطهران –من ناحـــية اخرى– لايمكن ان تكون على يقـــين من هذا,وتبقى بطبـــيعة الحـــال مدركة بـــكل اهتمام لموجودات القـــوة الجوية الامريكية في المنطقة[٢٧].

والواقـــع انه لاتوجد خيارات جيدة,انما هناك خيارات افضل واخرى اسوأ,وثلاثة منها تبدو ممكنة وهي: [٢٨].

الخيار الاول ,هو ما اطلق عليه (مواصلة الدرب).وهذا يعني اســـتمرار القـــتال.الا ان هذا الخيار لم ينجح ابـــدا في اي مكان.اذ كان لامريكا نصف مليون جندي في فيتنام واستسلمت,وبعد اكثر من اربعين عاما من الحـــرب ضد الفلسطينيين لم يحقق الاسرائيليون سلاما ولا امنا.

الخيار الثاني,هو(الفتنمة) في فيتنام ورثت امريكا من الفرنسيين حـــكومة وجيشا ضخما.اما في العراق فلم ترث امريكا حكومة ولا جيشـــا بـــل انها تحاول خلق كليهما,ولكن النتائج مخيبة للامال.وهكذا فان افضل مايمكن ان تجنيه امريكا من هذا الخيار هو ورقة توت تستر هزيمتها,اما اســـوأ مايمكن

ان يحدث,في حالة انهيار سريع,فسيكون جلاء مذلا,كما حدث في فيتنام.

الخيار الثالث,هو اختيار الانسحاب بـدلا من ان نجبـر عليه.والوقـت رصيد يضيع,وكلما طال الوقـت الذي يؤجل فيه هذا الخيار اصبـح من الصعب اتخاذه.ولاتحتاج الخطوات المطلوبة لتنفيذ هذه السياسـة لأن تكون دراماتيكية,انما تحتاج العملية لأن تكون خالية من الغموض.

فضلاً عماتقدم انعدام الحوافز لدى جارتي العراق ايران وسوريا للمساعدة في اعادة اعمار العراق مالم تعلما بان الولايات المتحدة راحلة بـالتاكيد .وما دام هناك شك,ستعد ايران وسوريا اي مساعدة تقـدمانها الى العراق وسـيلة امريكية لاطالة امد الاحـتلال الى مالانهاية .فقـد عقـدت جارات العراق الاقليمية جولات عدة من المحادثات لكنها لن تحـصد اي نتائج جوهرية من غير اعلان واضح من جانب الولايات المتحـدة يفيد بـانها تهم بـمغادرة العراق.ان انهاء الاحتلال هو الشرط المسبق للتعاون الاقليمي[٢٩].

وفي هذا السياق عّدت المجموعة الاميركية للدراسـات حـول العراق الوضع «خطيرا ومتدهورا (...) ولا سبـيل يمكن ان يضمن النجاح، ولكن يمكن تحسـين الفرص». وأوصت المجموعة في تقـريرها الذي أصدرته بخفض دعم الولايات المتحدة «السياسي والعسكري والاقتصادي» للحكومة العراقـية اذا لم تحـرز تقـدما جوهريا على صعيدي الامن والمصالحـة الوطنية.كما أوصت بعدم تقديم التزام مفتوح بلا أجل محدد بإبقاء على قوات اميركية كبيرة في العراق، ولم توص بانسحاب فوري أو وضع جدول زمني محدد للانسحاب من العراق، لكنها حـددت عام ٢٠٠٨ هدفا لسحـب معظم الوحدات المقاتلة.وأوصت الادارة بأن تعلن مجددا انها لا تسعى للسـيطرة على قطاع النفط في العراق وطالبتها، في اطار الجهود للتوصل الى حـل، بـإظهار «التزام متجدد ومتواصل» من اجل التوصل الى «خطة سـلام شاملة» بين اسـرائيل من جهة والفلسـطينيين وسـورية ولبـنان من جهة اخرى.وأقرت اللجنة بقدرة سورية وايران على التأثير في أحـداث العراق،

وأوصت بمحاولة اشــراكهما «بــصورة بــناءة».وأعلن وزير الخارجية الاميركي السابق جيمس بيكر والسناتور الديموقراطي السابق لي هاملتون، اللذان يرأسان المجموعة، في مؤتمر صحافي انه «لا يمكن مواصلة النهج، ذاته، المســتمر منذ الغزو لأنه غير مجد». ولفت هاملتون الى ان قـــدرة الولايات المتحدة على حل الازمة في العراق تتقلص، محذرا من ان التكاليف الأميركية يمكن ان تتجاوز تريليون دولار.وشـــــدد بــــيكر على ان «الاستراتيجية الحالية لم تعد قابــلة للتنفيذ»، مشــيرا الى ان اللجنة أوصت «بــزيادة القــوات الاميركية التي تدرب القــوات العراقــية الى خمســة امثالها»(٣٠).

والواقع ان مواقف وزير الدفاع الاميركي روبــرت غيتس بــدت مخالفة لمواقف وتصريحات رئيسه بوش فيما يتعلق في العراق ، ففيما يحشد بــوش جهوده العسكرية من اجل العراق ويحارب الديمقراطيين لانتزاع فرصة بقاء في العراق ، كانت تعليقات غيتس الاخيرة تسير بشكل مضاد لرسالة البــيت الابيض خلال رحلته الاخيرة الى الشرق الاوســط ، حــيث اخبــر غيتس الحكومة العراقية بان الوقت ينفذ ، ممتدحا في الوقت ذاته جهود الديمقراطيين في الكونغرس الاميركي لتحديد جدول زمني للانسحاب، قائلا " انه سيساعد على حث العراقيين".وقد اكد على هذه النقطة اثناء اجتماع له مع المراســلين فيما قال ناطق باسمه " ليس هناك مســافة بــين افكار غيتس بشــأن الجدول الزمني للعراق ووجهات النظر المعتنقة في البيت الابــيض او الجنرال ديفيد بيتريوس قائد القوات الاميركية في العراق. "

وتحذيرات غيتس للمالكي كانت تشير الى ان نافذة الحظ بالنسبة للادارة الاميركية لجعل العراق سليما سوف تغلق قريبا بدلا من لاحقا، فيما يقــول محللون ان اي تحديد من غيتس بان الوقت ينفذ بالنسبة للخطة الحــالية يمكن ان تعقد بشكل قاس استراتيجية الادارة في هذا الصيف، وهو توقع بدأ يقــلق بعض المساندين لزيادة القوات.

ويؤكد احد المسؤولين العسكريين السابقين الذي ساند خطة زيادة القوات: " اعتقد ان غيتس صفحة اخرى تماما بالمقارنة مع الرئيس بـوش.والجنرال بيتريوس ، انه يريد رؤية المزيد من النتائج ".غيتس كان عضوا في مجموعة دراسة العراق التي اوصت في تقريرها في العام الماضي بان تنسحب معظم القوات القتالية من العراق في وقـت مبـكر من العام ٢٠٠٨ ، لكن غيتس لم يوقع التقرير ، وقد قال بان التسليم الرسمي لم يبدأ الى حين يتم تعيينه وزيرا للدفاع انذاك .ولكن العديد من الاشخاص الذين عملوا في التقـرير قـالوا ان غيتس كان ضالعا بشـكل وثيق في المسـودة الاولية وسـوف يدعم نتائجه اللاحقة ، ويقول ليون بـانثا رئيس فريق البـيت الابـيض في عهد كلنتون وعضو لجنة دراسة العراق :" بعد معرفة كيف عملت اللجنة وكيفية مشاركة وجهات النظر ، فلن يبقى التساؤل في رأسي بان غيتس اذا لم يكن قد اصبـح وزيرا للدفاع ، كان سوف يدعم هذه التوصيات ."

وغيتس اصبح وزيرا للدفاع في ٢٠٠٦ ,بدون ان يتعهد بشكل منمق باي تقييمات بالتطور في العراق وقـد صنع لنفسـه سـمعة في الكونغرس لانه يتحدث بصراحة وهو بالنتيجة اصبـح صوت الادارة الموثوق بـه حـول السياسة العراقية بدون تحمل عبء الخطط الاولية للحـرب وكيفية تنفيذها . ولكن حتى في ذلك الوقت المسبب للخلاف بسبـب وجود دونالد رامسـفيلد وزيرا للدفاع ، فقد احتفظ غيتس بشكل كبير بارائه حول خطة الرئيس بزيادة القوات لنفسه . وبتوجيه من بوش فقـد قـضى غيتس اسابـيعه الاولى في البنتاغون يجمع المعلومات للتوصية بمهمة جديدة ، ولكن مسـؤولي الادارة منذ ذلك الوقت اعترفوا بان المهمة الجديدة قد تم تحديدها بالفعل، واصبـح غيتس مديرها التنفيذي. وفي هذا الدور احـجم عن امتداح الاسـتراتيجية وسعى للبحث عن خطط احتياطية في حالة فشـلها . وكان يأمل بـان يبـدأ بتخفيض القوات في هذه السنة وامر المخططين بالاحتفاظ بـالتمويل لزيادة القوات خارج ميزانية السنة المقبلة، وهو مؤشر بـانه يريد ان تنتهي زيادة

القـــوات في العام ٢٠٠٧ ، وفي الوقـــت الذي اصطف مع الادارة ضد المتشددين ، فانه اقتسم الطرق مع المساندين الاساسيين لزيادة القــوات من خلال الاعتراف بقيمة النقاش حول الجدول الزمني للانسحاب.

الاختلاف العلني لغيتس مع الداعمين لاســتراتيجية بــوش كان حــول السؤال عن كم من الوقت يجب ان تســتمر زيادة القــوات قبـــل المعاناة من اجراء التقييم ؟

واصر غيتس في معظم السنة بان يتم تقييم الخطة الامنية الحالية لبغداد فقط وبعد شهرين من اكتمال الالوية الخمسة من القوات الاضافية في الميدان وكان غيتس يوبخ في كل مناسبة أي مسؤول كبير يقترح عكس ذلك.

وحينما اقترح الناطق باســم القــوات الاميركية في العراق الجنرال وليم كالدويل بان تقارير التقدم يجب ان تنتظر الى نهاية الســنة ، رد عليه غيتس بقسوة . وقال غيتس امام لجنة استماع للكونغرس :" لقد انزعجت بـــصدق ، لسماع بان احد ضباط جيشنا – ولااعرف من يكون – يقـــول بـــانه يجب ان ننتظر لنهاية السنة قبل ان يكون لدينا فكرة جيدة ". وقد اعطى غيتس لاحقـــا المجال بعد ان اعلن بوش نفسه بـــانه ســـيعطي بـــيتريوس وقـــتا الى نهاية ايلول(سبتمبر).

وبالرغم من ذلك ، يلاحظ غيتس قلق المسؤولين العســـكريين الاميركيين الذين ايدوا خطة زيادة القوات، وجادل احد المسؤولين العسكريين الاميركيين الكبار بانه بدلا من التكلم عن نفاذ الوقـــت، فان غيتس والبـــنتاغون يجب ان يحاولوا شراء المزيد من الوقـــت من اجل هذه الاســـتراتيجية .وقـــال ذلك المسؤول :" اذا كنا لانستطيع ان نمارس لحد الان صبرا استراتيجيا قـــليلا ، فيجب الانسحاب بافضل حالة."

واضاف محلل عسكري يعمل مشاورا للبنتاغون :" غيتس يبدو انه انهى رسالته، ولا اعرف لماذا، لااعرف اذا كان غيتس يعتقـــد ان الحـــرب يمكن

النصر فيها، وكان قد قال انه يمكن ذلك، ولكني لست ١٠٠ % واثقا بانه يؤمن بذلك، وتلك هي المشكلة الحقيقية ."

وكل الخبراء والعسكريين السابقين والمسؤولين العسكريين الذين تمت مناقشتهم حول هذا المقال تحدثوا بشرط عدم الافصاح عن اسمائهم حينما تحدثوا عن وجهات نظر غيتس عن الحرب .وقال براين ويتمان الناطق باسم البنتاغون ، غيتس كان واضحا بانه يؤمن بان المصالحة الحقيقية والتقدم في العراق سوف يستغرق وقتا . واضاف ويتمان :" الجنرال بيتريوس ووزير الدفاع غيتس مشتركين في التفكير حول هذا الموضوع ، القول باي شكل بان له رأيا مختلفا ... حول الاستراتيجية شيء خاطيء ، ومن عدم الاطلاع والمغالطة القول بذلك ".ولكن العديدين من الذين ناقشوا السياسة حول العراق مع غيتس قبل ان يصبح وزيرا للدفاع يقولون بالرغم من انه عمل لتطبيق الخطة الامنية الجديدة منذ ان اصبح وزيرا للدفاع، فان اراءه وثيقة بلجنة دراسة العراق اكثر مما كان يعرف سابقا، وقد امتدح غيتس مؤخرا مجموعة الدراسة، واخبر لجنة استماع في الكونغرس مؤخرا :" نسختي من التقرير جيدة وهي تلازمني ". ولكن الاشخاص الذين عملوا في التقرير يقولون بان ضلوع غيتس فيه كان اكثر عمقا .وقال احد الاشخاص وثيقي الصلة بغيتس بشرط عدم الافصاح عن اسمه :" لقد قرا كثيرا المسودة الاصلية للتقرير ويتأنى و(يبعد نفسه) ، بسبب ان الرئيس قد اختار عدم تبنيه ، وهو يحاول تنفيذ التحديات التي قدمت له ،واعتقد الطريقة الافضل هي القول بذلك ". لكن بعض الذين عملوا في التقرير قالوا بان غيتس قرأ بشكل شره الاوراق الاولى التي كتبت من التقرير من قبل لجنة الكتابة في المجموعة المذكورة ، وهو شيء لم يفعله جميع اعضاء اللجنة ، وقال انه يتفق بان غيتس كان سيوقع على النسخة النهائية للتقرير وقال انه يعتقد بان غيتس يرى بان هناك نافذة محدودة من الفرصة في العراق مما يفعله بيتريوس . وقال بنثا انه على الرغم

من ان اعضاء لجنة دراســـة العراق لم يكونوا معترضين على هدف زيادة القوات لفترة قصيرة لتوفير الامن في بغداد ، فانهم يؤمنون بقوة بان أي زيادة يجب ان تكون محددة في الوقت والنطاق.

وقال بنثا :" جميعنا بمن فيهم غيتس على وجه التحـديد، وافقـنا انه يجب الضغط على العراقيين للعطاء ، ولايمكن فقط تقديم تعهد مفتوح بدون نهاية. ويجب ان يكون واضحا، ويجب عليهم التحرك وسـتكون هناك عواقـب اذا فشلوا."

وقد اثار غيتس الداعمين لزيادة القـوات من خلال امتداحـه النقـاش في واشنطن حول الجدول الزمني في العراق مكررا بـانه كان له دور مفيد في اقناع العراقيين بان صبر الولايات المتحدة اخذ ينفذ . ويعتقد الداعمون لزيادة القوات بان أي نقاش للجدول الزمني بشكل صريح من قبـل الديمقـراطيين وبشكل ضمني من غيتس هو مؤذي.

وقال المسؤول العسكري السابق :" انت سوف تسـرق خطة الرئيس اذا اندفعت لمناقشة نتائجها بشـكل سابـق لاوانه فانت واقـعيا تقـوض هذه الاستراتيجية."

وقد ناقش بعض مسؤولي الدفاع الحاليين بشـكل خاص ، الضغط الذي مارسه غيتس على العراقيين ، وقال احد المسؤولين العسكريين :"العراقيون يعرفون ان هذه الصفقة ليست مفتوحة بـدون نهاية ولكن في اقحـامها في وجوههم فذلك لايساعد، فهم يستطيعون فقط المضي اكثر سرعة."

تعليقات غيتس افضت الى ان يستخلص بعض الداعمين لزيادة القوات بانه يحاول ان يستنبط توافقا بين توصيات لجنة دراسـة العراق التي يؤيدها الديمقراطيون واستراتيجية بوش الجديدة والمنتقدون لمثل هذا التوافق تنبؤا بالفشل، بينما يقول المحلل العسكري :" تقريبا يبدو كما لو ان هناك جهدا من غيتس لدمج لجنة دراسة العراق مع الاستراتيجية الحالية ، وانا قلق بشـأن ذلك(٣١)"

ان عدم استقرار القوات الأمريكية ومشروعها في العراق إذا لم نقول فشلها, يدفع بالولايات المتحدة إلى التخلص من هذا الواقع واتخاذ سياسية الهروب إلى الإمام وخاصة ان الولايات المتحدة تعرف جيدا ان قسم كبير من عدم نجاحها في العراق هومرتبط بتغلغل إيران عن طريق استخباراتها والمليشيات التابعة لها في العراق وما تقوم به(إيران) من عمليات تخريبية مستهدفة القوات الاجنبية في العراق. وهنا لابد من الإشارة والتوضيح إن تغلغل إيران في العراق وخلق مشاكل للأمريكان ليس بهدف طرد الأمريكان من العراق أومساعدة المقاومة في العراق بل هدف إيران الأساسي هوأولا السيطرة على جنوب العراق وثانيا تعرقل نجاح التجربة والمشروع الأمريكي في العراق خوفا من تطبيقه بزحف الجيش الأمريكي لإيران واحتلالها على غرار أفغانستان والعراق. وعلى هذا الأساس ستتخذ الولايات المتحدة الأمريكية سياسة الهروب إلى الإمام (تجاه إيران) وتصيد بذلك عصافير عدة بحجر واحد:

أولاً: ضبط إيران والتخلص من تغلغلها في العراق عبر تضعيفها بضربات جراحية أواحتلال الأحواز على الأقل المجاور للعراق والغنية بالثروات البترولية – المائية – الغازية – البشرية والزراعية.

ثانياً: ضبط المليشيات التابعة لإيران في العراق عبر قطع الجسور معها وتضعيف دورها في العراق. وسياسية تحجيم نفوذ إيران في العراق عبر المليشيات والتنظيمات التابعة لإيران قد بدأت بالفعل وعدم قبول الجعفري لرئاسة الوزراء في العراق هي أحدى افرازات تلك الخطوات.

ثالثاً: تضعيف سوريا ودورها في المنطقة والقضاء على التحالف الممتد من إيران حتى لبنان(حزب الله). ومحاصرة سوريا اقتصاديا ودبلوماسيا. وإجبار سورية على الخروج من لبنان ما هوإلا محاولة لضرب ذلك التحالف وتقليص دورهم في المنطقة. واستهداف وتضعيف سورية يأتي بدوافع:

١-التخلص من نظام يحمل أفكار ومشروع عروبي وحدوي.
٢ -تحقيق مطلب وهدف أساسي لإسرائيل بالقضاء على نظام يعُد عدو أساسي له. لان سوريا ونظامها على رأس الأنظمة والدول العربية التي لن يتغير موقفها تجاه فلسطين وإسرائيل عكس كثير من الدول العربية التي لها علاقات وطيدة مع اسرائيل.
٣-محاولة المجئ بنظام يتنازل أويختار السكوت وقبول أمر الواقع في قضية احتلال الجولان.

رابعاً: تضعيف حزب الله في لبنان عبر قطع الإمدادات وأنواع الدعم له (السياسي والاقتصادي و...).

خامساً: المضي قدما بمشروعها المسمى الشرق الأوسط الكبير عبر احتلالها لإيران والسيطرة على أهم مواقع الاستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط عبر السيطرة على الخليج العربي بضفتيه الشرقية والغربية ومضيق هرمز وبحر قزوين. وبالتالي السيطرة على ثاني اكبر احتياطي للغاز في العالم وألاف آبار البترول.

سادساً: المجيء بنظام أكثر مقبولية في المنطقة والعالم وأكثر عطاء وخدمة لسياسات الولايات المتحدة .

سابعا: المضي قدما بمحاصرة الصين اقتصاديا وسياسيا من خلال السيطرة على اكبر مواقع نفطية وغازية في إيران(الأحواز). بعد تخوف أميركا الشديد من نهوض المارد الصيني باقتصاده الذي يزعج الولايات المتحدة الأمريكية بشكل كبير[٣٢].

والحقيقة ان الرئيس الأمريكي جورج بوش يعد قضية العراق قضية "صائبة نبيلة" مطالباً مجلس النواب بوقف التعاطي سياسيا مع الشؤون العسكرية والإفراج عن موازنة الجيش المخصصة للعراق محذراُ من أن الفراغ في ذلك البلد سيعزز من قوة إيران ويخلق بؤرة مناسبة لتنظيم

القاعدة.وطالب بوش بمنح الخطة الأمنية الجديدة المطبقة في العراق المهلة الزمنية الكافية قبل الحكم عليها.

الرئيس بوش الذي كان يتحدث بعد لقــاء مع قــادة الحــزب الجمهوري لمناقشة الموقف من قضية تمويل حرب العراق بعدما رد البـيت الأبـيض مشروع القانون الأول الذي يربط تمويل الحرب بـجدولة الانسحــاب، لوح أيضاً بنقض الاقتراح الجديد بالتمويل المرحلي للحــرب.وتوجه بـوش إلى النواب الأمريكيين قائلاً "مهما كان رأيكم (السياسي) فاحــرصوا على نجاح التمويل، لا يجوز أن يتدخل السياسيون في عمل الجيش".

وانتقد بوش بشده الحكومة العراقية داعياً إياها إلى تحقيق تقدم سياســي بموازاة الجهود العسكرية كما انتقد الديمقــراطيين قــائلاً "يقبــلون تمويل المشاريع الاستثمارية بشــكل كامل ولكنهم يريدون تقــديم نصف الموازنة للجيش." وذكّر الرئيس الأمريكي بما قاله الجنرال بيتريوس قــائد القــوات الأمريكية العاملة في العراق لناحية أن عدد الجنود يتحدد وفق الخطة الأمنية معتبراً أن الديمقراطيين قلبوا المعادلة وربــطوا عدد الجنود بالاعتبــارات السياسية وتساءل " هل من الصواب أن نمنح بيتريوس مهمة ما ثم نحرمه من المال والعتاد اللازم لتنفيذها."وأضاف: "تســـألوننا عن الوضع في العراق وعن نسبة نجاحنا في مهمتنا دون أن تقولوا ما هي عواقب إحداث فراغ في العراق يستفيد منه المتطرفون مع وجود إيران.. وتنظيم والقاعدة الذي يريد مهاجمتنا مجدداً.. وخيبة الآمل التي ستصيب أصدقائنا في الشرق الأوسط".

وكانت رئيسة مجلس النواب الأمريكي نانسي بيلوسي، قد انتقــدت إعلان البيت الأبيض أن الرئيس جورج بوش يعتزم استخدام حق "الفيتو" الرئاســي الممنوح له، للمرة الثانية، لنقض مشروع قانون جديد، يتضمن تمويلاً مرحلياً للقوات الأمريكية في العراق.واتهمت بيلوسي البيت الأبيض بــ"تبني أسلوب المواجهة بدلاً من التعاون"، بعد المرة الأولى التي استخدم فيها بــوش حــق الفيتو الرئاسي،لإجهاض مشروع قــانون مماثل، في الأول من ايار(مايو)

٢٠٠٧،كان يتضمن جدولاً لسحب القوات الأمريكية من العراق بحلول اذار (مارس)٢٠٠٨.[٣٣]

و يقول الإعلامي د. أحمد عبدالملك عن الوضع في العراق: لا يبـدو في الافق أية ملامح للهدوء في العراق وذلك لاعتبارات محـلية داخلية واخرى خارجية او اقليمية. فمع اعلان الولايات المتحدة عزمها على سحب بـعض جنودها العاملين في العراق، وكذلك بريطانيا الا ان الحاجة ملحـة الى مزيد من الامن في ظل البناء الحثيث للبنى التحتية الامنية العراقية. وأعتقد بـأن العراق ما زال بحاجة الى مزيد من الوقت حتى يتخلص من تبـعات الحـكم الديكتاتوري ويتحول الى النظام الديمقراطي النقي والبعيد عن الشـعارات والاعلانات. القوى العراقية سـوف تدخل المزيد من الانفاق المظلمة وذلك لاستحقاقات وحسابات تاريخية ونفسية وادارية. علاقات العراق مع جيرانه لم تتبلور في شكل يمكن الاعتماد عليه في بناء دبلوماسية المصالح المشتركة والرؤى المستقبلية القائمة على احـترام سـيادة الغير وهو نفس الكلام الذي ينطبق على جيران العراق وخصوصا تركيا وايران[٣٤].

ثانيا.امكانية الانسحاب الامريكي من العراق.

لم يعد أحد يُـــدرك على وجه الدقة ما الذي آل إليه مصير عملية انسحاب القوات الأمريكية في ظل حالة الغليان التي يشهدها العراق حـاليا. إن كل ما يدور داخل الولايات المتحدة بشأن الانسحاب يشير إلى أن المسألة أعقد مما تبـدو عليه، لكن الأكيد هو أنه لن يكون خروجا كاملا. فعلى الرغم من أن إستراتيجية الخروج من العراق أصبحت منذ شهور عدة واحـدة من السيناريوهات المطروحـة عمليا داخل المؤسسـات الأمريكية، إلا أن ذلك ترافق منذ ذلك الحين مع جدالات حادة لم تحسم أبـدا حـول الأطر العامة، والتوقيتات والشروط والنطاقات، بحيث لم يعد مفهوما ما الذي يعنيه بالضبط ذلك السيناريو؟ لكن تظل أحد الأشياء القـليلة المؤكدة، أنه لن يكون خروجا كاملا.

١ -أفكار واشنطن.

ان ما يدور داخل الولايات المتحدة بشأن الانسحاب، يشير إلى أن المسألة أعقد مما تبدو عليه. فهناك إدراك مستقر داخل الإدارة الأمريكية بأن النجاح أو الفشل في العراق – أيا كانت تعريفاتهما – يمثلان أهم محددات استمرار أو تقلص تأثير الولايات المتحدة في عالم القرن الحادي والعشرين، وبالتالي، فإن الإدارة الأمريكية ليست مستعدة، من حيث المبدأ، للفشل في العراق، لكنها تُدرك أيضا أنه لم يعد أمامها خيارات نموذجية، إذ أصبح الواقع ومقتضياته هو المحدد الرئيسي لأية تحركات مستقبلية في العراق.

وفى هذا الإطار،لا يتم النظر إلى خيار الانسحاب من العراق على أنه سيناريو طوارئ أو إستراتيجية هروب يتم إتباعها في حالات قصوى سيئة، أو حتى كرد فعل لانهيار شعبية الرئيس بوش، وإنما أحد الخيارات الصعبة "المدروسة" التي لا ترتبط بالضرورة بفكرة الخروج من العراق، بل الحفاظ على المصالح الأمريكية فيه، في حالة تطور الأوضاع الداخلية بين العراقيين خلال "فترة ما بعد الدستور"، في اتجاه صِدام مسلح واسع النطاق يفرض وجود القوات الأمريكية في إطاره، خيارات صعبة عليها فيما يتعلق بدعم طرف أو آخر.

بعيدا عن التفكير الإستراتيجي، تتم مناقشة كل الخيارات الخاصة بالانسحاب من جوانبها العملياتية، والتي تطرح في إطارها أفكار خاصة بأشكال وأساليب مختلفة له، تتراوح كلها بين التخفيض التدريجي للقوات في ظل أوضاع انتشارها الحالية داخل العراق، بالتوازي مع زيادة عدد القوات العراقية أو إعادة نشر تلك القوات في عدة قواعد عسكرية رئيسة داخل العراق أو إخراج القوات الأمريكية في اتجاه قواعد قريبة في الدول المحيطة بالعراق على نحوٍ يُتيح لها استمرار العمل وقت الضرورة داخل أراضيه، وغالبا، لم تُتَّخذ بعدُ قرارات سياسية بهذا الشأن.

٢- خيارات سيئة

بالعودة إلى داخل العراق، لم يتغير الكثير. فلا تزال الأفكار التي يتم تداولها بين الفرقاء على ما هي عليه، إذ لا توجد "خيارات جيدة" في واقع الأمر.

فبقاء القوات الأمريكية بأوضاعها الحالية يؤدي إلى اتساع نطاق المقاومة العنيفة لها، سواء من جانب "مقاومة" السنة العرب الذين استقر نسبيا على أنهم يشكلون حوالي ٧٥% من قوة المعارضة المسلحة، أو من جانب عناصر القاعدة الأكثر عنفا، الذين يخوضون حربا ضد الولايات المتحدة على أرض العراق، دونما علاقة لذلك، بتطور العملية السياسية داخل العراق، ولا يوجد ما يؤكد أن وجود القوات الأمريكية يمكن أن يؤدي بالمقابل إلى هزيمة هؤلاء.

من جانب آخر، ثمة اقتناع راسخ في أوساط غالبية الساسة الشيعة. والأكراد على الأقل، بأن انسحاب القوات الأمريكية من العراق بشكل سريع في الوقت الحالي يمكن أن يؤدّي إلى انهيار كبير يدفع في اتجاه انفجار حرب داخلية دموية خلال مدى زمني يقدره البعض بأسبوع واحد.

ولا يقدم معظم الساسة أو حتى رجال الدين السُنة إجابة مختلفة جوهريا (بصرف النظر عما يقال في وسائل الإعلام) وما يطرح واقعيا من جانبهم، هو فقط انسحاب تلك القوات من المدن، وتحديد مدى زمني للخروج من العراق.

٣- العقدة الحالية

في ظل ذلك، يمكن فهم بعض ما يحيط بما آل إليه مفهوم الانسحاب الذي يتم الحديث عنه، فهناك فارق بين انسحاب القوات الأمريكية، أيا كان شكله أو توقيته، وبين الخروج الأمريكي من العراق.

فالهدف الأمريكي المباشر هو استمرار وجود علاقة إستراتيجية مع تلك الدولة، والإطار النموذجي الوحيد الذي يمكن أن يتم فيه ذلك (الانسحاب) هو

ترتيب الأوضاع العراقية، يتضمن ذلك استقرار الحكومة المنتخبة، وزيادة عدد القوات العراقية، وتحجيم "التمرد المسلح"، وكبح جماح دول الجوار بصورة تتيح إخراج القوات الأمريكية، وكأنها أدت مهمتها أو على الأقل "لم تهزم"، واستمرار العلاقات "القوية" بعد ذلك.

المشكلة التي تواجهها الإدارة الأمريكية، والتي تركز عليها معظم التحليلات حاليا، هو أن ما يبدو منطقيا لا يعتبر واقعيا. فوجود القوات الأمريكية لم يؤدِّ إلى استقرار الحكومة أو إتاحة الفرصة لبناء جيش أو هزيمة المسلحين أو كبح دول الجوار، ومن الصعب الحديث عن أن استمرار وجودها سيؤدّى إلى تحقيق ذلك دون التورط في أعمال مفرطة الضرر أو عشوائية الأثر بصورة تحبط تحقيق تلك الأهداف، كما تثار هواجس أمريكية حول توجهات قادة بغداد الجدد تجاه بقاء القوات الأمريكية ذاتها، خاصة إذا قرروا في وقت ما بعد اكتساب "نصف شرعية" في مرحلة ما بعد الدستور، أن يتعاملوا مع المقاومة المسلحة بوسائلهم الخاصة.

٤ – السيناريو المعلق

على أي حال، لا يبدو أن تلك العقدة يمكن أن تحل ببساطة على نحو يدفع في اتجاه حسم ما يتعلق بذلك الانسحاب الذي يبدو ضروريا، لكنه شديد الخطورة للقوات الأمريكية، لكن في انتظار تبلور الأوضاع العراقية "بعد الدستور"، تشكّلت ملامح شبه مؤكدة لذلك الانسحاب، سوف يرتبط تنفيذها عمليا بتطورات لا يوجد يقين بشأنها، وأهمها ما يلي:

أولا، أنه لا يوجد حتى الآن حديث نهائي عن انسحاب أمريكي كامل من العراق، فلا توجد سيناريوهات تم إقرارها إلا كإستراتيجية طوارئ لاعتبارات التخطيط، تتعلق بخروج شامل لكل القوات الأمريكية من العراق. فلا يزال الوضع الأقرب للتصور هو النموذج الياباني أو نموذج كوريا الجنوبية، الذي يتم الاحتفاظ في إطاره بما بين ٤٠ – ٦٠% من القوات داخل قواعد عسكرية خارج المناطق السكنية في ظل معاهدة دفاع

مشترك ترتبط بتوقيتات تجدد ومهام محددة، وهو سيناريو يتطلب شروطا سياسية معقّدة لتطبيقه مستقبلا، فهو ملمح قابل للتعديل بشدة في ظل تطور أوضاع العراق.

ثانيا، أنه لن يتم بأي صورة انسحاب مفاجئ أو سريع للقوات الأمريكية من العراق، فلن تقبل الإدارة الأمريكية، على حد قول الرئيس بوش، بهروب على غرار ما حدث في فيتنام، من العراق، أو أن يتم الانسحاب في إطار سياسي يبدو معه وكأنه هزيمة، وهي سمة تبدو مستقرة نسبيا. فهناك إصرار أمريكي عليها، ولا يوجد في العراق من يطالب جدّيا بعكسها، كما أن وضع القوات الأمريكية في العراق حاليا يُتيح لها إتباعها، لكن الإصرار عليها قد يؤدّى إلى قرار بخوض عمليات مسلحة عنيفة ضد العناصر المسلحة وقواعدها السكانية لإضعافها بشدة قبل أي قرار بإخراج القوات تدريجيا من العراق.

ثالثا، أن الشرط الذي لا تتصور الإدارة الأمريكية أن تسحب قواتها من العراق دون تحقيقه هو "إنهاء" وجود عناصر القاعدة، على الأقل في العراق، قبل التفكير بجدية في خروجها، وهي مسألة تتعلق – حسب أحد المسؤولين الأمريكيين – بأمن الولايات المتحدة، وليس القضية العراقية، وقد خاضت القوات الأمريكية بالفعل معارك شبه نظامية في هذا الاتجاه في مناطق.عدة لكن في ظل صعوبة تحقيق ذلك، قامت في وقت ما بإجراء اتصالات مع عناصر المقاومة المسلحة لفصلها عن تنظيم القاعدة، ويبدو مما يجري عموما أنه شرط حاسم يصعب التنازل عنه.

وفى ظل ذلك، فإن ما هو واضح هو الانسحاب من العراق ليس عملية جامدة، إذ أنه تحوّل مع الوقت إلى مفهوم واسع مرن يعاد تعريفه كل فترة، سواء فيما يتعلق بإطاره أو شكله، تبعا لتطور الواقع الفعلي على الأرض. لذا، فإنه فيما عدا بعض الحقائق البسيطة المؤكدة نسبيا حوله، فإن الكثير مما

يثار بشأنه، يمكن أن يتغير في أي فترة تالية تبعا للظروف التي يصعب تحديد ما قد تحمله من تقلبات[٣٥].

ثالثا, ايران والوضع في العراق.

لا شك أن العلاقات الإيرانية العراقية علاقات موغلة في القدم، شـديدة التعقيد، مبهمة التداخل، حيث يؤكد التاريخ الحضاري لكلتا الدولتين أنهما متصلتان منفصلتان، لعبت الجغرافيا السياسية دورًا كبيرًا في تحديد علاقاتهما، ولعبت الشخصية القومية لكلا البلدين دورًا أشد في تعقيد هذه العلاقات .

لقد كانت إيران منذ عهودها الأسطورية تبدي اهتمامًا بالعراق؛لا كمنطقة مجاورة أو كمنطقة امتداد عمراني لها، على أساس إنها الجنة الموعودة للخير الذي يأتي منها كمنطقة زراعية ومائية تحتاجها شبه الهضبة الإيرانية، وتتلهف على امتلاكه منذ أن دبّ الخلاف بين الملكين الأخوين، الملك "إيرج" الذي خصه أبوه "فريدون" بخلافته في ملكه وامتلاك بلاد الآريين، والملك "تور" الذي أعطاه أبوه ملك بلاد التورانيين التي يقع العراق على ثغورها، والتي أصبحت مسرحًا للعمليات العسكرية بين الجانبين، ومنذ ذلك الوقت. دخل العراق في التاريخ القومي الإيراني، وصار موضع اهتمام الحكام الإيرانيين على مر العصور .

وقد ساهمت الأحداث التاريخية في تعميق هذا الاهتمام خاصة بعد أن اكتسب العراق أهمية دينية لدى الإيرانيين، سواء مع ظهور "زرادشت" الذي كان يعتقد الفرس بنبوته قبل الإسلام، أو مع واقعة استشهاد الإمام الحسين في كربلاء وعدد آخر من أئمة الشيعة في العراق بعد الإسلام، بحيث صارت هذه البقاع "العتبات المقدسة" لدى الإيرانيين[٣٦].

ولعلنا نستطيع أن ندرك هذه الأهمية من خلال الحروب التي دارت بين البلدين في عصور التاريخ المتعاقبة، وحتى الحرب العراقية – الإيرانية الأخيرة عندما امتنع الإيرانيون في حرب قصف المدن عن قصف هذه

"العتبات المقدسة"، مع علمهم بأن العراقيين يستفيدون من هذا الموقف استفادة كبيرة

١ – الثورة الإسلامية والعراق.

لإيران إستراتيجية خاصة تجاه العراق منذ قيام ثورتها الإسلامية حيث عزم "آية الله الخميني" –بعد أن استقر له الأمر على رأس النظام– تصدير الثورة الإسلامية إلى المنطقة المجاورة، بدءًا من العراق؛ المركز الشيعي التالي بعد المراكز الإيرانية وبه "العتبات المقدسة"، وهو أمر طبيعي ومنطقي في فكر الثورة الإيرانية .

وبغض النظر عن الأسباب فقد نشبت الحرب العراقية – الإيرانية، ولكن الذي نود الإشارة إليه في هذا الأمر أنها تحولت لدى الإيرانيين إلى حرب دينية لا تهدف إلى النصر على قوات الحكومة البعثية العراقية فحسب، بل "تحرير الشعب العراقي من قيادته الكافرة"؛ وهو ما حدا بالقيادة الإيرانية إلى استضافة بل تشكيل "المجلس الاعلى للثورة الإسلامية العراقية"، وإنشاء كيان مؤسسي لها تحت قيادة "آية الله محمد باقر حكيم" لتكون نواة لحكومة جديدة في العراق تؤمن بمبادئ الثورة الإسلامية وتتخذ المذهب الشيعي مذهبا رسميا لها .إذا كانت إيران تقر لنفسها حق التدخل في شؤون العراق من خلال تلك النظرة الإستراتيجية المعقدة لهذه البلاد، فإنها من ناحية أخرى، لاتقر أبدًا بل تناهض أي تدخل أجنبي فيه، وتَعدَهُ من وجهة النظر الأمنية مساسًا بأمنها القومي، ومن وجهة النظر الدينية مساسًا بمقدساتها، مهما كانت العلاقة بينها وبين الحكومة العراقية، ومن ثم فإنها تتخذ كافة الترتيبات الواجبة عليها بهذا المفهوم لمواجهة هذا التدخل، وفي إطار ذلك تقوم بتعبئة الساحة الداخلية دينيا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا.

٢ –إيران والعدوان الأمريكي على العراق.

إن ظهور دلائل كثيرة تشير إلى عزم الولايات المتحدة الأمريكية على توجيه ضربة عسكرية إلى العراق لا يدخل فقط في حقل هذه النظرة الإيرانية

إلى العراق، بل يتعداه إلى أبعد من ذلك، سواء فيما يتعلق بمصدر التهديد ونظرة إيران إليه، أو بالحسابات الإيرانية للتهديد الأمريكي تجاه إيران نفسها، أو تحسباتها لمستقبل النظام الحاكم في إيران، وهو لب القضية .

يقول "آية الله هاشمي رفسنجاني" رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام: "إن إيران ليست مستعدة للتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية طالما أنها ماضية في سياساتها التحرشية بإيران، فهي تتهمنا بمساعدة الإرهاب لتعاطفنا مع الشعب الفلسطيني المظلوم، في حين أنها تعتبر نفسها المدافع عن الحق والحضارة، وهي تعطي كل إمكاناتها لإسرائيل. ولقد عبَّر "رمزي كلارك" -المدعي العام الأمريكي السابق- عن سياسة ربط المعونات بالتبعية بأنها أقبح السياسات الأمريكية، وهذا الكلام له مفاهيم كثيرة توضح مدى صعوبة التعامل مع أمريكاً[٣٧].

وتعتقد إيران أن الولايات المتحدة الأمريكية تعمل في المنطقة بمبدأ إيجاد الواجهة التي تجعل من الضروري على الجميع أن يخافها حتى يسمع كلامها، وتصف ذلك بمبدأ المافيا، وتؤكد أن الولايات المتحدة طبقته في قصف الصرب في العام ١٩٩٩م، وطبقته مع إيران في قضية نقض حقوق الإنسان، حيث لم تدرج اسم إيران في قائمة الدول الناقضة لحقوق الإنسان حتى العام ١٩٧٩م، عندما كانت علاقاتها بها طيبة حتى هذا الوقت. ورغم إدراك إيران أن مقولة "محور الشر" الذي تجمع فيه الولايات المتحدة إيران مع العراق وكوريا الشمالية في سلة واحدة لا معنى لها من الوجهة السياسية، فإنها تأخذها على محمل الجد من خلال مبدأ إيجاد الواجهة الأمريكي .

ورغم أنها رفضت أن تكون مع النظام العراقي في سلة واحدة، فإن إيران شعرت بالخطر في حدوث أي تغيير في العراق في الوقت الحاضر. وهي إن كانت حلمت من قبل بدولة شيعية في العراق تناصر نظامها فإنَ الظروف الراهنة تجعلها تتنازل عن هذا الحلم مؤقتا، حيث ترى أن العراق يتخذ الموقع

الأول في "محور الشـــر" الذي رتبـــته الولايات المتحـــدة، وأنها التالية، وأن كوريا تتخذ الموقع الأخير، وهذا الترتيب يربكها، ليس لأن العراق لا طاقة له بمواجهة الولايات المتحدة، ولأنه هدف سهل المنال وفي متناول يدها، وإنما لأنه يقرب إيران من المواجهة معها التي يصعب توقع نتيجتها، بـــل تبـــدو التوقعات حولها مضللة، وهي في الوقـــت نفســـه ترى أن ضرب الولايات المتحدة لإيران ليس وشـــيكًا، ولكن ضرب العراق يجعل من مســـألة اندماج إيران في المنظومة العالمية أمرًا بعيدًا [٣٨].

وقد أشار "حـــميد رضا آصفي" المتحـــدث الرســـمي لوزارة الخارجية الإيرانية في تعقيبه على زيارة وزير الثقافة العراقي لإيران في العام ٢٠٠٣، إلى موضوع توجيه الولايات المتحدة ضربة إلى العراق، والتداخل بـــين هذا الموضوع وقضية المعارضين العراقيين الموجودين في إيران الذين أشـــيع اتصالهم بالولايات المتحدة بهدف قلب نظام الحكم العراقي بقـــوله: "أما فيما يتعلق بالمعارضين العراقيين المقيمين في إيران فعلاقتهم بالحكومة الإيرانية واضحة ومحددة، وسياستنا في هذا الصدد قائمة على مبدأ عدم إملاء شـــيء في العلاقات مع هذه الجماعات. وأما ما أشـــيع عن اتصالات هذه الجماعات بالولايات المتحدة الأمريكية لقلب نظام الحكم في العراق، فإن هذه الجماعات لها مواقفها وقراراتها المستقلة تماما، وإن إيران تعلن من جديد رفضها لأي هجوم أمريكي على العراق". وقد سعى المتحـــدث الرســـمي في إطار هذا الإعلان إلى نفي أسباب التحـــرش الأمريكي بـــإيران بقـــوله: إن اتهامات واشنطن لإيران بالسعي للحصول على أسلحة نووية حجة لا أســـاس لها من الصحة، وإن التعاون الإيراني – الروسي في مجال الطاقة النووية في محطة "بوشهر" يتم تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة النووية، ويؤكد المسؤولون فيها بعد كل زيارة تفقدية أنها للمجالات السلمية.

لكن المتحدث –في الوقت نفسه– أشـــار ضمنيا إلى أن تصفية المســـائل المعلقـــة مع العراق تدخل في إطار اســـتعدادات إيران لمواجهة التطورات

المحتملة الناتجة عن توجيه ضربة أمريكية للعراق، خاصة مع تزايد التصريحات باقتراب موعد هذه الضربة. ويؤكد رفسنجاني أن السلوك الأمريكي في المنطقة يعبر عن أسلوب "الاستعمار الجديد" الذي تتحتم مواجهته بتضامن أكبر مع شعوب المنطقة وامتدادها في آسيا الوسطى .

ومن ثم فإن إيران -في تنقيتها الأجواء مع العراق- إنما تعمل على تثبيت وحدته تحت قيادة واحدة، متناغمة في ذلك مع دول المنطقة التي لا تحبذ تقسيم العراق. وهذا الموقف يقلل من الخيارات الأمريكية حول مستقبل العراق إن كانت عازمة على تغيير القيادة العراقية من خلال الضربة التي تنوي توجيهها إليها، وهو ما صرح به معارضو الرئيس العراقي صدام حسين وأبرزهم الفريق نجيب الصالحي -أحد قادة الجيش العراقي في المنفى- الذي صرح لصحيفة الحياة بأن الهجوم الأمريكي سيتم خلال الأشهر القادمة، وأنه يستهدف إسقاط الرئيس صدام وليس ضرب المؤسسات أو المدنيين. وإذا كانت إيران لا تستبعد ذلك فإنها لا تضمن تطورات الأحداث بعد الضربة الأمريكية للعراق، وتعمل على تضييق نطاق أثرها كلما أمكن ذلك.

وعن احتمالات نجاح المشروع الامريكي في العراق يقول هاشمي رفسنجاني رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام الإيراني: لو نجحت أمريكا في عملياتها العسكرية في العراق فإن أهم قضية تطرحها هي خليفة صدام، ولو كانت هناك حرية فإن الحكومة التي تخلفه لن تكون متوافقة مع الولايات المتحدة. ولو قسمت العراق إلى ثلاث دول صغيرة فإن التقسيم سيجر المشكلات، وإذا تولى الحكم دكتاتور فإن الوضع سيصبح مثل الوضع في عهد صدام، وسوف ينظر إليه على أنه يوافق المشروع الأمريكي[٣٨].

ان ايران (لاتتصرف على الاطلاق من وحي مذهبها وانما من مصالحها القومية البحتة وبمعنى اخر فان حكومة طهران لاتتوانى عن التضحية بحكومة الشيعة العراقيين في سبيل تحقيق مصالحها القومية.

ايران للانصاف واقعة في شق التناقض بين ان تدعم العملية السياسية فيفوز بذلك اصدقاؤها بالنصيب الاوفر من الكعكة,والتناقض الاخر وهو ان استقرار العراق وحتى ان كان لصالح اصدقائها سيجعل امريكا طليقة اليد في احداث التغييرات المحتملة حيث ستكون هي اول المتضررين ,وهكذا فهي تمارس لعبة مزدوجة فهي من جهة تحث الاحزاب الوثيقة الصلة بها على الدخول في العملية السياسية واستثمارها حتى منتهاها وان تلعب مرة اخرى على وتر الاحتراب الطائفي بتشجيع كل المجموعات بلا استثناء احداها ضد الاخرى لاذكاء الاقتتال الداخلي وتعميق المأزق الامريكي....لكي تصل بامريكا الى حد الاحباط والخروج من العراق على عجل لتملأ هي الفراغ...ايران تحاول ان تمسك بيدها كل الخيارات في آن واحد ولذا ليس بغريب قول البعض بان الذي يحتل العراق عمليا هي ايران وليس امريكا [٣٩].

ولعل أهم التداعيات المباشرة للوجود الامريكي في العراق والذي يثير المخاوف الإيرانية على المستوى الشعبي والرسمي هو مايمثله الوجود الامريكي في العراق من إحكام للتطويق الأمريكي الإستراتيجي لإيران، وهو التطويق اصبح كاملا من جميع الجهات تقريبا بعد الاحتلال الامريكي للعراق : في الشرق أصبح التواجد الأمريكي في أفغانستان من الحقائق الثابتة على الأقل على المدى القصير والمتوسط بل إذا ما وضعنا في الاعتبار مدى ولاء النظام السياسي الأفغاني وتدعيمه فقد يصبح أيضا وجودا طويل المدى حتى لو كان غير مباشر وفج كما هو الوضع الآن. وفي الغرب مشهود لتركيا بتحالفها الثابت والعميق مع الولايات المتحدة بل وإسرائيل. بل إذا وضع النشاط الأمريكي والإسرائيلي الكبير في آسيا الوسطى وخاصة مع أذربيجان في محاولة لخلق ما تسميه إيران مثلث للتعاون الإستراتيجي بين الثلاث فإن الوضع يصبح أكثر خطورة. ثم هناك التواجد العسكري الأمريكي في الجنوب في الخليج وهو التواجد الذي في ظل الأزمة الحالية يتكرس ويتدعم. [٤٠]

ويمكن ان نتلمس هذه الرؤية في تقييم الوضع في العراق حيث يعبر هاشمي رافسنجاني عن ذلك بقوله:(نحن غير سعداء ولا مرتاحين للوجود الأميركي والأجنبي في العراق، ونعَده احتلالاً، وهناك إشارات متصاعدة من أميركا باحتمال أن تستخدم واشنطن الأراضي العراقية لشنّ عدوان على إيران. أمّا سقوط صدّام، فنحن أكثر من فرح وارتاح لهذا الأمر، وقد ساعدنا المجتمع الدولي بشكل أو آخر على إطاحة النظام الديكتاتوري، لكننا لا نقبل أن يخضع العراق للاحتلال، ولا أن يزيد الوجود العسكري الأميركي في المنطقة. لو كان الأميركيون تركوا العراق للعراقيين، لما حصل ما يحصل الآن من حرب أهلية دامية. الاحتلال الأميركي أفسد على العراقيين، وعلى دول المنطقة التي شكّل صدّام خطراً عليها طوال فترة حكمه، فرحة التغيير في العراق[٤١].

ويرتبط مع ماتقدم ان الاتهامات لم تتوقف بين البلدين بالرغم من بعض اشكال التعاون المباشر وغير المباشر، حيث اعلنت القيادة العسكرية الاميركية في العراق مصادرة اسلحة ومعدات عسكرية من صنع ايران وبكميات كبيرة كشفت في جنوب بغداد بعد مداهمة بؤرة لجماعة مسلحة تعمل ضد القوات الاميركية. فيما اتهم وزير خارجية ايران اميركا بالتعمد في دعم القوى الارهابية والمسلحة لتبرير وجودها العسكري في العراق.ومع هذا فقد كشف وزير الخارجية العراقي عن حصول تنسيق امني بين ايران والولايات المتحدة في اجتماع شرم الشيخ، وقال ان لجنتين خاصتين من اميركا وايران في الشؤون الأمنية اجتمعتا ونسقتا بشأن الوضع في العراق.واضاف هوشيار زيباري ان اي تعاون بين واشنطن وطهران هو لمصلحة العراق، وان تصاعد خلافاتهما هو السبب في الامور السلبية في الموضوع الأمني في العراق.

وفي الحقيقة فأن القوى المتشددة في ايران انقسمت الان حول نفسها

بشأن الحوار مع اميركا، حيث يرى البعض أهمية وضرورة اجراء الحوار مع الولايات المتحدة في الوقت الراهن، معتبـــرا ان اجراء هذا الحـــوار لا تعتريه اي معارضة فعلية لفتح باب العلاقـــات مع اميركا داخل ايران. لكن البعض الآخر يرفض مثل هذا الحوار ويؤكد ان واشنطن غير صادقة وانها تنوي فرض رأيها على البلاد بدلا من الدخول معها في حوار متكافئ(٤٢).

وحول رأيه في المباحثات مع الولايات المتحدة بشأن العراق قـــال نجاد إن الولايات المتحدة هي من طلبت التحدث مع إيران بـــخصوص القـــضايا الأمنية في العراق واضعاً موافقـــة طهران على الاقـــتراح في ســـياق "دعم الشعب العراقي".

وحمّل نجاد الولايات المتحدة مسؤولية التوتر في المنطقة دون أن يسمها قائلاً "إن من يضع العراقـــيل هم الذين أتوا من على بـــعد آلاف الأميال إلى المنطقة وقد فشلوا في العراق وبـــدل أن يتقبـــلوا مواجهة ضعفهم وهوانهم، يحاولون تبـــرير هذا الفشـــل بـــوضع العراقـــيل" في المنطقـــة على حـــد تعبيره.ووصف الرئيس الإيراني علاقة بلاده بالحكومة العراقية بأنها "جيدة" منتقداً النظرة الأمريكية لشعوب المنطقة.

وأضاف: "قلت لهم (الأمريكيين) إن عليهم احترام الشـــعب العراقـــي وحقوقه وبمجرد أن يحصل ذلك فإن مشاكلكم ستحل".

وإذ أكد أن إيران "بـــلد صديق لدول المنطقـــة"، قـــــال إن الأمريكيين "لا يريدون أن يتقبلوا ذلك" كما أن رؤيتهم لشعوب المنطقة "خاطئة" وتقـــوم على عَدّهم "أداة لبلورة مشاريعها وأهدافها دون إعارتهم أي اهتمام" على حد قوله.

الرئيس نجاد حمل الولايات المتحدة مسؤولية أزمات المنطقـــة ويأتي الإعلان عن اللقاء وسط حملة تصريحـــات إيرانية أمريكية، حـــذر خلالها تشيني بأن واشنطن لن تسمح للجمهورية الإيرانية بامتلاك ســـلاح نووي أو

الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط.ورد الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد، وخلال كلمة في إمارة دبي بتحميل الولايات المتحدة مسؤولية عدم الاستقرار الذي تشهده المنطقة ونهب ثرواتها" .

نقول لكم غادروا المنطقة.. هذا لمصلحتكم ومصلحة بلادكم.. شعوب المنطقة سئمت من تدخلكم.. وهي أدرى بكيفية تحقيق السلام والأمن."[٤٣]

المبحث الرابع ,تداعيات البرنامج النووي الايراني على اسرائيل.

اولا ,الرؤية الاسرائيلية للخطر الايراني.

رغم وجود قضايا خلافية عديدة بين إيران واسرائيل,الا ان الملف النووي الايراني قد فرض نفسه بقوة في صدارة التنافس التقليدي بين البلدين.حيث حرصت اسرائيل التي ترى في تنامي قدرات طهران التسليحية غير التقليدية اخلالا بميزان القوى في المنطقة,ومن ثم تهديدا مباشرا لأمنها,فسعت الى تعبئة الراي العام العالمي ضد برنامج ايران النووي. وطموحاتها لتطوير قدراتها الصاروخية,في محاولة لتوفير المناخ الملائم للاقدام على القيام بعمل عسكري ضد طهران او اذكاء مشاعر العداء الدولي ضد ايران التي وصفها شيمون بيرز النائب الاول لرئيس الحكومة الاسرائيلية بانها المشكلة الاساسية ومركز الارهاب في منطقة الشرق الاوسط.وتاكيد مائير داغان رئيس الموساد امام لجنة العلاقات الخارجية والدفاع بالكنيست في٢٥ كانون الثاني(يناير)٢٠٠٥,بان ايران وصلت نقطة اللاعودة بشان تصنيع القنبلة النووية التي توقع ان تنجزها بنهاية العام٢٠٠٥,ولم يستبعد قيام تل ابيب بعمل عسكري منفرد ضد ايران طالما بقي المجتمع الدولي متقاعسا عن اتخاذ موقف حاسم ضد برنامجها النووي

واصبح البرنامج النووي الايراني على راس اهتمامات اسرائيل وبسببه تشن حملة مركزة على ايران,وتقول انها على(استعداد لمواجهة السيناريو. الاسوأ) .وسبق ان دعا رئيس وزرائها السابق اريل شارون المجتمع الدولي

الى فرض عقوبات على طهران,مكررا ان اسرائيل لن تقبل بان تصبح ايران (دولة نووية عظمى).

تصريحات شارون وكبار قادة الجيش الاسرائيلي بان اسرائيل لاتستطيع القبول بوضع تكون فيه لدى ايران قنبلة نووية,تعني ان فشل الاسرة الدولية سيتطلب من اسرائيل الهجوم على المنشآت الايرانية لوحدها.وفي نهاية الامر لن يكون لاسرائيل خيار سوى تنفيذ خيار عسكري لمنع تحقيق كابوس اسلام متطرف مسلح بسلاح ذري ان قصف المنشآت الذرية الايرانية من الجو غير عملي وغير مراد,لكن اسرائيل لاتستطيع ان تسمح لنفسها ان تخرج من حسابها مسا" مهما اخر بالقدرة الذرية الايرانية,مثل القضاء على الخلايا المركزية في سلسلة التزويد والانتاج مثلا.يجب على اسرائيل ان تشوش على السباق الايراني نحو الذرة,بمساعدة العالم المتنور او بغيرها.لايوجد لها خيار التسليم له.فالحديث عن (ميزان رعب ذري) جديد في الشرق الاوسط سخافة وشر.

الا ان المفارقة في الموقف الاسرائيلي برزت بشكل واضح عندما كشف إيهود أولمرت رئيس الوزراء الإسرائيلي في مقابلة أجرتها معه محطة التلفزة التجارية الألمانية Sat 1 أن إسرائيل تعد بين القوى النووية إلى جانب الولايات المتحدة وفرنسا وروسيا. وهكذا اعترف أولمرت كأول مسؤول إسرائيلي لأول مرة بما يعرفه العرب منذ سنوات طويلة ويتكتم عليه الغرب بأن إسرائيل تملك أسلحة نووية. رغم هذا الاعتراف لم نسمع أن محمد البرادعي المدير التنفيذي لوكالة الطاقة الذرية ومقرها مدينة فيينا بصدد زيارة تل أبيب للتحقيق بترسانتها النووية[٤٤] .

والمفارقة ان العرب منذ سنوات يسعون من أجل جعل منطقة الشرق الأوسط خالية من السلاح النووي ومن هنا تنطلق معارضتهم لحيازة إيران أسلحة نووية. وليست هذه أول مرة يشار إلى ترسانة إسرائيل النووية إذ سبق وأن اعترف وزير الدفاع الأمريكي روبرت غيتس خلال استنطاقه من قبل

لجنة تابعة لمجلس الشيوخ أن إسرائيل تملك أسلحة نووية. هذه الأسلحة تهدد ملايين البشر في الشرق الأوسط وأوروبا. رغم صمت الغرب فإن حكوماته تعرف أن إسرائيل دولة نووية.

ومن يريد البحث في تاريخ الترسانة النووية الإسرائيلية فإنه يتوقف عند ثلاثة أسماء: شيمعون بيريز الحائز على جائزة نوبل للسلام في العام ١٩٩٤ ويتنقل من منصب لآخر في القيادة الإسرائيلية منذ خمسين سنة، والجاسوس الإسرائيلي رافي إيتان الذي جند العملاء للحصول على التقنية والمواد اللازمة،والعالم الإسرائيلي موردخاي فعنونو الذي كشف قبل ١٧ سنة عن سر مفاعل ديمونة وأمضى سنوات طويلة في سجن عسقلان. هؤلاء الثلاثة لعبوا دورا أساسيا في تاريخ الدولة اليهودية.

كان بن غوريون يشير دائما إلى الكارثة (هولوكوست) ويقول أنه يخشى أن تتكرر هذه المرة على أيدي العرب. بهذه الحجة راح بن غوريون يبحث عن سلاح متطور وبهذه الحجة بدأ يحصد نتائج في دول غربية وكان هدفه الكبير صنع القنبلة النووية. كتب مرة لأصدقائه في عام ١٩٥٦: ما فعله أينشتاين وتيلر وأوبنهايمر للأمريكيين بوسع العلماء اليهود عمله لشعبهم. كلف بن غوريون شيمعون بيريز بعمل كل شيء يقود إلى تحقيق حلم إسرائيل بالحصول على القنبلة النووية وأصبح على الفور أهم مشروع صهيوني. تحت اسم عملية (شمشوم) بدأ بيريز تحركاته واتصالاته سرا وحتى اليوم لا وجود لاسم شيمعون بيريز في الوثائق الإسرائيلية حتى أن بعض أعضاء الحكومة الإسرائيلية لم يعرفوا بنشاطات بيريز السرية. وفي محاولة للوصول الى الهدف بالحل السريع: لا بد من سرقة أسرار البرنامج النووي من واحدة من القوى النووية الثلاث في ذلك الوقت: الولايات المتحدة، بريطانيا والاتحاد السوفييتي. كان يعرف في قرارة نفسه أنه من المستحيل الحصول على الأسرار من بريطانيا والاتحاد السوفييتي. فيما أعربت الولايات المتحدة عن استعدادها لتقديم مفاعل صغير لصنع الطاقة

وحذروا إسرائيل من طموحات نووية. أدرك بـــيريز أهمية الحـــدث وتوجه بطلبه إلى فرنسا التي بـــدأت فى العام ١٩٥٦ بـــتطوير بـــرنامجها النووي وعرض على باريس مساعدة علمية مقابل الحصول على معلومات عن دول عربية حصلت عليها المخابرات الفرنســية. في الصراع ضد العرب كانت المصالح الفرنسية الإسرائيلية متماثلة. فقـد اشـــتركت قـــوات إســـرائيلية. وفرنسية وبريطانية في العدوان الثلاثي على قناة الســويس وشبـــه جزيرة سيناء. وامتنانا منه بالمشاركة الإسرائيلية وعد رئيس الوزراء الفرنسي جي مولي شيمعون بيريز في مطلع العام ١٩٥٧ بأن تهدي فرنسا إسرائيل مفاعلا كبـــيرا في صحـــراء النقـــب، ديمونة. وعلى الفور بـــدأت إســـرائيل تنتج البلوتونيوم، المادة الأساسية لصنع القنبلة النووية. حين علمت هيئة الطاقـــة النووية الإسرائيلية الرسمية لأول مرة بـــخطط ما يجري في مفاعل ديمونة ثارت مناقشات صاخبة استقـــال على أثرها ســـتة من سبـــعة علماء إذ كان واضحا بالنسبة لهم أن إسرائيل على الطريق لتصبح قوة نووية واعدوا ذلك مغامرة خطيرة. لكن القـــيادة الإســـرائيلية هددتهم وطلبـــت منهم الالتزام بالصمت لأن العالم يجب أن لا يعرف ماذا يدور في ديمونة الواقعة على بعد ٣٠ كلم من بيرشيبة.

من الناحية الرسمية راحت إسرائيل تقول أن في المكان مصنعا للنسيج.

حصل بـــيريز، والد القنبـــلة النووية الإســـرائيلية على إطراء من بـــن غوريون. شارك علماء وعملاء وسياسيون في عملية(شمشـــوم) لكن هذا لم يساعد بيريز في الحصول على ود الناخبين والجنرالات للشـــعور بـــأن هذا الرجل يضع مصلحته الشخصية فوق كل مبدأ واعتبار .

في نهاية عقـــد الســـتينيات عرف الرئيس الأمريكي جون أف كنيدي أن إسرائيل تملك قنبـــلة نووية بـــدائية حـــصلت عليها في العام ١٩٦٧ ووجود مفاعل نووي في ديمونة أما مصنع النسيج فهذه كذبـــة. طلب كنيدي من بـــن غوريون السماح لمفتشين فحـــص المكان لكن الاستخبـــارات الإســـرائيلية

تمكنت من خداع المفتشين حين أعلنوا مسبقا عن موعد زيارتهم مفاعل ديمونة. حين هاجمت مصر وسورية إسرائيل في حرب تشرين الاول (أكتوبر) العام ١٩٧٣ ,فكرت جولدا مائير رئيسة الوزراء الإسرائيلية باستخدام الأسلحةالنووية بعد أن شارفت إسرائيل على تلقي هزيمة عسكرية. وأمرت وزير الدفاع موشيه دايان بتجهيز ١٣ قنبلة. بتأريخ التاسع من أكتوبر العام ١٩٧٣ كان العالم على شفير وقوع حرب نووية. لكن قبل استخدام القنابل بلغ مائير أنباء تشير إلى انقلاب الوضع في جبهات القتال لصالح إسرائيل وعلى الفور عادت القنابل إلى مخابئها. في الخامس من أكتوبر العام ١٩٨٦ نشرت صحيفة (صنداي تايمز) صورا التقطت من داخل مفاعل ديمونة ومقابلة مع العالم موردخاي فعنونو. بعد وقت قصير نصب الموساد فخا لفعنونو في روما حيث أغرته فتاة وكانت عميلة في الموساد وحوكم وأجبر على عدم الحديث لأحد لكن العالم يعرف منذ ذلك الوقت أن إسرائيل تملك بين ١٠٠ و ٢٠٠ قنبلة نووية وتعمل كي لا تصبح دولة أخرى في المنطقة قوة نووية لتبقي التوازن العسكري لصالحها بأي ثمن[٤٥].

ثانيا ,اسرائيل والخيار العسكري ضد ايران.

تواصل إسرائيل دق "طبول الحرب" ضد إيران، وفي تطور مثير ذكرت صحيفة "ها آرتس" الإسرائيلية في ٤ ايلول(سبتمبر)٢٠٠٣, ان رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون كان يعتزم نقل المسؤولية عن تنسيق وقيادة الجهود لصد ما وصفه "التسلح النووي الايراني" إلى "مئير دغان"، وقالت الصحيفة إن إسرائيل ترى في التهديد النووي الناشئ في ايران خطرا على أمنها القومي.

وحسب تقدير شعبة الاستخبارات في هيئة الأركان الإسرائيلية فإن طهران ستصل بعد عام الى نقطة اللا عودة حيث تستطيع انتاج المادة المشعة اللازمة لصناعة القنابل النووية، وفي العام ٢٠٠٦ ستحوز السلاح النووي القابل للاستخدام. وتدير إسرائيل في السنوات الأخيرة حملة بمعونة

الولايات المتحدة للتصدي أو على الأقل تأخير المشروع الايراني. وقد كثفت إسرائيل من حملتها المعادية لايران بعد إطلاق جورج بوش تعبير "محور الشر" الذي تضمن الى جانب ايران كلا من العراق وكوريا الشمالية. ووجد شارون في ذلك فرصة سانحة لدق طبول الحرب وحث الولايات المتحدة على تشديد ضغوطها بكل الوسائل علي طهران.وفي زيارة أخيرة لشارون الى البيت الابيض ابلغ بوش ان ايران توشك على إنتاج اسلحة نووية على غير تقديرات المخابرات الأمريكية وأن إسرائيل تفكر بل إنها تدرس على نحو جدي توجيه ضربة عسكرية ضد المنشآت النووية الايرانية(٤٦).

ويعد بعض المراقبين للأوضاع في الشرق الأوسط وخاصة النزاع النووي مع إيران أن موقف إسرائيل من التصريحات المدوية التي أطلقها الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد وقال فيها أن بلاده باتت قادرة على تخصيب اليورانيوم وهي المادة الرئيسة التي يجري استخدامها لصنع القنبلة النووية، يثير الريبة والشك.

إذ أن إسرائيل متحمسة أكثر من الولايات المتحدة الأمريكية لضرب المنشآت النووية الإيرانية وتعطيل مشروع القنبلة المزعوم مثلما فعلت في مطلع الثمانينيات حين هاجمت طائراتها الحربية مفاعل تموز العراقي بالقرب من بغداد والذي بناه العراقيون بمساعدة من فرنسا التي كانت تربطها بها علاقات وثيقة وعطلت مشروع القنبلة النووية العراقية مدة عقدين من الزمن.

وتعرف الاستخبارات الغربية أن إسرائيل وضعت منذ وقت خطة عسكرية لمهاجمة المنشآت النووية الإيرانية لكن واشنطن وضعت فيتو على الخطة الإسرائيلية بسبب ردود الفعل الخطيرة التي سوف تنتج عن ذلك. من المخاطر التي أوردها الأمريكان في الحسبان تعرض الجنود الأمريكيون في العراق لهجمات من الميليشيا الشيعية المدعومة من إيران وانتشار جو من الفوضى في كامل منطقة الشرق الأوسط. ونتيجة التكتم الإيراني وسرية

التسلح التي تنتهجها إيران منذ وقت لا يملك أحد إحصائيات واضحة عن ترسانة الأسلحة في إيران وعدد أفراد القوات المسلحة والميليشيا الشعبية علاوة على الحرس الثوري (باسدران).

وفوجئ الغرب برد فعل إسرائيل على تصريحات نجاد التي عدّها الغرب استفزازية وضربة قاضية للجهود الدبلوماسية لإيجاد تسوية سلمية للنزاع النووي. وقال الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش أن بلاده متضامنة مع إسرائيل وسوف تردان في الوقت المناسب علي ايران.لكن في غضون ذلك يواجه بوش مشكلة في العراق وقد ضعفت شعبيته في الداخل بسبب غزو العراق وفتح جبهة ثانية ضد إيران سوف يقصم ظهر القوة العظمى التي أصبح لقوتها حدود بعد مغامرة العراق.

وقد قام بوش بإرسال حاملة طائرات ثانية إلى مياه الخليج في رسالة لايران بأن الولايات المتحدة جادة في تهديدها باستخدام القوة العسكرية. لكن إيران والعرب أيضا يعرفون أن بوش لم يضعف سياسيا فحسب بل أن رئيسة مجلس النواب الأمريكي بيلوسي التي زارت دمشق وأزعجت الصقور في واشنطن تتبع سياسة مناهضة لسياسة بوش في الشرق الأوسط، وأن عهد بوش يوشك علي نهايته.

لا يختلف المراقبون على أن إسرائيل درست حساباتها جيدا وقررت التزام الصمت حيال تصريحات نجاد علما أن إسرائيل في طليعة الدول التي تخشى حصول إيران على أسلحة نووية وتريد أن تكون الوحيدة في الشرق الأوسط التي تملك هذه الأسلحة التي تجعلها متفوقة عسكريا على الدول العربية. ولوحظ عدم صدور ردود فعل عاجلة من إسرائيل بعد اعتراف نجاد أن بلاده أصبحت قادرة على إنتاج وقود نووي. هناك رأي متداول يقول أن الإسرائيليين لا يأخذون كلام نجاد على محمل الجد وبالتالي لا يصدقون أن إيران تستطيع فعلاً في الوقت الحالي دون مساعدة من الخارج في إنتاج وقود نووي.

لكن الرأي السائد أن وراء الموقف الإسرائيلي حساب سياسي. فإسرائيل منهمكة في الوقت الحالي بمشكلاتها الداخلية خاصة العدد الكبير للفضائح التي أبطالها من أبرز القيادات السياسية وفي مقدمتهم رئيس الوزراء إيهود أولمرت الذي تحقق الشرطة الإسرائيلية معه بقضية رشوى والرئيس الإسرائيلي موشيه كتساف المتهم بالتحرش جنسيا بعدد من السكرتيرات اللواتي عملن في مكتبه ويرفض الاستقالة من منصبه.

وقللت إسرائيل من أهمية تصريحات نجاد حينما أبلغ ناطق باسم الحكومة الإسرائيلية صحيفة(جيروزاليم بوست) أن إيران تخدع نفسها حين تعلن أنها تملك ما لا تملكه. وقال إفرابيم كام الباحث في قسم الأمن الوطني التابع لجامعة تل أبيب أن هناك مؤشرات توضح أن نجاد يكذب على العالم.

وقال عميل سابق في الموساد رفض أن يذكر اسمه في تصريح نشر على الموقع الإلكتروني لمجلة(دير شبيغل) أن إيران عاجزة عن التحكم بمشكلات فنية كبيرة. فالخبراء الفنيين الإيرانيين يحتاجون إلى زمن طويل قبل بدء الحديث عن نجاح كبير. وكشف هذا أن الخبراء الإيرانيين لا يملكون الخبرة الكافية لتخصيب كميات كبيرة من اليورانيوم تستخدم في مشاريع عسكرية. ويقول هويمان أن الإسرائيليين يرون فرصة في الضغط علي إيران في هذه المرحلة قبل تحقيق النجاح والانتقال لمرحلة متقدمة في إنتاج اليورانيوم لأغراض عسكرية ولا يصدقون أن إيران بلغت حد اللارجعة عن خططها النووية فحسب المعلومات المتوفرة لديهم فإن إيران تحتاج مدة عامين علي الأقل كي تصبح قادرة على إنتاج اليورانيوم. وقد أثار استغراب المراقبين موقف إسرائيل التي كانوا ينتظرون منها أن تقيم الأرض وتقعدها خاصة وأن الدولة العبرية تتهم إيران منذ وقت بأنها ترمي إلى تهديد أمنها وبالتالي لن تسمح بامتلاكها أسلحة نووية.

كما أن رئيس الوزراء الإسرائيلي أولمرت حمل الملف الإيراني إلى

واشنطن وعدد من عواصم الاتحاد الأوروبي وقال أن إيران تشكل بعد نهاية نظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين أكبر تهديد على أمن إسرائيل. ودفعت التحركات السياسية الإسرائيلية الولايات المتحدة وهيئة الأمم المتحدة إلي فرض عقوبات على الجمهورية الإسلامية معتبرين هذه خطوة جادة. تماما كما حصل فى أزمة العراق إذ يتهم كثيرون الولايات المتحدة بغزو العراق والإطاحة بنظام صدام حسين أيضا من أجل حماية أمن إسرائيل ويقول إسرائيليون أنهم يتمنون لو أن الولايات المتحدة تتفادي تهمة فرض عقوبات أو شن هجوم عسكري على إيران دفاعا عن مصالح إسرائيل. ونقل عن مسؤول أمني إسرائيلي قوله أنه كلما أبدت إسرائيل المزيد من التحفظ كلما كان هذا أفضل.

ومع وصول حاملة طائرات أمريكية ثانية إلي مياه الخليج هي USS Hohn c. Stennisالجانب شقيقتها (أيزنهاور) يؤكد هويمان في تقريره أن عدد الإسرائيليين الذين يعتقدون أن بلادهم سوف تنفرد بعمل عسكري ضد إيران يتراجع باستمرار. كما توقف السياسيون من مختلف الأحزاب في إسرائيل عن التباهي بتدمير المفاعل العراقي في العام ١٩٨١ والمطالبة بعملية مماثلة ضد المنشآت النووية الإيرانية بعد أن بلغ الإسرائيليين أن إيران درست استراتيجيتها النووية جيدا وتعرف الأخطاء التي ارتكبها العراقيون الذين أقاموا المفاعل النووي في مكان واحد بينما إيران وزعت المنشآت النووية في مناطق متفرقة من البلاد ومنها ما يقع تحت الأرض. فالحساب السياسي لإسرائيل ردا على التصريحات الأخيرة لنجاد اعتقادها أن الرئيس الإيراني يريد الإيحاء أن بلاده تستطيع إكمال برنامجها النووي دون مساعدة أجنبية وأن الرد الإيراني على العقوبات هو التعجيل بصنع. القنبلة. لكن هناك رسالة ليس لإسرائيل وحدها بل للغرب وإلي الجيران العرب هي أن إيران متمسكة بخططها النووية رغم العقوبات ومن يريد استخدام برنامج نووي لأغراض سلمية لا يقيم الدنيا ويقعدها[٤٧]

و يبدو أن التقرير الذي نشرته صحيفة "صندي تايمز" البريطانية في ٥ايار(مايو)٢٠٠٧,والذي أشارت فيه الى أن رئيس الحكومة الإسرائيلية شارون أعطى الجيش الإسرائيلي الضوء الأخضر للاستعداد والتحضير الدقيق لشن هجوم محتمل على مواقع تخصيب اليوارنيوم في ايران، يبدو أنه لم يكن مفاجئا للأوساط الأمنية والعسكرية في الدولة العبرية. فقد قال عاموس جلعاد، كبير واضعي الخطط الاستراتيجية والأمنية بوزارة الدفاع الإسرائيلية، أن بلاده "لا تستبعد عملا عسكريا ضد البرنامج النووي لإيران ولكنها تفضل حاليا ان تترك الفرصة كاملة أمام الضغوط الدبلوماسية الأجنبية على طهران". وبينما نفى المسؤول الإسرائيلي صحة ما نشرته الصحيفة البريطانية، ذكر أن إسرائيل قد تفكر في نهاية الأمر في عمل عسكري ضد ايران مشابه لقصف مفاعل اوزيراك النووي العراقي في العام ١٩٨١. وكانت الصحيفة قد كشفت أيضا إنها استقت معلوماتها من مصادر عسكرية إسرائيلية موثوقة ادعت ان ايران اقامت مفاعلات لتخصيب اليورانيوم في مناطق مدنية. وقالت المصادر انه اذا ما تم بالفعل المصادقة على الخطة، فان اسرائيل ستقوم في عملية التنفيذ بدمج قوات خاصة وسلاح الجو بهدف ضرب عدة مفاعلات نووية ايرانية في آن واحد بهدف عرقلة الخطة النووية الإيرانية لعدة سنوات. وتدعي اسرائيل ان ايران ستصل في نهاية اذار ٢٠٠٧الى نقطة اللاعودة من حيث قوتها النووية، وستمتلك في حينه قوة تكنولوجية تمكنها من تخصيب اليورانيوم خلال عامين او أربعة اعوام.

تقرير الصحيفة البريطانية يأتي في خضم حرب كلامية بين مسؤولين ايرانيين واسرائيليين كبار. بعض المحللين السياسيين الإسرائيليين أشار الى تصاعد نغمة الكلام المعادي لايران قبل الانتخابات العامة في اسرائيل والتي اجريت في ٢٨اذار(مارس)٢٠٠٧ ، يقابلها على الطرف

الآخر صدور تصريحات نارية من قمة الهرم السياسي في ايران، وذلك في اشارة الى دعوة الرئيس الايراني محمود احمدي نجاد في تشرين الاول (اكتوبر) الماضي لمحو الدولة اليهودية من على الخريطة أتبعها باقتراح بنقل دولة اسرائيل الى ألمانيا والنمسا. وفي وقت سابق دعا بنيامين نتنياهو ابرز المرشحين لقيادة حزب ليكود اليميني الى عملية "جرئية" ضد ايران على غرار الهجوم على مفاعل اوزيراك. وابتعد شارون بوضوح عن اقتراح شن هجوم بشكل مباشر، وحين سئل عن امكانية هذا البديل سواء بالنسبة لاسرائيل او قوى اجنبية قال "القدرة موجودة". غير ان محللين مستقلين يشيرون الى ان المنشآت النووية الايرانية على عكس اوزيراك عديدة ومتناثرة ومحاطة بقدرات دفاعية جيدة وهو تحد رئيسي اذا ما قررت اسرائيل ان تشن هجوما من جانب واحد. وقال خبير الشؤون الدفاعية الاسرائيلي ريئوفين بيداتسور لراديو الجيش "اعتقد ان هناك ادراكا لعجز قوتنا الجوية امام ايران. يمكن ان ينتهي الحال بتملك ايران اسلحة نووية وينبغي على اسرائيل ان تتعامل مع هذا الواقع الجديد." [٤٨].

وجاء رد فعل ايران على التقرير المشار اليه علي لسان الناطق بلسان الخارجية الايرانية حميد رضا آصفي الذي حذر إسرائيل من مغبة أي هجوم عسكري ضد المواقع النووية الإيرانية، معربا عن امله في ألا تقدم دولة اسرائيل على ارتكاب أي عمل مغامر والا ستدفع ثمنا باهظا إذا فعلت ذلك.

طبول الحرب الإسرائيلية ضد ايران كانت ايضا محور تقرير مطول على صفحتين كاملتين في صحيفة "جيروزاليم بوست" الإسرائيلية مؤخرا التي قالت في مقدمته ان دعاة التخويف وزرع الرعب يقولون إن إيران على اعتاب تطوير قنبلة نووية ولسوف نموت جميعا.. هذا علي الرغم من ان ايران فتحت منشآتها النووية أمام الوكالة الدولية للطاقة الذرية، والمفتشين التابعين للأمم المتحدة لمواجهة الضغوط الدولية المتزايدة على طهران..

وقد عثر المفتشون على بعض آثار او بقايا اليورانيوم عالي التخصيب , وردت ايران بأن بعض المعدات المستخدمة في المرافق والمنشآت النووية تم الحصول عليها عبر وسطاء وأنهم قاموا بتلويثها بجزئيات اليورانيوم.

وتقول "البوست" يتعين تقييم طبيعة الخطر الذي تمثله ايران علي إسرائيل قبل ان تنطلق طائرات "إف ١٥" التابعة لسلاح الجو الإسرائيلي لمهاجمة المنشآت النووية الايرانية لان بناء ايران لقنبلة نووية ـ والكلام للصحيفة الإسرائيلية– لا يعني أن الدولة اليهودية هي الهدف الرئيسي لها لان طهران تدرك جيدا ان اية ضربة موجهة لإسرائيل سوف تعني فناءها ومع ذلك يقدر تقرير "البوست" أنه في غضون عامين سوف تكون ايران قادرة على شن هجوم نووي على تل ابيب، استنادا الي مصادر استخبارانية اجنبية.

واذا قررت طهران الإقدام علي هذه الخطوة القاتلة فسوف يكون موت مئات الآلاف إن لم يكن مليونا من الإسرائيليين مرهونا بأجنحة الصاروخ "شهاب ٣" ومداه "١٣٠٠ – ١٥٠٠كم."

وكانت اسبوعية "جينس ديفنس" قد زعمت في يوليو من العام ٢٠٠٠ ان الحرس الثوري الايراني شكل خمس وحدات للصواريخ الباليستية مزودة بصواريخ "شهاب ."٣

ونقلت "البوست" انه في احدى القواعد الجوية الاسرائيلية يجري الاستعداد لرفع القدرات الاستراتيجية للقوات الجوية الإسرائيلية لتوجيه ضربة لأهداف بعيدة في ايران. وبالرغم من ان قائد القاعدة الجوية لم يحدد علي وجه الدقة طبيعة المهمة، إلا أنه قال إن هناك أهدافا يتوجب علينا توفير القدرة اللازمة لضربها.وتقع هذه الأهداف علي مبعدة آلاف الكيلو مترات ومن ثم بنينا قوة سريعة ولدينا القدرة علي توجيه الضربة.

ومؤخرا استعرضت القوة الجوية الإسرائيلية هذه القدرة عندما طارت ٣ طائرات "إف ١٥" إلي بولندا، وقد خصصت إسرائيل مليارات الشيكلات

لشــراء الطائرات والمعدات والأجهزة اللازمة لضرب المنشــآت النووية والصاروخية الايرانية خلال الســنوات العشــر الماضية، وقــد دأب قــادة وجنرالات إسرائيل على الاعتراف بأن المليارات أنفقت لزيادة القــدرة على تحقيق هذا الهدف.

ويتوقع تقرير البوست الإسرائيلية ألا تقدم تل ابيب علي توجيه ضربــة للمنشآت النووية الإيرانية الا قبيل اسابيع من قدرتها علي إنتاج قنبلة نووية.. وأن ايران ليست قريبة من تحقــيق هذا الهدف.. فلم تصل بــعد الي نقــطة اللا عودة والتي تحددها إسرائيل بقدرة طهران على تخصيب اليورانيوم رتبة الأسلحة النووية.لكن الجنرال "آهارون زئيف" في الاستخبارات الإسرائيلية كان أكثر تحديدا وقال إنه إذا لم يتم ايقاف ايران قبل الصيف المقبل فســوف تكون قادرة على تحقــيق الاكتفاء الذاتي من اليورانيوم المخصب وبــعدها بعامين يصبح بوسعها إنتاج قنبلة نووية.

وتشير "البوست" إلي ما يسمي الاستراتيجية الكبرى وهي اســتراتيجية عسكرية إســرائيلية لم يتم الاعلان عنها رســمياً، ولكنها تضع علي رأس الأولويات منع وصول أسلحة الدمار الشــامل إلي اعدائها، ولهذا الغرض تم تخصيص ٢٥ طائرة "إف ١٥" منذ ١٩٩٩ وهناك مائــة طائــرة "إف ١٦" ســوف تدخل الخدمة في كانون الاول(ديسمبــــر) ٢٠٠٧ مهمتها الأولى التعامل مع "الخطر الإيراني."

ويقول الجنرال متقاعد جيورا روم إنه إذا سألت ما إذا كان بوسع القوات الجوية الإسرائيلية توجه ضربة إجهاضية لإيران فستكون الإجابة نعم.. انها مهمة معقدة لكنها بحاجة الي تخطيط دقيق و"اروم" له خبــرة واســعة بــهذه المهام فقد خطط لشن هجوم علي مقر منظمة التحرير الفلســطينية في تونس العام ١٩٨٦ علي بعد ٢٦٠٠ كم من إسرائيل.

ويعتقد موشي ارينز وزير الدفاع الإسرائيلي السابــق أن ايران تعلمت الدرس من قــصف إســرائيل لمفاعل "اوزيراك" العراقــي عام ١٩٨١.. ووزعت منشآتها النووية علي أنحاء متفرقة من ايران.. ولكن لدى إسرائيل

القدرة على ضربها، بيد أن مرة واحدة لا تكفي ولن يتعطل البرنامج النووي الايراني كثيرا. ويضيف أرينز انه إذا كانت إســـــرائيل جادة في ضرب البرنامج النووي الايراني فإنها بحاجة الي قصف عدة أهداف منتشــرة في أرجاء إيران.. البلد المترامي الأطراف وتشــمل هذه الأهداف مفاعل "بــو شهر" المكشوف على الخليج والذي يســهل قـصفه واســتهدفه العراق عدة مرات اثناء حربه مع إيران من ١٩٨٠ – ١٩٨٨.. وقصفه ست مرات على وجه التحديد.. ومن الأهداف المحتملة التي ربما تسعى إسرائيل الي قصفها ايضا مصنع انتاج الماء الثقيل بالقــرب من مدينة "أرك" والهدف الثالث هو إحدى المنشآت النووية الواقعة على مبعدة ١٠٠كم شمال اصفهان الواقــعة على الطريق الســريع الواصل بــين "ناتانز" وكاشــان والذي تشــير إلي الاستخبارات الإسرائيلية بموقع كاشان والذي يتردد انه مدفون تحت طبقات من الأسمنت المسلح.وربــما تكون الشــركة القــومية الايرانية للصلب في أصفهان هدفا للضربات الإسرائيلية لقــدرتها علي توفير المنتجات المعدنية ذات الصلة بالأسلحة النووية.. وكذا مركز الأبحاث النووي قرب "شــيراز" وبه منشأة لتحويل اليورانيوم الي ثاني أكســيد اليورانيوم وســادس فلوريد اليورانيوم.(٤٩)

الا ان المصادر الرسمية الاسرائيلية نفت ما اوردته صحــيفة"صنداي تايمز" البريطانية في عددها الصادر الاحــد٧كانون الثاني(يناير)٢٠٠٧,من ان اسرائيل قد اعدت خططا سرية لتدمير المنشــات النووية الايرانية عبــر استخدام اسلحة نووية تكتيكية.وقالت اميرة اورون,الناطقــة باســم وزارة الخارجية الاسرائيلية,ان هذا التقرير لااساس له.واضافت:"نحــن ننفي هذا التقرير,ليس هنالك أي حقيقة او أي اساس حقيقي في هذا التقرير لصحــيفة صنداي تايمز".وتضيف مؤكدة:"نحــن نســتمر ببــذل الجهود السياســية الدبلوماسية في المؤسسات السياســية الدولية من اجل منع تطوير الاسلحــة النووية في ايدي ايران".وان"هذه الجهود التي ستبــذلها اســـــرائيل في

المستقبل"،و"ان يتم تثبيت القرار الاخير للامم المتحدة,القرار رقم ١٧٣٦"."[٥٠].

و من جهة اخرى نجد ان صحيفة ديلي تلغراف البريطانية الصادرة في ٢٤شباط(فبراير)٢٠٠٧,توضح إن إسرائيل تتفاوض مع الولايات المتحدة للسماح لها بالتحليق في الأجواء العراقية، كجزء من الخطة الهجومية على منشآت إيران النووية.وقالت الصحيفة إن تنفيذ الضربات الجوية "الجراحية" ضد برنامج إيران النووي، يتطلب من الطائرات الحربية الإسرائيلية التحليق فوق العراق.وكي يتحقق ذلك يتعين على السلطات العسكرية الإسرائيلية أخذ تصريح من وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون).

ونقلت الصحيفة عن مسؤول إسرائيلي في وزارة الدفاع لم تكشف عن اسمه، قوله إن المفاوضات تجري بين الإسرائيليين والأميركيين لمنح تل أبيب ممرا إذا ما قررت القيام بعمل عسكري أحادي الجانب لمنع طهران من تطوير الأسلحة النووية.وقال المسؤول الإسرائيلي إن السبيل الوحيد لضرب إيران هو التحليق فوق المنطقة الجوية التي يسيطر عليها التحالف في العراق، و"إذا لم نحل هذه المشاكل الآن فإن الطائرات الأميركية والإسرائيلية قد تبدأ في إطلاق النار على بعضها بعضا."

وأشارت الصحيفة إلى أن التخطيط العسكري في إسرائيل لضرب إيران تسارع منذ بداية العام ٢٠٠٧ عقب تزويد جهاز المخابرات الإسرائيلي (الموساد) لها بمعلومات قيمة تفيد بأن إيران قد تمتلك مواد انشطارية كافية لصنع رؤوس نووية قبل ٢٠٠٩[٥١].

وبالرغم من النفي الرسمي الاسرائيلي,فان بعض المحللين يرون ان امكانية قيام اسرائيل بضربة ضد المنشات النووية الايرانية امر قائم,بسبب توافر النية والقدرة على القيام بذلك لدى الزعماء الاسرائيلين.

ولايستبعد الدكتور مصطفى العاني,مدير قسم الامن الوطني ودراسات

الارهاب في مركز الخليج للابحاث في دبي,"حقيقة وجود خطة عسكرية اسرائيلية لتدمير المواقع النووية الايرانية".ويشير الى وجود"عامل القدرة"لدى اسرائيل التي "تمتلك القدرة على تنفيذ هذا العمل بسلاح جوي وسلاح صاروخي".ويضيف العاني ان اسرائيل"تمتلك هذه القدرة تقنيا وتمتلكها عسكريا,وتمتلكها من ناحية التدريب".والمثال الواضح هنا هو ضرب المفاعل النووي العراقي في العام ١٩٨١ .

الا ان العاني يرى ان أي ضربة عسكرية للمنشات النووية الايرانية لن تؤدي الى تدمير كامل للبرنامج النووي الايراني.ويؤكد:"العمل العسكري على المنشات النووية ليس عملا تدميريا,هو عمل تاخيري".و"ان أي غارة على المواقع النووية ستقوم بتدمير جزء كبير(منها)وليس تدميرا كاملا".ويتابع"لكن هذا التدمير الجزئي,والذي قد يكون بنسبة ٧٠في المائة,وقد يكون بنسبة ٨٠في المائة,سيؤجل البرنامج وتقدم البرنامج لمدة عشرات السنوات,مثلما حدث في البرنامج النووي العراقي."

ويخلص العاني الى القول:"فبدون شك,ان أي ضربة نووية سيكون لها مفعول كبير في تاخير التقدم النووي في ايران,ومثلما حدث في العراق,سيكون عملا فعالا وسيجلب نتيجة"[٥٢].

كان من الطبيعي ان تثير هذه الرؤى اصداء غاضبة في طهران,حيث اكد الناطق باسم الحكومة الايرانية محمد علي حسيني ان ايران لن تقف مكتوفة الايدي حيال أي عدوان عليها.وقال:"ان أي اجراء ضد ايران لن يترك من دون رد"محذرا من ان"الغازي سيندم على فعلته على الفور". وبغض النظر عن مقدار الدمار الذي سيلحق بالبرنامج النووي الايراني في حال تعرضه لضربة عسكرية,فانه من المؤكد,على ضوء التصريحات التحذيرية العالية النبرة الصادرة في طهران,ان هذا السيناريو قد يترك تداعيات كارثية على المنطقة.

والرغم من التحذيرات الايرانية نجد ان اسرائيل تحــذر ايضا" فقــد حذر رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت إيران من أنها إذا لم تتوصل مع الأسرة الدولية إلى اتفاق معين حول برنامجها النووي فإنها ستدفع الثمن غاليا. وقال أولمرت للصحافيين في طريق عودته من الزيارة التي قام بــها لروسيا إن بلاده لن تتساهل في تحــول إيران إلى قــوة نووية.وأضاف أنه ينبغي رسم خطوط حمراء وأنه في حال تجاوز إيران لها فإن إسرائيل سترى نفسها مضطرة للتحرك. وقال رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت في إن زعماء إيران حولوا إسرائيل إلى "هدف للإبادة"، بينما اعتبر وزير الدفاع السابق شاؤول موفاز أن برنامج إيران النووي هو أكبر تهديد لإسرائيل منذ المحارق النازية[٥٣].

ويؤكد هذه الرؤية تحذير رئيس الوزراء الاسرائيلي ايهود اولمرت من ان طهران ستدفع الثمن بسبب طموحها النووي,وقــال:"على الايرانيين ان يخافوا.. ان يفهموا انهم اذا عارضوا كل تســـوية فســـيكون هناك ثمن يدفعونه".واشار الى ان ايران ستشـــكل تهديدا لوجود اســـرائيل.ولم يقــدم اولمرت تفاصيل ولكن تصريحـــاته رددتها وســـائل الاعلام الاســـرائيلية بوصفها اقوى التحذيرات الصادرة حتى الان من زعيم اسرائيلي لايران بان اسرائيل قد تدرس توجيه ضربة وقائية لمحاولة ضمان الاتتمكن طهران من صنع قنبلة نووية.وهذا تذكير واضح لايران باحتمال تكرار سيناريو ضرب المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١ .

في مقابل هذا المعسكر المتشدد يبرز لنا معسكر اخر اكثر اعتدالا ولو كلاميا,ويتقدمه نائب رئيس الوزراء الاسرائيلي شيمون بيريز الذي يؤكد ان اسرائيل ليست لديها نوايا عدوانية في مواجهة ايران,وقال بيريز لدى سؤاله عما اذا كان يؤيد ضربة عسكرية اسرائيلية لايران اذا اخفقت الدول الاخرى في وقــف بــرنامج تخصيب اليورانيوم"علينا الا نفكر في مثل هذا الشـــيء

ابدا".واضاف"لم تبد اسرائيل أي نوايا عدوانية قط(تجاه ايران).ولااعتقد انه سيتوجب علينا ذلك او ان يكون باستطاعتنا التعامل مع هذه القضية".وحذر من ان اسرائيل ستعاني عزلة دولية اذا هاجمت ايران.

ويطرح بيريز رؤية اخرى لمواجهة البرنامج النووي الايراني,فاسرائيل تريد ان تتخذ الولايات المتحدة والدول الاخرى زمام مسالة التعامل مع ايران فيما يتعلق بالبرنامج النووي وهي قضية اثارت قلقا دوليا من ان يكون بمقدور ايران بناء اسلحة نووية.وقال بيريز ان على اسرائيل ان تركز على كشف "الوجه الحقيقي"للرئيس الايراني محمود احمدي نجاد الذي دعا لتدمير اسرائيل.واضاف ان نجاد"هو الزعيم الوحيد الذي يدعو لاعمال قتل جماعية...عضو في الامم المتحدة يهدد بتدمير عضو اخر في الامم المتحدة.وجزء كبير من العالم صامت على ذلك:(٥٤).

ويرى بيريز ان ايران ربما ستدمر اذا واصلت تهديداتها لاسرائيل.وقال بيريز ان على الرئيس الايراني محمود احمدي نجاد الذي طالب بمسح اسرائيل من الخريطة، ان يتذكر ان بلاده يمكن ان تتعرض للتدمير. وحث بيريز كل من روسيا والصين على الانضمام الى الجهود الدولية التي تقودها الولايات المتحدة لفرض عقوبات على ايران بسبب طموحاتهاالنووية.ويقول بيريز ان الوحدة التي يظهرها المجتمع الدولي قد تساعد في منع حدوث تهديدات جديدة والواقع ان مواقف بيريز لاتبدو مستغربة فقد عارض قصف المفاعل النووي العراقي في العام ١٩٨١,وكان زعيما لحزب العمل المعارض انذاك بوصفه مضرا باسرائيل من الناحية الدبلوماسية.

بيد ان حسابات سياسية واعتبارات استراتيجية مهمة يمكن ان تعوق اية محاولة اسرائيلية لمهاجمة المنشات النووية الايرانية,من ابرزها تعدد وانتشار المنشات النووية الايرانية,حيث يصل عددها الى مايقرب من ٣٠ مجموعة متفرقة في مختلف انحاء البلاد واغلب هذه المواقع سرية ومجهول

مكانها بالظبط وموجودة تحت الارض ولاتوجد اي معلومات دقيقة عنها,مما يفرض على الاسرائيليين استخدام امكانات هائلة اثناء الضربة وهو ما لايتاتى لهم حاليا.اضف الى ذلك,ان هناك عائق بعد المسافة بين اسرائيل وايران ,ومن ثم فقد يلجاء الاسرائيليون الى استخدام قواعد عسكرية في دول قريبة لتنفيذ اهدافهم,وهذا الخيار سيكون له عواقب كثيرة سلبية بالنسبة لتلك الدول اذ ربما تكون هي ذاتها هدفا للرد الايراني على الهجوم,وفي الوقت نفسه,تدخل في الحسابات الاستراتيجية الامريكية والاسرائيلية مسالة حجم وشدة الرد الايراني المتوقع على اسرائيل,وهو الرد الذي اعلن المسؤلون الايرانيون بانه سيكون ردا مفاجئا ومخفيا لاسرائيل والعالم,مما خلق ترددا" واضحا بين المسؤولين الاسرائيليين في اتخاذ قرار التصعيد العسكري ضد ايران,اذ يعتقد ان غموض الرد الايراني على الهجوم يمثل واحدا من الاسباب الجوهرية لهذا التردد.

ويبدو ان الاسرائيليين واعون لمثل هذه الاعتبارات جيدا,حيث يؤكد شيمون بيرز على ان بلاده ستنتهج نفس النهج الامريكي ازاء طهران والقائم على ارجاء العمل العسكري لحين فشل السبل الدبلوماسية,واشار الى ان بلاده غير عازمة على توجيه ضربة عسكرية منفردة لايران حاليا,لاسيما ان مثل هذا الامر يتطلب امكانات خاصة تفتقدها اسرائيل في الوقت الراهن,الامر الذي يستوجب تنسيقا اسرائيليا – امريكيا(٥٥).

ثالثا,ايران وتهديد اسرائيل.

مستدعياً مفردات هجرتها الأبجدية العربية الرسمية وغير الرسمية خطب الرئيس الإيراني أحمدي نجاد مطالبا ب(شطب إسرائيل من الخريطة) في خطاب ألقاه في مؤتمر تحت عنوان (العالم من دون الصهيونية)في العام٢٠٠٥، وهي المرة الأولى التي يصرح فيها رئيس إيراني بعد عقد من ممارسة الواقعية السياسية إيرانياً بالدعوة لإزالة إسرائيل مستخدما كلمات قائد الثورة الإيرانية آية الله الخميني ,لكن ماذا لو قررت إسرائيل توجيه

ضربه عسكرية استباقية للمنشآت النووية الإيرانية بعد أن أعطاها الرئيس الإيراني أقوى الحجج لدعم موقفها خوفاً من (شطب إسرائيل)، فهل يلومها المجتمع الدولي؟ أكثر من تساؤل يثار خاصة وأن الملف النووي الإيراني مازال مشتعلا مع الضغوط الأميركية بعد احالة الملف إلى مجلس الأمن وصدور قرار دولي ومحاولات فرض عزلة دولية على إيران[٥٦].

كما أثارت تصريحات الرئيس الايراني محمود احمدي نجاد التي قال فيها ان محارق النازيين ضد اليهود أسطورة مختلقة حالة استياء جديدة في بقاع مختلفة في العالم. وقالت دول اوروبية ان من شأنها الاضرار بجهود الاتحاد الاوروبي لحل النزاع بشأن برنامج طهران النووي. وعاد نجاد لتأكيد تصريحاته التي أدلى بها ، اذ قال انه يشك في مقتل ستة ملايين يهودي في المحارق النازية. وقال أحمدي نجاد أمام حشد فى مدينة زاهدان بجنوب شرق ايران "لقد اختلقوا أسطورة أسمها /مذبحة اليهود/ ووضعوها فى مكانة أعلى من الله ذاته ومن الدين ومن الانبياء أنفسهم." وجاءت هذه التصريحات قبيل الاجتماع الذي عقد يوم ٢١ كانون الاول(ديسمبر) ٢٠٠٧, بين مفاوضين من ألمانيا وفرنسا وبريطانيا من جهة ومن ايران من جهة اخرى لمناقشة الملف النووي الايراني

وفي احد تصريحاته قال الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد إن إسرائيل "غير شرعية " وليس بمقدورها الاستمرار.وقال نجاد في خطاب نقله التلفزيون ألقاه في تجمع حاشد في إسلامشهر، جنوب شرقي العاصمة طهران: " لقد أعلنت أمتنا من قبل أن هذا النظام غير شرعي من أساسه. إنه مصطنع. لقد تم فرضه على شعوب المنطقة وليس بمقدوره البقاء." وأضاف: " وجود هذا النظام (إسرائيل) هو أصل الكثير من مشاكل البشرية اليوم." وتابع قائلا: " القوى الكبرى هي التي أوجدت إسرائيل في قلب العالم الإسلامي." وأدلى نجاد بكلمته عشية حلول يوم القدس الذي يتزامن مع آخر جمعة من شهر رمضان حيث يعبر الإيرانيون عن دعمهم للشعب

الفلسطيني.وكان الرئيس الإيراني قد أثار ضجة العام الماضي عندما قال إن إسرائيل ينبغي "محوها من على الخارطة" معتبرا محارق النازية مجرد "أسطورة"[٥٦].

أما في اسرائيل فقد أثارت التصريحات استياء شديدا. ولم يتأخر الساسة الإسرائيليون في التأكيد على امتلاك تل أبيب للوسائل العسكرية المناسبة للدفاع عن نفسها في وجه النظام الايراني وبرنامجه. وصرح رعنان غيسين الناطق باسم رئيس الوزراء الاسرائيلي لوكالة فرانس برس "الحمد لله اسرائيل تملك الوسائل الكفيلة بافشال نظام ايران المتطرف. لن يكون هناك حل نهائي جديد" في اشارة الى المحرقة. واضاف غيسين "نامل ان يدرك العالم من خلال هذه التصريحات طبيعة هذا النظام خصوصا البرنامج النووي الايراني ودعم هذا البلد للارهاب الدولي لا يشكل خطرا على اسرائيل وحدها بل على الحضارة الغربية برمتها". واكد المتحدث ان "اسرائيل هي الكيان الالفي للشعب اليهودي وستبقى كذلك الى الابد شاء الرئيس الايراني ام ابى". وكان الجنرال اهارون زئيفي رئيس الاستخبارات العسكرية قد أكد مؤخرا ان المساعي الدبلوماسية الرامية لمنع ايران من امتلاك السلاح النووي ستبوء بالفشل على ما يبدو مشيرا في الوقت نفسه الى. ان مسالة اللجوء الى الخيار العسكري لم تحسم بعد. "[٥٨]

والحقيقة انه ليست هناك خيارات عسكرية خالية تماما من المخاطر بالنسبة الى اسرائيل او الولايات المتحدة او اي من دول الجوار لايران.فمنشات الابحاث النووية الايرانية المعروفة مبعثرة في انحاء البلاد,على نطاق واسع,وقد حدد المسؤولون الامريكيون والاسرائيليون علنا مواقع رئيسة للابحاث النووية يمكن ان تكون قد وضعت تحت الارض لحمايتها من هجمات من الجو,وابرزها موقع بارشين العسكري الواقع الى الجنوب من طهران,باعتباره موقعا محتملا لابحاث التحول الى التسلح النووي.

ومن المهم بالدرجة ذاتها ان نلاحـظ ان ايران زادت حـمايتها لبـعض المواقع ضد غارات جوية امريكية او اسرائيلية محتملة .وقد ذكر في تقارير اخبارية ان فيالق الحرس الثوري دشنت برنامجا لحماية منشات نووية رئيسة كان قـد اوصى بـه مركز السـيطرة النووية الايراني وتبـناه المرشـد الاعلى.وكانت مهمة هذا البرنامج ان يشيد بنية تحتية لمنشات ايران النووية.

ويؤكد عدد من الضباط والمسؤولين والخبراء الاسرائيلين انه يتعين على اسرائيل ان لاتسمح للايرانيين بامتلاك قدرات نووية,بغض النظر عن دوافع طهران.وبعضهم دعى الى غارات استباقية تقوم بها اسرائيل.وقـال افرايم انبار رئيس مركز جافي للدراسات الاستراتيجية "بـهدف الدفاع عن النفس يتوجب علينا ان نتصرف باسلوب استباقي".

ونقل عن الجنرال موشي يعلون رئيس الاركان الاسرائيلي(السابـق) انه قال في اب(اغسطس)٢٠٠٤,انه ينبغي ان لايسمح لايران بامتلاك اسلحـة نووية.واضاف ان على اسرائيل ان تعتمد على باقي العالم لوقـف ايران عن التحول الى دولة نووية لان ايران نووية- حسب قـوله- سـتغير الشـرق الاوسط حيث"الدول المعتدلة ستصبح اكثر تطرفا".

الا ان كل ماتقدم لاينفي حقيقة ان قدرات اسرائيل قد لاتكون كافية لالحاق مايكفي من الاضرار ببرنامج ايران النووي,وهذا مايذهب اليه البـريغادير جنرال شلومو برو بقوله:-"...اي هجوم اسرائيلي على هدف نووي ايراني سيكون عملية معقدة جدا,يشترك فيها عدد ضخم نسبـيا من طائرات الهجوم وطائرات الدعم(طائرات التعقب وطائرات المراقبـة الالكترونية,وطائرات التزويد بالوقود في الجو وطائرات الانقاذ).والنتيجة هي ان اسرائيل يمكن ان تهاجم فقط عددا قليلا من الاهداف الايرانية,وليس كجزء من عملية مدعومة على مدى وقت,انما كعملية مفاجئة لمرة واحدة"[٥٩].

رابعا,ايران ودعم المنظمات الفلسطينية.

دخلت القضية الفلسطينية إلى صلب اهتمامات السياسة الإيرانية مع انطلاق الثورة في العام ١٩٧٩, وبدا أن القضية الفلسطينية قد خرجت من تحت العباءة العربية إلى النطاق الإسلامي الأشمل وتحديدا الإيراني، ورغم مرور اكثر من تسعة وعشرين عاما من عمر الثورة والدولة الإسلامية في إيران إلا أن القضية الفلسطينية استمرت في البقاء في سلم اهتمامات السياسة الإيرانية ودخلت في صلب الحياة السياسية الإيرانية رغم حالات المد والجزر التي مرت بها القضية الفلسطينية في ذات الفترة على المستوى العربي، إلا أن السياسة الإيرانية لم تتخلَّ عن ثوابت القضية الفلسطينية ولم تتخلَّ عن دعم المقاومة الفلسطينية واللبنانية و(حزب الله) خاصة، واستمرت رغم انحسار الدعم الرسمي والشعبي للقضية الفلسطينية على المستوى العربي بعد أن أصبحت القضية الفلسطينية قضية الفلسطينيين لا شأنا عربيا ولا إسلاميا. ونجحت إسرائيل بتفوق في حصر الخيارات الفلسطينية ورسم المستقبل الفلسطيني حسب أجندتها الخاصة، ومع عودة التيار المحافظ للسلطة في إيران والتهديدات الإسرائيلية المستمرة لإيران بقصف المنشآت النفطية وتصعيد الملف النووي الإيراني يبدو أن الرد الإيراني حسب الرئيس الإيراني هو مواجهة التصعيد بالتصعيد.

وفي محاولة لتحريك الراي العام سار المئات في مظاهرات جابت شوارع طهران وعدد من المدن العربية والإسلامية في (يوم القدس العالمي) أحرقت الأعلام الإسرائيلية والأميركية، انطلقت الحناجر بالموت لإسرائيل، والموت لأميركا، كما حملت الجنازات الرمزية على الأكتاف وأحرقت دمى الرئيس الأميركي ورئيس الوزراء الإسرائيلي وبدا أن الشعب الإيراني يدعم قيادته السياسية في توجهاتها وسياساتها نحو إسرائيل وطريقة معالجتها للملف النووي، رغم أن القنوات الدبلوماسية الإيرانية في الخارج سارعت إلى تلطيف لهجة الخطاب واستخدام عبارات تقلل من حدة العبارات التي

استخدمها الرئيس الإيراني إلا أن أصداء الخطاب داخليا خاصة مع تزامنها مع مناسبة يوم القدس العالمي التي ابتكرها الإمام الخميني ساهمت في تأكيد الرئيس الإيراني من جديد على تصريحاته المعادية لإسرائيل[٦٠].

وترافق مع هذا الجهد الايراني تاكيد خالد مشعل زعيم حـــركة المقـــاومة الاسلامية (حماس) في المنفى ان الحركة الفلسطينية ســتصعد هجماتها على أهداف اسرائيلية اذا شنت الدولة اليهودية هجوما على ايران الحليف القــوي للحركة في المنطقة. وقال مشــعل للصحـــفيين في طهران بــعد ان أجرى محادثات استمرت ثلاثة أيام مع كبار الساسة ومسؤولي الامن انه اذا هاجمت اسرائيل ايران فان حماس ستصعد وتوسع نطاق مواجهاتها مع الاسرائيليين "داخل فلسطين". وفي الوقت الذي تتهم الولايات المتحـــدة واســـرائيل ايران بتسليح وتمويل فصائل فلسطينية مثل حماس والجهاد الاسلامي. تقول ايران انها لا تقدم سوى الدعم المعنوي للجماعات الفلسطينية. وســـاند مشـــعل في تصريحاته كذلك البرنامج النووي الايراني المثير للجدل. "[٦١]

المبحث الخامس-الرؤية الايرانية للوضع الاقليمي.

إن مايميز النظام الإيراني الحالي هو ذكائه ودهائه في استغلال الظروف الإقليمية والدولية لتوسيع دائرة نفوذه وسيطرته على المنطقة تمهيداً لاستعادة أمجاد الماضي, فمنذ اللحظة الأولى لاستلامه مقاليد السلطة في إيران ورغم إنه كان مبتدئاً وفي طور التشكل إلا أنه سارع وبذكاء الى اســـتغلال ظروف الحرب الأهلية التي كانت مشتعلة في لبنان منذ فترة للتدخل بـــذريعة الدفاع عن شيعة لبنان ليوجد له نفوذاً ويفرض سيطرته على تلك المنطقـــة المهمة والملتهبة من المشرق العربي نتيجة لموقـــعها الجغرافي المهم والمحـــاذي لإسرائيل, كما استغل بذكاء ظروف الصراع الداخلي بين بـــعض الفصائل الفلسطينية داخل البيت الفلسطيني الواحـــد ليمد أذرعه ومرة أخرى باســـم الإسلام داخل هذا البيت وليمسك بأوراق يساوم ويضغط بـــها بـــين الحـــين والآخر على الآخرين, كما إستغل هذا النظام بذكاء أحـــداث انهيار الاتحـــاد

السوفياتي السابق لينشط ويتغلغل عبر شبكاته المنتشرة في كل أنحاء العالم وسط جمهورياته السابقة بغرض الحصول على التكنولوجيا النووية وقد حصل عليها بالفعل بالمقابل لم نر له نشاطاً وفعلاً يذكر في تلك الفترة تجاه نظام طالبان ثم سارع الى تقديم الدعم اللوجستي للطيران وربما القوات الأميركية التي أسقطت ذلك النظام في أفغانستان بعد احداث ١١ ايلول (سبتمبر), أما في مايخص العراق فكلنا نتذكر الأسلوب الذكي الذي تعاملت به إيران مع نظام صدام رغم ماكان بينهما من عداء فبعد أن تجرعت السم ووافقت على إيقاف حرب الثمان سنوات العبثية الضروس معه والتي كانت ترفض إيقافها لحين إسقاطه كما كانت تدعي وافقت إيران على طلب صدام. بإرسال الطائرات الحربية العراقية الى مطاراتها لحمايتها من غارات قوات التحالف أبان حرب تحرير الكويت في العام ١٩٩١ ,لحين انتهاء تلك الحرب ولكن وبعد انتهاء الحرب فوجيء النظام السابق بتمسك إيران بتلك الطائرات ورفضها بشدة إرجاعها له بحجة أنها تعويضات عن حرب الثمان سنوات ثم عادت إيران لتطبع علاقاتها مع نظام صدام عن طريق إرسال وزير خارجيتها السابق كمال خرازي الى العراق والذي التقى بصدام شخصياً وشاهدناه على شاشات التلفاز وهو يتبادل القبل الدبلوماسية مع من خاضوا معه حرباً ضروساً لثماني سنوات وكانوا يصفونه ونظامه بالكافر!, وأخيراً والأخطر هو إستغلالها وبذكاء خارق لما حدث في العراق بعد سقوط النظام السابق من فوضى لإدخال وزرع عناصرها الاستخبارية في كل شبر من الأرض العراقية إضافة الى تقديمها للدعم اللوجستي لجميع أشكال التمرد ضد نظامه الجديد حتى ذلك الذي تقوده تنظيمات إرهابية تتبنى فكراً دينياً يكفر الفكر الديني الذي تتبناه بل ويستبيح دماء معتنقيه.

لذا فإن العمل بالمثل القائل (عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة) ليس بجديد على الثقافة السياسية الإيرانية, فالضجة التي أثارتها الحكومة الإيرانية بشكل مقصود ومدروس بإعلانها امتلاك تكنولوجية نووية تضع المجتمع الدولي وعلى رأسه أميركا في وضع يجبرهم على

مســـاومة إيران للمفاضلة بـــين خيارين لاثالث لهما, فإما أن تســــــتمر في برنامجها النووي وتتحمل عواقب ذلك والتي من الممكن أن تكون حصار أو ضربة تأديبية أو ضربة قاصمة لن تقوم لإيران بعدها قائمة وهو ما أستبعده, أو مكافأتها مقابل إغلاقها لهذا الملف بالعراق وربـــما بـــالخليج وهو عين ماتريده إيران بل في اعتقـــادي هو السبـــب في إثارة إيران لموضوع الملف النووي من الأساس, فاليوم إيران أقوى من أميركا في العراق وهذا ما تعلمه إيران جيداً وهنا يكمن الخطر في إن أميركا قـــد تضحـــي في نهاية المطاف بالعراق حفاظاً على مصالحها الاقـــتصادية والاســـتراتيجية فيه وفي مجمل المنطقة بدلاً من الدخول في معركة اســـتنزاف خاســـرة في أرض ومجتمع وأجواء غريبة عليها وعلى جيشـــها المنهك أصلاً في العراق, هذا إن لم يكن هنالك في الأصل تنسيق مسبق بين الطرفين حول كل ماحدث وماسيحـــدث في العراق وإن "every thing under control" كما يردد على الـــدوام الضباط البريطانيين والأميركان عندما يسألون عن التدخل والتغلغل السافر للأجهزة الإيرانية والميليشيات التي تدعمها في الجنوب العراقي عموماً وفي البصرة الحبيبة خصوصاً رغم أنهم كانوا قـــادرين على إيقـــاف هذا التدخل الذي أصبح اليوم سافراً ومفضوحاً ومهزلة منذ اللحظة الأولى.

ان إيران ستفاضل قريباً بين الوضع العراقي والخليج الذي تراه ويبـــدو اليوم تقريباً في يدها بل في قبضتها ولكنها تحتاج الى مباركة دولية لتحكم هذه القبضة عليه ولتتحول ربما بعده الى مناطق أخرى في الخليج بـــكل خيراته التي لاتنضب وبهذا ستصبح قوة إقليمية كبرى لايستهان بـــها في المنطقـــة والعالم, وبـــين, اســـتخدام ماتدعي امتلاكه من تكنولوجية نووية في صناعة قنبلة نووية أو ذرية واســـتعمالها في ضرب إســـرائيل أو مصالح أميركا في المنطقة لعلمها جيداً بأن ماتمتلكه حالياً وما يمكن أن تمتلكه في المستقبـــل من تكنولوجيا نووية وعسكرية ليس سوى قـــطرة من بحـــر التكنولوجيا النووية والعســـكرية التي تمتلكانها كل من إســـرائيل وأميركا والتي لن تتوانى كلتا الدولتين عن إستعمالها وبقوة في حال أقدمت إيران على مثل تلك الفعل[٦٢].

هوامش الفصل الرابع.

١–باكينام الشرقاوي. المشهد التركي والايراني وازمة العراق. اسلام اون لاين.نت.

٢–وويبي اوميتوغن واليزابيث سكونز .مصدر سابق .ص٤٨٦–٤٨٨.

٣–حول تصريحات الرئيس الايراني انظر:– بوش وبوتين:موقف حازم من ايران ٢٠٠٥/٩/١٧. المصدر . www.bbcarabic.com-:

٤–مسؤول عربي:العرب مطالبون بالدخول في المجال النووي السلمي٢٠٠٦/٩/٣٠ المصدر www.alkawthartv-:

٥–جيم كرين. الدول العربية قد تتصدر العالم في الطاقة النووية. المصدر -: www.greenpeace.net

٦–جريدة الحياة. العدد١٥٨٧٧ .بتاريخ٢٠٠٦/٩/٢٣ .

٧–عاطف عبد الحميد .مصدر سابق.

٨–عاطف عبدالحميد. الخيارات العربية امام برنامج ايران النووي٢٠٠٦/٤/٢٧ المصدرwww.aljazeera.net-:

٩–بومهدي بلقاسم.حول مشكلة الخيار النووي في الشرق الاوسط. الخيار النووي في الشرق الاوسط.في محمد ابراهيم منصور(محررا).مركز دراسات الوحدة العربية.بيروت. ٢٠٠١.ص١٥٠–١٥٤ .

١٠–في محاضرة بالقاهرة... امريكا ستبقى في الخليج مع تعاظم دور طهران,احمد زكي يماني مندهش من خوف مصر من ايران النووية لامن اسرائيل ومن الشيعة لا السلفية ٢٠٠٧/٥/٦المصدر:–الجيران نت.

١١–البرنامج النووي الايراني وتداعياته على مستقبل الشرق الاوسط. ٢٠٠٧/٥/٦ www.deutsche welle

١٢–ايران والخيارات الصعبة(٢),نقاط الضعف في الدعاية الايرانية.٢٠٠٦/٥/١٠. المصدر. www.kassioun.org-:

١٣–تأسس في عام ١٩٨١ ,ومقره في الرياض,في المملكة العربية السعودية,ويهدف لتعزيز التكامل الاقليمي في مجالات مثل الاقتصاد والمالية

والتجارة والادارة والتشريع,وكذلك لرعاية التقدم العلمي والتقـني.كما يتعاون اعضاء المجلس في مجالات السياســة الخارجية والمســائل العسـكرية والامنية.والمجلس الاعلى هو اعلى سـاطة في مجلس التعاون.التسـلح ونزع السلاح والامن الدولي٢٠٠٦. مصدر سابق .ص٤٢).وعن مراحل العلاقـات انظر:-حـامد محـمود.ايران والازمة العراقـية,معارضة سياسـية وحـياد عسكري٢٠٠٣/٣/٥.اسلام اون لاين.نت

١٤-محـمد السـعيد عبـد المؤمن.التقـارب الايراني الخليجي...سـلاح ذو حدين.المصدر:- اسلام اون لاين.نت

١٥ -وزير الخارجية السـعودي:نكرر القـول للايرانيين لاتتدخلوا في شؤوننا.٢٠٠٧/١/٢٥ .المصدر:- الجيران نت.

١٦ -علي صبـري.امير قـطر في ايران...اضافة جديدة لتقـارب ضفتي الخليج.المصدر:- اسلام اون لاين.نت.

١٧-محـمد السـعيد ادريس.الخليج والازمة النووية الايرانية.مجلة السياسـة الدولية.العدد١٦٥.يوليو ٢٠٠٦.ص٩٦-١٠٤ .

١٨-رمضان عويس.ايران والخليج..نقـلة نوعية رغم المحاذير٢٠٠١/٥/٢٦المصدر:- اسلام اون لاين.نت.

١٩ -سـامح راشد.السـعودية وايران...هل يمكن بـناء التحالف؟٢٠٠٢/٩/١٧.المصدر:- اسلام اون لاين.نت.

٢٠-رمضان عويس.مصدر سابق.

٢١- يمكن تحديد ملامح الموقف الايراني من الحرب الامريكية على العراق بـانه بدأبالحياد الإيجابي.

وابرزمعالم الموقف الإيراني هو:-

١-الرفض المطلق لأي غزو أمريكي للعراق، كما عبـر عن ذلك الرئيس خاتمي بتأكيده على موقفه الرافض لضرب العراق أو التدخل في شـئونه الداخلية، وكذا الترحيب الإيراني بـعودة المفتشـين الدوليين للعراق، وكما وصف ذلك وزير الخارجية كمال خرازي بأنه قرار حكيم .

٢- تجنب أي مواجهة مع العراق، وهو ما برز في حـرص الجانب الإيراني على

الالتزام بـدرجة عالية من ضبـط النفس للحـيلولة دون التورط في أي مواجهة سياسية أو إعلامية مع العراق، رغم الاتهامات الشديدة التي وجهها نائب الرئيس العراقي طه ياسين رمضان وقال فيها بأن الأطماع الإيرانية في المنطقة لا تقـل عن الأطماع الأمريكية والبريطانية، كما اتهم الإيرانيين بأنهم حـلفاء للصهاينة، بينما واجهت إيران هذه الاتهامات بتقديم احتجاج رسمي للحكومة العراقية .

٣-التنسـيق مع دول مجلس التعاون في الموقـف من الأزمة، كما ظهر في زيارة الرئيس خاتمي الأخيرة للرياض وأبو ظبي في أكتوبر (٢٠٠٢).

٤ -الحـرص على تجنب المواجهة مع أمريكا من خلال اتبـاع سياسـة الحـياد الإيجابي، بالالتزام بموقف سياسي معارض لضرب العراق، وموقف عسـكري غير منحاز لأي من الطرفين، مع الاسـتعداد لمواجهة أي عدوان أمريكي، كما أكد علي شمخاني وزير الدفاع بأن أمريكا يجب ألا تتجاوز الخطوط الحمراء في حال عدوانها على العراق، وأن قواته مستعدة لمواجهة أي احتمال.

أما موقف دول مجلس التعاون فقد عبرت عنه قمة الدوحـة الأخيرة في يناير ٢٠٠٣ لدول المجلس، والتي رحبت بتجاوب العراق مع قرار مجلس الأمن رقـم ١٤٤١، وقبوله بعودة المفتشين الدوليين، ورفضها لأي عمل عسكري منفرد ضد العراق، وإن برزت تناقضات بين طبـيعة المواقـف السياسـية المعلنة الرافضة للحرب، والمواقف العملية المسـاعدة للولايات المتحـدة.وللمزيد انظر:- طلال عتريسي.النتائج والتداعيات ايرانيا.في مجموعة باحثين.احتلال العراق وتداعياته عربـيا واقـليميا ودوليا.مركز دراسـات الوحـدة العربية.بيروت.الطبـعة الاولى.اب(اغسطس)٢٠٠٤.ص٤٤٧- ٤٥٠ .

٢٢-عاطف عبدالحميد.الخيارات العربـية امام بـرنامج ايران النووي.مصدر سابق.

٢٣-بـرنامج بـانوراما: الخيارات العسـكرية لمعالجة الملف النووي الايراني١٧/٤/٢٠٠٦.قناة العربية.

٢٤-مصطفى العاني.الموقف المحتمل لمجلس التعاون من ضرب المنشات النووية الايرانية١٧/٥/٢٠٠٦ .المصدرwww.aljazeera.net -:

٢٥-هل تشـــــكل طهران خطرا على منطقـــــة الخليج والامن القـــــومي العربي١٧/٢/٢٠٠٧ .جريدة الراية القطرية.

٢٦ -المفكر العراقي الدكتور سيار الجميل..في حـــوار جديد حـــول الوضع في العراق والمنطقـــة العربية.حاوره.حـــيدر وســـام١٣/٤/٢٠٠٧المصدر-: www.aljeeran.net.

٢٧- جورج فريدمان.مستقبل العراق:البحث عن توازن تجاه ايران.مجلة المستقبل العربـــــــــي العدد٣١٤.مركز دراســــــــات الوحـــــــــدة العربية.بيروت.نيسان(ابريل)٢٠٠٥.ص٨٤- ٨٧ .

٢٨-وليام بولك.الواقـــع والخيارات في حــــرب العراق.مجلة المستقبـــــل العربـــي.العدد٣١١.مركز دراســات الوحـــدة العربية.بـــيروت. كانون الثاني(يناير)٢٠٠٥.ص١١- ١٣ .

٢٩-جوناثان ســــــتيل.العراق طريق الخروج.مجلة المستقبـــــــــل العربــــــــي.العدد٣٤٩.مركز دراســــــــات الوحــــــــدة العربية.بيروت.اذار(مارس)٢٠٠٨.ص١٨- ١٩ .

٣٠-النص الكامل لتوصيات لجنة بيكر- هاملتون.المصدر:- الجيران .نت.

٣١-غيتس يخالف رئيســـه بـــوش بشـــان العراق ويمســـك العصا من الوسط.٨/١٢/٢٠٠٦ المصدر:- الجيران نت.

٣٢- حسن راضي.النووي الايراني والتحديات الكبرى,دراسة حول الملف النووي الايراني وتداعياته١/٨/٢٠٠٦.شبكة البصرة.

٣٣-انور الخطيب.الصورة قاتمة والتشأؤم ســيد الموقـــف ١/١/٢٠٠٦.جريدة الراية القطرية.

٣٤-المصدر نفسه.

٣٥ -محمد عبد السلام.قضايا عراقية:ماذا يعني بالضبط الانسحاب الامريكي من العراق؟ ٢٠٠٥/١١/١.المصدر :- الجيران نت.
٣٦-سعد الانصاري.العلاقــات العراقــية- الايرانية خلال خمســة قــرون.دار الهدى.بيروت١٩٨٧.ص٥- ١٠.
٣٧-صحيفة كيهان، في ٢٠٠٢/٦/٢٢م
٣٨-صحيفة كيهان، ٢٠٠٢/١٠/١٠
٣٩ -افر العاني.دول الجوار الاقليمي...قـــــــــــراءة في الدور الايراني في العراق.احـــتمالات الحـــرب الاهلية في العراق...تســـــاؤلات ورؤى متبـــــــادلة!؟الاصدار الثالث.المركز العراقـــــي للدراســـــــات الاستراتيجية.عمان.٢٠٠٨.ص ٤٨- ٤٩ .
٤٠-بــاكينام الشرقاوي.المشـــهد التركي والايراني وازمة العراق.اســلام اون لاين.نت.
٤١- المشاهد السياسي.رفســنجاني:هذه ليســت اول مرة تتفاوض فيها ايران مع امريكا. المصدرwww.ALBAINAH.net-:
٤٢-وراء الكواليس :حـــــوار امريكي ايراني مبـــــتور في شــــــرم. الشيخ ٢٠٠٧/٥/١١.المصدر :- الجيران نت.
٤٣-نجاد:اذا ارتكبــوا"خطيئة" ضربــنا فان ردنا ســيكون قاســيا وســـيدفعهم للندم.٢٠٠٧/٥/١٤المصدر :- الجيران نت.
٤٤-وللمزيد من التفاصيل انظر:- التقرير الاســـتراتيجي العربـــي ٢٠٠٤- والاستراتيجية.القـــــاهرة.٢٠٠٥.ص٢١٩.ايضا:- ســـــــميرعوا د بعداعتراف"اولمرت" بامتلاك النووي:لماذا لايزور البرادعي اسرائيل للتحقـيق بترسانتها النووية؟جريدة الراية القطرية،بتاريخ ٢٠٠٦/٢١/٢١
٤٥-وللمزيد من التفاصيل انظر:- ستار جبار الدليمي.البـرنامج النووي الايراني واشكالية العلاقة مع الولايات المتحدة.مجلة العلوم السياسية.العدد٣٠.كلية العلوم

السياسية .جامعة بغداد .كانون الثاني ٢٠٠٥ .ص١٤١- ١٤٣ .ايضا:- هل تهاجم امريكا ايران اكراما لعيون اسرائيل؟ تل ابيب متحمسة لتعطيل مشـــروع القنبـلة المزعوم .جريدة الراية القطرية ٢٠٠٧/٤/٢٠

٤٦- البـــرنامج النووي الايراني وتداعياته على مستقبـــل الشـــرق الاوســـط. ٢٠٠٧/٥/٦ .www.deutsche welle

٤٧-تقرير لــ"الجيروزاليم بوست"الاسرائيلية .خطة شارون لقـصف البـــرنامج النووي الايراني .ترجمة مجدي عبـــــــــــــــــــــــــــــــد الكريم .جريدة العربي .العدد ٨٧٥ .السنة ١١ .بتاريخ٢٠٠٣/٩/٧.

٤٨-ايران تتوعد بـــــالرد على كل هجوم على بـــــرنامجها النووي .المصدر-: .www.bbcarabic.com

٤٩-وللمزيد من التفاصيل انظر:- المشـــهد الاســـــرائيلي .في مجموعة مؤلفين اسرائيليين .إسرائيل والمشروع النووي الايراني .ترجمة احمد ابو هدبـــة .مركز الدراسات الفلسطينية .بيروت .الطبعة الاولى ٢٠٠٦,١٥. -٢٥ .ايضا:- صحيفة بريطانية تكشف عن ترتيبات اســـرائيلية لضرب ايران ٢٠٠٧/٢/٢٤ .الجزيرة نت.

٥٠-ايران تتوعد بـــــالرد على كل هجوم على بـــــرنامجها النووي .المصدر-: . .www.bbcarabic.com

٥١- ايران تتوعد بـــــالرد على كل هجوم على بـــــرنامجها النووي .المصدر-: .www.bbcarabic.com

٥٢- اســــرائيل تحـــــذر ايران بشـــــان طموحـــــــاتها النووية. المصدر-: .www.bbcarabic.com

٥٣-بـــــيريز :ايران ســـــــتدمر اذا واصلت تهديد اســــــرائيل. ".المصدر -: .www.bbcarabic.com

٥٤- المصدر نفسه .

٥٥-اســـــرائيل تحـــذر ايران بشـــان طموحـــــاتها النووية. المصدر - :
.www.bbcarabic.com.

٥٦- تصريحات احمدي نجاد بشان المحرقة تثير ردود فعل غاضبــة.المصدر-:
www.Deutsche welle-htm.

٥٧ -انتوني كوردســمان.غارات اســـرائيلية وامريكية على ايران :تحـــليل تاملي.مجلة المستقبـــــل العربـــــــي العدد ٣٣٩ .مركز دراســـــــات الوحدةالعربية.بيروت.ايار(مايو)٢٠٠٧.ص٢٨- ٣١ .

٥٨-تصريحات احمدي نجاد بشان المحرقة تثير ردود فعل غاضبة.مصدر سابق.

٥٩-مصطفى القــرةداغي.الملف النووي الايراني والعصفور العراقي.صحــيفة السياسة.www.alseyassah.com-:

٦٠-الموت لاسرائيل-جريدة الوفاق- مصدر سابق.

٦١-زهيــر الهوالاي.ايــران والخليــج فــي دائـــرة الخطر.المصـــــدر - :
www.bintjbeil.com .

٦٢ -وللمزيد من التفاصيل حول الرؤية الايرانية انظر:- ظافر محمد العجمي.امن الخليج العربي,تطوره واشكالياته من منظور العلاقات الاقــليمية والدولية.مركز دراســـــــات الوحــــــــدة العربية.بيروت.الطبـــــــــــعة الاولى اذار(مارس)٢٠٠٦.ص٦٠٩.ايضا:- طلال عتريســـــي.النتائج والتداعيات ايرانيا".في مجموعة باحثين.احـــتلال العراق وتداعياته عربـــيا واقـــليميا ودوليا.مركز دراســــــات الوحـــــدة العربـــــية .بيروت.الطبـــــعة الاولى.اب(اغسطس)٢٠٠٤.ص٤٤٩- ٤٦٠ .

الفصل الخامس

التداعيات الدولية للبرنامج النووي الايراني

المقدمة

اشتد الجدل الدولي بشان بــرنامج ايران النووي وطبــيعته.وتركز الجدل على كشوف الوكالة الدولية للطاقة الذرية (IAEA)بـــان ايران تخلفت فترة طويلة من الزمن عن اعلان انشطة نووية مهمة,خلافا" لاتفاقها مع الوكالة بشـــان الضمانات الكاملة المفروضة من معاهدة.(NPT)وتصر ايران على القول ان برنامجها النووي معد لاغراض سلمية فقــط وان أي خروقـــات للضمانات كانت عن غير قصد.الا ان ثمة قلقا" في اوربا والولايات المتحدة واماكن اخرى من ان تكون ايران ماضية,تحــت ســتار بــرنامج طاقـــة نووية,في محاولة اســتثمار منشـــات دورة الوقــود اللازمة لانتاج مواد انشطارية- بلوتونيوم ويورانيوم عالي التخصيب- من اجل برنامج سري لانتاج ســــلاح نووي.ومنذ العام٢٠٠٣, تصدرت ثلاث دول اعضاء في الاتحاد الاوربي -فرنسا والمانيا والمملكة المتحدة -(EU-3),محاولات حل الخلاف من خلال مفاوضات مع ايران.وقد شملت هذه المفاوضات ايضا" مشـــاركة الممثل الاعلى لسياســـة الاتحـــاد الاوربـــي الخارجية والامنية المشتركة,خافيير سولانا.

المبحث الاول,المفاوضات بين ايران والاتحاد الاوربي.(EU-3)

يسعى الاتحاد الاوروبي الى الزام ايران بوقف أنشطتها النووية بتقــديم حوافز اقتصادية وعروضا بالحصول على الكهرباء. لكن ثبــت عدم نجاح اسلوب العصا والجزرة لان واشنطن فقط هي القادرة على تقديم الاتفاقات والتكنولوجيا التي تحتاجها ايران في حين أنها تشكل أيضا تهديدا عسكريا. لذلك لم يتبق للمفاوضين الاوروبيين سوى بدائل محــدودة لاقــناع ايران بوقف العمل في الانشطة النووية الحساسة وربما يتعين عليهم التوصل الى

تفاهم مع طهران بشأن مواصلة برنامجها النووي بينما توشك المحـــادثات المســـتمرة منذ اعوام على الانهيار. ويقــول دبلوماســيون في الاتحـــاد الاوروبي في احاديث غير رسمية ان اســتئناف ايران للانشــطة النووية الحساسة لن يؤدي الا الى انهاء محادثاتها مع الثلاثي الأوروبي الذي يضم بريطانيا وفرنســا وألمانيا التي كانت تســعى لمنع ايران من إنتاج قنبــلة نووية.

في بداية هذا التحرك رحب وزير الخارجية البريطانى جاك استرو بقرار الوكالة الدولية للطاقة الذرية حول البرنامج النووى الايرانى ووصفه بـــانه "خطوة هامة للامام "لحظر انتشار الاسلحة النووية,وقال استرو فى بــيان له "اننى ارحب بهذا القرار الخاص بايران والذى تمت الموافقة عليه بتوافق بين. مجلس محافظى الوكالة الدولية للطاقـــة الذرية. فهو خطوة هامة للامام فى جهود المجتمع الدولى لمنع انتشار الاسلحة النووية." واضاف قـــائلا "عندما زرت طهران يومى ٢٠ و ٢١ تشرين الاول(اكتوبـــر)٢٠٠٣, مع رفيقـــي وزيرى الخارجية دومينيك دو فيليبان ويوشكا فيشر حثثنا ايران جميعا على الوفاء بجميع التزاماتها تجاه الوكالة." واشار الى ان "هذا القـــرار جاء نتيجة لمشاورات دبلوماسية مكثفة أعقبت تلك الزيارة." ويندد قرار الوكالة بايران لانشطتها النووية السرية التى استمرت ٢٠ عاما لكنه لم ينص على ضرورة توقيع عقوبات دولية على ايران[١].

اولا– تحول الموقف الأوروبي.

طبقاً للتقرير الذي قدّمه الدكتور (حسن روحاني) المســؤول السابــق عن الملف النووي الإيراني إلى رئيس الجمهورية السابق (محمد خاتمي) قبـــل رفض المقترحات الأوروبية، فإن الموقف الأوروبي من السياسة الإيرانية تمثل في تأييد البـــرنامج النووي الإيراني، خصوصاً فيما يتعلق بـــتوفير بعض الاحتياجات الأساسية للبرنامج، وتقـــديم ضمانات بـــعدم التعرّض للسيادة الإيرانية وأمنها واستقلالية أراضيها، ودعم العلاقـــات السياســـية

والأمنية والإقليمية، واعترف الجانب الأوروبي بإيران كدولة منتجة للطاقة (بترول غاز) بالنسبة لدول الاتحاد الأوروبي، ورفع كافة العوائق أمام التجهيزات الأساسية المتعلقة بنقل التقنية وتأمين انضمام إيران لمنظمة التجارة العالمية. ولكن الرفض الإيراني للمقترحات الأوروبية القائم على أن هذه المقترحات جاءت خالية من الاعتراف بحق إيران في أنشطة تخصيب اليورانيوم، ومن ثم فلا قيمة لها لدى إيران، أحدث تصعيداً شديداً للأزمة، خصوصاً وأن الطلب الأوروبي من إيران بالتروي ودراسة المقترحات بهدوء وتمعّن قد قوبل بالإصرار على رفضها، فكان أن صعّدت الضغوط على إيران، معتبرة أن ملفها النووي يستحق الإحالة إلى مجلس الأمن. وبالفعل استجابت خمس دول من كتلة عدم الانحياز وصوتت إلى جانب مشروع القرار الأوروبي، هي: بيرو، وغانا، والأكوادور، وسنغافورة، والهند، بينما امتنعت روسيا والصين وبقية دول كتلة عدم الانحياز عن التصويت. وصدر القرار بموافقة اثنتين وعشرين دولة.

ثانيا-قرار الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

أدان قرار ٢٤ ايلول (سبتمبر) ٢٠٠٥م الصادر عن مجلس أمناء الوكالة الدولية للطاقة الذرية انتهاكات إيران لمعاهدة منع الانتشار النووي، ولكنه لم يتضمن الإشارة إلى مسألة نقل ملفها النووي إلى مجلس الأمن أو تحديد سقف زمني لذلك، فهذا الملف لا يزال بحوزة الوكالة، حيث يرى عدد كبير من الأمناء ضرورة إبقاء الملف ضمن صلاحيات الوكالة، خصوصاً وأنه لا تزال هناك فرصة استئناف المفاوضات بين الإيرانيين والأوروبيين، وإن كانوا يرون أن القرار سيف مسلط ضد طهران ووسيلة ضغط شديدة عليها لكي تنهي المسائل العالقة في برنامجها النووي فيما يتعلق بالتعاون مع الوكالة، كما أنه سيقف حائلاً دون استئناف طهران أنشطة التخصيب أو وقف مقتضيات البروتوكول الإضافي الذي يسمح

للمفتشين بزيارة المواقع النووية بشكل مفاجئ، وهذا ما حدث بالفعل، حيث. أشاد مدير عام الوكالة بموقف طهران، إذ أشـار في تصريحـاته إلى أن تصريحات مفتشي الوكالة تؤكد حصولهم على الوثائق التي كانوا بحـاجة إليها، وأن طهران أجابت على جميع الأسئلة والاستفسارات التي طرحـت من قبل المفتشين. وكانت إيران قد سمحـت في أعقـاب صدور القـرار لمفتشي الوكالة بزيارة منشأة (بارشـين) العسـكرية للمرة الثانية، والتي تزعم الولايات المتحدة أنه يتم فيها تطوير أسلحة نووية. وكان أبرز ما في قرار الوكالة أن محافظي مجلسها:

يذكِّرون بأن إيران أخفقـت مراراً في الوفاء بـالتزاماتها بـموجب معاهدة عدم الانتشار النووي المتعلقة بالإبلاغ عن المواد النووية ومعالجتها واستخدامها، إضافة إلى الإعلان عن المرافق التي تتم فيها معالجة وتخزين هذه المواد.ويلاحظون أنه فيما تم إحراز تقدم في تصحـيح انتهاكات إيران وفي قدرة الوكالة الدولية على تأكيد نواح معينة من إعلانات إيران الحالية، مازالت الوكالة ليست قادرة على توضيح بعض المسائل الرئيسة بعد عامين ونصف عام من عمليات التفتيش والتحقـيق المكثفة.ويؤكِّدون أن الشـفافية التامة من قبل إيران هي أمر لابد منه، وقد تأخر تحقيقه، كما يلاحـظون أن إيران اتبعت سياسة الإخفاء حتى تشرين الاول (أكتوبر) ٢٠٠٣م.ويعربون عن قلقهم من الثغرات المستمرة في فهم الوكالة للنواحي الحساسة المتعلقـة بالانتشـار النووي في بـرنامج إيران النووي .ويدينون إخفاق إيران في الاستجابة للدعوة التي وجهها مجلس حكام الوكالة الدولية للطاقـة الذرية في اب(أغسـطس)٢٠٠٣ لإعادة التعليق الكامل لجميع النشـاطات المتعلقـة بالتخصيب، بما فيها إنتاج مواد الوقود وكذلك أي اختبارات أو عمليات إنتاج في منشأة تحـويل اليورانيوم .ويعربـون عن قلقـهم من إخفاق إيران في الاستجابة لدعوات الثقة بأن بـرنامج إيران النووي هو لأغراض سـلمية ، . حيث برزت مسائل تقضي بلفت انتباه مجلس الأمن الدولي .ويرون أنه نظراً

للغياب الحالي للمصادقة على البروتوكول الإضافي الملحق بمعاهدة منع الانتشار النووي الذي يسمح بتعزيز المراقبة الدولية.وهكذا، وللمرة الأولى. منذ بداية مفاوضات الدول الأوروبية مع إيران قبل عامين، تتفق هذه الدول مع الولايات المتحدة في كيفية التعامل مع وتوجيهها صوب التصعيد ، فقد كانت واشنطن تدفع دوماً في اتجاه إحالة الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمن، تمهيداً لفرض عقوبات على إيران، بينما كان الجانب الأوروبي يعارض ذلك لإعطاء فرصة للمفاوضات الجارية، خصوصاً وأن لديها حسابات تتعلق بطبيعة علاقاتها الاقتصادية مع إيران، معتبرين أن فرض عقوبات عليها سيضر بمصالحهم تلك، فضلا عن أن أي عمل عسكري ضدها سوف يؤدي إلى زيادة عدم استقرار المنطقة ويفتح الباب أمام دوامة جديدة من العنف وربما العمليات الإرهابية ، وفي ظل هذا التحول كان على الإيرانيين أن يتحركوا، خصوصاً وأن ثمة ارتباك قد أحاط بالأزمة بفعل الرفض الإيراني، ومواقف الدول إزاء مشروع القرار الأوروبي نظراً لعدم توافق الآراء، ومن ثم تقدمت إيران بأفكار بديلة أملا في حشد أكبر قدر من التأييد لموقفها.

ثالثا-الأفكار الإيرانية البديلة.

حاولت إيران استثمار الارتباك الذي أحاط بالأزمة من خلال طرح مقترحات جديدة، وفقاً لما كان الرئيس (نجاد) قد تعهد به منذ أداء قسم تولّي الرئاسة ، وذلك في محاولة لتوجيه دفة التفاعلات في اتجاه جديد تماماً، ربما يتيح لها أن تحقق هدفها الرئيس المتمثل في الاحتفاظ بأنشطة تخصيب اليورانيوم ، فتضمنت هذه الاقتراحات توسيع مفاوضات تسوية الأزمة ، وإقامة شراكة دولية في البرنامج النووي الإيراني لتخصيب اليورانيوم ، ففي ٢٨اب(اغسطس)٢٠٠٥,أعلنت إيران أنها لا تعد بريطانيا وفرنسا وألمانيا شركاءً لها في المفاوضات فقط، وأن هذه الدول قد تم تهميشها، في إشارة إلى أن المفاوضات لن تنحصر معها وأن إيران تجري مباحاث مع.

دول أخرى مثل اليابان وماليزيا وجنوب أفريقيا، كما أعلن الرئيس الإيراني من على منبر الأمم المتحدة فى شهر ايلول (سبتمبر) ٢٠٠٥م دعوة شركات أجنبية عامة أو خاصة في مجال تخصيب اليورانيوم للعمل في إيران.

وتمثلت أهمية هذه المقترحات في محاولة لحشد أكبر قدر ممكن من التأييد للموقف الإيراني، إلا أن هذه المقترحات لم تحدث تغييراً ملموساً في مسار الأزمة، فمن الصعوبة حدوث توصل إلى اتفاق بشأن الملف النووي الإيراني في ظل تعدد الآراء والرؤى واختلاف وجهات النظر، فضلاً عن ضرورة موافقة الولايات المتحدة على أي اتفاق، الأمر الذي يجعل من فكرة توسيع المفاوضات، وكذلك خصخصة عملية تخصيب اليورانيوم، مسألة تنطوي على كثير من الصعوبات. وبالفعل رفضت الولايات المتحدة فكرة توسيع المفاوضات، واكتفت روسيا بنفي أي حظر أو تهميش للمسار التفاوضي الإيراني مع الدول الأوروبية. الأمر الذي يلقي بظلاله على خطورة الرهان الإيراني على حشد التأييد الدولي لموقفه، ففقدان مثل هذا التأييد في ظل قرار مجلس محافظي الوكالة يفتح الباب على مصراعيه أمام كثير من السيناريوهات.

على الرغم من أن قرار مجلس محافظي الوكالة لا يحدد موعداً لإحالة الملف إلى مجلس الأمن، إلا أنه يحدد الشروط التي بمقتضاها يتم التفاهم مع طهران أو تصعيد الأمور معها، فهل ستسعى طهران تصعيد الأزمة وتحدي الولايات المتحدة ومن يسير في فلكها، أم أنها سوف تخضع لشروط القرار؟ كلا الأمرين يفتح الباب أمام الأزمة على عدد من السيناريوهات، ومنها:

١- أن يمثل قرار الوكالة عامل ضغط على إيران بانتهاج موقف يجنبها تصعيد الأزمة بإحالة ملفها النووي إلى مجلس الأمن، خصوصاً وقد تضمن القرار إشارة ضمنية إلى إمكانية نقل الملف النووي إلى مجلس الأمن استناداً إلى أنشطتها التي اتسمت لفترة طويلة بالسرية والإخفاء عن

الوكالة، فضلا عن أن برنامجها النووي يشكل خطراً على السلم والأمن الدوليين ، كما أن اتجاهات التصويت على القرار تشير إلى فقدان إيران الدعم والمساندة السياسية التي كانت تعول عليها، فالهند بدلت موقفها وصوتت إلى جانب القرار ، وروسيا امتنعت فقط عن التصويت، ومن ثم تمعن إيران النظر في الصفقة المطروحة أمامها ، وما تمثله من تطور نوعي في التعامل مع ملفها النووي مع دخول الولايات المتحدة طرفاً فاعلاً فيه ، وما تضمنته المقترحات من حوافز اقتصادية، وإمداد بتقنية نووية سلمية، واعتراف ضمني بدورها السياسي والأمني الإقليمي، وبذلك يكون القرار قد أوجد لدى الإيرانيين فرصة للمقارنة بين حافة الهاوية من أجل امتلاك قدرات نووية، وبين إمكانات اقتصادية واستقرار سياسي وإنهاء حالة العزلة، وهو ما يمكن أن يحدث من خلال العودة إلى التفاوض لتحسين شروط الصفقة.

٢-أن تمضي إيران ضد متطلبات القرار فيتم إحالة ملفها النووي إلى مجلس الأمن، وهنا يوجد احتمالان:

الأول : نجاح الولايات المتحدة في استثمار هذه الفرصة وتوظيف أقصى ما لديها من ضغوط لاستصدار قرار من مجلس الأمن بفرض عقوبات على إيران بهدف عزلها ووقف أنشطتها النووية المحظورة، لا سيما أن معظم الدول الأعضاء في المجلس ليس لديها رغبة في الدخول في مواجهة معها بسبب إيران . وفي مثل هذه الحالة يتم التركيز على مطالبة إيران بالتعاون الكامل وغير المشروط مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، والكشف عن جميع عناصر برنامجها النووي ، ووقف الأنشطة المثيرة للشكوك في برنامجها، مع فرض عقوبات اقتصادية عليها لضمان امتثالها لهذا الطلب. وربما تدخل الأزمة إلى التعقيد العسكري، خصوصاً وأن الإدارة الأمريكية لم تنف مثل هذا الخيار، وقامت بتسريب عدد من السيناريوهات لمثل هذا العمل، والتي تتنوع بين توجيه ضربة عسكرية للحرس الثوري ، أو قصف

المنشآت النووية الإيرانية، أو القيام بعملية سريعة بهدف إسقاط النظام وخلق حالة من الفوضى، أو إعطاء إسرائيل الضوء الأخضر لعملية قصف المنشآت الإيرانية مع توفير الدعم اللوجستي لها، خصوصاً وقد توفرت لها ذريعة من تصريحات الرئيس الإيراني بشطبها من الخريطة، فقد اعتبرت هذه التصريحات إعلان حرب عليها.

الثاني : فشل الولايات المتحدة في استصدار قرار من المجلس بمعاقبة إيران، سواء لاستخدام روسيا أو الصين حق الفيتو ، أو لعجزها عن حشد الأغلبية اللازمة في المجلس ، ومن ثم صدور قرار متواضع يدعو الإيرانيين للتعقل والعودة إلى طاولة المفاوضات والعمل في إطار الشفافية الدوليةمن أبرزها : نشوب حرب باتساع المنطقة كلها، مما يعطل إمدادات الطاقة من المنطقة إلى خارجها، وإغلاق مضيق هرمز في وجه الملاحة الدولية، وابرز ودافع ذلك حزب الله لشن هجمات ضد إسرائيل ، وإرسال الحرس الثوري الإيراني إلى العراق لزيادة معاناة أكثر من ١٣٥ ألف جندي أمريكي ، والهجوم على حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة، وتنشيط الأعمال الإرهابية داخل الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين ، لذلك فإنه من الصعب تكرار النموذج العراقي نظراً لهذه الاعتبارات، فضلا عن الاعتبارات الأخرى ذات الصلة بحالة التماسك الإيراني الداخلي، ومكانة إيران على الساحتين الإقليمية والدولية، وعلاوة على ذلك علو القدرات الدفاعية الإيرانية.

٣- أن تستثمر الوكالة الدولية فرصة حصولها ومديرها على جائزة نوبل للسلام، وتواصل إنجاز مهامها في تشجيع التعاون في مجال الاستخدمات السليمة للطاقة النووية من أجل رفاهية ورخاء البشر ، وأن تكون هذه الاستخدامات تحت رقابة دولية فعالة ، بحيث تستطيع إقناع الدول التي لم تنضم إلى المعاهدة أو التي لم توقع على البروتوكول الإضافي للقيام بذلك ، بحيث تصبح الوكالة أداة قادرة على إيجاد مخرج سلمي لهذه الأزمة بحق ،

وهذا ما يرتبط بتنظيم دورها في إقامة نظام تقف فيه جميع الدول النووية وغير النووية صاحبة البرامج المعلنة والسرية تحت سقف واحد من القيود والشروط التي تتيح للجميع الاستخدام الآمن للطاقة النووية السلمية في ظل رقابة تحول دون سقوط البعض تحت إغراء امتلاك السلاح النووي، فالوكالة بين طرفين: طرف يسعى لحماية حاضره ومستقبله وأوضاعه وطموحاته الإقليمية ، وطرف لا يقبل هذا الوضع ويعمل دائما على الحيلولة دون امتلاك إيران قدرات نووية ، ويصبح المخرج من الأزمة هو جعل منطقة الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل.

٤-تحقيق تقارب أمريكي – إيراني على نحو ما ظهر منذ منتصف العام ٢٠٠٤م، عندما وافقت الولايات المتحدة على اعتماد الأفكار الأوروبية لحل الأزمة آنذاك، والتي أسفرت عن توقيع اتفاق باريس في تشرين الثاني(نوفمبر) من العام نفسه ، فقد استطاع الأوروبيون آنذاك جذب الأمريكيين نحو رؤيتهم للأزمة، وهذا التقارب يمكن أن يحدث باتخاذ خطوات أكبر بالجلوس إلى مائدة مفاوضات تجمع الإيرانيين والأمريكيين من خلال تخلّي الإيرانيين عن إهمال الدور الأمريكي لحل الأزمة ، ومبادرة الولايات المتحدة من تلقاء نفسها في أي مفاوضات مستقبلية بين إيران والأوروبيين بعرض صفقة متكاملة تكفل للإيرانيين صيانة أمنهم الوطني وبقاء نظامهم السياسي مقابل التخلّي عن الأنشطة النووية المحظورة .

ومع هذه الاحتمالات تبقى الأزمة معلقة على الكيفية التي سيتم بها تعامل الجانب الأوروبى مع إيران، وإبداعه في إيجاد الحلول الوسط على نحو ما أظهر طيلة السنوات الماضية من عمر الأزمة..[٢]

ويقول بعض المحللين ان تغير المناخ في طهران منذ انتخابات الرئاسة في حزيران(يونيو)٢٠٠٥, يجعل تقييم نوايا ايران أكثر صعوبة مع احتمال احالة الملف الى مجلس الامن وهي خطوة قد تؤدي الى فرض عقوبات.

واتخذت ايران التي لجأت الى أساليب حافة الهاوية خلال محادثاتها مع الاتحاد الاوروبي موقفا أكثر تشددا منذ انتخاب الرئيس المحافظ محمود أحمدي نجاد الذي يخشى الاوروبيون من أنه قد يبدأ فترة من المشاعر المعادية للغرب الاكثر تشددا. غير أن الدبلوماسيين ليسوا متأكدين مما اذا كان استئناف ايران العمل في انتاج الوقود النووي حيلة تفاوضية أم نهج جديد. ولا يشك سوى قليل من المحللين في تصميم ايران على تطوير برنامج نووي سواء كان مدنيا خالصا أم لاغراض أخرى[٣].

وكشف مسؤولون أوروبيون وأمريكيون في شباط(فبراير)٢٠٠٧, أن دولاً أوروبية عرضت تقديم دعم لبناء مفاعل نووي إيراني يعمل بالماء الخفيف ضمن صفقة لإقناع طهران بالتوقف عن تخصيب اليورانيوم . ووضع الأوروبيون الخطوط العريضة لاقتراحهم لإنهاء أنشطة إيران لتخصيب اليورانيوم في اجتماع خلف أبواب مغلقة لمجموعة الثماني استضافته واشنطن. وقال مسؤول أمريكي اطلع على الاقتراح " الفكرة هي أن إيران ستتخلص من خططها لإقامة مفاعل يعمل بالماء الثقيل وتمضي بدلا من ذلك نحو نظام مفاعل يعمل بالماء الخفيف وان الاتحاد الأوروبي سيساعد في بناء ذلك ".وأوضح خبراء نوويون أن مفاعلات الماء الخفيف لا تقدم مساعدة تذكر لأي بلد يسعى إلى امتلاك أسلحة ذرية على عكس مفاعلات الماء الثقيل التي يمكن أن تستخدم كبديل لتخصيب اليورانيوم في إنتاج مواد الأسلحة النووية. ومن الحوافز الأخرى في العرض الأوروبي الذي طرحت تفاصيله على المسؤولين الإيرانيين في فيينا استئناف اتفاق للتجارة بين إيران والاتحاد الاوربي وضمانات لوقود روسي .

وأوضح دبلوماسيون انه إذا رفضت إيران العرض الأوروبي فان غالبية الدول الأوروبية ستدعم المطالب الأمريكية لإحالة طهران إلى مجلس الأمن الدولي عندما تجتمع الوكالة الدولية للطاقة الذرية في تشرين الثاني (نوفمبر)٢٠٠٧. وشكك المسؤولون الأمريكيون بصفة عامة في جدوى

المفاوضات لأن إيران خرقت تعهدات سابقة قدمتها للأوروبيين. لكن من حيث المبدأ فانهم قد يقبلون أن تبني إيران مفاعلات تعمل بالماء الخفيف. وهددت الولايات المتحدة بالسعي إلى فرض عقوبات من الأمم المتحدة على البرامج النووية لإيران(٤).

في الوقت نفسه جددت الولايات المتحدة الأمريكية التهديد بإحالة ملف إيران النووي الى مجلس الأمن الذي قد يفرض عقوبات على إيران. عَدّ السفير الأمريكي لدى الوكالة الدولية للطاقة بان إيران أظهرت "استهتارها بالمخاوف والدبلوماسية الدولية" عبر رفعها الأختام عن مراكز للبحث النووي. وكان الناطق باسم البيت الأبيض، سكوت ماكيلان، قد قال في ٥ ايار (مايو) ٢٠٠٧ بان "ثمة غالبية واضحة في صفوف المجتمع الدولي لإحالة القضية الى مجلس الأمن في حال لم تحترم إيران التزاماتها". اما روسيا التي تشدد على أسلوب الحوار مع طهران كسبيل لحل الخلاف، فقد عبرت على لسان وزير خارجيتها سيرغي لافروف، عن "قلقها" من المشروع الإيراني لتخصيب اليورانيوم وبأنها ستبذل بالتعاون مع أوروبا جهودا ترمي الى تمديد طهران لفترة تعليق هذا النشاط النووي الحساس، حسب تعبير الوزير الروسي. وكانت موسكو قد اقترحت ــ كحل وسط ــ ان تخصب إيران اليورانيوم على الأراضي الروسية غير ان إيران تتمسك بما تسميه حقها في امتلاك الطاقة النووية للأغراض السلمية.

من جانبها قالت الحكومة الألمانية ان إقدام طهران على ازالة الأختام "لن يمر دون عواقب"، حسب تصريح وزير الخارجية الألمانية، فرانك ــ فالتر شتاينماير. وذكر الوزير أنه سيتشاور مع أقرانه وزراء خارجية دول الترويكا لاتخاذ موقف موحد. وهدد الوزير الألماني بوقف المفاوضات مع إيران. الخطوة الإيرانية كان لها أيضا انعكاسات على الصعيد السياسي الداخلي في ألمانيا. وتطالب إطراف سياسة في برلين بعدم استئناف المفاوضات الأوروبية مع طهران في الوقت الحالي حتى تثبت الدول

الأوروبية بأنها غير مستعدة للقبول بسياسة المراوغة الإيرانية، حسب تعبير المتحدث باسم الحزب المسيحي الديمقـراطي الذي تنتمي إليه المستشـارة الحـالية انجيلا ميركل. وطالب الخبـير السياسـي في الحـزب، اندرياس شوكنهوف، إيران الى الإسراع في تصحـيح الخطأ الذي أدى الى زعزعة الثقة فيها والا فعليها ان تواجه إحالة ملفها الى مجلس الأمن الدولي(٥).

في العام٢٠٠٥ توقفت المفاوضات بين ايران ودول الاتحـاد الاوربـي الثلاث(Eu-3)بشأن انشطة دورة الوقود النووي الحساسة بعد ان حققـت تقدما" طفيفا".وكانت المفاوضات قد تقررت باتفاق بـاريس الذي وقـع في تشرين الثاني(نوفمبر)٢٠٠٤.واستهدفت ايجاد اتفاق مقبول بشكل متبـادل على ترتيبات طويلة الاجل تؤمن ضمانات موضوعية تفيد بان برنامج ايران النووي كان لاغراض سلمية حـصرا" فضلا عن ضمانات صارمة بشـان تعاون نووي وتقاني واقتصادي بين اوربا وايران .وبمقتضى الاتفاق,تعهدت ايران,كتدبير طوعي لبناء الثقة,بتعليق جميع انشطة اعادة المعالجة المرتبطة بالتخصيب,فيما المحادثات جارية.

وخلال ربيع ٢٠٠٥,بقيت نقطة النزاع الرئيسة في المفاوضات مستقبل برنامج التخصيب الايراني.واصرت الدول الاوربـية الثلاث(Eu-3)على قبول ايران وقف البرنامج بصورة تامة ودائمة.وقالت ان هذا كان الضمانة الموضوعية الوحـيدة الدالة على ان انشـطة ايران النووية كانت لاغراض سلمية حصرا".وفي الوقت نفسه اعترفت بحق ايران في تطوير طاقة نووية وتعهدت بتسهيل وصول ايران الى تقانة ووقود نوويين.وتضمن ذلك وعدا" بدعم امتلاك ايران مفاعلا للابحاث يعمل بـالماء الخفيف ليكون بـديلا عن مفاعل الماء الثقيل الذي يجري انشاؤه في اراك.

الا ان المسؤولين الايرانيين رفضوا صراحة المطلب الاوربي المتعلق بوقف دائم لبرنامج تخصيب اليورانيوم.وقـال هؤلاء ان الدول الاوربـية الثلاث,(Eu-3)وافقـت في اتفاق بـاريس على ان تعليق ايران لانشـطة

التخصيب كان اجراء مؤقتا".وشددوا ايضا" على ان ايران,كدولة غير نووية مشاركة في معاهدة,(NPT)كانت مخولة شرعا" تطوير منشآت وقود نووي حساسة,بما فيها تخصيب اليورانيوم,كجزء من برنامج نووي مدني.وصرح مسؤولون ايرانيون مرارا"بان ايران ستستانف انشطة التخصيب,مع ضمانات ملائمة تتعلق بغرضها السلمي,حالما يتم حل ماتبقى من مسائل الضمانات.[١]

وفي ٣ايار(مايو)٢٠٠٥اقترحت ايران اطارا"عاما"من اربع مراحل لحل الخلاف النووي.وتضمن الاقتراح الايراني السماح لايران باستئناف العمليات في منشاة تحويل اليورانيوم(UCF)في اصفهان وبدء تجميع وتركيب واختبار ٣٠٠٠جهاز طرد غازي في معمل التخصيب على النطاق التجريبي في ناتانز.وفي الوقت نفسه ستطبق ايران اجراءات اضافية للشفافية وبناء الثقة تتجاوز الاجراءات التي عهدها اليها برتوكولها الاضافي للضمانات,وذلك لتوفير ضمانات موضوعية بشأن الطبيعة السلمية لما تقوم به من انشطة تخصيب,وتعهدت ايران بان تحول اليورانيوم المخصب كله الى قضبان وقود على الفور للحيلولة دون امكانية تقنية لمزيد من التخصيب,والمصادقة على البروتوكول الاضافي مع الاستمرار في التقيد ببنود البروتوكول قبل سريان مفعوله,والسماح بحضور مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية (IAEA)الى مواقع في منشات اصفهان وناتانز,والالتزام بامتلاك دورة وقود نووي مفتوحة(أي دورة لاتتضمن اعادة معالجة بلوتونيوم).

في المقابل,توافق الدول الاوربية الثلاث(EU-3)على بيع مفاعلات طاقة نووية تعمل بالماء الخفيف لايران,وتوفير ضمانات حازمة بخصوص الامداد بوقود مفاعل نووي لاتمام الانتاج المحلي الايراني ,وتخفيف انظمة مراقبة الصادرات على بيع ايران تقانة متطورة,وفتح مجال اوسع لدخول سلع ايرانية الى سوق الاتحاد الاوربي.فضلاً عن ذلك,دعا الاقتراح الايراني

الى انشاء قوى مهمة مشتركة تعنى بمقتضيات التعاون والدفاع الاستراتيجيين فضلاً عن التزام مشترك بالمبادىء التي تحكم العلاقات بين ايران والاتحاد الاوربي.

سارع المفاوضون الاوربيون الى رفض الصفقة المركزية في الاطار المقترح,أي ان يسمح لايران بالحفاظ على قدرة محدودة على تخصيب اليورانيوم لقاء اجراءات شفافية تطفلية جديدة.ورفض هؤلاء المفاوضون التحول عن موقفهم القائل ان على ايران وقف جميع انشطتها المتعلقة بالتخصيب وقفا" دائما",بما في ذلك تحويل اليورانيوم.وادى الرد الاوربي الرافض للمقترح الايراني الى اعلان طهران بان الدول الاوربية الثلاث(EU-3)كانت تطيل المفاوضات كي تبقي تعليق التخصيب الايراني ساريا" لمدة كافية لجعل وقفه الدائم امرا" واقعا".[٧]

ردت الدول الاوربية الثلاث(EU-3)في ٥اب(اغسطس)٢٠٠٥,باقتراح اطار لاتفاق طويل الآجل مكون من رزم مترابطة من الحوافز المتعلقة بالطاقة النووية والتعاون التقاني وبمسائل سياسية وامنية.اشتمل الركن الاساسي للاطار على ضمانات لايران تتيح لها حق الوصول الى خدمات وقود نووي دولية باسعار السوق.وتتالف هذه الضمانات من العناصر الاتية:آلية خاصة مشتركة بين ايران والدول الاوربية الثلاث(EU-3)تستخدم في حال عجز مزود متعاقد معه عن توفير وقود نووي لايران لاسباب غير تجارية,ومخزون مؤقت من الوقود كاف لاستمرار التوريدات بالمعدل المتعاقد عليه لمدة خمسة اعوام,مع وضعها في بلد ثالث مقبول من كلا الطرفين,وتعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية,(IAEA)لتطوير مقاربات جديدة متعددة الاطراف بشان دورة الوقود النووي.فضلاً عن ذلك,تعهد الدول الاوربية الثلاث(EU-3)بدعم امتلاك ايران مفاعلا للابحاث وان تتعاون مع ايران في مجالات السلامة والامن النوويين.

بالمقابل,دعا الاقتراح الاوربي الى قيام ايران باتخاذ سلسلة خطوات ,نها

ان تقطع على نفسها التزاما"ملزما" بعدم متابعة انشطة وقود نووي تتعدى بناء وتشغيل مفاعلات طاقة و ابحاث عاملة بالماء الخفيف,وان تلتزم بتعاون وشفافية كاملين مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية(IAEA) لحل مسائل الضمانات الباقية كلها والمصادقة على البروتوكول الاضافي بحلول نهاية العام٢٠٠٥,وان تقطع على نفسها التزاما" ملزما قانونا" بعدم الانسحاب من معاهدة(NPT)وبقاء جميع المنشآت النووية تحت سلطة ضمانات وكالة الطاقة الذرية,وان تعد باعادة الوقود المستهلك كله الى المورد الاصلي بعد فترة التبريد الدنيا اللازمة لنقله بصورة آمنة,وان تتوقف عن بناء المفاعل المخطط له,والعامل بالماء الثقيل في اراك.

وفيما يتعلق بالمسائل السياسية والامنية,دعا الاقتراح الاوربي الى تعاون معزز في مجال مكافحة الارهاب,وبرامج مشتركة لمحاربة انتاج المخدرات وتهريبها,وتأسيس حوار حول الامن الاقليمي بين ايران والاتحاد الاوربي.وفي مضمار التقانة والتعاون الاقتصادي,اكد الاقتراح على الدعم الاوربي لانضمام ايران الى منظمة التجارة العالمية,ودعا الى التعاون في مختلف المجالات.

ردت ايران برفض الاقتراح الاوربي على الفور,ووصف الرئيس الايراني محمود احمدي نجاد الاقتراح الاوربي بانه(اهانة للامة),في حين وصف المفاوضون الايرانيون الاقتراح بانه سعى الى(وضع معايير تمييزية وغير موضوعية وبلا اساس)تفضي الى تفكيك معظم بنية ايران التحتية النووية.

فضلاً عن ذلك انه لايتضمن أي (التزامات مؤكدة) بتعاون اقتصادي وتقاني مع ايران, ماعدا تكرار (لاقوال مجددة غامضة وشرطية ومجتزاة) لاقتراحات سابقة. ودلت لهجة ايران القاسية لدى رفضها الاقتراح على ان الفريق المفاوض الجديد الذي اختاره احمدي نجاد مقصود به سلوك مقاربة تجاه المحادثات النووية مع الدول الاوربية الثلاث(EU-3) تكون اكثر

تشددا" من سابقته.وقام احمدي نجاد والأمين الجديد لمجلس الامن القـومي الاعلى علي لاريجاني كلاهما بالتنديد بالمفاوضات خلال حملاتهما وصولا" الى انتخابات حزيران(يونيو) ٢٠٠٥ الرئاسية . وبصورة اعم , قال بـعض المحللين ان هناك اعتقادا" متناميا" داخل القيادة الايرانية مفاده ان الايرانيين يفاوضون من موقع القوة في وجه الولايات المتحدة وحـلفائها , الامر الذي يتيح لهم ان يكونوا اكثر صراحة في السعي لاهدافهم"(٨).

وكانت المقترحات المرفوضة قـد تضمنت أيضًا عقـد محـادثات في ٣١منه، وأثار الرفض الايراني غضب الاتحاد الأوربي والولايات المتحدة وخصوصابعد استئنافها عملية تحويل اليورانيوم في منشـأة بـأصفهان في الثامن من آب(أغسـطس) ٢٠٠٥، وهي خطوة تحـضيرية لتخصيب اليورانيوم.

بالمقابل ألغت الدول الاوربية الثلاث EU-3 المباحثات التي كان مقررًا إجراؤها مع إيران بشأن برنامجها النووي في ٣١اب(أغسـطس) ٢٠٠٥، مما اشار إلى احتمال انهيار المفاوضات التي اسـتمرت على مدى العامين الماضيين مع طهران لوقف أنشطتها النووية الحساسة.وقال جان بابتيسـت ماتي المتحدث باسم وزارة الخارجية الفرنسية في٢٣اب(اغسطس)٢٠٠٥: إن المباحثات بشأن اقتراح أوربي رسمي طرح في وقت سابق هذا الشـهر، لن تعقد في الموعد المقرر؛ لأن إيران استأنفت بعض الأنشطة النووية التي وعدت بتجميدها طوال فترة المباحثات. وذكر ماتي في بيان للصحفيين "لن يكون هناك في الواقع لقاء للتفاوض يوم ٣١اب(أغسـطس)؛ لأن الإيرانيين قرروا تعليق تطبيق بنود اتفاق باريس".وأضاف: "ومن ثَم فبـناءً على اتفاق مشترك بين القوى الأوربية الثلاث من الواضح أنه لن يعقد لقـاء تفاوض... ما دام الإيرانيون مستمرين في عدم الالتزام باتفاق باريس ."

وعلى الرغم من إلغاء المحادثات الا انه، قال: إن الدول الأوربية الثلاث ما زالت على اتصال مع إيران.وأضاف "هذا لا يعني أنه لن تكـون هنـاك

اتصالات مع الإيرانيين... نحن نجري اتصالات معهم فالدول الأوربية الثلاث لديها سفارات هناك". وكانت الوكالة الدولية للطاقة الذرية التابعة للأمم المتحدة دعت إيران إلى وقف الأنشطة النووية الحساسة، وكان المقرر أن يقدم مدير الوكالة محمد البرادعي تقريرًا عن أنشطة إيران في الثالث من ايلول(سبتمبر) ٢٠٠٥وكان واضحا أن أوربا والولايات المتحدة تضغطان على الوكالة لإحالة ملف إيران إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الذي يملك صلاحية توقيع عقوبات عليها، في حال إذا استمرت إيران في تحدي الضغوط الدولية.ورد المسؤولون الإيرانيون على هذه الضغوط الدولية بقولهم: إنهم لن يعلقوا العمل مرة أخرى في منشأة أصفهان. وكانت إيران قد أوقفت طوعًا كل الأنشطة المتعلقة بإنتاج الوقود النووي أثناء التفاوض على اتفاق دائم مع الاتحاد ، وفقًا لاتفاق باريس الذي تم التوصل إليه في تشرين الثاني(نوفمبر) ٢٠٠٤. [٩]

وبعد مفاوضات مكثفة على مستوى وزراء الخارجية إتفقت مجموعة الستة في حزيران ٢٠٠٦ على تقديم عرض لإيران يتضمن الطلب منها تنفيذ مطالب الوكالة جميعها مقابل تعهد مجموعة الستة بإتخاذ خطوات للتطبيع السياسي والإقتصادي والفني مع إيران ومن ذلك سحب ملف إيران النووي من مجلس الأمن ومساعدة إيران في الإنضمام لمنظمة التجارة العالمية والسماح لها بتحديث إسطولها الجوي المدني وتحديث صناعة النفط والغاز فيها ومساعدتها في الحصول على مفاعلات نووية تعمل بالماء الخفيف . وفي حالة عدم تنفيذ إيران لمطالب الوكالة فإن الدول الست ستتخذ مجموعة إجرءات عقابية منها قيام مجلس الأمن بفرض حظر على صادرات السلع والتكنولوجيا ذات العلاقة ببرامج إيران النووية والصاروخية وتجميد أرصدتها في الخارج ومنع سفر المسؤولين الإيرانيين عن برنامج إيران النووي ، فضلاً عن إجراءات سياسية وإقتصادية أخرى

وأجابت إيران على المبادرة بالقول أنها تحتوي على بعض العناصر

الإيجابية كما تحتوي على عناصر غامضة ، وذكرت أنها ستقدم جوابها على المبادرة في ١٩ اب(اغسطس)٢٠٠٦، وهو ما عَدَّه بعض أعضاء مجموعة الستة محاولة للمماطلة والتسويف ، وكانت الإتصالات مستمرة بين مجموعة الستة وإيران لتسريع إجابة إيران على المقترح.[١٠]

وقال مفوض الشؤون الخارجية في الاتحاد الاوربي خافير سولانا ان ايران لم توافق على تعليق اكثر نشاطاتها النووية حساسية على الرغم من مرور اربعة شهور من المحادثات,واضاف ان الوقت بات ينفذ امام امكانية فرض عقوبات.

وكان سولانا يتحدث امام لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان الاوربي حيث قال ان الحوار مع ايران لايمكن ان يستمر الى الابد وان على ايران ان تقرر ان كانت تريد الاستمرار في المحادثات على اساس مطلب الامم المتحدة بتعليق تخصيب اليورانيوم.وقال سولانا:"حتى هذا اليوم لم تلتزم ايران بتعليق التخصيب,وان الامر متروك للايرانيين ليقرروا ان كان وقت المحادثات قد نفد,وفي هذه الحالة سنلجأ الى الحل البديل(استصدار قرار من الامم المتحدة لفرض العقوبات).

وقد فشل سولانا في التوصل الى اتفاق مع مسؤول الملف النووي على لاريجاني بشان طموحات طهران النووية.وكانت جولة المباحثات تعد الفرصة الاخيرة قبل اعتماد العقوبات على ايران لعدم استجابتها لقرار مجلس الامن الذي طلب منها تجميد عمليات تخصيب اليورانيوم.بحلول أب(اغسطس) ٢٠٠٦ .

في الوقت نفسه اقترح احد كبار المسؤولين الايرانيين ان تراقب فرنسا انشطتها النووية عن طريق شركة للوقود النووي داخل ايران,اذ اقترح محمد سعدي نائب مدير الوكالة الايرانية للطاقة النووية قيادة فرنسا لمشروع"كونسورتيوم"لانتاج اليورانيوم المخصب في ايران,وعَدّ إن ذلك قد يشكل حلا للازمة الدائرة حول البرنامج النووي الايراني,مضيفا انه سيتيح

لفرنسا فرصة مراقبة النشاطات النووية الايرانية.الا ان الخارجية الفرنسية. رفضت التعليق على ذلك.[١١]

وفي ٦كانون الثاني(يناير)٢٠٠٧,حث الرئيس الفرنسي جاك شيراك ايران على تعليق انشطتها النووية كي تستعيد ثقة المجتمع الدولي,واضاف ان من شان هذه الخطوة ان تنشأ شراكة جديدة تدعم الاستقرار في المنطقة,واضاف ان تعليق الانشطة النووية ليتزامن مع بداية المفاوضات التي يسعى اليها المجتمع الدولي سيفتح ابواب التعاون وشراكة جديدة تخدم الاستقرار والسلام والازدهار في المنطقة باسرها دون المساس بخيارات ايران السياسية[١٢].

وقالت كريستينا جالاتش المتحدثة باسم مسؤول السياسة الخارجية بالاتحاد خافيير سولانا إن الخطوة الإيرانية تعد انتهاكاً لاتفاق باريس. وأضافت : "نحن قلقون للغاية ويجري التشاور" بين أعضاء الاتحاد لتنسيق الرد. الرئيس الفرنسي جاك شيراك حث من جانبه إيران على الحفاظ على التزاماتها المتعلقة ببرنامجها النووي مشيرا الى انها "سترتكب خطأ فادحا" إذا لم تتعاون مع المجتمع الدولي. وحذر شيراك ايران وكذلك كوريا الشمالية من ارتكابهما "خطأ فادحا" لو انهما "لم تقبلا اليد التي نمدها إليها"، حسب تعبيره. إما لندن فقد أدانت خطوة إيران واعتبرتها تهديد للمفاوضات مع دول الترويكا الأوروبية، ألمانيا، وبريطانيا وفرنسا. وقال متحدث باسم وزارة الخارجية البريطانية ان "هذا تطور سلبي للغاية ويهدد بشدة عملية التفاوض"، مشيرا الى ان الدول الثلاث ومكتب مسؤول الشؤون الخارجية بالاتحاد الأوروبي على اتصال وثيق متوقعا ان يبحث وزراء خارجية هذه الدول الخطوة التالية[١٣]

رابعا,امكانية الخيار العسكري.

فقد رفض المستشار الالماني غيرهارد شرودر التهديد باللجوء للقوة. العسكرية ضد ايران بعد ساعات من قول الرئيس الاميركي جورج بوش إنه

قد يلجأ لها كوسيلة أخيرة للضغط على طهران من أجل التخلي عن برنامجها النووي. وقـــــال شـــــرودر أمام ١٠ آلاف من أنصاره في هانوفرفي اب(اغسطس)٢٠٠٥, انه سمع لتوه بشأن احتمال استخدام القــوة ضد إيران بسبب برنامجها النووي. واوضح »يجب استبعاد الخيار العســكري تماما.. لقد اختبرناه وتأكدنا من فشله«.«[١٤].

كما استبعد وزير الخارجية البـريطاني جاك ســترو في حــديث له في ١٩نيسان(ابريل)٢٠٠٦,ان تشن الولايات المتحدة ضربــة عســكرية ضد ايران بسبب برنامجها النووي.وسئل سترو عن موقف بــريطانيا في حـــال قررت واشنطن مهاجمة ايران فأجاب "لن اناقــش فرضيات لا اعتقــد انها ستحدث". جاءت تصريحات سترو في مؤتمر صحافي مع نظيره السعودي الامير سعود الفيصل وذلك خلال افتتاح مؤتمر ســعودي ــ بــريطاني في الرياض

ويأتي كلام الوزير البــريطاني بـــعد يوم من اعلان الرئيس الامريكي جورج بوش ان الخيارات كلها مفتوحة للتعامل مع ازمة البــرنامج النووي الايراني.و قال سترو ان محاولات ايران للفصل بــين الولايات المتحــدة وحـــلفائها اعطت نتائج عكســية.واضاف" عند كل مرحـــلة كان الايرانيون يعتقدون انهم يستطيعون شق المجتمع الدولي، لكنهم انتهوا ببساطة الى توحيد المجتمع الدولي بشكل اكبر في مسعاه لضمان الالتزام الكامل من الايرانيين". وقال سترو ان ايران اظهرت مؤشرات على الاستجابة للضغط الدولي في ما يتعلق ببرنامجها النووي.لكنه شكك في احتمال استجابة طهران للموعد الذي حدده مجلس الامن لوقف تخصيب اليورانيوم.[١٥]

وتميز خريف ٢٠٠٦بمناقشات مطولة بــين دول (٥+١)(الدول الخمس الدائمة في مجلس الامن والمانيا)بشان كيفية الرد على تحدي ايران للقـــرار ١٦٩٦ الذي اتخذ في تموز (يوليو)٢٠٠٦,والذي طالب بــان تقـــــوم ايران بحلول ٣١اب(اغسطس)٢٠٠٦ بتعليق جميع النشاطات المتعلقة بـــتخصيب

اليورانيوم واعادة معالجة البلوتونيوم,وهي الانشطة الخاضعة للتحقــق من قبل الوكالة الدولية للطاقة الذرية.(IAEA)وعلى الرغم من وجود توافق عام على وجوب ان يتخذ مجلس الامن اجراء ضد ايران,الا ان الخلافات كانــت واضحة بين الاطراف المختلفة فالولايات المتحدة دعت الى فرض عقوبات تجارية واقتصادية شاملة بــهدف عزل ايران .وفي المقابـــل,فضلت الصين وروسيا,والبلدان الاوربـــية الثلاث بـــدرجة اقل,سلســـلة اكثر تحـــديدا من اجراءات منخفضة المستوى,كخطوة اولى على الاقــل تجاه تعزيز ســلطة مجلس الامن.

واخيرا,في٢٣كانون الاول(ديسمبر)٢٠٠٦اتخذ مجلس الامن بالاجماع القـــرار١٧٣٧ بــــموجب المادة٤١ من الفصل السابــــع من ميثاق الامم المتحدة.وكان القرار,الذي رعته البلدان الاوربية الثلاثة,مستندا الى مشروع قدم في تشرين الاول (اكتوبر) وعدل مرات عدة بعد صدور اعتراضات من الصين وروسيا.وعبـــر القــــرار عن عزم مجلس الامن على(اقـــناع ايران بالامتثال للقرار ١٦٩٦ ولمتطلبات الوكالة الدولية للطاقة الذرية،وايضا على كبــــح تطوير ايران لتكنولوجيا حساســــة داعمة لبــــــرامجها النووية والصاروخية).وطلب من الدول الاعضاء في الامم المتحـــــــدة ان (تتخذ الاجراءات الضرورية لمنع توريد او بيع او نقل مباشـــر او غير مباشـــر) لتشـــكيلة من المفردات التي يمكنها ان تســـاهم في بــــرامج ايران الخاصة بالتخصيب او بمفاعل الماء الثقيل فضلا عن تطوير انظمة ايصال اسلحـــة نووية كالصواريخ البالستية.وقـــــد وضعت المفردات ذات الصلة في لوائح متعددة اشار اليها القرار.

وسارعت ايران الى رفض قرار الامم المتحـــدة بوصفه(بـــاطلا)و(غير مشروع).وبانتهاء العام٢٠٠٦,اعلنت ايران انها ستبـــدأ العمل على تجميع وتركيب الـــ ٣٠٠٠ جهاز طرد مركزي لليورانيوم في ناتانز.وهددت ايضا

بـــاتخاذ اجراء غير محـــدد لتقـــليص تعاونها مع الوكالة الدولية للطاقـــــة الذرية[16](IAEA)

وفي ٦شباط(فبراير)٢٠٠٧, استبعد رئيس الوزراء البريطاني توني بلير التكهنات التي تشير الى التحضير لتوجيه ضربة عسكرية ضد ايران.وقـــال بلير امام لجنة برلمانية انه برغم ان هذا الاحـــتمال لم يستبـــعد الاانه لاتوجد حاليا خطة للتدخل عسكريا ضد ايران,وفي الوقت ذاته اتهم بلير ايران باتباع. استراتيجية تهدف الى وصول التوتر في الشرق الاوســـط الى اقـــصى مدى فضلاً عن محاولة اشعال نيران الطائفية والصراع في المنطقة.

وتاتي تصريحات بلير بعد تحذير من ثلاثة من كبار الضباط الامريكيين المتقـــاعدين ادارة الرئيس الامريكي جورج بـــوش من مغبـــة شـــن هجوم عسكري على ايران.وقال الضباط المتقاعدون ان سلوك طريق الحرب ضد ايران سيكون له"عواقب وخيمة"بالنسبة للامن في الشرق الاوسط ولقـــوات التحالف العاملة في العراق.واضاف الضبـــاط ان الازمة الراهنة المتعلقـــة ببرنامج ايران النووي يجب ان تحل بالسبل الديمقراطية,وحـــثوا واشـــنطن على الشروع في مفاوضات مباشرة مع طهران.

والضباط الثلاثة ,اللواء روبرت جارد المعاون العسكري السابق لوزير الدفاع والفريق جوزف هور القائد العام السابق للقـــيادة العسكريةالوســـطى. ومساعد الادميرال جاك شانا هان المدير السابق لمركز المعلومات الدفاعية ,وقد شرحوا ذلك في رسالة نشرتها صحيفة تايمز البريطانية.

وجاء في الرسالة:"نحن باعتبـــارنا من القـــادة العســـكريين الامريكيين السابقين,نحذر بشدة من مغبة استخدام القوة العسكرية ضد ايران" لان سلوك هذا الدرب سيزيد الاوضاع الاقليمية والدولية تازما.وتضيف الرسالة:"بينما سيكون من شان اعتماد استراتيجية مبنية على التواصل البلوماسي مع ايران خدمة مصالح الولايات المتحدة وبريطانية,اضافة الى تعزيز الامن الاقليمي

والدولي",و"بامكان الحكومة البريطانية الاضطلاع بدور حيوي وذلك ببلورة الجهد الدبلوماسي المطلوب,والتاكيد على معارضة اللجوء للحل العسكري"[١٧].

وفي رسالة مفتوحة الى الرئيس الأمريكي جورج بوش حذر وزير الخارجية الألماني السابق يوشكا فيشر ووزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مادلين اوربرايت ومعهما وزراء خارجية سابقون من فرنسا وبولندا وهولندا الإدارة الأمريكية من التداعيات الأمنية المترتبة على القيام بشن حرب على إيران. ووجه الوزراء الرسالة عبر مقالة نشرت باسمهم في النسخة الدولية من صحيفة "هيرالد تربيون". وقالوا في الرسالة: "هناك شك كبير في أن تتمكن عمليات قصف جوي من تدمير كافة المفاعلات النووية الإيرانية." ويرى الوزراء ان الوضع الحالي يشابه كثيرا الظروف التي سبقت الحرب على العراق، محذرين في الوقت نفسه من امكانية عدم قدرة الناتو على تحمل هزة جديدة كتلك التي حدثت ابان حرب العراق. ويعتقد الساسة السابقون أن الدول الغربية ستدفع ثمنا باهظا اذا ما أقدمت على اختيار الحل العسكري للصراع: "ان الامر هنا يتعلق بالأمن والاستقرار الدوليين، ان مهاجمة ثاني اكبر دولة مصدرة للنفط سيدفع اسعار النفط الى القفز الى مستويات خيالية."[١٨].

وكانت تصريحات الرئيس محمود احمدي نجاد حول ازالة اسرائيل , قد اثارت موجات متعاقبة من ردود الأفعال الدولية حيث أدانت دول الاتحاد الأوروبي بأشد العبارات تلك التصريحات وقامت دول الاتحاد باستدعاء للسفراء الإيرانيين في أنحاء أوروبا للاحتجاج. والولايات المتحدة من ناحيتها لم تفوت الفرصة لإدانة التصريحات ووصم النظام الإيراني بأنه نظام خارج عن القانون وأنه يدعم الإرهاب كما جاء على لسان الرئيس الأميركي. وأدان مجلس الأمن كذلك التصريحات الإيرانية. إسرائيل من

ناحيتها لم تفوت الفرصة فبدأت بحملة تحريض دولية ضد إيران لطردها من الأمم المتحدة بحجة أنها تملك أسلحة نووية وتشكل تهديداً ليس لإسرائيل فقط بل للأمن والسلم الدوليين. الحقيقة لقد أظهرت ردود الفعل الدولية المتوالية والمستنكرة لتصريحات الرئيس الإيراني حجم التأثير الإسرائيلي في السياسات الدولية والتعاطف والتأييد الدولي لها[١٩].

كما أثارت تصريحات الرئيس نجاد التي قال فيها ان محارق النازيين ضد اليهود أسطورة مختلقة حالة استياء جديدة في بقاع مختلفة في العالم. وقالت دول اوروبية ان من شأنها الاضرار بجهود الاتحاد الاوروبي لحل النزاع بشأن برنامج طهران النووي. وعاد نجاد لتأكيد تصريحاته التي أدلى بها ، اذ قال انه يشك في مقتل ستة ملايين يهودي في المحارق النازية. وقال أحمدي نجاد أمام حشد في مدينة زاهدان بجنوب شرق ايران "لقد اختلقوا أسطورة أسمها /مذبحة اليهود/ ووضعوها في مكانة أعلى من الله ذاته ومن الدين ومن الانبياء أنفسهم." وكانت هذه التصريحات قبيل الاجتماع المزمع عقده يوم ٢١ كانون الاول(ديسمبر)٢٠٠٦ بين مفاوضين من ألمانيا وفرنسا وبريطانيا من جهة ومن ايران من جهة اخرى لمناقشة الملف النووي الايراني.

وفي برلين قال وزير الخارجية الالماني ان تصريحات الرئيس الايراني محمود احمدي نجاد حول المحارق اليهودية ربما تضر بجهود الاتحاد الاوروبي لحل النزاع بشأن طموحات طهران النووية. وقال وزير الخارجية فرانك فالتر شتاينماير للصحفيين قبل اجتماع للجنة الشؤون الخارجية بالبرلمان "التصريحات الاخيرة للرئيس الايراني... من المؤكد انها تسبب صدمة وغير مقبولة." وقال "لا يمكنني ان انكر انها تترك اثارها على علاقاتنا الثنائية وبالطبع على فرص المفاوضات بشأن ما يطلق عليه ملف ايران النووي." وقال ان الحكومة ستبحث تصريحات احمدي نجاد بشكل

جاد. واضاف ان نفي المحارق جريمة في المانيا. أما المتحدثة باسم المفوضية الاوروبية ايما أودوين فقد قالت "ان مثل هذا التدخل لن يؤدي الى اعادة بناء الثقة في نوايا ايران." ووصفت تصريحات أحمدي نجاد بشأن محارق اليهود بانها "غير مقبولة على الاطلاق". وقالت بولندا انها قلقة للغاية بشأن تشكيك رئيس دولة عضو في الامم المتحدة في حق دولة اخرى في الوجود. وقالت وزارة الخارجية البولندية في بيان "في بولندا حيث ارتكب النازيون جريمة المحارق فان تصريحات الرئيس الايراني تسبب مزيدا من الغضب." وقالت النمسا أيضا انه من غير المقبول التشكيك في حق اسرائيل في الوجود[٢٠].

اتفقت دول الاتحاد الأوروبي السبع والعشرين وبعد سلسلة من المداولات حول الملف النووي الإيراني وعلى مستوى وزراء الخارجية في. شباط(فبراير)٢٠٠٧,على ترك باب الحوار مفتوحا مع إيران ودعوة طهران الى الاستمرار في التفاوض مع الجانب الأوروبي حول برنامجها النووي مع ضرورة الامتثال الى مطالب مجلس الامن الدولي بوقف أنشطة التخصيب.وقال مصدر في المجلس الوزاري الأوروبي في بروكسل ان الدول الأوروبية ابدت رغبة في عدم قطع الحوار القائم بينها وبين ايران على الرغم من تاثره في الآونة الأخيرة.وأقرت مقابل ذلك بنقل ومطابقة بنود القرار رقم ١٧٧٣ الصادرعن مجلس الامن على تشريعاتها الوطنية و هو القرار الذي ينص على عدد معين من الإجراءات الخاصة بعرقلة نقل التكنولوجيا ذات الأغراض الذرية لإيران من جهة و تشديد الرقابة على آلية تمويل الأنشطة النووية وحركة تنقل الأموال من جهة اخرى.واكد المصدر الأوروبي ان الخطوات الأوروبيةالمعلنة ستضل ضمن اطار القرار الدولي وان الية تنفذ التوصيات الصادرة اليوم قد تستغرق أسبوعا واحدا اضافياً على الاقل.وكان مجلس الامن الدولي اعتمد في شهركانون

الاول(ديسمبر) ٢٠٠٦ القرار قم ١٧٧٣ الخاص بالتعامل مع الملف النووي الايراني وحدد مجلس الامن تاريخ ٢١ شباط(فبراير)٢٠٠٧ , كحد اقصى لوقف انشطة التخصيب الإيرانية قبل الدخول في مرحلة جديدة .وأجرى منسق السياسة الخارجية الأوربية خافير سولانا لقاء في ميونيخ مع كبير المفاوضين الإيرانيين علي لاريجاني ولكنه رفض الإفصاح عن نتائجه مكتفيا بالقول انه كان بناء.وتدور العديد من المضاربات بشان حقيقة الموقف الأوروبي في الفترة الحالية.

وفيما تتحدث بعض المصادر عن سعي دبلوماسي للوساطة تقوم به سويسرا بين الدول الغربية وإيران رفضت المصادر الأوروبية التعليق على هذا الأمر او نفيه.[٢٢].

شهدت هذه المرحلة توسيع دول الاتحاد الاوروبي السبع والعشرين من دائرة الاجراءات القسرية المتخذة ضد ايران في اطار ادارة الملف النووي الايراني.واعتمد وزراء الخارجية الاوربيون المجتمعون في لكسمبورغ في٢٣نيسان(ابريل)٢٠٠٧, توصية تقضي باضافة عدد من الاشخاص والجهات ذوي العلاقة بالملف النووي الإيراني من مسؤولين وخبراء وتقيين ومسؤولين في جهاز الحرس الثوري الإيراني الى القائمة الاولية التي تم الاتفاق عليها عند صدور قرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٧٣٧ في كانون الاول(ديسمبر) ٢٠٠٦ .

وبمقتضى الإجراء الأوروبي فان القائمة الجديدة باتت تشمل ١٥ شخصا وثلاث عشرة مؤسسة إيرانية.وسيحضر الاتحاد الاوروبي عبر هذه الاجراءت التي تتجاوز في مفعولها نطاق اجراءات الامم المتحدة على المصنفين في القائمة الجديدة دخول الاراضي الاوربية وسيتم حظر ودائعهم وودائع المؤسسات المعنية.وقرر الوزراء الأوروبيين أيضا البدء في تنفيذ ما ورد في القرار رقم ١٤٤٧ الصادر عن مجلس الامن يوم ٢٤اذار

(مارس) ٢٠٠٧ والذي ينص على فرض حظر على مشـــتريات ومبـــيعات الاسلحة لايران.وقــال مصدر دبلوماســي في بروكســل ان التنفيذ الفعلي والنهائي للاجراءات الجديدة ضد ايران يستوجب بعض الخطوات التشريعية الاضافية والتي من المتوقـــع اتخاذها هذه المرة بشـــكل اســرع مما تم في السابق.ولكن الأوســاط الأوروبــية تعول على اللقـــاء المعلن بــين كبــير المفاوضين الإيرانيين علي لاريجاني ومنسق السياسة الخارجية الأوروبــية خافير ســولانا في انقـــرة لتجنب مواجهة جديدة مع إيران والعودة الى مائدة المفاوضات[٢٢].

المبحث الثاني, ايران والوكالة الدولية للطاقة الذرية.(IAEA)

يوضح تطور الضمانات للوكالة الدولية للطاقة الذرية,(IAEA)انه في معظم فترات الحرب الباردة كانت فرص اجراء التحقق مقــيدة بواقـــع ان الخصوم لم يكونوا في وضع يمكنهم من فرض الامتثال.واثبـــــــت تداول اجراءات التحقق انه حجر عثرة امام الحـــد من الاسلحـــة الثنائي والمتعدد الاطراف.وحتى عندما تم تطوير اجراءات تحقق من اجل الحد من اسلحـــة الحرب الباردة,لم يكن في وسع الضمانات الا ان تكون محدودة المدى.ومع ان الضمانات توصف احيانا بـــانها الية التحقـــق لمعاهدة,(NPT)فان هذا الوصف ليس دقيقا".فمفهوم الضمانات سابق على المعاهدة وقد طبـــق اول مرة في اوربـــا ضمن اطار معاهدة١٩٥٧التاســـيس وحـــدة الطاقـــة الذرية الاوربية(معاهدة يوراتوم(EURATOMو المادةااامن معاهدة(NPT)تحوي مطلب ان تتعهد كل دولة غير نووية هي طرف في المعاهدة ان تســـــــــلم بالضمانات,كما هي مبينة في اتفاق يتم التفاوض بشـــانه ويبـــرم مع الوكالة الدولية للطاقـــة الذرية(IAEA)وفقـــــا"للنظام الداخلي لها ولنظام الوكالة للاجراءات الوقائية,من اجل الغرض الحصري الذي هو التحقق من انجازها لإلتزماتها التي اخذتها على عاتقها بموجب هذه المعاهدة بقصد منع تحـــويل

الطاقة النووية عن الاستعمالات السلمية الى اسلحة نووية او الى اجهزة متفجرة نووية اخرى.

ولهذا يمكن القول بان الضمانات الشاملة هي الوسائل التي تتحقق بها الوكالة الدولية من البيانات التي تصرح بها الدول عن مواردها وانشطتها النووية,ولذلك,فانها محدودة في المعلومات التي تستطيع تقديمها من حيث انها تنطبق فقط على المواد المعلنة من قبل الدولة موضوع الضمانات.وايضا"ليس هناك في معاهدة(NPT)مايلزم الدول النووية بتطبيق ضمانات على الاطلاق,بما في ذلك انشطتها النووية المدنية,وتنتقد معاهدة(NPT)في انه لم يجر توطيد معيار تحقق اثنين من ابرز اعمدتها وهما الحق في المادةIV في الاستخدام السلمي للتقانة النووية,والتزام الدول النووية في المادةVIبالسعي باخلاص لتحقيق نزع السلاح.

وبعد عام١٩٩٣تم انجاز نظام جديد للضمانات تجسد في بروتوكول اضافي نموذجي لاتفاقات ضمانات ثنائية,ويصف البعض جوهر البروتوكول الاضافي كاعادة تشكيل لنظام الضمانات,والانتقال من نظام كمي مركز على تعليل كميات معروفة من المواد ومراقبة انشطة معلنة,الى نظام نوعي يقصد جمع صور شاملة لانشطة نووية واخرى لها صلة بالشأن النووي في دولة ما,بما في ذلك صادرات وواردات متعلقة بالموضوع النووي.كما ان البروتوكول الاضافي يوسع قدرة الوكالة الدولية للطاقة الذرية على تقصي منشآت نووية سرية بمنح الوكالة سلطة زيارة أي منشاة(معلنة او غير معلنة)وتحري مسائل تتعلق بما تعلنه دولة ما عن انشطتها النووية او تحري التقلبات في ما تعلنه هذه الدولة.[٢٣]

لقد أثار البرنامج النووي الإيراني شكوك بعض الدول ، لكن الجميع كان مشغولا بنزع أسلحة العراق المزعومة . وفي أواسط عام ٢٠٠٢ أعلنت الولايات المتحدة وجود موقعين في إيران يقومان بأنشطة نووية لم تعلن

إيران عنهما للوكالة الدولية للطاقة الذرية وهما موقع ناتانز المتخصص بتخصيب اليورانيوم وموقع آراك لإنتاج الماء الثقيل ، مما إضطر إيران الى السماح لمفتشي الوكالة بزيارتهما . وإستمرت تحقيقات الوكالة لمدة عام وقدم مدير عام الوكالة السيد محمد البرادعي تقريره الأول عن البرنامج النووي الإيراني في ٦ حزيران(يونيو) ٢٠٠٣ (الوثيقة GOV/2003/40)والذي أشار الى أن إيران فشلت في الوفاء بالتزاماتها بموجب معاهدة الحد من إنتشار الأسلحة النووية وإتفاقية الضمانات من خلال قيامها بأنشطة لم تبلغ عنها الوكالة ومن ذلك شراؤها اليورانيوم الطبيعي عام ١٩٩٢ وقيامها بأنشطة تخصيب لليورانيوم المستورد وعدم الإعلان عن المواقع التي جرى فيها تخزين وتخصيب اليورانيوم ومعالجة المخلفات النووية . وطالب التقرير إيران بالتعاون مع الوكالة للتحقق من هذه المواضيع.

وإستجابة لتقرير مدير عام الوكالة أصدر مجلس محافظي الوكالة (يتكون من ٣٥ دولة منتخبة تمثل جميع المجموعات الجغرافية للدول الأعضاء في الوكالة) بيانا فى ١٩حزيران(يونيو) ٢٠٠٣ الوثيقة GOV/OR.1072طالب فيه إيران بالتعليق الفوري لإنشطة التخصيب والإنضمام للبروتوكول الإضافي الملحق بإتفاقية الضمانات .وهذا البروتوكول يمنح مفتشي الوكالة صلاحيات واسعة منها حق تفتيش أي موقع يشك بعلاقته بالبرنامج النووي كما أنه يفرض على الدولة إعلان جميع المنشات والمواد ذات العلاقة ببرنامجها النووي[٢٤].

وفي ٢١ايار(مايو)٢٠٠٤ قدمت ايران الى الوكالة الدولية للطاقة الذرية بيانها الاولي الموسع بمقتضى بروتوكول وسائل الحماية الاضافي والخاص بمعاهدة الحد من الانتشار النووي.وشدد المسؤولون الايرانيون على ان تقديم البيان الموسع كان(اجراء)طوعيا لبناء الثقة,بالنظر الى ان

مجلس الشورى(البرلمان)لم يكن قد صادق بعد على البروتوكول الاضافي.واصروا ايضا بالقول ان جميع اسئلة الوكالة الباقية والمتعلقة بالتقيد بوسائل الحماية قد تمت الاجابة عنها بشكل مرض وان على مجلس المحافظين في الوكالة ان يصوت في اجتماعه التالي لمصلحة اغلاق الملف الايراني.

وفي التقرير المرسل الى مجلس الحكام في الوكالة ١حزيران(يونيو)٢٠٠٤,انتقد المدير العام للوكالة محمد البرادعي تعاون ايران بوصفه(مقصرا عما هو مطلوب) لتبديد مخاوف الوكالة حيال وسائل الحماية.وبين التقرير ان اسئلة جدية بقيت بشأن جوانب انشطة ايران الماضية والحاضرة جميعها فيما يخص دورة الوقود النووي,لاسيما برنامج تخصيب اليورانيوم.وفي ١٨ حزيران(يونيو) اتخذ المجلس قرارا (يستهجن) تخلف ايران عن مد (يد تعاون كامل ومؤات ومبادر)الى الوكالة.ومن بين تدابير اخرى حث قرار المجلس ايران على اتخاذ خطوات اضافية للاجابة عن اسئلة حول برنامجها المتطور الخاص بالطرد المركزي الغازي وحول مصدر جزيئات اليورانيوم المخصب التي وجدت في عينات بيئية كانت قد اخذت من ثلاثة مواقع ذات صلة بانشطة نووية.كما دعا القرار ايران الى تنفيذ تعهدها الذي قطعته في تشرين الاول(اكتوبر)٢٠٠٤ لتعليق برنامج تخصيب اليورانيوم ووقف صنع واختبار مكونات الطرد المركزي وعدم المضي في اتجاه انتاج يورانيوم سداسي الفلوريد(UF)في منشأت التحويل في اصفهان.وفي اجتماعه التالي,في ١٨ايلول(سبتمبر),كرر مجلس حكام الوكالة دعوة ايران الى تعليق انشطة تخصيب اليورانيوم جميعها فورا.وحث المجلس ايران ايضا على (مساعدة الوكالة على نحو مبادر لفهم المدى والطبيعة الكاملين)لبرنامجها لتخصيب اليورانيوم قبل اجتماع تشرين الثانى(نوفمبر),٢٠٠٤

اولا- تقرير المدير العام لوكالة الطاقة الذرية.

في ١٥تشرين الثاني(نوفمبر)٢٠٠٤ ارسل المدير العام للوكالة محمد البرادعي الى مجلس الحكام في الوكالة الدولية التقرير السادس من سلسلة التقارير الموضوعة بشأن التقدم الذي حققته الوكالة في اثبات صحة تطبيق ايران لاتفاق وسائل الحماية مع الوكالة.وجاء التقرير على خلفية ضغط متصاعد من ايران والولايات المتحدة كي يجعل المجلس اجتماعه المنعقد اجتماعا حاسما اما من حيث اغلاق الملف النووي,كما طلبت ايران,واما احالته الى مجلس الامن لاتخاذ اجراء اخر,كما طلبت الولايات المتحدة بالحاح.وقدم التقرير تقويما شاملا لجهود الوكالة الدولية منذ بداية العام٢٠٠٣ على سبيل ايضاح مدى انشطة ايران النووية وطبيعتها ولحل مسائل الحماية الناشئة من تلك الانشطة[٢٥].

لقد حدد تقرير البرادعي السابق ثلاث مسائل بارزة كانت الوكالة الدولية تعمل مع ايران لتوضيحها وهي:-

١ -مصادر التلوث باليورانيوم المخصب.فقد عاينت الوكالة الدولية مواقع كانت ايران قد اعلنت ان اجهزة الطرد صنعت وخزنت فيها ,واخذت الكثير من العينات البيئية.وكشفت نتائج العينات الماخوذة من معمل الطرد المركزي في ناتانز وورشة كالابي وشركة فرعية عن وجود جزيئات من يورانيوم منخفض التخصيب(LEU)ويورانيوم عالي التخصيب.(HEU)وكانت تلك الجزيئات(مؤشرا على انواع من مواد نووية)لم تذكر في مخزون ايران من المواد النووية.

ووفقا للمدير العام للوكالة الدولية,ان بيانات المعاينة البيئية مالت,"اذا اخذنا العوامل المختلفة في الحسبان,الى دعم تصريح ايران حول مصدر القدر الكبير من التلوث",الا ان الوكالة واصلت التحقيق في تفسيرات اخرى,بما فيها احتمال ان يكون التلوث ناجما عن انشطة تخصيب غير معلنة

او عن يورانيوم مخصب مستورد وغير معلن او من معدات ملوثة مستوردة من مورد لم يدل عليه .

٢ -تصميم وتصنيع جهاز طرد مركزي متطور .حيث شككت الوكالة الدولية في مزاعم ايران بشـــأن عملها البحـــــثي والتطويري لجهاز الطرد المركزيP-2وقالت ايران انها تسلمت مخططات الجهاز من خلال وسيط اجنبي في العام١٩٩٥ ,وبحسب تقرير البرادعي,تواصل الوكالة التحقيق في مزاعم ايران بـــانها لم تنهمك في ١٩٩٥-٢٠٠٢ بـــاي عمل يخص تصميم هذا الجهاز كي تكون في وضع يمكنها من اعطاء"ضمانات كافية تؤكد انها لم تنفذ أي انشطة ذات صلة خلال تلك الفترة."

٣-اعادة معالجة البلوتونيوم.لم تتاكد الوكالة الدولية من صحـــة رواية ايران بـــخصوص تاريخ تجارب جرت في مركز طهران للابحــــاث النووية وشملت تشعيع جزيئات ثاني اوكسيد اليورانيوم والفصل اللاحـــق لكمية صغيرة من البـــلوتونيوم.وجرت التجارب في الفترة١٩٨٨-١٩٩٣ ,ولم تطلع الوكالة على التجارب او فصل البـــلوتونيوم,وعلى اســـاس عينات اخذت في تشـــرين الثاني(نوفمبـــر)٢٠٠٣ ,خلصت الوكالة الى ان ايران استخفت بكميات البلوتونيوم التي تم فصلها ,وانها اكتشفت ان عمر محلول البلوتونيوم بدا انه اقل من ١٢-١٦ المعلنة,لكن نتائج العينات التي اخذتها الوكالة في ايلول(سبتمبر)٢٠٠٤اشارت مرة اخرى الى احتمال ان يكون فصل البلوتونيوم حتى تم في فترة اقرب .وطالبـــت الوكالة توضيحـــات اضافية لتقرير ما اذا كانت ايران قد اجرت اختبـــارات فصل اخرى غير معلنة.

وتحـــرت الوكالة الدولية في العام٢٠٠٤عن منشـــاتين لوزارة الدفاع الايرانية كان يحـــتمل ان تكون اختبـــارات نووية غير معلنة قـــد نفذت فيها الاولى مركز لافيزان-شيان للابحاث التقنية في ايار(مايو),ثم قيل في تشرين

الثاني(نوفمبر)٢٠٠٤عقب ادعاءات من جماعة مجلس ايران الوطني للمقاومة المعارض,بان المنشأة مرتبطة بابحاث تتعلق باسلحة نووية،واظهرت نتائج عينات اخذتها الوكالة من التربة في حزيران(يونيو)٢٠٠٤عدم وجود اثر لنشاط نووي.

والثانية كانت مجمع بارتشين الواقع خارج طهران.وهو مجمع عسكري كبير للبحث والتطوير ولانتاج ذخائر وقذائف صاروخية ومتفجرات شديدة الانفجار.وضمن المجمع موقع معزول ومؤمن بشكل منفصل من اجل اختبار متفجرات شديدة الانفجار.ومع ان ايران اعلنت انه لاشيء قانوني يلزمها بمنح مفتشي الوكالة حق دخول جزئي الى المجمع الانها وافقت في مطلع كانون الثاني(يناير)٢٠٠٥على منح المفتشين هذا الحق[٢٦]

وإثر ذلك بدأت مرحلة من المفاوضات الدبلوماسية والسياسية الشاقة ، فإيران تمسكت بالقول أن إتفاقية الضمانات لا تمنعها من تخصيب اليورانيوم وإنها صححت موقفها بإعلان هذه الأنشطة والسماح للوكالة بتفتيشها، بينما واصل مجلس محافظي الوكالة مطالبة إيران تعليق أنشطة تخصيب اليورانيوم وأن تنضمّ الى البروتوكول الإضافي الملحق بإتفاقية الضمانات وأن تسمح لمفتشي الوكالة بالتحقق من جميع أنشطة إيران النووية السابقة والحالية

وفيما سعت الولايات المتحدة الى إحالة ملف إيران الى مجلس الأمن لخرقها تعهداتها بموجب معاهدة الحد من الإنتشار مستندة في ذلك الى سابقة العراق التي عالج فيها مجلس الأمن الموضوع بموجب الفصل السابع من الميثاق . إلاّ أن المانيا وفرنسا وبريطانيا عارضت ذلك وشرعت بإتصالات دبلوماسية مع إيران لإقناعها بتنفيذ ما طلبته الوكالة . وفي ٢١تشرين الاول(اكتوبر)٢٠٠٣ نجحت هذه الدول في إقناع إيران بالتوقيع على البروتوكول الإضافي (وقعته في ١٨كانون الاول(ديسمبر)٢٠٠٣) وأن تبدأ .

بتنفيذه فورا لحين إكتمال إجراءات التصديق عليه كما وافقت إيران على التعاون التام مع الوكالة للإجابة على جميع الأسئلة المثارة حول برنامجها النووي وأن توقف طوعيا أنشطة تخصيب اليورانيوم.

وعندما بدأت الوكالة تحقيقاتها في إيران إستنادا الى هذا الإتفاق لاحظ مفتشو الوكالة أن إيران لم توقف أنشطة التخصيب كلها حسب تعهدها ، كما أن إعلانات إيران للوكالة كانت ناقصة فهي لم تتضمن، مثلاً ، معلومات عن مخططات وأبحاث التخصيب بالطرد المركزي (P-2) وهذا ماجاء في تقريري الوكالة في ٨اذار(مارس)٢٠٠٤ و ١حزيران(يونيو)٢٠٠٤) وإزاء ذلك أصدر مجلس محافظي الوكالة قرارين في ١٨حزيران(يونيو)٢٠٠٤و ١٨ايلول(سبتمبر)٢٠٠٤عبر فيهما عن شجبه لعدم تعاون إيران في تنفيذ إلتزاماتها بموجب إتفاقية الضمانات وبموجب الإتفاق السابق مع فرنسا والمانيا وبريطانيا . وإستمرت قرارات الوكالة لعام ٢٠٠٥ في شجبها عدم تعاون ومطالبتها إياها بتنفيذ مطالب الوكالة جميعها وواصلت إيران من جانبها التهديد بإستئناف أنشطتها لتخصيب اليورانيوم. وبوقف تعاونها مع الوكالة خارج ما هو مطلوب في إتفاقية الضمانات.

وسعيا منها لحل هذه الأزمة تقدمت روسيا بمقترح تخصيب اليورانيوم لمفاعلات الطاقة الإيرانية على أراضيها . وجرت مفاوضات مطولة بين الروس والإيرانيين إنتهت برفض إيران المقترح وإصرارها على حقها بموجب المادة الرابعة من معاهدة عدم إنتشار الأسلحة النووية في إمتلاك التقنية النووية للإغراض السلمية بضمن ذلك تخصيب اليورانيوم.

وفي ١٠كانون الثاني(يناير)٢٠٠٦ قررت إيران إلغاء وقفها الطوعى لإنشطة التخصيب ، كما قررت وقف العمل الطوعي بالبروتوكول الإضافي، وتلت ذلك بمجموعة بيانات أكدت فيها نجاحها في إمتلاك دورة الوقود النووي وأنها أصبحت ضمن نادي (الدول النووية).

وإزاء ذلك قدمت الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والمانيا مشروع قرار الى مجلس محافظي الوكالة وإعتمد القرار يوم ٤ اشباط(فبراير)٢٠٠٦ الوثيقة. GOV/2006/14 وطالب القرار إيران بالآتي[٢٧] :-

١-وقف الأنشطة المتعلقة جميعها بإثراء اليورانيوم وأنشطة إعادة معالجة الوقود النووي بما في ذلك البحوث التطويرية ، وأن تتحقق الوكالة من تنفيذ ذلك.

٢-إعادة النظر في بناء مفاعل بحثي يعمل بالماء الثقيل.

٣-التصديق على البروتوكول الإضافي الملحق بإتفاقية الضمانات وتنفيذه تنفيذا تاما بشكل فوري لحين إكتمال إجراءات التصديق عليه من البرلمان الإيراني.

٤-الموافقة على تدابير إضافية أكثر مما هو مطلوب في إتفاقية الضمانات والبروتوكول الإضافي ، ومن ذلك تسهيل وصول الوكالة الى الأفراد والإطلاع على الوثائق ذات الصلة بالمشتريات والمعدات ذات الإستخدام المزدوج وزيارة ورش عسكرية ومواقع أنشطة البحوث التطويرية.

٥-تسليم الوكالة وثيقة إيرانية تصف إجراءات إختزال سادس فلوريد اليورانيوم الى معدن اليورانيوم وإجراءات صب معدن اليورانيوم المخصب والمستنفذ في أنصاف كرات.

٦-الطلب من الأمين العام للوكالة إبلاغ مجلس الأمن بهذه التطورات وأية تطورات لاحقة.

ردت ايران على هذا بخروج آلاف الايرانيين في مسيرات تأييد لحق بلادهم في استخدام التكنولوجيا النووية للاغراض السلمية، وذلك بالعاصمة طهران يوم ٦اذار (مارس)٢٠٠٦ .وفي الوقت ذاته هددت ايران باستأنف تخصيب اليورانيوم على نطاق واسع اذا ما احيل ملفها النووي الى مجلس

الامن الدولي.وقــال كبـــير المفاوضين الايرانيين في الملف النووي علي لاريجاني "سنرد بطريقتنا" إذا ارادت الولايات المتحدة وحلفاؤها "اســتخدام القوة."وحذر لاريجاني في ندوة صحفية من أن طهران ستوسع نشـاطاتها النووية، خاصة تخصيب اليورانيوم، ان احـيل الملف الايراني الى مجلس الامن.كما ألمح لاريجاني الى إمكانية لجوء طهران الى اســـتخدام النفط كسلاح في حال تعرضت للمزيد من الضغوط الدولية[٢٨].

قابلت ايران قرار الوكالة الدولية للطاقة الذرية بالرفض الشديد، وقــال اكبر هاشمي رفسنجاني احد ابرز قادة الجمهورية الاسلامية، ان قرار بلاده معاودة نشاطاتها النووية الحساسة "لا رجوع عنه"، محـذرا من "الشــروط الجديدة" الاقليمية التي فرضها الغرب الذي يعارض مشاريع ايران. وقــال الرئيس الايراني السابــق في خطبــة الجمعة متوجها الى الغربــيين "ليكن واضحا في اذهانكم انه لا يمكنكم التعامل مع ايران كما مع العراق وليبــيا". وجدد مطالبته بحق ايران في استئناف عملية التخصيب بما يتلاءم ومعاهدة الحظر النووي، مكررا ان الانشطة التي بدأت تشكل الجزء الاقل حساســية في دورة انتاج الوقود النووي الامور كلها ستخضع لمراقبة مشددة من جانب الوكالة الدولية للطاقة الذرية. وقال رفسنجاني "لا احد يستطيع ان يجارينا في الشفافية" ولكن "الاكيد اننا لن نكون اهلا للثقة" مهما فعلت ايران.

كانت الخطوة التالية في الثالث من ايلول(سبتمبــر)٢٠٠٦, عندما قــدم محمد البرادعي المدير العام للوكالة تقريرا حول انشطة ايران. واســتمرت ايران في تحدي المطالب الدولية وعقــد اجتماع اخر للوكالة حــيث عملت أوروبا وواشنطن على احالة ايران الى مجلس الامن وهو ما لم ترد اشــارة بشأنه في قرار الوكالة الدولية . وتتواصل الدبلوماسية الأوروبــية بشــكل محموم لتدعيم الموقف الأوروبي وسط مخاوف من عدم التزام إيران. وقال دبلوماسي بالاتحاد الأوروبي "تعمل الآن لضمان أن تظل إيران في الحظيرة

ونحشد الدعم لإحالة الملف لمجلس الامن". ومع هذا فان الدبلوماسيين الغربيين ليسوا واثقين من تأييد الصين وروسيا لاي عقوبات تفرضها الامم المتحدة على طهران وفي هذه الحالة فان الاتحاد الاوروبي قد يفرض العقوبات الخاصة به .

وتوقع عدد من المحللين عودة للمفاوضات على المدى البعيد على الأقل لان المخاطر شديدة وقال مارك ليونارد من مركز الإصلاح الأوروبي بلندن "الدبلوماسية ستعود في لحظة ما لان أحدا لا يريد أن يكون لايران برنامج نووي غير مفيد". ويقول محللون ان ايران تريد فيما يتعلق بكبريائها الوطني. تجنب احالة الملف لمجلس الامن. ولأجل هذا تعاونت مع الوكالة الدولية خلافا لكوريا الشمالية. حتى واشنطن التي تتبنى سياسة أكثر تشددا تبدي استعدادها لإعطاء المحادثات وقتا أطول[٢٩].

واوضح لاريجاني، ان ايران لن تضع حدا لنشاط »الابحاث« الحساسة في المجال النووي، حتى لو تمت احالة ملفها الى مجلس الأمن الدولي. وقال لاريجاني للصحافيين، ان »الابحاث والتطوير يخدم مصلحتنا الوطنية وايران لن تعدل عن ذلك«. واضاف ان »نقل القضية الى مجلس الأمن لن يجعل ايران بالتأكيد تتراجع على مستوى الابحاث والتطوير«. مشيرا الى ان طهران قد تقوم حتى بتخصيب اليورانيوم على النطاق الواسع. كما ألمح الى ان ايران قد تستخدم النفط سلاحا، اذا تعرضت لمزيد من الضغوط الدولية بشأن برنامجها النووي. وقال لاريجاني »ليست لدينا مصلحة في. استخدام النفط كسلاح، لاننا نحترم الأمن النفسي للاسرة الدولية، لكن بالطبع اذا غيرت الاسرة الدولية الوضع فهذا سيؤثر على موقفنا«، من دون مزيد من التفاصيل. وتأتي هذه التصريحات عشية اجتماع مهم للوكالة الدولية للطاقة الذرية، سينظر في الملف النووي الايراني وامكانية احالته الى مجلس الأمن الدولي. من ناحيته، اعلن حميد رضا آصفي، المتحدث باسم الخارجية

الايرانية، ان ايران ليست مستعدة للتفاوض بشأن انشطة تخصيب اليورانيوم التي تعتزم مواصلتها بأي ثمن. وقـال آصفي، خلال مؤتمر صحـافي، ان "الابحاث النووية ستستمر ولن تطالنا التهديدات وحملات الدعاية والترهيب"

وقال آصفي »على الغرب الا يرتكب خطأ الاعتقاد بـاننا نريد التفاوض حول انشطة البحث«. واضاف »لدينا حقـوق وعلى الغربـيين قبـولها«. ويرفض الغربيون ان تقوم ايران بانشطة تخصيب حتى لاغراض البحـث، لان هذه العملية تسمح بالتوصل الى انتاج سلاح نووي. وتابـع المتحـدث الايراني »انه موضوع خلاف بيننا وبين اوروبا«، مشـيرا الى ان مثل هذه الانشطة »تثير القلق اذا كانت سرية، لكنها تتم بشفافية وتحت رقابة كاميرات الوكالة الدولية«. ويخشى الاتحاد الاوروبـي والولايات المتحـدة ان تتمكن ايران عبـر عمليات تخصيب اليورانيوم من التوصل الى امتلاك السـلاح النووي، وتنفي ايران باستمرار ذلك. وقد يفضي الاجتماع الجديد للوكالة الى ادانة جديدة لانشطة ايران في المجال النووي.

وحذر آصفي من انه »لو توترت الاجواء (في مقـر الوكالة)، فان الجانب الاخر هو الخاسر ولن تكون ايران وحـدها خاسـرة«. وحـمل المتحـدث الولايات المتحدة مسؤولية فشل المفاوضات بين طهران وموسـكو، حـول اقتراح روسي لتخصيب اليورانيوم الايراني في روسيا. وقـال ان »اميركا توتر اجواء المفاوضات مع روسـيا تماما، كما فعلت خلال المفاوضات مع الاوروبيين«[٣٠].

و كرر المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية إن بـلاده لن تتراجع عن المضي قدما في بـرنامجها النووي.وأكد أن بـلاده عازمة على "عدم التخلي عن حقها في إنتاج الطاقة النووية"، مشـيرا إلى أن الأجندة الإيرانية في هذا الصدد "لا تشمل أنشطة مشبوهة." وشـدد آصفي على أنه "لا رجعة عن البرنامج النووي الإيراني لساعة أو دقيقة أو ثانية."[٣١]

غير أن شهادة البراءة هذه لم تكن سوى لفترة مؤقتة، إذ عادت الوكالة في تقريرها المقدم إلى مجلس الأمن في ٢٨ نيسان (ابريل)٢٠٠٥ لتقول إنها "ليست قادرة على التقدم بجهودها فيما يتعلق بتقديم ضمانات بشأن غياب أي مواد أو أنشطة نووية غير مصرح بها في إيران، بسبب بعض الثغرات في معرفة الوكالة، من ضمنها تعذر معرفة دور الجيش الإيراني في البرنامج".

وذكر التقرير أيضاً وجود " ثغرات في معلومات الوكالة تتعلق بالمدى الذي وصل إليه برنامج أجهزة الطرد المركزي الايرانية ومحتواه."فضلاً عما أشار إليه التقرير من وجود "أسئلة مازالت معلقة بشأن بعض أجزاء البرنامج النووي الإيراني، وأن طهران لم تقدم وثيقة طلبها المفتشون تتعلق بأجزاء يمكن أن تشملها عملية تصنيع قنبلة".

ولم تكترث إيران بتقرير الوكالة، وقال المندوب الإيراني لدى الأمم المتحدة جواد ظريف، إن إيران لن تستجيب لضغوط المجتمع الدولي[٣٢].

لم تمض أيام على إعلان طهران ترحيبها بإعادة انتخاب الدكتور محمد البرادعي رئيسا للوكالة الدولية للطاقة الذرية لفترة ثالثة ، حتى فاجأ البرادعي الجميع بمطالبته إيران في ١٤حزيران(يونيو)٢٠٠٥,بالسماح لمفتشي الوكالة بالقيام بعملية تفتيش جديدة لموقع بارشين العسكري الذي سبق أن فتشوه مرة واحدة ، ومنعتهم السلطات الإيرانية بعد ذلك من العودة إليه . وقال البرادعي في هذا الشأن: " أطلب أيضا من إيران مساندة جهود الوكالة لمتابعة تحقيقاتها في موقعي لاويزان شيان ، وبارشين " مضيفا أن الوكاله تريد زيارة مناطق ذات أهمية في بارشين.

ويعد موقعا بارشين ولافيزان ضمن المواقع التي تشتبه الولايات المتحدة في أن العلماء الإيرانيين أجروا فيهما أبحاثا لها صلة بتطوير الأسلحة النووية ، وتقع منشأة (لافيزان شيان) شمال شرق طهران ، وبها " مركز التكنولوجيا والاستعدادات الدفاعية الحديثة " على عمق كبير تحت الأرض ،

وهو مخصص لإجراء عمليات تخصيب اليورانيوم واختبـار الأسلحـة الكيماوية ومن المعروف أن إيران تنفي وجود نوايا لديها لتطوير أسلحـة نووية وأن اهتماماتها تنحصر فقط في الاسـتخدامات السـلمية للتكنولوجيا النووية في مجالات توليد الكهرباء والأبحـاث التنموية الأخرى والتي يصل عدد مجالاتها إلى ٢٤ مجالا سلميا تستخدم فيهم الطاقة النووية .

وقد اتهم البرادعي إيران بالفشل في توفير معلومات كافية حول السؤال المهم الذي يتعلق بمقدرتها على اسـتخدام أجهزة الطرد المركزي لتخصيب اليورانيوم ورغم اعتراف البـرادعي بـأن إيران قـدمت وثائق إضافية ومعلومات مهمة ، لكنها ليست كافية للبت في عدة مسائل أخرى ، مشيرا إلى تحقيقات الوكالة حول حـيازة إيران لكميات غير معروفة من أجهزة الطرد المركزي المتطورة ، وأن الوكالة واصلت ضغوطها على طهران للكشـف عن وثائق فضلاً عن في ذلك العروض المقـدمة لإيران لإمدادها بـمعدات نووية إضافية، فضلاً عن معلومات مطلوبة أيضا حول المناقشات الفنية التي جرت بين إيران والوسطاء في شبكة السوق السـوداء النووية الدولية, وذكر البرادعي أن الوكالة الدولية للطاقة طالبت إيران بالتوصل إلى اتفاق حـول الآليات الرسمية المصاحبة للمفاوضات والجاري بحـثها والتي بموجبـها سيحق للوكالة البحث عن المعدات الثنائية الاستخدام أو أي معلومات أخرى تتعلق بموقع لافيزان، كما ستسمح بـزيارات إضافية للوكالة للمناطق التي تثير الشكوك والاهتمام بموقع بارشـين. وعلى الرغم من هذه المطالبـات الجديدة التي قدمها البرادعي إلى إيران إلا أنه أشاد بها لأنها أوفت بوعودها بتعليق أنشطة اليورانيوم ،وأتاحت الاطلاع على المواد النووية داخل البلاد وأشار إلى أنه سيتم إغلاق الملف النووي الإيراني فقط حين يتم الانتهاء من حسم المسائل العالقة جميعها.

وكان ذلك في الوقت الذي اسـتأنف مجلس محـافظي الوكالة اجتماعاته

لبحث الملفين النوويين لإيران وكوريا الشمالية ، واستمع المجلس إلى تقرير من نائب المدير العام للوكالة " بيرجولد شميدت" حول تطورات الملف النووي.

أما على الجانب الإيراني ، فقد أكد سيروس ناصري أحد أعضاء فريق المفاوضات الإيراني فيما يتعلق بالملف النووي أن بلاده ترحب بإعادة انتخاب البرادعي مديرا عاما للوكالة لفترة ثالثة .

وفي تصريحات غير رسمية لمسؤولين إيرانيين نفوا وجود أي هواجس لديهم بأن تكون موافقة الولايات المتحدة للتجديد للدكتور البرادعي لرئاسة الوكالة الدولية في إطار صفقة يقدم بموجبها البرادعي تقريرا لمجلس الحكام في الوكالة بشأن إيران يتيح إحالة ملفها النووي إلى مجلس الأمن الدولي مقابل ضمان بقائه في منصبه إلا أن التقرير الذي قدمه نائب مدير الوكالة (شميدت) في ١٦ ايار (مايو) ٢٠٠٥ أمام مجلس حكام الوكالة الدولية للطاقة الذرية وضع إيران في موقف حرج بعدما تبين أنها غيرت تصريحاتها في شأن معالجة البلوتونيوم الذي يمكن استخدامه لأغراض عسكرية ، فقد ذكر جولد شميدت في خطابه أنه عندما طلبت الوكالة من إيران في العام ٢٠٠٣. تواريخ تجاربها حول فصل البلوتونيوم، أقرت طهران بأنها أخضعت البلوتونيوم للتطهير في العام ١٩٩٨ وذلك في خطاب يحمل تاريخ ٢٦ ايار (مايو) ٢٠٠٥، وهو ما يمثل تغييرا بالنسبة إلى سابقة مفادها أن التجارب انتهت في العام ١٩٩٣ طبقا لنص الخطاب، وعّد دبلوماسيون غربيون أن الاعتراف الإيراني الأخير يعد مخالفة أخرى لالتزام طهران بموجب معاهدة حظر الانتشار النووي المبرمة في العام ١٩٧٠ بتقديم حصر كامل ودقيق لكل المواد النووية الحساسة في إيران ، إلا أن رئيس الوفد الإيراني في اجتماعات الوكالة الدولية أكد أنه لا يوافق على استنتاجات الوكالة بشأن البلوتونيوم وطالب بإجراء محادثات إضافية ، وعدّ أن التقرير

الذي قدمه نائب مدير الوكالة ليس سلبيا ، وأنه سيؤدي في القريب إلى انتهاء التحقيق بشأن الملف النووي الإيراني[٣٣].

ثانيا- استئناف ايران عمليات تحويل اليورانيوم

في اب (اغسطس) ٢٠٠٥ اعلنت ايران انها بدأت تحضيرات لاستئناف أنشطة تحويل اليورانيوم في منشاة اصفهان , تحت رقابة الوكالة الدولية للطاقة الذرية. وفي الوقت الذي شددت ايران على ان القرار غير قابل للتفاوض , صرحت بانها ستستمر في مراعاة تعليقها لانشطة تخصيب اليورانيوم بعد اعادة بدء العمليات في اصفهان , كما هو محدد في المرحلة الاولى من اطارها المقترح في ايار (مايو) ٢٠٠٥ .

وقد دفع استئناف ايران تحويل اليورانيوم الدول الاوربية الثلاث (EU-3)الى الغاء الجولة التالية من المحادثات التي كان مقررا" اجراؤها في نهاية اب(اغسطس). كما صدرت من العواصم الثلاث تحذيرات شديدة فحواها انها مستعدة لتاييد الدعوات الامريكية الهادفة الى احالة (ملف) ايران الى مجلس الامن في حال عدم قيام طهران على الفور بالعودةالى تجميد الانشطة المتعلقة بتخصيب اليورانيوم كلها.وفي اجتماع طارىء عقده مجلس محافظي الوكالة الدولية للطاقة الذرية في ٩اب(اغسطس) ٢٠٠٥, ندد الاتحاد الاوربي بالخطوة بوصفها (اغفال فاضح لدعوات المجلس المتكررة كي تعلق ايران انشطة التخصيب كلها واعادة المعالجة كاجراء لبناء الثقة). وفي نهاية الاجتماع , تبنى مجلس المحافظين قرارا" اجماعيا" يحث ايران على (اعادة تثبيت تعليق كامل لجميع الانشطة المرتبطة بالتخصيب).

قد يكون قرار ايران باستئناف انشطة تحويل اليورانيوم , على الرغم من التكاليف الدبلوماسية التي ينطوي عليها , مدفوعا" في جزء منه برغبة هيئة الطاقة النووية الايرانية في معالجة مشكلات تقنية جدية قيل انها نشات

في منشاة تحـــويل اليورانيوم .ووفق روايات في مجالات قــطاع الصناعة النووية , كان سداسي فلوريد اليورانيوم المنتج في اصفهان ملوثا" بجسيمات معدنية جعلته غير مناســـب لاســـــتخدامه كخام تغذية جهاز طرد غازي . وبمقدار ما شكلت هذه المشكلة تحديا" تقنيا" طويل الاجل , فانها مثلت عقبـــة كبيرة امام تطوير ايران لقدرة محلية على تخصيب اليورانيوم .

وفي٢ايلول(سبتمبر)٢٠٠٥,ارسل المدير العام للوكالة الدولية للطاقـــة الذرية(IAEA)محمد البرادعي الى مجلس محافظي الوكالة التقرير السابع من سلسلة التقارير المكتوبة بشأن التقدم في التحقق من تطبيق ايران اتفاقـــها بخصوص الضمانات.وكان هذا تقـــرير المدير العام الاول الى المجلس منذ تشرين الثاني(نوفمبر)٢٠٠٤,عندما اصدر تقـــريرا" شـــاملا فيه ملخصات مفصلة لنتائج ابحاث الوكالة القائلة ان ايران تخلفت عن الابــلاغ او الاعلان عن سلســـلة طويلة من الانشـــطة النووية,ومنها تجارب تحـــويل وتخصيب اليورانيوم,كما هو مطلوب بموجب اتفاقها الخاص بالضمانات.

حدد تقرير البرادعي الجديد مسألتين رئيســـتين من مســـائل الامتثال للضمانات التي كانت الوكالة تعمل مع ايران على حلها.وكان للاولى شـــان بـــمصادر جســـيمات اليورانيوم المنخفض التخصيب (LEU)واليورانيوم العالي التخصيب (HEU)المكتشفة في عينات بيئية اخذها مفتشون من مواقع مختلفة في ايران,وكان ثمة تخمين مفاده ان جســـــــيمات(LEU)انتجت في تجارب تخصيب غير معلنة داخل ايران.وبحسب تقـــرير البـــرادعي,مالت نتائج العينات البـــيئية الماخوذة في باكســـتان في صيف٢٠٠٥(عند اخذ كل شيء بعين الاعتبار,الى تاييد تصريح ايران),الذي ينسب وجود جســـيمات اليورانيوم المخصب الى تلوث من مكونات جهاز طرد مســـتورد من خلال وسطاء اجانب,(أي شبكة عبد القدير خان للتهريب النووي).

وكانت المسالة الرئيسة الاخرى بشـــأن الترتيب الزمني لانشـــغال ايران

بتصميمات اجهزة طرد متطورة,حيث واصلت الوكالة الدولية التحقيق في مزاعم ايران حول انهماك البحث والتطوير عندها بتصميم جهاز طرد متطور,يعرف بالجهاز,(P-2)وقد اعترفت ايران للوكالة الدولية بانها تلقت في العام١٩٩٥خطط تصميمات باكستانية من اجل اجهزة الطرد(P-2)من خلال وسطاء اجانب,لكن وبسبب نقص في موارد احترافية,لم تبدأ اعمال التصنيع والاختبار الميكانيكي لدورات جهاز الطرد المركبة حتى العام ٢٠٠٢.الا ان هذه الروايةلم تقنع محققي الوكالة الدولية في ضوء الاستثمار الذي بذلته ايران للحصول على رسومات التصميمات وبقدرات البلد التقنية.كما عبروا عن شكهم في امكانية اجراء اختبارات بناء على تصميم (P-2)الذي تطلب الحصول على اجسام مغناطيسية ومحامل وقطع اخرى من الخارج فضلاً عن صنع اغلفة ومكونات جهاز طرد ضمن الفترة الزمنية المحددة باقل من عام واحد.وجددوا في طلب وثائق اضافية للتحقق من ادعاء ايران انها لم تقم باي عمل بشان تصميم جهاز الطرد(P-2)في الفترة١٩٩٥-٢٠٠٢.

فضلاً عن هذه المسائل,ذكر البرادعي ان الوكالة الدولية لاتزال تجري تقديرا" لجوانب اخرى من برنامج ايران النووي,بما فيها تواريخ تجارب فصل البلوتونيوم,والغرض من التجارب المتضمنة نظير البلوتونيوم-٢١٠,وانشطة معينة في منجمGCHINE لليورانيوم.وواصلت الوكالة الدولية الضغط لزيادة فرص الدخول الى موقعين خارج طهران حيث يحتمل ان تكون انشطة غير معلنة ومرتبطة بسلاح نووي قد جرت,وكان الموقع الاول مجمع بارشين العسكري المكرس لتطوير وانتاج ذخائر شديدة الانفجار.

وفي تشرين الثاني(نوفمبر)٢٠٠٥,وبعد مناقشات طويلة ,منحت ايران مفتشي الوكالة الدولية حق دخول مبان في ناحية من المجمع اختارها

المفتشون وسمحت لهم بأخذ عينات بيئية هناك.وفيما يتعلق بالموقع الاخر,في لافيزان -شيان,ذكر البرادعي ان الوكالة الدولية كانت لاتزال تنتظر اذنا للقيام باعمال تفتيش اضافية في ورش تابعة للجيش ومعدات ثنائية الاستخدام مرتبطة بمركز الابحاث الفيزيائية الذي كان قائما هناك.

لقد رسم تقرير البرادعي الى مجلس المحافظين صورة مختلفة للنتائج التى حققتها جولات الوكالة الدولية التفتيشية الخاصة بالضمانات.وذكر ان المفتشين استطاعوا التثبت من عدم تحويل أي من المواد النووية المعلنة داخل ايران الى انشطة محظورة,غير ان الوكالة الدولية لاتزال في موقف لايسمح لها بان تقرر عدم وجود مواد او انشطة نووية غير معلنة في ايران.وابلغ البرادعى المجلس ان شفافية ايران الكاملة امر ضروري جدا وانها متاخرة عن موعده في ضوء جهود ايران الماضية للتكتم على مدى اعوام كثيرة,وحث ايران على تبني اجراءات شفافية اضافية تتجاوز المتطلبات الشكلية لاتفاقها المتعلق بالضمانات الشاملة وتتجاوز البروتوكول الاضافي.ومن هذه الضمانات منح مفتشي الوكالة الدولية حق دخول ميسر الى مواقع افراد وورش وابحاث وتطوير فضلا عن تقديم جميع الوثائق الاصلية المرتبطة باقتناء معدات مزدوجة الاستخدام وتقنيات حساسة[٣٤].

ثالثا-قرار مجلس محافظي الوكالة الدولية.

في ٢٤ايلول(سبتمبر)٢٠٠٥,اقر مجلس محافظي الوكالة الدولية قرارا جاء فيه ان (تخلف ايران مرات عديدة وخرقها مرارا لالتزاماتها بالامتثال)لاتفاق الضمانات,كما ورد في تقارير سابقة لمدير عام الوكالة(يشكلان عدم امتثال في مقام المادةXII.C من نظام الوكالة الداخلي.(GOV\2005 .:. 77وكان القرار من اعداد الدول الاوربية الثلاث ,(EU-3)بالتشاور مع الولايات المتحدة,وبضغط من روسيا والصين,حذفت من مسودة القرار مطلبا كان من شانه دفع مجلس المحافظين الى احالة ملف ايران الى مجلس الامن فورا.وبدلا من

ذلك,نصت النسخة التي اقــرها المجلس على ان تكتم ايران لمدة١٨عاما اسفر عن فقــدان الثقــة بــان بــرنامجها النووي كان لاغراض ســلمية حصرا"واثار مسائل هي ضمن اختصاص مجلس الامن ,وقد الزم القرار مجلس المحافظين باحـــالة ملف ايران الى مجلس الامن لكنه ترك موعد ذلك مفتوحا"[٣٥].

ويدين القرار انتهاكات إيران لمعاهدة منع الانتشار النووي، استناداً إلى أنشطتها النووية التي اتسمت بالســرية والإخفاء عن الوكالة ، وأعرب عن القلق من أن هذا البرنامج يشــكل خطراً على الســلم والأمن الدوليين ، مما يجعل من الممكن فى خطوة لاحقة إحالة هذا الملف إلى مجلس الأمن الدولي على وفق مدى تجاوب إيران مع المطالب التي تضمنها القرار ، وهو ما يعد تصعيداً حاداً في مسار الأزمة.

اذ يشكل الإصرار الإيراني على تخصيب اليورانيوم أحد أقوى بواعث الشكوك الدولية وبخاصة الأمريكية والأوروبــية في مقــاصد إيران، على الرغم أنه ليس في معاهدة منع الإنتشـــار النووي ما يحــول دون ممارســة الإثراء التنظيري باستخدام أي تقــنية تراها الدولة الراغبــة في ذلك ، ولأن الأمر يختلف في حالة إيران نظراً لتعلّقه بمواد نووية قابلة للإنشطار النووي فقد استدعى ذلك بسط رقابة الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، وهو ما تقوم بــه الوكالة بالفعل، فالحصول على مادتي البلوتونيوم واليورانيوم أصعب مرحلة في صنع القنبلة النووية ، فالبلوتونيوم يمكن الحــصول عليه بقــذف وقــود اليورانيوم بالنيترونات داخل المفاعل النووي، أما اليورانيوم المخصب فيتم الحصول عليه بعملية صناعية يكثف بموجبــها نظير اليورانيوم ،حــيث إن نسبة التخصيب المطلوبة للانفجار النووي تصل إلى (٩٠%) ، وبــعد فترة من وضع اليورانيوم في مفاعل نووي تتسبب الإشعاعات القــوية في تقبــله لجسيمات إضافية، فيتحول الكثير من ذراته إلى البــلوتونيوم اللازم لصنع القنبله النووية.

ونظراً إلى خطورة هذه العملية (تخصيب اليورانيوم) يتم فرض رقابة على إنتاجها وعلى استعمالها ضمن ما يعرف بـنظام الضمانات الشاملة ، حيث تتشارك الدولة العضو في الاتفاقية مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية في التعهدات والالتزامات، وفي حالة التأكد من عدم امتثال الدولة لتعهداتها، يجوز لمجلس محافظي الوكالة العمل بما جاء في الفقرة (ج) من المادة (١٢) من النظام الأساسي للوكالة، والتي تتضمن أمور عدة، منها : إنهاء المخالفة إلى جميع أعضاء الوكالة ، وإلى مجلس الأمن وإلى الجمعية العامة للأمم المتحدة. وفي المسألة الإيرانية جاء تقرير مدير عام الوكالة الدولية للطاقة الذرية صريحاً بشأن الاتهامات الأمريكية حول تطوير إيران سلاحاً نووياً؛ فقد أكدت هذه التقارير على عدم وجود دليل على أن برنامج إيران النووي مخصص لأغراض تصنيع أسلحة نووية،وفي تصريحاته في ٢٠كانون الاول(ديسمبر)٢٠٠٤م قال مدير عام الوكالة: إن الوكالة لم تر أبعاداً عسكرية لهذا البرنامج، وأن تخصيب اليورانيوم شيء مسموح به، ولكن لا بد من مراقبة.

وعلى ذلك،فإن التعامل مع المسألة النووية الإيرانية يتم بشكل غير قانوني،وخصوصاً فيما يتعلق بطلب قرار مجلس محافظي الوكالة من إيران تعليق أو وقف تخصيب اليورانيوم تحت وصف الالتزامات الطوعية.على الرغم أن معاهدة منع الانتشار النووي تؤكد حق الدول في الاستخدامات السلمية للطاقة النووية، ولم تمنع الدول الأطراف فيها من ممارسة تخصيب اليورانيوم ،وإنما طلبت فقط أن يتم ذلك في ظل الرقابة الدولية، نظراً لوحدة المبدأ في امتلاك الوقود النووي، ومع ذلك وافقت إيران على الوقف التام والشامل أنشطة برنامجها النووي،كافة بدءاً من ٢٢تشرين الثاني(نوفمبر) ٢٠٠٤م وطيلة فترة المفاوضات التي تم إجراؤها بين الجانبين الإيراني والأوروبي – فيما بعد – بحيث امتنعت طهران عن مزاولة عمليات

تخصيب اليورانيوم، أو تشـــغيل أجهزة الطرد المركزي وفصل الغاز التي تستخدم في إنتاج وتصنيع السلاح النووي، الذي يُفْضي إلى الوقف التام لكافة الأنشطة الخاصة بدورة الوقود النووي.

وكان الهدف من هذا الاتفاق هو التوصل عبـــر المفاوضات التالية – لتوقيع اتفاقية طويلة الأمد تكون موضع قبول من جانب الطرفين، شريطة أن يشـــتمل هذا الاتفاق على ضمانات مادية وعينية من جانب إيران يكون من شأنها عدم الانحراف عن الأهداف والأغراض السلمية،فضلاً عن تطمينات وضمانات أوروبية قطعية فيما يخص المزايا المقـــدمة لإيران في المجالات الاقتصادية في هذا الصدد. وبـــعد ذلك بـــدأ الخلاف والتوتر يســـود أجواء المباحثات الإيرانية الأوروبية التي بدأت منذ كانون الثاني(يناير) ٢٠٠٥م، فقد رفض الأوروبيون في نيسان(إبريل) ٢٠٠٥م عرضاً إيرانياً باســـتئناف تدريجي لعملية تخصيب اليورانيوم ، وزاد المسألة تعقيداً تصويت البرلمان الإيراني على مشروع قرار يجبر الحـــكومة على الاســـتمرار في تخصيب اليورانيوم، وكان مجمل هذه التطورات أن اضطرت إيران في النهاية إلـــى التخلي عن طلبها باســـتثناء عشـــرات من أجهزة الطرد المركزي من اتفاق باريس في تشـــرين الثاني (نوفمبـــر) ٢٠٠٤م لأغراض البحـــث العلمي، وانطلقت المفاوضات بـــعدها في محـــاولة إقـــناع إيران بتقـــديم ضمانات موضوعية بأنها لا تصنع قنبلة نووية، وكانت طهران قد وقّعت مع موســـكو في شباط(فبراير) ٢٠٠٥م اتفاقاً يقضي بإعادة إيران للوقـــود الناشـــئ عن أنشطة مفاعل بوشهر النووي الإيراني إلى روسيا، على نحو يقـــلص فرص الإيرانيين في تطوير قدرات نووية عسكرية، ويزيل الشكوك حـــول النوايا الإيرانية.

وفي أواخر ايار(مايو) ٢٠٠٥م تم الاتفاق على أن تقوم الدول الأوروبية الثلاث بحلول أوائل اب(أغسطس) ٢٠٠٥م بإعداد مقترحات تفصيلية لإيران

في ضوء اتفاق باريس، إلا أن إيران أعلنت أن وقف تخصيب اليورانيوم هو مجرد وقف مؤقت، وأصرت على الاحتفاظ لنفسها بالحق في مواصلة التخصيب. وأعلنت استعدادها فقط لوقف بعض الأنواع من عمليات التخصيب، مثل تخصيب غاز اليورانيوم، علاوة على استعدادها لتقديم أية ضمانات للتأكد من أن الوقود النووي الناجم عن عمليات التخصيب لن يستخدم في أية أنشطة عسكرية . وهو ما رفضته الدول الأوروبية، بينما تباطأ الأوروبيون من ناحيتهم في تقديم مقترحات تفصيلية بهذا الشأن ، وبالفعل أعلنت إيران عن استئناف عملية تخصيب اليورانيوم في اب(أغسطس) ٢٠٠٥م، مراعية في ذلك ألا تكون خطوتها تلك شديدة الاستفزاز ، لذلك أبلغت الوكالة الدولية للطاقة الذرية بقرار استئناف نشاطات تحويل اليورانيوم في مفاعل أصفهان، وتضمن طلبها للوكالة نزع الأختام، والشمع الأحمر عن منشآت أصفهان بإشراف مفتشي الوكالة الموجودين في إيران، ووجهت لهم دعوة بالتوجه إلى الموقع وعمل محضر بنزع الأختام حرصاً منها على إظهار التزامها بالشرعية الدولية. وفي الوقت نفسه رفضت المقترحات الأوروبية المقدمة في إطار اتفاق باريس، بعد أن كان الرئيس (أحمدي نجاد) قد وصل إلى سدة الحكم[٣٦].

والواقع ان قرار الوكالة الدولية,كان قائما على فكرة الوسطية بين موقف طرف متشدد,وهو الامريكي – الاوربي الذي يطالب بنقل الملف الى مجلس الامن,نظرا لانتهاكات ايران لمعاهدة الحد من الانتشار النووي,وطرف يبدو اكثر واقعية,وهو الموقف الروسي– الصيني المدعوم من الهند وعدم الانحياز ,التي تعترف بحق ايران كدولة موقعة على معاهدة الحد من الانتشار النووي في الاستخدام السلمي للطاقة النووية,ثم تطالبها بالتخلي طواعية عن اتمام دورة الوقود النووي وتخصيب اليورانيوم,بسبب الشكوك في نياتها على الرغم من قبولها الرقابة الكاملة للوكالة الدولية على انشطتها[٣٧].

ردت ايران على القرار بغضب,ونددوزير خارجيتها به بـــوصفه(غير قانوني وغير منطقي),وقال مسؤولون في طهران ان ايران ممتثلة لالتزماتها بحسب معاهدة,(NPT)نظراً لقبولها اجراء اعمال تفتيش دون سابـــق انذار والى تعاونها الكامل مع الوكالة الدولية لمعالجة الخروقـــــــــات الماضية للضمانات.واكدوا ان التصويت المنقسم على نفسه في مجلس المحـــافظين- ٢٢دولة مع القراردولة واحـــدة ضد القـــرار(فنزويلا)وامتناع١٢دولة عن التصويت(منها روسيا والصين),بدلامن الاجماع المعتاد- اظهر ان القـــرار كان مدعوما من الدول الغربية فقط وكان دافعه سياسيا.وحذروا من احتمال ان ترد ايران على قرار مجلس المحـــافظين باســـتئناف تخصيب اليورانيوم وتعليق تقـــيدها بالبـــروتوكول الاضافي غير المصادق عليه.وعلى اثر ذلك جاء قرار مجلس الشورى الايراني(البرلمان)بتشـــريع يطلب من الحـــكومة اعاقة اعمال التفتيش الدولية لمنشات البلد النووية في حال قيام مجلس الوكالة باحالة ملف ايران الى مجلس الامن[٣٨].

رابعا-تأجيل قرار الاحالة من جانب مجلس محافظي الوكالة.

عزز تبني مجلس المحافظين للقرار السابق,من التوقعات المشيرة الى ان الولايات المتحدة والدول الاوربية الثلاث(EU-3)ســوف تدفع في الاجتماع التالي للمجلس,في تشرين الثاني(نوفمبر)٢٠٠٥,باتجاه احالة ملف ايران الى مجلس الامن.لكن قبل الاجتماع,اشار مســـؤولون امريكيون واوربـــيون لى انهم سيؤجلون الدعوة الى الاحالة لمنح ايران مزيدا من الوقـــت كي تدرس اقتراحاوسطا" بغية انهاء المازق الدبلوماســـي الذي اثارته روســـيا.وعكس قرارهم,اعترافهم بان دعوة كهذه افتقرت الى مســـاندة واســـعة من مجلس المحافظين,بما فيه مساندة دول اعضاء اساسية كالصين وروسيا.

ادى التقرير الذي قـــدمه المدير العام للوكالة الدولية محـــمد البـــرادعي في١٨تشرين الثاني(نوفمبر)٢٠٠٥,بـــخصوص تنفيذ الضمانات في ايران الى تعقيد الموقف اكثر,وقد اوضح التقرير ان مفتشي الوكالة الدولية اكتشفوا

وثيقة,يعود تاريخها الى العام١٩٨٧ ,بشان(صب وصنع معدن من اليورانيوم المخصب الطبـيعي والمنضب وجعله في اشـــكال نصف كروية).ويمكن استخدام الانصاف الكروية من معدن اليورانيوم في صنع قلب سلاح نووي من النوع الانفجاري(الداخلي(Implosion)ووفق تقرير البرادعي,صرحت ايران بـانها لم تطلب هذه المعلومات قـط وانها اعطيت هذه المعلومات من جانب وسيط اجنبي.واكد مسـؤولون في طهران ايضا ان واقـع تسـليمهم الوثيقة اظهر التزامهم الشفافية الكاملة.

وعلى الرغم من ان الوثيقـــة لم تتضمن تصميما" مفصلا او معلومات هندسية,فقد صعد اكتشأفها القلق الدولي من انشطة ايران النووية.وقد حــذر السفير البريطاني في الوكالة الدولية,في معرض كلامه بالنيابة عن الاتحــاد الاوربي,من ان الوثيقة كانت(دليلا على عملية تسـلح),اذ بـينت ان ايران كانت,منذ ماقبـل١٨عاما على الاقـل,مهتمة بالحـصول على التقـــنيات والخبرات المرتبطة ببناء سلاح نووي[٣٩].

خامسا,استئناف محادثات ايران والاتحاد الاوربي.

بُعيد اختتام اجتماع مجلس المحــافظين,وافق وزراء خارجية الاتحـــاد الاوربي على طلب ايراني لاستئناف المحادثات بشـان البـرنامج النووي الايراني.وكانت المحادثات اللاحقة حول وقف المحادثات قد انعقدت في فينا في٢١كانون الاول(ديسمبر)٢٠٠٥وانتهت بـاتفاق الاطراف على اللقـاء مجددا"في كانون الثاني(يناير)٢٠٠٦.وقد تدهور المناخ السياسي للمحادثات المستانفة على اثر سلسلة من تصريحات معادية لاسرائيل ادلى بـها الرئيس الايراني محمود احمدي نجاد واثارت انتقادات حـادة من حـكومات كثيرة وادينت رسـميا في اجتماع للمجلس الاوربـي في بروكسـل في١٥كانون الاول(ديسمبر)٢٠٠٥ .

واظهرت المفاوضات ان هناك قناعة ايرانية بان التصعيد المسـتمر ليس هو الطريقـة الوحـيدة الحـكيمة لادارة الملف النووي,وان امتلاك اوراق

وادوات مضادة للتعامل مع الضغوط النووية عبـــــر ملفات اخرى لايصلح دائما وفي جميع الاوقـــــــات كعامل ردع في الملف النووي.ويكمن جوهر التحول في وصول القادة الايرانيين الى اقتناع بـــان التصعيد المســـتمر مع واشنطن واوربا والامم المتحدة من شانه تحويل حالة الاستياء القـــائمة لدى هذه الاطراف من المستوى المعنوي والنطاق السياسي الى المستوى العملي والنطاق التنفيذي,وهو ماتمثل في احالة الملف النووي الى مجلس الامن[٤٠].

كان اهم موضوع في المحادثات هو الموقف من الاقتراح الروسي غير الرسمي بان تؤسس مشروعا" مشتركا مع ايران لانتاج وقود نووي.وقد دعا الاقتراح الى تولي روسيا الجزء الاشد حساسية من بـــرنامج ايران النووي والخاص بالتخصيب,والسماح لايران بمواصلة تحـــويل خام اليورانيوم الى ربـــاعي فلوريد اليورانيوم(خطوة وســـــيطة في انتاج سداســــــي فلوريد اليورانيوم)في منشـــاة اصفهان,في ظل ضمانات الوكالة الدولية للطاقـــــة الذرية(IAEA)ومع اجراءات ملائمة تتعلق بالشفافية.

وبعد ذلك,يتم شحن ربـــاعي فلوريد اليورانيوم الى منشـــاة في روســـيا لتحويله الى سداسي فلوريد اليورانيوم ومن ثم تخصيبه ليصبـــح وقـــودا"من يورانيوم منخفض التخصب من اجل معمل طاقة نووية,وفي الامكان تشغيل هذه المنشاة في ظل ملكية ايرانية-روســـية مشـــتركة,وتعيد ايران وقـــود المفاعل المستهلك الى روسيا لخزنه فترة طويلة ثم التخلص منه,كما سبـــق الاتفاق على فعل الامر نفسه بالنسبة الى الوقود الروسي لمفاعل بوشهر.

كان رد المسؤولين الايرانيين الاولي على الاقتراح الروسي سلبيا,فقد اصر الناطق باسم وزارة الخارجية الايرانية على القول ان على أي صفقـــة تزويد بالوقود ان تضمن بقاء دورة الوقود النووي داخل ايران،وقال لاريجاني في مؤتمرصحفي في مطلع كانون الاول(ديسمبر)٢٠٠٥انه لايرى حـــاجة الى صفقة الوقود المقترحة مع روســـيا,واكد مجددا" ان ايران تنوي انتاج وقـــود نووي داخل ايران,وقـــال لاريجاني في مؤتمر صحـــــفي في مطلع كانون

الاول(ديسمبر)٢٠٠٥انه لايرى حاجة الى صفقة خدمات الوقود المقترحة مع روسيا,واكد مجددا" ان ايران تنوي انتاج وقود نووي محليا",ولم يحدد زمن حدوث ذلك شدد على ان ايران تفضل تنفيذ ذلك كنتيجة للمفاوضات التي قد تستغرق اشهرا"عدة.وبعد ذلك قدم مسؤولون ايرانيون كبار تقديرا" علنيا" اكثر ايجابية للاقتراح الروسي,لكنهم اصروا على ان سياسة ايران لامتلاك قدرة محلية على تخصيب اليورانيوم لم تتغير.

وفي مقابل هذا الاقتراح قدمت ايران مجموعة من الافكار والمقترحات التي تتضمن استحداث الية جديدة للبحث عن تسوية للازمة من خلال الدعوة الى توسيع المفاوضات,بحيث لاتقتصر على ايران ودول الاتحاد الاوربي الثلاث(EU-3),وانما توسيعها لكي تشمل دول اخرى من اعضاء مجلس محافظي الوكالة الدولية,لاسيما روسيا والصين ومجموعة عدم الانحياز,مثل جنوب افريقيا والبرازيل وماليزيا ،بحيث يكون أي اتفاق يتم الوصول اليه من خلال هذه المفاوضات معبرا عن توافق دولي واسع,وليس عن اتفاق ذي قاعدة ضيقة تقتصر فقط على عدد محدود من الدول الاعضاء في مجلس محافظي الوكالة الدولية.

وكان هدف ايران من المقترحات هو محاولة حشد اكبر قدر ممكن من التاييد للموقف الايراني,وكشف الازدواجية التي تمارسها دول الاتحاد الاوربي والولايات المتحدة تجاه الدول الاعضاء الموقعة على معاهدة الحد من انتشار الاسلحة النووية,وكسب المزيد من الوقت لاطالة امد المفاوضات الموسعة لاطول فترة ممكنة.[٤١]

وفي٣كانون الثاني(يناير)٢٠٠٦,ابلغت ايران الوكالة الدولية انها قررت ان تستانف ابتداء من٩كانون الثاني(يناير) انشطةالبحث والتطوير المعنية ببرنامج الطاقة النووية السلمي,وكانت تلك الانشطة،قد علقت كجزء من وقف موسع طوعي وغير ملزم قانونا[٤٢].

وفي فيينا، قال دبلوماسيون ان ايران قدمت الى الدول الاوروبية في آذار (مارس)٢٠٠٦,عرضا تتعهد فيه بعدم تخصيب الوقود النووي على نطاق

صناعي لمدة عامين مع الاستمرار في الابحاث والتطوير. ولكن دبلوماسيين من الاتحاد الاوروبي رفضوا العرض قائلين انه لن يهدئ المخاوف من ان طهران تسعى سرا للحصول على قنابل ذرية. وقال دبلوماسي اوروبي مطلع على المحادثات، ان الاتحاد الاوروبي كان قد طلب عدم التخصيب لمدة تصل الى عشر سنوات وهو ما رفضته ايران. وقال دبلوماسي ان »عرض كبير المفاوضين الايرانيين علي لاريجاني لا يشكل اساسا للتوصل الى تسوية... العرض لم يكن له معنى بالنسبة لنا«. وفي مقابلة مع صحيفة كورييرا« النمساوية، نشرت في ٥اذار (مارس), تجاهل لاريجاني فشل المحادثات مع الاوروبيين، واشار الى ان ما يهم في نهاية الامر، هو كيف تتفاوض الولايات المتحدة مع ايران. كما انتقد واشنطن قائلا انها ابدت ازدواجية في المعايير، بتوقيعها اتفاقات تجارية مع الهند القوة النووية، في حين ترفض التعامل مع ايران. وقال لاريجاني »دولة تصنع قنابل نووية توقع الولايات المتحدة اتفاقات معها، والاخرى تريد طاقة نووية لاغراض سلمية. الفوضى لها السيادة على القانون الدولي«. ولفت دبلوماسيون النظر الى ان ايران تنوي البدء في تركيب ثلاثة الاف جهاز طرد مركزي في وقت لاحق. ويقول علماء نوويون ان تشغيل نحو ١٥٠٠ جهاز طرد مركزيا بالتوافق فيما بينها من دون توقف لمدة عام، يمكن ان يؤدي لانتاج ما يكفي من يورانيوم عالي التخصيب لصنع قنبلة ذرية. وقال دبلوماسي اوروبي »إصرارهم على القيام باعمال البحث والتطوير شمل على ما يبدو اجهزة الطرد المركزي الثلاثة الاف. ولهذا فانه لا يشكل اساسا للتسوية في نظرنا«. وتسعى ايران في نهاية المطاف الى تشغيل ٥٠ الف جهاز للطرد المركزي. «[٤٣].

وهذا ماكدته الوكالة الدولية للطاقة الذرية بأن إيران استأنفت أنشطة نووية كانت قد أوقفتها بموجب اتفاق مع القوى الثلاث الكبرى في الاتحاد الأوروبي. وقالت الوكالة في بيان أن "مدير عام الوكالة محمد البرادعي أبلغ أعضاء مجلس المحافظين أن إيران بدأت اليوم تغذي بمركزات خام اليورانيوم الجزء الأول من خط المعالجة في منشأة تحويل اليورانيوم." لكن البيان أشار إلى انه "ينبغي ملاحظة أن الأجزاء المختومة من خط المعالجة لم

تزل سليمة.". وأضافت الوكالة أن "هذه الأنشطة بـدأت في أعقـاب وضع الوكالة الدولية للطاقة الذرية للكاميرات اليوم...ولكن للأسف قبل اسـتكمال الاختبارات العملية للكاميرات والتي تستغرق عادة ٢٤ ساعة بعد تركيبها".

وكانت إيران قد أوقفت العمل بكل أجزاء برنامجها النووي التي يمكن أن تستخدم في إنتاج وقـود يورانيوم مخصب للمفاعلات النووية أو للأسلحـة بموجب اتفاق توصلت إليه مع فرنسـا وبـريطانيا وألمانيا في بـاريس في نوفمبر تشرين الثاني العام ٢٠٠٤. وطلب الاتحاد الأوروبي الذي يشـارك واشنطن شكوكها بان برنامج طهران النووي يستهدف تطوير أسلحـة ذرية من إيران التخلي طوعا عن الأنشطة النووية الحساسة جميعها مقابل حوافز سياسـية واقـتصادية. ولكن إيران رفضت وأصرت على أن بـرنامجها لا يستهدف إلا التوليد السلمي للكهرباء. ومن أجل مراقبة التزام طهران باتفاق باريس قامت الوكالة الدولية للطاقة الذرية بوضع أختام على معدات حساسة بمنشأة تحويل اليورانيوم في أصفهان ومحطة تخصيب اليورانيوم في ناتانز.

ومن جهتها قالت بريطانيا أنها تشعر "بقلق بالغ" لقـرار إيران اسـتئناف العمل في تحويل اليورانيوم في منشأة أصفهان بوسط البلاد. ووصف وكيل وزارة الخارجية البريطانية ايان بيرسون رفض إيران لمقترحات الاتحـاد الأوروبي الخاصة بعرض حوافز اقـتصادية وسياسـية تهدف إلى إقـناع طهران بالتخلي نهائيا عن العمل في دورة الوقـود بـأنه "ضار". أما وزير الخارجية الفرنسي فيليب دوسـت بـلازي فأشـار أن اسـتئناف طهران للنشاطات النووية الحساسـة فتح "أزمة خطيرة" داعيا الأسـرة الدولية إلى "الاتحاد" لمواجهة هذا التحدي. وقال الوزير أن "الأسـرة الدولية ستتحـرك وستقرر الرد المناسب على القـرار الإيراني". وأضاف "آمل في أن نتحـد لمواجهة هذه الأزمة الخطيرة التي أثارتها إيران عمدا". وأوضح أن إيـران اتخذت "قرارين أحاديين خطيرين مقلقين". وتابع "لقد تلقينا ردا رسميا سلبيا على الاقتراح الذي قدمته ألمانيا وبريطانيا وفرنسا في رسالة.

ويشكل استئناف عملية تحـويل اليورانيوم في مصنع أصفهان (وسـط إيران) "انتهاكا صارخا لاتفاق باريس (المبرم في ١٥ تشرين الثاني(نوفمبر)

٢٠٠٤) وقـــرارات الوكالة الدولية التي تنص على تعليق النشـــــاطات الحساسة". وفي ما يتعلق بالاقتراح الأوروبي "إننا نأســف لان إيران لم تأخذ الوقت اللازم لدرسه بشكل معمق ولم ترغب في بحـــثه معنا كما اقترحـــنا". وقال دوست بلازي إن "الذرائع لرفض هذه المقترحات غير مقـنعة" دون أن يعطي مزيدا من التفاصيل. وقال إن "المبادرة الأوروبية فتحت نافذة تسـمح لإيران بإعادة الثقة. وايران تقـوم حـــاليا باقــفال هذه النافذة". ودعا الوزير مجددا "إيران إلى سماع صوت العقل والى العودة بلا تأخير لاحترام اتفاقات باريس بشكل تام"(٤٤).

واقترحت فرنسا وبريطانيا والمانيا، وهي الدول الاوروبـــية الثلاث التي تحـــاور ايران في ملفها النووي في ١٥ايار(مايو)٢٠٠٦، تزويد طهران بمفاعل نووي يعمل بالماء الخفيف، في محاولة لاقناع الجمهورية الاسلامية العدول عن تخصيب اليورانيوم، حسبما اعلن دبلوماسيون اوروبيون.

و قال احد الدبلوماسيين المقربين من المفاوضات الاوروبية الايرانية "ان الدول الاوروبية ومسؤول الشؤون الخارجية في الاتحاد الأوروبـــي خافيير سولانا سيناقشون العرض الذي يتقدمون بـــه لايران مع نظرائهم الامريكيين والصينيين خلال اجتماعات ستعقد في لندن.واشار دبلوماسي آخر مقرب من المحادثات الاوروبية الايرانية ان الولايات المتحدة تدعم العرض الذي تنوي اوروبا ان تتقدم به الى ايران(٤٥).

اجتماع لندن

وكان وزراء خارجية الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامـــن والمانيا قـــــد عقـــــدوا اجتماعا في لندن يوم ٦تشـــــــرين الاول (اكتوبر)٢٠٠٦ ,واصدروا بيانا أشاروا فيه إلى خيبـــة الأمل بسبـــب رفض إيران تعليق برنامجها لتخصيب اليورانيوم.وأشار البيان الى ان الدول الست قررت بحث الاجراءات التي ستتخذ بحق ايران، والتشاور في إمكانية فرض عقوبات محتملة ضد إيران.

وفي الاجتماع اعترف خافيير سولانا منسق السياسة الخارجية بالاتحاد

الأوروبي بفشل محـــاولاته في حـــث إيران على تعليق بـــرنامج تخصيب اليورانيوم.وضم الاجتماع الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمـــن اضافة لالمانيا التي تقـــود الجهود الهادفة الى اقـــناع ايران على التخلي عن برنامجها النووي. "وكانت الدول الست قد عرضت على ايران حـــزمة من المحفزات لقاء تعليق الاخيرة لبرنامجها الخاص بتخصيب اليورانيوم.

وقال خافيير سولانا منسق السياسة الخارجية في الاتحاد الاوروبـــي إن "باب المحادثات لايزال مفتوحا وسيســـتمر كذلك"، على الرغم من تأكيده في وقت سابق إن ساعات عديدة من المحادثات مع الجانب الايراني لم تســـفر عن تحقيق تقدم يذكر.

وعن طبيعة العقوبات نجد أن الولايات المتحدة وبريطانيا تفضلان فرض عقوبات فورية ولكن يعتقد أنهما تدرسان فرض عقوبات مخففة كخطوة أولى وذلك لاسترضاء روسيا والصين.وتشمل تلك العقوبات قـــيودا على ســـفر المسؤولين الايرانيين وحظرا على تصدير السلاح والتكنولوجيا النووية التي يمكن استخدامها بشكل مزدوج سلميا أو عسكريا.

وكانت جولة المباحـــثات الايرانية الأوروبـــية التي جرت هي الفرصة الأخيرة قبل اعتماد عقوبات محتملة على ايران التي لم تستجب لقرار مجلس الأمن الذي طلب منها تجميد عمليات تخصيب اليورانيوم بحـــــــــلول ٣١ اب(أغسطس)٢٠٠٦ .

وكان وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف قـــد وصف العقوبـــات بأنها "إجراءات متطرفة".وجدير بالذكر أن روسيا قامت ببناء مفاعل نووي في إيران في حين تعتمد الصين على واردات النفط الايرانية[٤٦].

وفي ٢٥ اذار(مارس)٢٠٠٧,اعلن الرئيس الايراني محـــمود احـــمدي نجاد ان بلاده ستخفض تعاونها مع مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية ردا على العقوبات الجديدة التي فرضها مجلس الامن الدولي على طهران.وقـــد وصف نجاد العقوبـــات الدولية الجديدة المفروضة على بـــلاده بـــانها"غير

مشروعة",واكد ان ايران"لن توقف ولو للحظة واحدة"عملها النووي,واضاف ان ايران"ستعيد ضبط علاقاتها"مع اولئك الذين كانوا وراء العقوبات دون ان يعطي أي تفاصيل عن الكيفية التي ستعدل طهران من خلالها علاقاتها الدولية,واكد نجاد استمرار البرنامج النووي:"لن توقف ايران توجهها المشروع والسلمي حتى ولو لثانية واحدة بسبب مثل هذا القرار غير القانوني",و"لن تنسى الامة الايرانية اولئك الذين ساندوا ولاولئك الذين رفضوا(القرار),عندما تعيد ترتيب وضبط علاقاتها الدولية"(٤٧).

وكانت ايران قد أدانت قرار الأمم المتحدة فرض عقوبات عليها ووصفته بأنه "قصاصة ورق" لن تخيف طهران وتعهدت بالاسراع بخطى اعمال تخصيب اليورانيوم.

واعتمد مجلس الأمن بالإجماع يوم ٥ايار(مايو)٢٠٠٧,قرارا يفرض عقوبات على تعاملات إيران في المواد والتكنولوجيا النووية الحساسة في محاولة لوقف أنشطة تخصيب اليورانيوم الذي قد يستخدم في صنع قنابل نووية.

وقال الرئيس الإيراني محمود احمدي نجاد إن من ساندوا القرار الذي أعدته بريطانيا وفرنسا وألمانيا واعتمده مجلس الأمن بالإجماع سيندمون قريبا على هذا "التصرف السطحي".ونقل عن أحمدي نجاد قوله عن القرار "إنه قصاصة ورق... يهدفون بها الى تخويف الايرانيين... من مصلحة الغربيين قبول ايران كدولة نووية"(٤٨).

ان إتجاه إيران إلى استئناف بعض الأنشطة المتعلقة بالوقود النووي يعبر عن ثقة إيرانية جديدة من نوعها بالنفس وبقدرتها على التعامل مع الضغط الكبير الذي يمارسه المجتمع الدولي عليها لوقف عمل البرنامج النووي الإيراني خشية تطوير الجمهورية الإسلامية لأسلحة الدمار الشامل. كما أن رفض الحكومة الإيرانية للتحذيرات التي وجهها لها الاوروبيون من مغبة معاودة بعض النشاطات النووية الحساسة وتأكيدها على عدم تخليها

عن"حقوقها المشروعة" وأن "زمن التهديد والترهيب قد ولى" يعود إلى ثقتها بوجود إجماع وطني لا لبس فيه لدى كل قوى الطيف السياسي الإيراني على حق إيران المشروع في امتلاك التقنية النووية. وفي هذا الصدد يعد الايرانيون أن الاوروبيين تعهدوا في اتفاق باريس بالاعتراف بحق إيران في ممارسة نشاطات تحويل اليورانيوم وتخصيبه. كما يعتقدون أن المفاوضات التي عقدوها مع الأوروبيين طوال ثمانية اشهر قد اسفرت "عن القليل (..) إن لم يكن لا شيء"، على حد تعبير المتحدث بإسم الخارجية الإيرانية[٤٩].

لقد فشلت إيران في إقناع المجتمع الدولي ان برنامجها النووي المعلن وغير المعلن يهدف الى إنتاج الكهرباء، وأنها لم تسع للحصول على مواد ومعدات نووية ذات إستخدامات عسكرية ،وأنها لم تنتهك معاهدة عدم الإنتشار عندما أخفت أجزاء من برنامجها النووي ثم أعلنتها ، وأنها لم ولن تسعى للحصول على الأسلحة النووية كونها أسلحة دمار شامل يحرمها الإسلام.

ويعود هذا الفشل الإيراني لعدة لأسباب عدة أولها أنها أخفت على الوكالة طيلة سبعة عشر عاما برنامجا نوويا يتضمن دورة الوقود النووي وإنتاج اليورانيوم و البلوتونيوم أي إنتاج المواد الأولية للسلاح النووي ، وهذا يعني أن المسألة لم تكن خطأ عفويا بل سلوكا منهجيا وراءه قصد. فضلاً عن ذلك فإن إيران لم تتعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية طيلة الأعوام الثلاث التي مرت منذ كشف برنامجها السري في العام ٢٠٠٣،وهو ما عزز الشكوك بإن برنامجها يهدف لما هو أبعد من الكهرباء. أما قول إيران ان كشفها لبرنامجها السري كان كافيا لتصحيح الوضع بدون الحاجة لتدخل مجلس الأمن فلم يقنع أحدا لوجود سابقة حرم فيها مجلس الأمن دولة (العراق) من حقوقها كافة تقريبا بموجب معاهدة الحد من الإنتشار (بضمن ذلك حقها في الإستخدام السلمي للنظائر المشعة لعلاج السرطان) بسبب عدم إعلانها عن برنامج تخصيب اليورانيوم، بل ودمّر هذا البرنامج وعلى نفقة

العراق على الرغم من تقديم من العراق عشـرات الإعلانات عن بـرامجه السابقة(أحدها تضمن خمس وعشرون ألف صفحة) . لذا كان صعبـا على إيران أن لا تقر بهذه السابقة وهي من أوائل الدول التي أيدت ودعمت بقـوة قرارات مجلس الأمن بشأن العراق بل كانت توجه من وقت لآخر رسائل الى مجلس الأمن تطالب فيها المجلس بموقـــف أكثر صرامة في تفكيك وتدمير برنامج العراق النووي وفي مواصلة الحصار على شعب العراق

أما قول إيران ان الأسلحة النووية محرمة عليها دينيا كونها سلاح دمار شامل فهو قول لا ينطلي على أحد . فالأسلحة الكمياوية هي الأخرى سـلاح دمار شامل لكن إيران صنعتها وإستخدمتها بكثافة خلال الحـرب العراقـية الإيرانية . وقـــرار مجلس الأمن ٦١٢ المؤرخ٩ايار(مايو) ١٩٨٨أدان إستمرار إستخدام الاسلحة الكيمياوية في النزاع بـين العراق وإيران وطلب من الطرفين الإمتناع عن إستخدام هذه الأسلحة في المستقبل. كما أن دعوات كثيرة ظهرت في إيران تدعو لصنع القنبـلة النووية خاصة بـعد إمتلاك الباكستان للقنبلة النووية. وأحد رجال الدين الإيرانيين قالها بصراحة : نريد قنبلة نووية شيعية فقنبلة الباكستان سنيّة!

المبحث الثالث,الولايات المتحدة والبرنامج النووي الايراني.

لقد فضل الشاه الولايات المتحدة كحليف رئيسي لايران,منذ تبوئه للعرش في العام١٩٤١ فقـــد فضل تنمية المصالح الامريكية وزيادة تغلغلها في ايران,وجعلها وسيلة لتحقيق غايات داخلية وخارجية.وكان تفضيله للولايات المتحدة كقوة ثالثة نابعا من كونها قوة عظمى تستند عليها لمقـاومة ضغوط الديلوماسية الانكلو- روسية,ولكن بعد ظهور ثنائية اقطاب السياسة الدولية وظهور الحرب الباردة بين الاتحـاد السـوفيتي والولايات المتحـدة,صار اختيار الشاه واضحـا بـصورة متزايدة- وكان على ايران ان تلزم جانب الولايات المتحدة.وتطورت العلاقة بتوقـيع ايران للاتفاقـية الاجرائية مع الولايات المتحـدة في ٥اذار(مارس)١٩٥٩ بـعد ان رفضت ايران عرضا

سوفيتيا لعقد معاهدة سلام لمدة خمسين عاما,حيث اصر الشـــاه على رفضها مفضلا الوقوف الى جانب حـــلفائه.وفي اتفاقـــها مع ايران ,عدت الولايات المتحدة استقلال ايران وسلامتها مسألة(حيوية لمصالحها الوطنية)وقـــررت الالتزام بـــ:-[٥٠].

١-استمرار تزويد ايران بالمساعدة العسكرية والاقتصادية.

٢-ان تقوم بمساعدة ايران في حالة العدوان.فقد نصت الفقـــرة الاولى على انه: (في حـــالة العدوان على ايران ,فان حـــكومة الولايات المتحـــــدة الامريكية,تماشيا مع دستور الولايات المتحدة الامريكية ,ستقوم بـــاتخاذ الاجراء المناسب بما فيه استخدام القوات المسلحة,كما اتفق عليه بصورة مشتركة وكما هو مثبت في القرار المشترك لتعزيز السلم والاستقرار في الشرق الاوسط,لغرض دعم حكومة ايران حـــين طلبها).وبالمقابل,فقـــد التزمت ايران بالاســـتفادة من الدعم لغرض(تعزيز التطور الاقـــتصادي الفعال).

وبـــعد زيارة الشـــاه الى الولايات المتحـــــدة في ٢١- ٢٣ تشـــــرين الاول(اكتوبر)١٩٦٩ ,قامت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا بدعم البـــناء العسكري لايران بصورة سريعة,حيث اعلن في النهاية عن بـــرنامج الدفاع الايراني ذو البليون دولار الذي كان تحت التوقيع من قبل القوتين الغربيتين استعدادا للانسحاب البريطاني من الخليج العربي في العام ١٩٧١ .لقد كانت المساهمة الامريكية الاساسية في هذا البرنامج متمثلة في اسراب من احدث انواع القاذفات- المقاتلات النفاثة فانتوم في حين قامت بـــريطانيا بـــتجهيز مئات الدبابـــات والقـــطع البحرية(وقـــد اعلن بـــان المبـــيعات الامريكية والبريطانية من المعدات الحديثة الى ايران قد رفع من قوتها العســـكرية الى مستوى متقدم نسبة الى ماكان عليه البناء التسليحي القديم)[٥١].

وقد يكون الجانب الاهم في العلاقـــات الايرانية -الامريكية هو التعاون في المجال النووي,والذي بدأ بتوقيع اول اتفاقية للتعاون في مجال اســـتخدام

الطاقــة الذرية للاغراض المدنية في ٥اذار(مارس)١٩٥٧ التي اصبحــت ســارية المفعول في ٢٧نيسان(ابريل)١٩٥٩ .وقــد عدلت هذه الاتفاقــــية الاساسية لمرتين خلال عقد الستينات ,اذ وقــعت اتفاقــية التعديل الاول في ٨حــــــزيران (يونيو)١٩٦٤ وتم العمل بموجبــــــها في ٢٦كانون الثاني(يناير)١٩٦٧ وقد تضمن النص المعدل على ان الحــكومتين(تؤكدان على مصلحتهما المشــتركة في ضمان وجوب اســتخدام اي مادة او آلة او وسيلة يتم توفيرها لحكومة ايران ,وفقــا لهذه الاتفاقــية,للاغراض المدنية وحدها).ووقعت اتفاقية التعديل الثاني في ١٨اذار(مارس)١٩٦٩ وتم العمل بموجبها في ١اب(اغســطس)١٩٦٩ ,وكررت التاكيد على ان اية مادة او آلة او وسائل يتم توفيرها لايران(يجب ان تستخدم فقط للاغراض السلمية).كما اضافت بشكل اكثر تحديدا بان اية مادة او آلة او وســائل(واضيف اليها)اية مادة نووية خاصة تنتج من خلالها بوساطة ايران (يجب الا تســتعمل لانتاج الاسلحة النووية,او للبحث في الاسلحة الذرية او تطويرها ,او لاي اغراض عسكرية اخرى).كما تم النص في اتفاقية تعديل ١٩٦٩ على ان تبقى سارية المفعول لمدة عشرين عاما[٥٢].

بعد نهاية الحرب الباردة وبــخلاف العديد من الدول التي وطدت علاقــاتها بــالغرب من خلال تطوير دورها، فإن إيران لم تتبــع جمهور المنصاعين وإنما حجمت وحكمت معارضتها للنظام الدولي للولايات المتحــدة. يقــوم الموقف الإيراني على عدم تصعيد التوتر مع الحفاظ على الاستقلالية بقــدر الإمكان. فلقد استمرت القيادة الإيرانية في تأكيد سياسة إيران القــائمة على تخفيف التوتر وجهودها المضادة للإرهاب خاصة في أفغانســتان، كما اتفق الجميع على أهمية الدور الإيراني وأنه لولاه ما كانت مأساة أفغانســتان قــد سويت بهذه السهولة. وساعدت البراجماتية الإيرانية على هذا النهج حــيث عمدت إلى إزالة مواطن التوتر أو المبــررات كافة التي يمكن أن تسوقــها الإدارة الأمريكية للتصعيد ضد إيران. وبدت خطوات عدة للتهدئة منها: عدم

تسييس المحدد الأمريكي في رسم العلاقة الجديدة مع أفغانستان، التوحد الإيراني خلف دعم الحكومة الانتقالية الأفغانية، النقد الحاد الذي وجهه خاتمي لقادة حرس الثورة بعد تهديدهم باستهداف آبار النفط والملاحة بمنطقة الخليج إن منعت إيران من تصدير نفطها وطلب منهم عدم التدخل في قضايا السياسة الخارجية.

مثّل الموقف من الحوار مع الولايات المتحدة بعدا داخليا أثر على حدود حركة ومناورة النظام الإيراني فيما يخص المسألة العراقية. فلقد تحسنت مستوى الاتصالات بين طهران وواشنطن خلال الحرب الأمريكية في أفغانستان. ولكن يمكن عدّ المرحلة التي تلت تصريحات بوش التي جعلت من إيران محورًا للشر مرحلة ثانية مختلفة لفترة ما بعد ١١ ايلول(سبتمبر)، اختلف فيها الخطاب الأمريكي، ومن ثم جاء رد الفعل الإيراني مغايرا تبعا لذلك. فلقد تصاعد العداء الأمريكي لإيران بوصفها أحد أضلاع مثلث الشر في العالم ومع تجدد احتمالات الحرب ضد العراق بدأت إيران تواجه خطر العدوان وسط تصعيد إسرائيلي مريب لوضع إيران على أولوية الأجندة الأمريكية لمحاربة الإرهاب. وقد مثّل خـ ـاش في أوائل ٢٠٠٢ شديدة للإيرانيين خاصة بعد ظهور حالة من التعاطف الإيراني مع الولايات المتحدة بعد أحداث ايلول(سبتمبر)، فضلاً عن الدور المهم الذي لعبته إيران من أجل إعادة بناء الدولة الأفغانية ما بعد طالبان. وكان لهذا الخطاب آثار سلبية على التحسن الطفيف المتوقع في العلاقات الإيرانية – الأمريكية وتدعم موقف المتشددين الذي يقوم على عدم إمكانية الثقة في الولايات المتحدة الأمريكية. فلقد شكلت هذه التصريحات عاملا دافعا للوحدة قلما وجد، حيث تقاربت وجهات نظر المحافظين والإصلاحيين بشكل واضح. وركزت معظم الكتابات الصحفية الإيرانية على الطابع المحافظ لإدارة بوش والذي تكرس عقب أحداث ١١ايلول(سبتمبر). وأعلن أنه لا شك أنها أحداث أليمة ولكنه يجب عدم تجاهل السياسات الأمريكية الخاطئة والمواقف غير المناسبة

للسياسيين الأمريكيين التي مهدت الطريق لهذه الأحـــداث، وأدت للخســـائر الكبيرة للأمة الأمريكية. شدد الخطاب الإيراني الرســمي على أن المشــكلة تكمن في الاستكبار غير المنطقي والرؤى الخاطئة التي يتبناها المســؤولون الأمريكيون حول المسائل الدولية وعن إيران، للأسف أن السياسة المتشــددة قد شكلت جانبا من الإدارة الأمريكية وهي التي تقود العالم إلى الحرب بشكل يضر بالمصالح الدولية والأمريكية ذاتها. ولكن في نفس الوقت سعت الحركة الإصلاحــية الإيرانية إلى عدم إغلاق أي إمكانية للحــوار المستقبــلي مع واشنطن حتى بعد تصريحات بوش العدائية تجاه إيران.

ومثّل موقف خامنئي الرافض للحوار مع الولايات المتحــدة خيبـــة أمل للإصلاحيين الذين كانوا يأملون بفتح الحــوار مع واشــنطن لتلافي العدوان الأمريكي خاصة أنهم يرون أن الولايات المتحدة ستتجه بعد تغيير النظام في بغداد إلى طهران. وبذلك فإنه كلما فتح الحوار مبكرا كان للصالح الإيراني، وأفضل من أن يتأخر وتبدأ إيران المفاوضات من موقــف أضعف. إلا أنه لا يمكن تصور فتح أي حوار مع الولايات المتحدة بدون دعم المرشد.

وكانت الخارجية الأمريكية قد أرسلت في ١٢شبــاط(فبــراير) ٢٠٠٢ رسالة تهدئة لإيران عبر السفارة السويسرية تؤكد فيها رغبــتها في الحــوار وحل الخلافات من خلال حوار هادئ، وهي الرســالة التي كانت من ضمن عوامل أخرى دعمت من رؤية التيار الإصلاحي وبعدها قرر خاتمي إطلاق يد لجنة إدارة الأزمة في إجراء حوار مباشــر مع الولايات المتحــدة. وكان للمحدد الأمريكي تأثير في الجدل العقائدي بين معسكري الساحـــة الإيرانية الداخلية حتى أنه قد تبلور لدى المحافظين الرغبة في عدم ترك الإصلاحيين يستأثرون بدور المحاور مع المسؤولين الأمريكيين وحدهم. وظهرت أقاويل حول لقاءين سريين بين مسؤولين إيرانيين في مجلس تشخيص المصلحة مع مسؤولين أمريكيين في قبرص في بداية شهرنيسان(إبــريل) ٢٠٠٢، وتلا ذلك تصريحات لرافسنجاني يعلن فيها عدم وجود حظر على اللقــاءات غير

الرسمية بين الإيرانيين سواء أكانوا مثقفين أو برلمانيين مع نظرائهم الأمريكيين. ثم جاء قرار رافسنجاني بتكليف كل من حسن روحاني أمين المجلس الأعلى للأمن القومي ومحمد جواد لاريجاني المنظر العقائدي للتيار المحافظ بدراسة إمكانية إجراء حوار مع الولايات المتحدة، وهو ما يعد بحق انتقاله في موقف المحافظين من مسألة الحوار مع الولايات المتحدة، حيث لا بد لرافسنجاني من الحصول على موافقة المرشد قبل الإقدام على استخدام هذه القضية كمنطلق للظهور الإعلامي بقوة في الساحة الإيرانية. ويأتي هذا التحول في الموقف المحافظ بعد حملة شرسة ضد البرلمانيين الذي قادوا حملة المطالبة بفتح الحوار مع الولايات المتحدة فى ظل إدارة الأزمة الأفغانية ومساءلاتهم أمام المؤسسة القضائية وبعد رفض خامنئي لاقتراح رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الذي قدم في اذار (مارس) ٢٠٠٢ بإجراء حوار برلماني بين البلدين. وبذلك بدأ الحديث عن وجود سباق غير ظاهر بين الجناحين في إدارة حوار فعال مع الولايات المتحدة.

ويمكن ملاحظة أن فكرة فتح الحوار مع الولايات المتحدة وإن اقتصرت في البداية على الإصلاحيين فإن التطورات الداخلية والدولية المتعاقبة دفعت المحافظين إلى التغاضي أحيانا عن بعض القنوات التي من المحتمل أن يفتحها الجناح الإصلاحي. وانتقلت بذلك قضية الحوار مع الولايات المتحدة إلى دائرة القضايا التي تتداخل فيها مواقف الإصلاحيين والمحافظين ولكن بدرجة أقل من قضايا أخرى مثل الحرية السياسية والتي تتداخل فيها الرؤى بشكل أكبر.

من الملاحظ أنه بعد تصريح الرئيس الأمريكي في ٢٨كانون الثاني (يناير)٢٠٠٣، لم تتراجع فقط الانفراجة المتوقعة في العلاقات الأمريكية الإيرانية بل اتجهت لاتباع أساليب غير مباشرة فقط من أهمها المحور الأفغاني، وذلك بعد أن قامت قنوات اتصال مباشرة قبل ذلك عبر الأمم المتحدة بين مندوبي البلدين، ومن خلال لجنتي الاتصال بخصوص الشأن

الأفغاني اللتين جمدتهما واشنطن وكذلك لجنة الأزمة التي شكلها خاتمي للتعامل مع الشأن الأفغاني بعد أحداث ايلول(سبتمبر) وأعطى لها بعد ذلك إدارة حوار مباشر مع واشنطن. وقد جاء التفعيل الأمريكي للقناة الأفغانية الجديدة بعد تدارك إدارة بوش لمخاطر استبعاد إيران عن الساحة الأفغانية أولا وعلى المستوى الإقليمي والدولي عامة. واتضح ذلك جليا بعد ما مثّل السلوك الإقليمي الإيراني تحديا سافرا للولايات المتحدة يهدد مساعيها: فعلى سبيل المثال بدا أن هناك احتمالا لتطوير إيران لعلاقاتها مع العراق من خلال تشكيل جبهة موحدة عراقية إيرانية في وجه المساعي الأمريكية لإعادة رسم المنطقة تحت ذريعة ما يسمى بمحاربة إرهاب دول محور الشر.

باختصار نحن أمام ساحة داخلية لا تسمح على الأقل على المدى القريب بفتح حوار شامل وفعال ومؤثر مع الولايات المتحدة حيث تزيد العقبات عن الحوافز، وهو ما زاد من المخاطر التي واجهها النظام الإيراني أثناء وبعد العمليات العسكرية الأمريكية في العراق. وادراك صانع القرار الإيراني ضرورة التعامل مع الجانب الأمريكي، ولكن تظل المشكلة في فكر وإدراك القيادة الأمريكية ذاتها والتي بخلفيتها المحافظة يسهل توقع تزايد المشاكل بين الطرفين وليس تخفيفهما. فوفق تصريحات الرئيس الأمريكي والتي جدد خلالها العقوبات الأمريكية على إيران أعلن أن طهران تهدد السلام والأمن في العالم واتهمها بدعم الإرهاب الدولي وامتلاك أسلحة الدمار الشامل كما أنها تسعى إلى نسف عملية السلام في الشرق الأوسط. وبالفعل أثارت الولايات المتحدة كثيرًا من الشكوك حول أهداف وقدرات البرنامج النووي الإيراني. حيث بدأت الولايات المتحدة في اتهام إيران بسعيها لإنتاج أسلحتها النووية وكررت هذه الاتهامات مؤخرا في أكثر من موضع حيث ساد الاعتقاد أن برنامج إيران النووي أكثر تطورا مما كان يعتقد من قبل، واتهم فلايشر المتحدث الرسمي للبيت الأبيض إيران بالسعي سرا لبناء مصنعين أحدهما لإنتاج اليورانيوم المخصب.

ويعكس النظام الدولي ما بعد ١١ايلول(سبتمبر) ٢٠٠١وموقف التيارات الداخلية من قطبه الكبير على الواقع الإقليمي المفروض على إيران. فتؤمن الرؤية الإيرانية أن تلك ألاحداث قد ساعدت القوة العسكرية الأمريكية على توسيع نفوذها وكذلك الأمر بالنسبة للأجهزة الأمنية. الأمريكية مثل وكالة المخابرات الأمريكية والمباحث الفيدرالية في الساحة الداخلية والخارجية. وتهدف الولايات المتحدة بالأساس وفق هذه النظرة إلى مواجهة عسكرية وأمنية شاملة في المنطقة مع القوى المعارضة لها: العراق وإيران، ووضعت النفط وبيع الأسلحة إلى دول المنطقة على رأس أولياتها. ولقد سادت دوما الشكوك الإيرانية في النوايا الأمريكية، وقد لخص محمد صادق الحسيني الرؤية الإيرانية لأهداف الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة بأنها تسعى إلى إعادة رسم جغرافية الخليج بما يؤمن قيام جمهورية نفطية أمريكية خالصة لوقف تدهور الاقتصاد الأمريكي الذي يعاني نقصا حادًا في مجال تأمين الطاقة الذاتية، وخلع النظام العراقي السابق واستبدال به نظام تحالف شيعي كردي دستوري ليلعب دور المارونية السياسية اللبنانية القديم وإضعاف انتمائه للبحر العربي الإسلامي، وليكون أول نظام تحركه الإدارة الأمريكية في شرق أوسط جديد تلعب فيه إسرائيل دور الشرطي الوحيد، وأخيرا تسعى الولايات المتحدة من خلال حربها الإعلامية الشعواء ضد إيران أن تستبدل بالجمهورية الإسلامية الحالية جمهورية ليبرالية على طريقة روسيا الحالية. ومن هنا دافع عن ضرورة معارضة ضرب العراق وتحريم التعاون مع واشنطن بأي شكل.

كما أن نجاح الإستراتيجية الأمريكية الساعية للسيطرة المباشرة على منابع النفط يثير العديد من المخاطر المشتركة بين دول المنطقة خاصة الخليجية منها مع إيران، خاصة أن دول المنطقة جمعيها عربية وإيرانية تستقي مكانتها الدولية في الأساس من وزنها النسبي في التأثير على السياسات النفطية إنتاجا وتسعيرا. وإلى جانب ذلك هناك التعريف الأمريكي

للإرهاب والذي على أساسه تصنف الدول، فإنه يمثل تحديا ثانيا مشتركا أمام دول الخليج جميعا من أجل إعادة هيكلة العلاقات فيما بينها للاتجاه نحو مزيد من التعاون(٥٣).

اولا- الولايات المتحدة والخليج.

لاتقتصر اهمية الخليج بالنسبـــة للولايات المتحـــدة على النفط,فمنذ ان تولت هي مسؤولية الامن في الخليج عقب الانسحاب البريطاني من المنطقة في العام ١٩٧١ وحتى الان,ظلت هناك خمســة اهداف على اجندة الادارات الامريكية المتعاقبة بشان امن الخليج,هي:- (٥٤).

١-تعزيز الامن الاقليمي.

٢-ضمان حرية الوصول الى الموارد والاسواق دونما عوائق.

٣-الحفاظ على حرية الملاحة.

٤-حماية المواطنين الامريكيين والممتلكات.

٥-تدعيم امن الحلفاء والاصدقاء الاقليميين.

وبتحـــليل السياســـات الامريكية تجاه منطقـــة الخليج منذ الانسحـــاب البريطاني في العام ١٩٧١ وحتى الان,يمكن القول ان تلك السياســـات قـــد اخفقت في تحقيق امن المنطقة,حيث ان الهدف المبدئي لاي اســـتراتيجية او اطار عمل او تحالف او مؤسسة امنية,سواء كانت احادية او ثنائية او متعددة الاطراف,هو توفير النظام في بيئة مكونة من دول فردية ذات مصالح وقـــيم وايديولوجيات متصارعة ومتداخلة.وقـــد اكدت التجارب الامنية العملية ان فكرة النظم الامنية تتعارض مع اصرار طرف ما على تحقيق مصالحـــه من خلال التهديدات والقـــهر,اذ ان النظام الامني يتم بـــناؤه من خلال الحـــلول الوسط التي لم تسع اليها الولايات المتحدة,بل انها سعت الى تكريس هيمنتها على المنطقة,دون الاخذ في الاعتبار مصالح الاطراف الاقليمية المختلفة(٥٥)

وفي ٦ اذار (مارس) ١٩٩١,اعلن الرئيس بوش الاب في خطاب له امام الكونغرس,ان هناك اربعة تحديات تواجه الولايات المتحدة في اعقاب تحرير

الكويت وهي ضرورة العمل على التوصل الى اتفاقية امنية في منطقة الخليج,والتحرك من اجل التوصل الى ضبط التسلح,وتسوية الصراع العربي الاسرائيلي ,وتحقيق التنمية الاقتصادية.ومن ثم فان الدعوة الى التوصل الى حلول للمشاكل في لبنان وفلسطين والخليج يجب ان تتقدم بقوة وارادة جديدة بعد انتهاء حرب الخليج.

وقد طرح هذه الافكار بالتحديد وزير الخارجية الامريكي جيمس بيكر في شباط(فبراير) ١٩٩١,في تصوره لمهام الولايات المتحدة وحدها وكما يأتي:ـ [٥٦]

١-امن الخليج هو اجراءات امنية تتحمل دول المنطقة مسؤوليتها.

٢-ضمان الحدود الموجودة وحل المنازعات سلميا وبالتفاوض.

٣-قوات اقليمية للامن تحت اشراف الامم المتحدة وبالتشاور مع كل الاطراف.

٤-الحد من سباق التسلح ومنع تدفق الاسلحة الى الشرق الاوسط.

٥-اجراءات بناء الثقة.

٦-اعادة بناء الكويت والعراق,ووضع برنامج اقتصادي متكامل.

٧-استخدام موارد البترول في المنطقة وخارجها لاعادة البناء والتعمير.

وعقب حرب الخليج الثانية،وتحديدا في ايار(مايو)١٩٩٣,اعلنت الولايات المتحدة مبدأ الاحتواء المزدوج تجاه كل من العراق وايران لتحقيق الامن في الخليج,بغية وضع اطار منظم كجزء من السياسة الامريكية الجديدة تجاه الشرق الاوسط عموما والخليج العربي تحديدا,وبشكل يتناسب مع النتائج السياسية والعسكرية للحرب على العراق في العام ١٩٩١ولمعطيات الانفراد الدولي للولايات المتحدة في تصريف شؤون المنطقة.وفي رأي مارتن انديك الذي يعد مهندس الاحتواء المزدوج(ان عزم الرئيس بوش الذي اظهره في جهوده ازاء موضوع الكويت لم يقابله عزم مماثل على اعادة هيكلة الشرق الاوسط في اعقاب الحرب)[٥٧].

والواقع ان مفهوم الاحتواء(containment)ليس ابتداعا جديدا,اذ يعود الى حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية عندما اشـــار اليه جورج كينان كونه السياسة التي ينبغي على الولايات المتحـــدة اتبـــاعها في مواجهة الاتحـــاد السوفيتي,واصفا اياها بانها سياسة صبورة,يقظة ,وحازمة.وقـــد اعاد مارتن انديك الى الاذهان هذه السياسة كونها الوسيلة الفعالة تجاه الخصوم الجدد.فقد امكن بواسطتها تحجيم الخطر الواسع الذي كان يمثله الاتحاد السوفيتي ومن ثم انهياره بعدها ,فكيف اذا اتبعت تجاه الخصوم الاقليميين.

والفكرة الرئيسة للاحتواء المزدوج هي ان للولايات المتحـــدة مصالح قومية حيوية في الخليج العربي تتمثل في امكانية الوصول غير المقيد للنفط وبسعر معقول ومنع الانتشار النووي والحفاظ على الاستقرار الاقليمي وهذه الاهداف عرضة لمخاطر جدية مستمرة من قبل القوى الاقـــليمية الرئيســـة العراق وايران,اما هدف الاحـــــتواء المزدوج فيتمثل في مواجهة كل منهما عبر اجراءات عقابية فعالة بدلا من استخدام السياسة السابقة التي كانت تقوم على رعاية احدهما في مواجهة الاخر عبر توازن قوى اقليمي وهي السياسة التي ينعتها انتوني ليك بانها كانت فاشلة[٥٨].

الا ان هذا المبدأ لم يحقق نجاحا يذكر.وقد اكدت وثيقة استراتيجية الامن القـــومي في هذه المرحـــلة على ان هذه المنطقـــة يجب التركيز عليها وعدم تعريضها للتهديد من اجل الاستقرار الاقليمي,وامن مصادر الطاقة,والوقوف. في وجه التهديدات التي تشـــكلها الدول التي تمتلك اسلحـــة الدمار الشـــامل وحماية امن شركائنا في المنطقة بصفة خاصة من التهديدات...اننا ســـوف نســـتمر في تشـــــجيع اعضاء مجلس التعاون الخليجي ,على ان يعملوا معا وبطريقـــة وثيقـــة من اجل التوصل الى ترتيبـــــات دفاعية وامنية جماعية ومســـاعدة كل دولة من دول المجلس للوفاء بمتطلبـــــاتها الدفاعية وتطوير العلاقات الدفاعية الثنائية.

فالإستراتيجية الأمريكية لأمن الخليج في تلك المرحلة نهضت على جملة

من العوامل، أبرزها: التحكم في شبكة المعلومات الأمنية والعسكرية للمنطقة، تأمين صفقات التسلح وضمان عدم استخدامها ضد المصالح الأمريكية، ربط أمن الخليج بمنظومة الدرع الصاروخي الأمريكي، الاحتواء المزدوج لإيران والعراق.

وبالنظر إلى هذه السياسات الأمريكية فإن موقف واشنطن من العلاقات الخليجية يرتكز بشكل كبير على إخراج إيران من أي ترتيبات لقضية أمن الخليج، استمرار سياسة العقوبات الاقتصادية ضد إيران وفق قانون داماتو، مراقبة واحتواء برامج التسلح الإيرانية خاصة غير التقليدية، وهي أمور تصبُّ جميعًا في صنع درجات من التباين بين إيران ودول الخليج، وتسهم في زعزعة الثقة بين الطرفين(٥٩).

وعلى الرغم من انتهاء حرب احتلال العراق واسقاط النظام القائم فيه,فقد تردد الحديث عن تشكيل الولايت المتحدة وجودا عسكريا امريكيا متقدما في العراق بهدف القيام بدور(الموازن للقوة العسكرية الايرانية).وعلى الرغم من ان الولايات المتحدة قد جعلت هدف الوجود في المنطقة هو مضمون سياساتها تجاه قضية امن الخليج على مدى عقود,عدة فان تلك السياسة لم تحقق استقرار وامن الخليج,نظرا لافتقارها الى توجه واضح يستهدف بالفعل تحقيق استقرار وامن الخليج,بل استمرت في تكريس هيمنتها على المنطقة من خلال آليات ثلاث,اولاها:احتلال العراق عسكريا واسقاط نظامه السياسي،وثانيهما:تفعيل الترتيبات العسكرية الثنائية مع الدول الخليجية ,وثالثهما:العزلة الكاملة لايران.من خلال الدبلوماسية القهرية التي تنطوي على العزلة الاقتصادية والضغوط الدبلوماسية,فضلا عن التهديدات المستترة بتوجيه ضربات عسكرية تقليدية اخفقت جميعها في احداث اكثر من توقف مؤقت في متابعة ايران عمليات تخصيب اليورانيوم وادت هذه الاساليب القهرية- الى جانب رفض الولايات المتحدة الاعتراف رسميا بشرعية وسيادة جمهورية ايران الاسلامية- الى اشتداد عزيمة القادة

الايرانيين وتصلبهم في تامين خيار نووي للاغراض السلمية ,فضلا عن ان الضغوط الامريكية قد ادت الى تحويل البرنامج النووي الى قضية كبرياء وطنية لكل الايرانيين,ليبراليين ومعتدلين ومحافظين على السواء[٦٠].

ويحدد هاشمي رفسنجاني الموقف الايراني من الولايات المتحدة بقوله:" نحن لا نحارب أميركا ولا دخل لنا بها، إلا بالقضايا والمواقف الإسلامية والعربية، وفي مقدّمتها ما يختص بأمن وسلامة بلدنا. لكن نريد من أميركا أن تتركنا وشأننا، فهي ليست وصية علينا. نريد منها أيضاً أن تحترم القرار الوطني الإيراني، وأن تعترف بأننا دولة كبرى في الخليج، لنا وجودنا ومصالحنا وأمننا. لكن المشكلة أن الولايات المتحدة تدعم إسرائيل، وإسرائيل لها نيّات ومشاريع غير مقبولة، ولا يمكن أن نرضخ لها. وإلا فلماذا تعترض الولايات المتحدة على حق إيران في التعامل مع الطاقة النووية، والأبحاث المتعلّقة بأنشطة تخصيب اليورانيوم، ويزعجها نجاحنا في التعامل مع أجهزة الطرد المركزي؟! الولايات المتحدة تريد أن تخضع العالم كله لإرادتها، وإيران لا تزال عصيّة عليها. لذلك، فإنها تحاربنا وتختلق المشاكل والمبرّرات لهذه الحرب غير المقبولة".

اما عن المفاوضات مع امريكا فيقول:" إن المفاوضات المتوقّع إجراؤها بين إيران وأميركا، ستتركّز على الأوضاع في العراق. ثم إنها ليست أول مرة تتفاوض فيها إيران مع الولايات المتحدة، فقد تفاوضت معها من قبل مرتين، أثناء الحرب على أفغانستان العام ٢٠٠٢ والعراق العام ٢٠٠٣. فعندما احتلت الولايات المتحدة أفغانستان، كانت هناك اتصالات بين الجانبين الإيراني والأميركي، كما أن سفيري إيران وأميركا في أفغانستان، لم يتوقّفا عن إجراء اللقاءات والمباحثات كلما دعت الحاجة لمراجعة التطوّرات على الساحة الأفغانية[٦١].

وفي التعامل مع ايران نجد ان الرئيس الامريكي جورج بوش يؤكد ان

الدبلوماسية تظل افضل الخيارات لدى ادارته، لمعالجة النزاع مع ايران بشأن انشطتها النووية.وقال بوش في هذا الخصوص :" الدبلوماسية هي الخيار الاول، واعتقد اننا سنتمكن من حل تلك المشكلة بالدبلوماسية."

ومن جهة اخرى، نسب الى البيت الابيض قوله ان الرئيس الامريكي لن يرد كتابة على الرسالة المفاجئة التي بعثها له الرئيس الايراني محمود احمدي نجاد.وقد تسربت بعض تفاصيل هذه الرسالة المفاجئة، التي تضمنت انتقادات لغزو العراق. وقد قللت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس من أهمية الرسالة، وقالت إنها لا تحتوي على جديد .

وقد وجهت الرسالة في الوقت الذي يجتمع فيه وزراء خارجية الدول في نيويورك لإجراء محادثات حول الأزمة النووية الإيرانية.ولكن بعد ثلاث ساعات من المحادثات، لم يتمكن الوزراء من الاتفاق على موقف موحد حول كيفية التعامل مع المشكلة المتعلقة بالبرنامج النووي لطهران.غير ان الوزراء اتفقوا على ان يجتمع مسؤولون من بريطانيا وفرنسا والمانيا لبحث الخطوة المقبلة، وكذلك لاعداد حزمة مساعدات اقتصادية اذا وافقت على وقف برنامجها النووي، او التهديد بعقوبات دولية اذا لم توافق على ذلك.[٦٢].

ولهذا نجد مندوب الولايات المتحدة لدى الوكالة الدولية يعلن ان شن حرب على ايران بسبب برنامجها النووي امر غير مطروح,وان هدف المفاوضات هو التوصل الى تسوية سلمية للازمة,وان امام ايران فرصة للانفتاح على الغرب,مشيرا الى ان الاتحاد الاوربي كان قد قدم عرضا" لايران يتضمن حصولها على التكنولوجية النووية السلمية والاستفادة من الطاقة النووية دون الحصول على قدرات تخصيب اليورانيوم التي تسبب القلق.وبخلاف المآخذ التي أوردها تقرير الوكالة الدولية، والذي يثير شكوكاً قوية في نوايا إيران من وراء برنامجها النووي، تردد الولايات المتحدة أن إيران لا تحتاج إلى الطاقة النووية لأنها تمتلك احتياطات ضخمة من النفط

والغاز، مشيرة إلى أن الطاقة المتولدة عن النفط أرخص من نظيرتها النووية.

وفي شهادته أمام الكونجرس العام ٢٠٠٣ ادعى جون بولتون مندوب الولايات المتحدة في الأمم المتحدة، والذي كان يشغل وقتذاك منصب مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية، أن الغاز الطبيعي إذا استخدم في إيران لتوليد الكهرباء يمكن أن يولد ٤٠٠٠ ميجاوات بما يعادل ٤ أضعاف ما ينتجه مفاعل بوشهر النووي .وهذه الرؤية تدعم تاكيد بعض المراقبين أن امتلاك إيران لاحتياطات هائلة من النفط والغاز يضعف الحجة الإيرانية بأن الغرض من المفاعلات النووية هو توليد الطاقة الكهربائية، فما الذي يدعو دولة نفطية إلى اللجوء للطاقة النووية بتكاليفها الاقتصادية الأعلى وأخطارها البيئية الهائلة.

ويؤكد هؤلاء أن إيران، التواقة منذ قيام دولتها الحديثة للعب دور إقليمي بصرف النظر عن أيديلوجيات حكامها، تعرف أن القدرات النووية العسكرية هي الضمان لهذا الدور في منطقة أصحبت نووية بالفعل في ضوء امتلاك إسرائيل وباكستان والهند لتلك القدرات.

ويبدو من غير المنطقي في نظر المراقبين أن نستبعد، في ظل سعي طهران الحثيث لفرض نفسها قوة إقليمية كبرى في المنطقة، احتمال وجود أهداف عسكرية وأمنية دافعة للبرنامج النووي الايراني، بل ربما كانت هذه الأهداف هي الأهم في هذا البرنامج. وأعربت الولايات المتحدة عن "شعورها بـ"قلق شديد"، من إعلان إيران قدرتها على إنتاج اليورانيوم المخصب بمعدلات صناعية، معتبرة أن هذه الخطوة الجديدة، من جانب طهران "تمثل تحدياً واضحاً للمجتمع الدولي"، من شأنها أن تؤدي إلى زيادة العقوبات على إيران.

وفور إعلان الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد، دخول بلاده ما يعرف باسم "النادي النووي"، مشيراً إلى أن إنتاج الوقود النووي دخل طوراً

صناعياً، أصدر مجلس الأمن القومي الأمريكي بياناً، حذر فيه من عواقب استمرار طهران في تحدي المجتمع الدولي. وقال المتحدث باسم مجلس الأمن القومي، التابع للبيت الأبيض، غوردون جوندرو، إن "طهران مستمرة في تحدي المجتمع الدولي، وزيادة العزلة من حولها، من خلال توسيع برنامجها النووي، بدلاً من تعليق تخصيب اليورانيوم."وعدّ جوندرو، تهديد الحكومة الإيرانية بإعادة النظر في التعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، "أمراً غير مقبول".

ومن جانبها،عدّت الخارجية الأمريكية الإعلان الإيراني "علامة أخرى على التحدي الذي ما انفكت طهران تظهره للمجتمع الدولي"، حيث شدد المتحدث باسم الخارجية شين ماكورماك، على أن الخطوة الإيرانية بمثابة "الفرصة الضائعة."وقال ماكورماك، إن الإعلان الإيراني الأخير، يبرر العقوبات التي فرضتها الأمم المتحدة عليها، مشيراً إلى أن إيران"تثير مرة أخرى الشكوك حول النوايا الحقيقية لبرنامجها النووي."وأعرب عن أمله في أن يجري زعماء إيران "العقلاء"، حسابات الربح والخسارة، وأن يتوصلوا إلى أن "النهج الحالي ليس في صالح الشعب الإيراني، وأن هناك ثمة بديلاً تفاوضياً يمكن للقيادة الإيرانية أن تختار الأخذ به)[٦٣].

ويشير محللون سياسيون إلى أن النظام الحاكم في إيران فكر في امتلاك القنبلة النووية في أعقاب الحرب العراقية التي اكتوى بنيران أسلحتها الكيميائية، واستخلص من ذلك أن عليه الاستعداد لأي مفاجآت حربية تكنولوجية جديدة.وقد أصبح ذلك جزءاً من التفكير الاستراتيجي الإيراني في الثمانينيات والتسعينيات، وعزز ذلك التفكير الحظر الدولي الحاد الذي فرض على إيران في مجال مبيعات والسلاح. و يشدد الإيرانيون على حتمية الاستمرار في برنامجهم النووي وحتمية تخصيب اليورانيوم، فإن السنوات المقبلة ستنجلي عن حتمية صدام بين إيران وبين من يتربصون بها، لنرى هل

سينتهي المشروع النووي الذي انطلق في أكثر من موقـــع إلى إضاءة ليالي المدن الإيرانية بالكهرباء أم سيضيء لياليها القنابل؟ [٦٤].

لقد اعترفت الولايات المتحدة باجراء السـفير الامريكي لدى بـغداد زلماي خليل زاد اتصالات مباشـرة مع ايران,وهي الاولى من نوعها على هذا المستوى بين واشنطن وطهران منذ قطع علاقاتهما في العام ١٩٧٩,وهذا الاعتراف يحمل دلالة قوية على ان واشنطن لم تعد تملك رفاهية الاستمرار في الوضع القائم بشان الملف النووي الايراني.

وكشفت تصريحات المسـؤولين الامريكين عن وجود افكار جديدة لدى واشنطن تجاه هذا الملف ,وهو ماسماه بعض المحللين(وجود صفقـة نووية ما).فقد بدا واضحا من تصريحات وزيرة الخارجية الامريكية بـخصوص رفض قيام ايران بتخصيب اليورانيوم بمعرفتها ان تحـولا جديدا طرا على موقف واشنطن من الملف النووي الايراني,فهذا الشرط يعني ضمنيا انه ليس لدى واشنطن مانع من مبدأ امتلاك طهران قدرات نووية,بل ايضا لاتمانع في مباشرة ايران تشغيل دورة الوقود النووية مع الوقـوف عند خط احـمر هو عملية التخصيب ذاتها.وبعبـارة اخرى,ان ثمة ممانعات امريكية لن تصمد طويلا امام التشـدد الايراني من جهة,والرغبـة الامريكية في الوصول الى تسوية قريبة من جهة اخرى[٦٥].

كان لتعثر المفاوضات بـين ايران والدول الاوربـية الثلاث(EU-3) فرصة مهمة للولايات المتحدة لكي تبرز من جانبها بـعد اختلاف واضح مع الدول الاوربية حول كيفية معالجة مشكلة الملف النووي الايراني,وحـاولت الدول الاوربية التقرب الى الولايات المتحدة في سياساتها بغية تقديم حـوافز اضافية الى ايران كي تتخلى عن برنامج التخصيب.

وفي ١١اذار(مارس)٢٠٠٥صرحـــت وزيرة الخارجية الامريكية كوندوليزا رايس بانه,في حـال موافقـة ايران على التخلي عن البـرنامج نهائيا",ستسقط الولايات المتحدة اعتراضها على تقديم ايران بطلب الانضمام

الى منظمة التجارة العالمية,وستدرس ايضا",على اساس كل حالة على حـدة اجازة بيع قـطع غيار للطائرات المدنية الايرانية.في مقابـل هذا التغيير في السياسة الامريكية,وافقت الدول الاوربية الثلاث(EU-3)على تقديم دعم نشط لجهود الولايات المتحدة الهادفة الى احـالة ملف ايران الى مجلس الامن في حال استأنفت تخصيب اليورانيوم.وكان مسؤولون اوربـيون قـد عارضوا سابقا" دعوات امريكية الى احالة فورية,وقالوا ان هذه الخطوة ستكون سابقة لأوانها وذات نتيجةعكسية ربـما,اذ قـد تحـفز ايران على التخلي كليا" عن تعاونها مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية "[٦٦].

وفي ٦اذار(مارس)٢٠٠٦ قال جون بولتون مندوب الولايات المتحـدة في الامم المتحدة إن على إيران أن تعي أنها سـتواجه ما سـماه بعواقـب ملموسة ومؤلمة إذا لم تستجب لمطالب المجتمع الدولي بشـأن بـرنامجها النووي.وأضاف المسؤول الأمريكي إن واشنطن ستستخدم الأساليب المتاحة كافة لمواجهة ما وصفه "بالخطر الذي تشـكله إيران".وجاءت تصريحـات بولتون عشية اجتماع مجلس محافظي الوكالة الدولية للطاقة النووية في فيينا لمناقشة إحالة القضية الى مجلس الامن الدولي، حيث يمكن فرض عقوبـات على إيران[٦٧]

لم يؤثر التقارب الامريكي على ايران بشكل كبير,فقد رفض الايرانيون العرض الامريكي بـوصفه غير كاف واكدوا انه لم يكن للولايات المتحـدة دور تؤديه في محادثات ايران مع الدول الاوربية الثلاث,(EU–3)واشاروا الى ان ايران ستستأنف العمل في معمل تحـويل اليورانيوم وسـتمضي,في نهاية الامر,قدما"ببرنامج تخصيب اليورانيوم,وعلى الرغم من انهم اضافوا ان ايران لن تستانف التخصيب مادام الحوار البناء جاريا[٦٨].

ويعد برنامج إيران النووي جزءا من مشكلة علاقتها مع الولايات المتحدة والتي تشمل تزايد النفوذ الإيراني في العراق ومحاربة القوات الأمريكية من خلال المتسللين الانتحاريين ودعم فصائل المقاومة العراقية الموالية لطهران

بالمال والسلاح ، هذا إلى جانب ما تزعمه واشنطن حول تعاون وثيق قائم بين إيران وتنظيم القاعدة الإرهابي وحيث تستضيف الحكومة الإيرانية عناصر من قيادات القاعدة على أراضيها يقومون بتوجيه منها بالتخطيط لعمليات إرهابية ضد المصالح الأمريكية والأوروبية على كل الساحة العالمية . لذلك فإن حل المشكلة النووية مع إيران سيرتبط من جانب الولايات المتحدة بحل باقي المشكلات السابق الإشارة إليها ، وقبل كل ذلك بإيقاف المخططات الأمريكية الأصلية للإطاحة بنظام الحكم في إيران .

ومما لا شك فيه أن السياسة الأمريكية في العراق تزعج إيران كثيرا ، ذلك لأن الولايات المتحدة تحرم الإيرانيين الآن من نصر إستراتيجي ظنوا أنهم ضمنوه وإيران من البديهي أنها لن تتظاهر بعدم المبالاة ، ولن تتجاهل هذا الأمر بل سترد بطرق عدة سرا وعلنا ، وسترد أيضا من خلال برنامجها النووي . ومن ذلك يتبين لنا مدى تشابك الملفات في العلاقات الأمريكية الإيرانية ، وإذا كان بعض المراقبين يرون أن الولايات المتحدة وإيران تتجهان نحو المواجهة ، وإذا أخذنا في الحسبان البعد النووي للمشكلة ، فإنه يتضح لنا مدى إلحاح هذه المواجهة . وما لم يتم التوصل إلى اتفاق ما بين البلدين في العراق يمكن أن يرضى به الإيرانيون فإن الأمور قد تتفاقم بسرعة(٦٩).

ويؤكد القادة الايرانيون على اهمية البرنامج النووي واستعداد ايران لمواجهة كل الاحتمالات بالقول" ما الذي يمنع أن تتمتّع دول العالم الثالث بهذه الخطوات، لتتّجه نحو التنمية، وما الذي يمنع الدول الصديقة لإيران من أن تدعم إيران في هذا البرنامج. أبلغناهم جميعاً بأننا لا نتمنى ولا نريد أن تحدث مواجهات عسكرية بيننا وبين الغرب، لكن إذا قرّرت أميركا أو إسرائيل الحرب، فإننا على استعداد لهذه المواجهات إذا حصلت."على حدتعبير هاشمي رفسنجاني رئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام في ايران(٧٠).

ان مصلحة الولايات المتحدة تتركز في منع اي دولة من تكوين نفوذ هائل حول النفط,ويمكن ان نفهم استمرار التركيز الامريكي على مخاطر السلاح النووي الايرانى,حتى بعد توقيع البرتوكول الاضافي,لانتزاع كل عناصر القوة التي تمتلكها ايران ,والتي قد تمكنها من نفوذ غير عادي او قد تهدد اسرائيل.فالمطلوب امريكيا الا تتمكن ايران من تشكيل اي تهديد,وان يتواصل احتواؤها على الرغم من اشارات الانفتاح التي تبدو ذات مغزى بالنسبة الى الداخل الايراني,اكثر مما تنم عن استراتيجية تطبيع للعلاقة مع ايران ولهذا يجب مواصلة المساعي لتأمين دعم اوروبي وياباني وروسي في الضغط على طهران اقتصاديا ودبلوماسيا لانهاء دعمها للارهاب ولبرامجها للاسلحة التقليدية.

وفي ضوء هذه الضغوط الامريكية المتواصلة,لانتزاع القوة الايرانية وتهديد النظام ومستقبله,وفي ظل الارتباط الاقليمي الشديد الذي حصل بعد احتلال العراق تبدو السياسة الايرانية سياسة ردع دفاعية,تبحث عن حماية امنها ونظامها,ولاتبحث عن التورط في المرحلة الراهنة,حتى لو استمر الوجود العسكري الامريكي على ماهو عليه في العراق,او انحسر الى قواعد عسكرية محددة[٧١].

بالمقابل نجد ان الاستراتيجية ا لامريكية (غير المعلنة)تجاه ايران و التي ترتبط بوصول وزير الدفاع روبرت غيتس الى منصبه,وتعتمد على تضييق الخناق على ايران واشعارها بالتهديد المباشر بالقوة الامريكية,والضغط على ايران من الدول المجاورة لحدودها في عمليات تفجير و اختطاف وقتل داخل الحدود الايرانية تستهدف قوات الحرس الثوري الايراني,او غيرها من عمليات ضد الدبلوماسيين الايرانيين في العراق.وقد اتضحت ملامح تغير الموقف الامريكي تجاه ايران في:ـ[٧٢].

١-ارسال قوة قتال بحرية تقودها حاملة (جون ستينيس)لتلحق

بالحاملة(دوايت ايزنهاور)التي سبقتها الى منطقة الخليج العربي في رسالة واضحة لايران.

٢-محاصرة النفوذ الايراني في العراق والحد منه,وخصوصا بعد الامر الذي وقعه الرئيس بوش في ٢٦ كانون الثاني(يناير)٢٠٠٦ للقوات الامريكية بالقبض على او قتل عملاء ايران في العراق لتهريبيهم اسلحة ومتفجرات تستخدم لقتل الجنود الامريكيين.

٣-خلق حالة من عدم الاستقرار على حدود ايران,خاصة مع باكستان وافغانستان حيث الطبيعة الوعرة للحدود.

٤-محاولة تشديد العقوبات على طهران ,خاصة بعد صدور قرار مجلس الامن١٧٣٧ الذي تضمن عقوبات على مؤسسات واشخاص من العاملين في برنامج ايران النووي والصاروخي معا.وعدم امتثال ايران للقرار القاضي بتعليق انشطة التخصيب,وهو ما فتح امكانية تشديد العقوبات علة طهران.

وفي الرؤية المستقبلية لاتخرج سيناريوهات المستقبل بين ايران والولايات المتحدة عن مجموعتين,الاولى هي سياسة التصعيد التي قد تصل الى حد توجيه ضربة عسكرية امريكية للمنشأت النووية الايرانية اهداف عسكرية عدة مختارة داخل ايران,وهي سياسة لم يستبعدها اي مسؤول امريكي,بل جاء تاكيد انها احد الخيارات المتاحة والممكنة امام الولايات المتحدة في تعاملها مع ايران.اما السياسة الاخرى,فهي سياسة التهدئة التي لم تظهر ملامحها حتى هذه اللحظة.فالولايات المتحدة تكثف ضغوطها على ايران اقليميا ودوليا وتطالبها بالتوقف عن انشطتها النووية كشرط مسبق لبدء اي حوار او مباحثات مع ايران.ويمكن وضع سيناريوهات للتصعيد واخرى للتهدئة في علاقة التوتر الحالي بين الطرفين وهي:- [٧٢].

١-سيناريوهات التصعيد:

اولا- توجيه ضربة عسكرية لايران.

ويمكن ان يكون بدافع نفاذ صبر الولايات المتحدة وحليفتها اسرائيل تجاه البرنامج النووي الايراني,وتوجيه ضربة وقائية له قبل ان يصل الى مرحلة اللاعودة ويهدد امن البلدين معا.وامكانية تنفيذ السيناريو واردة,كما جاء على لسان اكثر من مسؤول امريكي كبير,اذ اعلنوا جميعهم ان الضربة العسكرية لايران واردة ضمن الخيارات الاخرى وان كانت تمثل الخيار الاخير,مع الاخذ في الحسبان ان واشنطن هي التي تحدد موعد تنفيذها فقد يكون غدا او بعد سنة او قد لاياتي ابدا,وفقا لما تراه الادارة الامريكية.

وابرز ما يواجه هذا الخيار مصاعب عدة اهمها -:

أ-صعوبة تدمير المواقع النووية الايرانية كافة بضربة عسكرية.وحتى في حالة حدوث ذلك,فان تلك المواقع يمكن ان تعاود نشاطها مرة اخرى.

ب-ما يمكن ان يؤدي اليه هذا الخيار من نتائج كارثية على ايران والمنطقة,وما يؤكده اعلان ايران بانها سوف تستهدف تدمير المصالح الامريكية ليس فقط في العراق او منطقة الخليج فحسب بل في دول العالم كافة في شكل ضربات صاروخية وعمليات انتحارية ضد تلك المصالح في حالة تعرضها لضربة عسكرية.

ت-ان ضرب ايران سوف يهدد الامدادات النفطية للدول الصناعية الكبرى في العالم بشكل مباشر,بما فيها الولايات المتحدة نفسها.اضف الى ذلك انه من الصعوبة تصور امكانية ضرب مفاعلات ومراكز تخصيب نووية دون حدوث اثار و اشعاعات نووية ضارة بالمنطقة كلها.ولهذا يعد هذا السيناريو الاسوء في اشكاله كافة.

ثانيا- تشديد العقوبات على ايران

وهذا ماتستخدمه وتنفذه الولايات المتحدة ,فهي تحاول عزل ايران وحث الدول التي تتعامل معها تجاريا واقتصاديا على تقليص ذلك التعامل بقدر

الامكان من جانب .ومن جانب اخر,تشـــديد العقوبـــات الصادرة من مجلس الامن ضد ايران,خاصة بـــــعد صدور القـــــــــرار ١٧٣٧ في كانون الاول(ديسمبر)٢٠٠٦,والذي تم بموجبه فرض عقوبات على ١٠ مؤسسات و١٢ شخصا من العاملين في البرنامج النووي والصاروخي,

من جانب اخر,هناك وفود امريكية تجوب العالم لحث دوله على تقليص اســتثماراتها في ايران ومنع اية اســـــتثمارات جديدة هناك.وقـــــد ضغط الامريكيون على بنوك في اربعين بلدا حـــول العالم مبـــينين لها مســاوىء التعامل مع ايران.وقد استجابت بـــعض الدول بـــالفعل للضغوط الامريكية. وعلى راسها اليابان التي قلصت اســتثماراتها في ايران الى جانب تقــليص مشتريات النفط والتوجه نحو العربية السعودية.

والواقع ان هذا السيناريو مؤثر دون شك,وتشديد العقوبات سيكون اكبـــر تاثيرا وهو ما تسعى ايران لتفاديه والحد من تاثيره,ولكن من غير المتوقع ان تؤدي العقوبات الى انهيار ايران او وقـــف بـــرنامجها النووي,مع الاخذ في الحسبان ان عامل الوقت يعمل لصالح ايران وليس الولايات المتحدة.

٢-سيناريوهات التهدئة:

اولا- المباحثات الثنائية

فالولايات المتحدة دولة لاتحترم الا الاقوياء,فهي تتفاوض مع الاقـــوياء تحقيقا لمصالحها,وهذا يعني انها لن تتردد في استخدام القـــوة ضد الضعفاء خاصة في ظل الادارة الامريكية للرئيس بوش.

الا ان تنفيذ هذا السيناريو محـــفوف بصعوبـــات عديدة منها ,ان تنفيذه سوف يقضي على الجزء المتبقـــي من مصداقـــية واشـــنطن في المنطقـــة وخصوصا ان الولايات المتحـــدة هي من تحـــذر دول المنطقـــة من النفوذ الايراني.ولهذا فاي اتفاق ثنائي بين الولايات المتحـــدة وايران ســـوف يدعم نفوذ ايران ويقوي موقفها تلقـــائيا في المنطقـــة وهو الامر الذي تحـــذر منه الولايات المتحدة نفسها.

ثانيا- مؤتمر دولي

ويبدو السيناريو الاكثر واقعية,على الرغم من ان الولايات المتحدة هي العقبة الرئيسة التي تقف امام تنفيذه باصرارها على عدم اللقــاء او التفاوض مع ايران.

الا ان حضور الولايات المتحـــدة لمؤتمرات جيران العراق ,يعد تغيرا ايجابــــيا في الموقـــــف الامريكي ومخرجا من المواجهة المتصاعدة مع ايران,كما يمكن عده اعادة تفكير في سياسة(العصا بــلا جزرة)التي تتبــعها الادارة الامريكية تجاه ايران,والتي لم تسفر حتى الان ســوى عن المزيد من التصلب والعناد والاصرار الايراني على السير قدما في برنامجها النووي .

وفي مواجهة هذا الاحتمالات وضعت ايران قواتها المسلحة في "حــالة تأهب"، تحسباً لأي هجوم أمريكي أو إسرائيلي محتمل ضد منشآتها النووية، مؤكدة أنها لن توقف عمليات تخصيب اليورانيوم.

واستعدادا لاي مواجهة محتملة,تعمل طهران على حشد الدعم الشعبــي الايراني والاسلامي عبــر الخطابــات الوطنية والدينية,وتعزيز الروابـط والتحالفات مع الجماعات الشيعية والاسلامية في دول المنطقـــة مثل لبـنان والعراق وافغانستان والاراضي الفلسطينية ودول الخليج العربي ,وبالتوازي مع ذلك,تعمد طهران الى استغلال وســائل الاعلام العربـية لتعزيز الدعم الشعبي اقليميا عبر اثارة موضوعات حساســة مثل القـضية الفلســطينية والسياسة الامريكية في المنطقة.

واخيرا تقوم ايران بتسريع بــرامج التســلح من اجل اتمام اســتعدادها لخوض حرب استنزاف غير تقليدية طويلة ضد الولايات المتحدة.

والرسالة التي تحاول القيادة الايرانية ارسالها للغرب هي انها لاتخشى خيار الحرب وانها مستعدة له وواثقة من الانتصار.وبالفعل تستعد القــوات الايرانية لحرب غير متكافئة مبنية على تكتيكات واستراتيجية حــرب غير تقليدية.وتستطيع ايران في حال المواجهة العسكرية ان تفتح خمس جبــهات

هي: الجبهة البحرية في مياه الخليج,وجبهة الفضاء عبر الصواريخ البالستية,والجبهة البرية عبر حدودها مع كل من العراق و افغانستان,والجبهة الخلفية في عمق بعض دول المنطقة والعواصم الغربية,والجبهة الاسرائيلية بواسطة حزب الله والمنظمات الفلسطينية وسوريا[٧٤].

وقال الناطق باسم وزارة الخارجية الإيرانية، محمد علي حسيني، إن بلاده ستدافع عن نفسها، في حال تعرض منشآتها النووية لهجوم إسرائيلي أو أمريكي.وأضاف حسيني قوله: "إن الدولتين ليستا في وضع يخولهما القيام بمثل هذا الأمر الآن"، مشدداً على أن القوات المسلحة الإيرانية في "حالة تأهب وجاهزية"، للرد على أي هجوم تتعرض له البلاد.وأكد حسيني، في تصريحاته التي جاءت خلال مؤتمره الصحفي الأسبوعي، استعداد طهران لمناقشة سبل طمأنة مجلس الأمن والمجتمع الدوليين بأن البرنامج النووي الإيراني لا يهدف إلى تصنيع قنبلة نووية، مشدداً على حق إيران في تخصيب اليورانيوم.

وقال حسيني: "إن تعليق التخصيب ليس مدرجا على جدول أعمال إيران مطلقاً لأننا نعتقد بأن تعليق تخصيب اليورانيوم يتعارض مع قرارات معاهدة الحد من الانتشار النووي ولن نجد أي منطق لذلك."وأكد حسيني حصول محادثات بين أمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، علي لاريجاني، ومسؤول السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي، خافيير سولانا، وقال إن هذه المحادثات قد تمّت ولكن يجب الانتباه إلى أنه لا يمكن قبول التعامل المزدوج، أي إصدار قرار من جهة والتحدث عن الحوار من جهة أخرى .

وجدد حسيني التاكيد: "إننا لن نجري أي حوار حول حقوق إيران الطبيعية، بل سنجري حوارا لإزالة أي غموض وقلق وعدم انحراف إيران. عن برنامجها النووي ولكن دون شروط مسبقة."واضاف: "من أجل مواصلة الحوار والمحادثات يجب أن نشهد عزيمة وتصميماً جادين لقبول حق إيران الطبيعي من جانب الدول المعنية."[٧٥]

إن الموقف الإيراني تجاه الأحداث الأخيرة في المنطقة تبدو فيه معالم الإستراتيجية الإيرانية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية، حيث لم يمنع الجدل حول الإصلاحات السياسية أن يمتد إلى العلاقات مع أمريكا، حيث وجد تيار كبير من النخبة يؤكد أن الدعوة لإعادة العلاقات السياسية مع الولايات المتحدة أو لعدم إعادتها ليس دليلاً على الالتزام بأسس ومبادئ الثورة، وإنما يتعلق ذلك بتحقيق المصلحة الوطنية في وقت معين، بحيث يمكن أن تكون المطالبة بإعادة هذه العلاقات ضد المصلحة الوطنية، بينما تكون في وقت آخر عين هذه المصلحة[٧٦].

مع تأكيد رفسنجاني في لقائه مع ممثلي الأحزاب السياسية بأنه: "ليس هناك ما يمنع من وجود علاقات اجتماعية وثقافية واقتصادية بين إيران والولايات المتحدة، لكن العلاقات السياسية ترجع إلى احترام الشروط المعلنة من جانب إيران" كما يحاول بعض الإيرانيين تخفيف التوتر على الجبهة الإيرانية، حيث أكد علي شمخاني وزير الدفاع الإيراني أنه يعتقد أن الهجوم الأمريكي على إيران احتمال بعيد، بشرط أن تكون أمريكا قد تعلمت من دروس الماضي، وأن إيران لن تنظر إلى أي انتهاك أمريكي غير مقصود لحدودها على أنه عمل عدائي، بشرط ألا يضر بمصالح البلاد، وأن تكون هناك أدلة واضحة على عدم التعمد.

ثالثا-الاستعداد للاحتمالات جميعها

في الوقت نفسه تقوم إيران بمناورات عسكرية متتابعة تحسبًا لأي ظروف، وكان آخر هذه المناورات (فجر ٨١) البحرية التي اشترك فيها أكثر من ١٣٠ قطعة بحرية وقوات كثيفة. وقال العميد بهرام شاملو قائد المناورة: إن المناورة تهدف إلى وضع القطع البحرية والجنود في حالة استعداد لدعم أمن السواحل والمياه الإقليمية، فضلاً عن المحافظة على استعداد وحدات العمليات والقضاء على عدم الأمن والسرقات البحرية. وقد امتدت العمليات إلى موانئ "بوشهر" و"عسلوية" و"خرج"، وتم فيها الهجوم على عدو

مفترض، وعمليات انزلاق على الماء، وغوص، ومكافحة تهريب، ومواجهة اعتداءات حدودية، وقطع طرق، بالاستفادة من الرادارات المتقدمة ويؤكد كمال خرازي وزير الخارجية الإيراني أن إيران سوف تسعى وراء مصالحها في حالة وقوع حرب، وتدرس السيناريوهات المختلفة، وتتخذ المواقف المناسبة حسب الظروف، فنحن لا نستطيع أن نتجاهل الأحداث في العراق باعتبارنا جيرانا لها، ولكن هناك فرق بين عدم التجاهل و الحياد، ولن نسمح للولايات المتحدة باستخدام أجوائنا، وسوف نعلن مواقفنا حسب مقتضى الحال .

رابعاً- الحوار مع الولايات المتحدة.

وصفت صحيفة (متين) الأسبوعية الأيرانية حوار طهران وواشنطن بأنه ألتقاط الأنفاس في الوقت الضائع وقالت : خلال الأيام الماضية صدرت تصريحات غير مسبوقة من قبل معظم كبار المسؤولين بشأن الحوار مع أميركا، حيث أعلن الرئيس احمدي نجاد في حوار مع قناة العالم الإيرانية. استعداد طهران لإجراء حوار مباشر مع واشنطن، فيما كشف العديد من نواب مجلس الشورى عن وجود رسائل متبادلة وقبول زيارة وفد من الكونغرس لإجراء محادثات مع أعضاء في مجلس الشورى.النائب أكبر اعلمي وفي تصريح له لأسبوعية 'عصر ما' أكد وجود مساغ لإجراء الحوار بين إيران وأميركا، مشيرا إلى أن إقامة العلاقات بين البلدين سوف تتم عاجلا أم آجلاً.

وأضاف اعلمي، الذي ينتمي إلى التيار المنتقد لحكومة احمدي نجاد: ان عدم إجراء الحوار في السابق كان بسبب وجود تيارين متنافسين في الساحة الإيرانية، لكن حاليا يوجد تيار واحد يسيطر على زمام الأمور كافة، وهذا التيار سيجري المحادثات مع الولايات المتحدة دون وجود اي معارضة له، وان هذا التيار يتوق كثيرا للقيام بخطوة كهذه لحل معضلاته. وكشف اعلمي عن وجود تحركات واسعة في مجلس الشوري تدعو الى التحدث مباشرة مع

واشنطن دون شروط في الظروف الراهنة.النائب الشيخ حسين سبحاني وفي تصريح للصحيفة ذاتها قال: ليس لنا اي عداء او خصومة مع نواب الشعب الأميركي واننا نسعى لاجراء محادثات بين مجلس الشورى والكونغرس. واضاف ان القيادة الايرانية طالما اكدت استعداد طهران لاجراء اي حوار ودي وسلمي مع دول العالم كافة باستثناء اسرائيل.وتوقع سبحاني ان يقوم مجلس الشورى والكونغرس بدور حيوي وبارز لتقريب وجهات النظر بين البلدين. ويقول العديد من نواب مجلس الشورى ان طهران اقامت علاقات مع توابع وعملائها في المنطقة والعالم، فلماذا تتم معارضة الحديث مع اميركا ذاتها وبشكل مباشر؟ ويدعي هؤلاء النواب ان ايران حتى، وان اجرت محادثات مع الولايات المتحدة، فانها ستجريها من موقع القوة والاقتدار ولن تتراجع اطلاقا عن مواقفها الاساسية، ولن يتعارض مثل هذا الحوار مع الاصول الثابتة للثورة الايرانية، وهي الاستقلال والعزة وعدم التبعية لاي قوة في العالم. ويبرر انصار حكومة احمدي نجاد محاورة واشنطن بانها تهدف الى بحث الوضع الامني في العراق ودعوة اميركا لوضع جدول زمني للانسحاب من العراق وافغانستان وعدم التدخل في شؤون دول اخرى، وان مثل هذه المحادثات لن تشمل الملف النووي الايراني.. في حين صرح العديد من اعضاء مجلس الشورى ان حكومة احمدي نجاد اذا ارادت حقا حل ازمة الملف النووي وابطال القرارات الصادرة عن مجلس الامن فعليها التكلم مباشرة مع اميركا وليس مع وسطاء لا حول ولا قوة لهم.. مثل اوروبا او دول في المنطقة[٧٧].

خامساً- الرفض الامريكي

بات واضحا بعد تجاهل الرئيس بوش لتقرير لجنة بيكر- هاملتون ان الادارة الامريكية الحالية رفضت المساومة مع طهران.وباتت تعد نفسها في حالة دفاع ضد التوغل الايراني في العراق ولبنان والاراضي الفلسطينية ومنطقة الخليج.وتعمل واشنطن على تشكيل تحالف سياسي-اقتصادي

–عسكري بين ماتعدها قوى الاعتدال في المنطقة لمواجهة المحور السوري الايراني .وبينما تستمر التحضيرات لعمل عسكري محـــتمل ,تركز امريكا على تضييق الخناق اقتصاديا على ايران عبر العقوبات الدولية,وتسعى لوقف الاستثمارات الدولية في ايران ,والى خفض اســعار النفط لحـــرمان الخزانة الايرانية من اي ايرادات لمجهودها الحربي(٧٨).

ومن ناحية اخرى قالت الولايات المتحدة إنها ترفض عقد مباحثات مباشرة مع إيران، مالم يتوقف برنامجها لتخصيب اليورانيوم بـــصورة موثوقـــة و يمكن التثبت منها. وقال المتحدث باسم البيت الأبيض الأمريكي" توني سنو" للصحفيين إنه "يتوجب على إيران أن تتخذ تلك الخطوة الأساســية. عليها أن توقف الأنشطة جميعها." وأضاف: "بدون تلك الخطوة، لن يكون هناك تغيير في موقف الإدارة أو موقف الرئيس فيما يتعلق بـــالمفاوضات المباشــرة مع إيران."

وجاء في صحيفة الواشنطن بوست أن السلطات الإيرانية قد عبــرت عن رغبتها في إجراء محادثات مباشرة مع الولايات المتحدة بشــأن بــرنامجها النووي من خلال عدد من الوسطاء.وقال ســنو إن الغرب يعمل للتأكد من أن إيران لا تقوم بتطوير قدراتها لتصنيع سلاح نووي. وجاءت تصريحات سنو في وقت تتنامى فيه الضغوط الدولية على واشنطن من أجل عقد محادثات مع إيران(٧٩).

وكانت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس قــد ســـعت، على هامش اجتماعات قمة العالم في نيويورك في يلول(سبتمبر)٢٠٠٥، إلى إقناع مسؤولي الدول الــ ٣٥ التي تشكل مجلس حكام الوكالة الدولية للطاقة الذرية بأن يتبنوا موقــفها الداعي إلى تحــويل ملف إيران النووي إلى مجلس الأمن الدولي.وقـــالت رايس "إن إحـــالة ملف إيران النووي إلى مجلس الأمن قــد يتطلب بعض الوقت وإن الولايات المتحدة مستعدة للعمل على ذلك"(٨٠).

سادسا– بوش يطرح خطة لتغيير إيران

فقد طلب الرئيس الأمريكي جورج بــوش من الكونجرس تخصيص دعم مالي طارئ قدره ٧٥ مليون دولار لتحقــيق التغيير ودعم الديمقــراطية في إيران على حد وصفه.جاء هذا في خطاب ألقاه بوش في واشنطن وشــن فيه هجوما عنيفا على النظام الإيراني الذي وصفه بــأنه يأوي الإرهاب ويقــمع شعبه ويسعى لتطوير أسلحـــة نووية وتدعيم نفوذه في المنطقـــة فضلا عن الترويج لفكرة تدمير "حليفتنا إسرائيل ."

وقال الرئيس الأمريكي إن هذه الاموال ستخصص لزيادة البث الإذاعي والتلفزيوني الموجه الى إيران ومساعدة من وصفهم بالإصلاحيين والمنشقين ونشــطاء حقــوق الإنســـــان الإيرانيين لتحقـــيق ما وصفه بـــــالتغيير الديمقراطي.واوضح بوش في معرض دفاعه عن سياسات إدارته في الحرب ضد الإرهاب، إن واشنطن وما وصفه بدول "العالم الحر" لن تسمح لطهران بامتلاك أسلحة نووية. وأضاف أن نشر الديمقراطية فى الشرق الأوســط لا يمكن أن يتحقق بدون "تحقيق التغيير وإحلال الديمقراطية في إيران مشـــيرا الى أن الولايات المتحـــدة تتطلع الى اليوم الذي يمكن فيه أن تكون أقـــــرب الأصدقــــاء لإيران "الديمقراطية".وقـــال بـــوش إن دعم واشـــنطن التغيير الديمقراطي في إيران يعني الإسراع بــمجئ اليوم الذي "يمكن فيه للشــعب الإيراني تقرير مستقبـــله وأن يكونوا أحـــرارا في اختيار قـــادتهم" . وتأتي تصريحات بوش متزامنة مع بدء مسؤولين روس وصينيين زيارة إلى إيران تهدف الى إقناع قيادتها بالقبول بمقترح تسوية حـــول بـــرنامجها النووي من شأنه أن يجنبها لخطر التعرض لعقوبات دولية[٨١].

كما وقع الرئيس الامريكي جورج بوش يوم ٣٠ايلول(سبتمبـــر)٢٠٠٦, مشروع قانون حول سلسلة من العقوبات الجديدة الالزامية التى سيتم فرضها على الكيانات او الدول التى تقـــدم بـــضائع او خدمات لبـــرامج الاسلحـــة الايرانية. وقال بوش فى بيان " اعربـــت عن تقـــديري للكونغرس لاظهار التزام ممثلي الحزبين لمواجهة انشطة النظام الايرانى القمعية والتي تزعزع الاستقرار من خلال المصادقة على مشـــروع قـــانون دعم حـــرية ايران".

وصادق مجلس الشيوخ الامريكي على مشروع العقوبات الجديدة في وقت مبكر من نفس اليوم , الذي تمت المصادقة عليه بالتصويت الشفوي واجازه مجلس النواب الامريكي قبل يومين . ويفرض مشروع القانون, قانون دعم حرية ايران, العقوبات على اي كيان يسهم في قدرة ايران للحصول على الاسلحة الكيميائية والبيولوجية او الاسلحة النووية. وذكر المشروع ان سياسة الولايات المتحدة تتمثل في "عدم تطبيق اتفاقا على التعاون مع حكومة اي دولة تساعد البرنامج النووي الايراني او نقل الاسلحة او الصواريخ التقليدية المتقدمة اليها"(٨٢).

من ناحيته قال الرئيس الامريكي جورج بوش في حديث الى محطة فوكس نيوز أنه كان على حق عندما صنف ايران في محور الشر مع عراق صدام حسين وكوريا الشمالية. وأبدى بوش انزعاجه الشديد من وجود دولة دينية على وجه الارض جعل رئيسها تدمير اسرائيل اولى أولويات سياسته الخارجية. يذكر أن هذه هي المرة الاولى التي يعيد فيها بوش استخدام مصطلح "محور الشر" منذ عام ٢٠٠٢. وكان بوش قد جنى آنذاك انتقادات شديدة من الأوروبيين الذين يحاولون ثني ايران عن برامجها النووية بالطرق السلمية. وكان البيت الابيض قد وصف تصريحات الرئيس الايراني "بالمشينة"(٨٣).

كما قال الرئيس الامريكي جورج بوش في حديث للتلفزيون الاسرائيلي انه قد يبحث استخدام القوة كملاذ أخير للضغط على ايران للتخلي عن برنامجها النووي. وقال بوش الذي كان يتحدث في مزرعته في كروفورد بولاية تكساس في مقابلة اذيعت في٦ايار(مايو)٢٠٠٧,"كل الخيارات مطروحة على المائدة". وعندما سئل ان كان ذلك يتضمن استخدام القوة رد بقوله "كما قلت الخيارات كلها مطروحة على المائدة. و استخدام القوة هو الخيار الاخير لاي رئيس وكما تعلمون استخدمنا القوة في الماضي القريب لتأمين بلادنا". غير أن بوش أضاف "في الاحوال جميعها نريد ان تنجح الدبلوماسية ولذلك فاننا نقوم بجهود محمومة في المسار الدبلوماسي وسنرى ان كنا سننجح أم لا" (٨٤).

فالخيارات السياسية والعسكرية عديدة امام المجتمع الدولي لمعالجة الملف النووي الإيراني بعد قرار طهران مواصلة نشاط تخصيب اليورانيوم، خيارات قد يستعرضها ممثلو الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن وألمانيا ، في السياسة الخيارات عديدة بدءاً من تجميد ودائع إيران، وفرض قيود على سفر شخصياتها، تقليص العلاقات التجارية المحدودة التي لا تزال قائمة بينها وبني الولايات المتحدة، من دون أن يشمل ذلك التعرض لقطاعي النفط والغاز الإيرانيين الذين يكتسبان أهمية حاسمة بالنسبة إلى الاقتصاد الإيراني. أما عسكرياً فسيناريوهات الضربة الأميركية المحتملة كثيرة وربما تنفذ على مراحل، من عمليات استعراضية رادعة مثل ضربات بصواريخ كروز تستهدف أهم المواقع الإيرانية، أو هجوم رئيسي يحتاج لـ ٦٠٠ صاروخ كروز وأسراب بطائرات ويستمر ١٠ أيام يستهدف المواقع النووية ومراكز الصواريخ التي يتوقع أن تهدد الطائرات، أما الهجوم الشامل فسيشمل أهداف عسكرية ومدنية وسيحتاج إلى أكثر من ألفي صاروخ كروز وأسراب طائرات ويستغرق ما بين شهر وشهرين. سيناريوهات ترافقت مع احتمال رد إيران بهجوم بيولوجي إذ من المتوقع حينها أن ترد الولايات المتحدة بالدخول في مرحلة هجوم نووي سيكون له أثر مدمر على الشعب الإيراني إنما على المنطقة بأكملها[٨٥].

ويبقى السؤال الاهم في كل ماتقدم هل يعد بوش لحرب ثالثة في عهده؟ كل يوم تأتي أخبار من واشنطن لا تبعث على الاطمئنان وآخرها أن الرئيس جورج دبليو بوش أمر جنوده بقتل عملاء إيران وسورية في العراق. وتقوم وزارة الدفاع الأمريكية بترويج معلومات مفادها أن عملاء إيران قاموا بقتل خمسة جنود أمريكيين في قاعدة عسكرية أمريكية بكربلاء في شباط (فبراير)٢٠٠٧. كذلك فإن حاملة الطائرات الأمريكية Stennis في طريقها لمنطقة الخليج لتصبح حاملة الطائرات الثانية في المنطقة مع شقيقتها Eisenhauer مما جعل البعض يتحدث عن دبلوماسية حاملات الطائرات. حتى أعضاء في مجلس الشيوخ الذين ينتمون للحزب الجمهوري الذي ينتمي له بوش، يساورهم القلق من أن يقدم بوش على مغامرة جديدة ويريد هؤلاء

دعم قرار يجبر الرئيس الأمريكي للحصول على موافقة الكونجرس قبل توسيع حرب العراق. يقول دبلوماسي عربي مطلع أن هذا وحده كفيل بالإشارة إلى سخونة الموقف اذ يرفض البيت الأبيض الكشف عن أوراقه ويؤكد بوش ووزير الدفاع في إدارته روبرت غيتس أن واشنطن لا تعد لحرب ضد إيران بينما تشير مصادر صحفية أمريكية مقربة من البيت الأبيض إلى أن هدف التصريحات الحادة يرمي لإثارة أعصاب القادة في طهران ودفعهم إلي وقف عمل البرنامج النووي وإنهاء إمداد الميلشيات الشيعية في العراق بالسلاح والمال ونقل عن نيكولاس بيرنز سكرتير الدولة بوزارة الخارجية الأمريكية قوله: ينبغي على إيران أن تتعلم كيف تحترمنا. في المدة الأخيرة أصبح واضحا أن تصفية حسابات قديمة بين إيران والولايات المتحدة يجري على أرض العراق. على الرغم من نفي طهران تورطها في الحرب الجارية في العراق إلا أن واشنطن توجه لها اتهامات بتمويل وتسليح ميليشيات الشيعة ولهذا السبب حذر مسؤول عسكري أمريكي كبير من أن وقوع خطأ واحد من شأنه العودة إلي الوضع الذي نشأ في العام ١٩١٤ حين وقعت الحرب العالمية الأولي. حتي الآن لا يهدد العالم وقوع حرب عالمية كما حصل قبل ٩٣ سنة، لكن واشنطن تتصرف وكأنها تعد لحرب ضد إيران إذ بعد مجيء الرئيس محمود أحمدي نجاد إلي السلطة في طهران زاد التوتر الأمريكي الإيراني وتشبه لهجة الأمريكيين الحادة ضد طهران مرحلة التمهيد لغزو العراق. في ذلك الوقت سخر الأمريكيون من عدوهم صدام حسين ودون أدلة واضحة اتهموه بامتلاك أسلحة نووية والتخطيط لاستخدامها ضد الغرب وضد جيران العراق. الآن واشنطن مهتمة بإعداد ملف عن نشاطات الإيرانيين في العراق ومنذ وقت تحمل إيران وسورية مسؤولية الحرب الأهلية ولا ترى أن الاحتلال السبب في اندلاع حرب الإخوة. كما أنعشت واشنطن دور المعارضة الإيرانية في الولايات المتحدة وفتحت أبواب مكاتب البيت الأبيض والخارجية ووزارة الدفاع في واشنطن لمعارضين إيرانيين الذين يزودون الأمريكيين بمعلومات عن نشاطات الإيرانيين في العراق. التاريخ يعيد نفسه: إنه الدور الذي قام به

معارضون عراقيون مثل أحمد جلبـــي وغيره حـــين احـــتاجت واشـــنطن لمعلومات تدعم أكاذيبـــها ضد الأسلحـــة النووية المزعومة في العراق. من معلومات المعارضة الإيرانية التي تهتم واشـــنطن بالحـــصول عليها وليس التحقق من صحتها، قيام الحرس الثوري الإيراني(باســـدران) بـــفتح مكتب رئيسي في النجف. وهناك ملف سري كما يشاع يقـــول أن الرئيس الإيراني شجع طلاب الفيزياء في جامعة طهران على الاجتهاد وهذا يكفي لواشـــنطن كي تعتبره تحريضاً يقوم به نجاد لبناء القنبـــلة. وتعرف المعارضة الإيرانية أهمية الدور الذي قام به جلبي لتشجيع واشنطن على غزو العراق لذلك هناك أكثر من جلبـــــي إيراني فى الطريق إلى العاصمة الأمريكية يريدون صب الزيت على نار النزاع الخطير. لذلك يزودون إدارة بوش بمعلومات مشكوك بصحتها ويحـــرضون على الحـــرب. منهم أمير فاخرافار الذي يجلس على كرسي متحرك لأن طالب الطب السابق تعرض للتعذيب وكما يقـــول ما زال يشعر بألم في ركبتيه ويسمي نفسه اليوم الأمين العام لحركة الطلبة الإيرانيين والنجم الجديد للمعارضة الإيرانية في واشنطن. منذ شهر ايار (مايو)٢٠٠٦، يتواجد أمير في العاصمة الأمريكية وتم الإعداد لظهوره جيدا فقـــد مثل أمام لجنة تابعة لمجلس الشيوخ واجتمع مع جيمس وولسي المدير السابق للسي آي إيه وبعدد من كبار الموظفين بوزارة الدفاع وقال لوســـائل الإعلام الأمريكية أنه يحب الولايات المتحدة وهنا يجد من يسمعه. إنه جلبي الجديد كما كتبـــت عنه وسائل الإعلام الأوروبية لكن أمير فاخرافار البالغ ٣١ سنة من العمر لا يحب هذه المقارنة أبدا ويتقزز منها بل يشعر بإهانة حين يسمع ذلك ويقول أنه على عكس جلبي لم يختلس أموالاً. لكن ما يجمعه بجلبى، شـــاء أم أبـــى، أن للاثنين صديقاً أمريكياً مشتركاً هو ريتشارد بيرل أحد مخططي غزو العراق والسياسي الأمريكي الذي تبني جلبي منذ البداية والآن تبني فاخرافار. بـــعد وقت قصير جدا على خروج فاخرافار من سجن الاعتقال فى نيسان(أبريل) ٢٠٠٦ التقي مع بيرل في فندق بمدينة دبي وقام بـــيرل على الأثر بتســـفير فاخرافار إلى واشنطن بعد اكتشافه أهمية اســـتخدام جلبـــي الإيراني لخطط واشـــنطن ضد إيران. يجلس فاخرافار في مكتب صغير قـــريب من مبـــنى

الكابيتول في واشنطن ويزعم أنه أحد الطلبة الذين رتبوا ثورة الطلاب في العام ١٩٩٩ والتي حتي اليوم كانت أكبر تحد داخلي للنظام الإيرانى في الداخل. وقد أوعزت إليه واشنطن ليحرض الطلبة في الجامعات كى ينظموا أنفسهم لهذا يقوم بجمع أجهزة الهاتف الجوال وكاميرات وحواسيب. لا يشكو فاخرافار من قلة المال فقد رصدت الإدارة الأمريكية ٨٥ مليون دولار في العام الماضي وأعلنت عن ذلك رسميا حين قالت أنها خصصت هذا المبلغ لمشروع تغيير النظام فى إيران. وتم توزيع المال على إذاعة(صوت أمريكا) وراديو(فاردا) وكلاهما يبثان برامج موجهة لإيران باللغة الفارسية. كما فعلت واشنطن مع جلبي فإنها لا تبخل في المال على المعارضة الإيرانية التي لها الآن خبراء يجمعون المعلومات ويتواجدون في دبي ولندن وفرانكفورت كما يتحينون الفرصة للتوصل لأشخاص يدلون بمعلومات ضد نظام طهران. ويعتقد فاخرافار أن بوش مصمم على منع ايران الحصول على القنبلة. جيمس بيكر وزير الخارجية في عهد جورج بوش الأب وهنري كيسنجر وزير الخارجية الأسبق حذرا بوش من محاولات الإطاحة بنظام طهران وطلبا منه صرف النظر تماما عن ذلك. لكن هذا بالتحديد ما لا تريد المعارضة الإيرانية سماعه لذلك يقولون للمسؤولين الأمريكيين أن التفاوض مع إيران سوف يخيب آمال الشباب الإيراني الذي يأمل بتغيير النظام. يبقى السؤال المهم من يكون فاخرافار حقيقة؟ تقول بعض الشائعات أنه مجرم عادي أجرى اتصالات مع الطلبة بعد خروجه من سجن (إيفين) ويؤكد فالي نصر أستاذ العلوم السياسية وأحد الملمين بالشؤون الإيرانية في الولايات المتحدة أن أحداً لا يعرف هذا الرجل الذي يجلس اليوم في مكتب قريب من البيت الأبيض. يقول علي رضا جعفري البالغ ٥٠ سنة من العمر والذي يعد سفير(مجاهدي خلق) في واشنطن وأول من أعلن فى مؤتمر صحفي في العاصمة الأمريكية في اب(أغسطس) ٢٠٠٢ أن إيران تخطط لإنتاج القنبلة أن الوقت مناسب للمعارضة ويقول أنه يكاد لا يصدق وجود هذا الدعم الكبير من أمريكا. منذ سنوات موجود تنظيم(مجاهدي خلق) على قائمة التنظيمات الإرهابية في أوروبا والولايات المتحدة. ردا على سؤال أن بوش يتعاون مع

إرهابيين ضد الإرهاب قال جعفري أنه يأمل بأن يجري شطب اسم(مجاهدي خلق) من قـــائمة الإرهاب. في تصريحــاته الأخيرة يركز جعفري على أن الإيرانيين يقومون بالاعتداء على الجيش الأمريكي في العراق. الواضح أن بوش لم يتعلم شيئا من دروس غزو العراق وأنه لم ينجح حتى اليوم في إقناع الشـــعب الأمريكي بـــهذه الحـــرب ويعول الكثير الآن على نفوذ المعارضة الإيرانية وذكر مواطنيه قبل أسبوع بأن في الولايات المتحدة عدد كبـــير من الإيرانيين الذين هم على صلة قوية ببلدهم. قبل حـــرب العراق ذكرت وزارة الدفاع الأمريكية أنه يجري الإعداد لجيش مؤلف من العراقـــيين في المنفي يريدون الزحف مع الجيش الأمريكي إلى بغداد ويعتقد أحمد جلبي أن الخطأ الكبير الذي وقعت به واشنطن أنه لم يجر ضم عراقيي المنفي كمحاربين.

هذا ما تريد وزارة الدفاع الأمريكية عمله في حالة إيران. فقد ذكرت المجلة السياسية الأمريكية Congessional Quarterly أن البـــنتاغون يتعاون مع(مجاهدي خلق) في تحديد إلكتروني لأهداف في إيران لضربـــها من الجو وأن إسرائيل قامت بتزويد هؤلاء العملاء بـــجوازات ســـفر إيرانية وقـــالت المجلة أنه لم يعد بوسع بوش نفي استئجار إرهابـــيين. لكن وســـائل الإعلام الأمريكية تتصرف عكس ما فعلت في حـــرب العراق إذ حـــذرت صحـــيفة (نيويورك تايمز) التى أبدت الكثير من التفهم لحرب العراق في العام ٢٠٠٣ حذرت بوش من التورط في حرب مدمرة ومثل سائر الأمريكيين تعول الآن علي مجلس الشيوخ كي يعارض تهور بوش. .[١٦]

ومع انتهاء المدة التي حددتها الأمم المتحـــدة لايران لوقـــف بـــرنامجها لتخصيب اليورانيوم تسربت تقارير امريكية حول احتمالات شن حرب ضد ايران وكشـــفت عن الانتهاء من اعداد خطة جديدة تضم اهدافا عســـكرية ايرانية يحتمل ان يتم ضربها باستخدام قنابل خارقة للحصون في حال تفاقـــم الخلاف بين الطرفين.واكد مراقبون اســـتراتيجيون انه من الممكن ان يدفع حل ازمة الملف النووي لكوريا الشـــمالية بـــالطرق الدبلوماســـية الولايات المتحدة الامريكية والدول الاوروبية الي الاســـراع فى الخطوات تجاه مائدة المفاوضات مع ايران من اجل التوصل الي حل مماثل بشـــأن الملف النووي

الايراني او علي الاقل عدم تصعيد العقوبات ضد طهران بعد انتهاء مهلة الايام الستين التي طالب مجلس الامن مدير عام الوكالة الدولية للطاقة الذرية خلالها بتقديم تقرير حول تعليق ايران انشطة تخصيب اليورانيوم.

واكدوا ان استخدام القوة العسكرية ضد ايران يظل امراً محتملاً مادامت الولايات المتحدة واسرائيل حتى الان تهددان بضرب المنشآت النووية الايرانية فيما ان الايرانيين يصرون على التمسك بحق بلادهم في امتلاك التكنولوجيا النووية ودورة الوقود النووي وانشطة تخصيب اليورانيوم وفقاً لمعاهدة منع انتشار الاسلحة النووية.وكشفوا عن ان الايرانيين لديهم استعداد للتفاوض مع الغرب من اجل التوصل الي حل سلمي ليس فقط لاثبات ان العقوبات ليست هي الحل لكي تتخلي طهران عن طموحاتها النووية ولكن من اجل التوصل الى حلول اخرى للعديد من المسائل العالقة مثل العلاقات التجارية والاقتصادية بين ايران والغرب فضلاً عن المسألة العراقية التي تمثل قضية شائكة في ملف العلاقات الايرانية الامريكية.واشاروا الى انه ربما يكون المستنقع العراقي هو العائق امام واشنطن لتدمير البرنامج النووي الايراني بضربات عسكرية محدودة لكن يظل هذا الخيار امراً قائماً يمكن تنفيذه في اي وقت على الرغم من ان عواقبه ستكون خطيرة للغاية ليس فقط بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط اكثر المناطق تعقيداً في العالم بل قد تمتد اثار ذلك الي المصالح الغربية.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور سيف الدين عبدالفتاح استاذ العلوم السياسية بالجامعة الامريكية من الواضح ان امريكا تريد ان تكسب الحرب الكلامية مع ايران خاصة وانها لم تستطع ان تعبئ دول المنطقة التي تتعلق بالنظام الاقليمي ضد ايران فيما ان دول الخليج لم يصرح احد بان ايران تشكل خطراً وهذا ما كانت تريده امريكا في الوقت الراهن ولكنه لم يحدث.واكد د. سيف الدين ان الولايات المتحدة تستخدم تارة العقوبات وتارة اخري الحرب الكلامية والتلويح بخطه لضرب المنشآت النووية الايرانية كنوع من الحرب الباردة لتخويف ايران. وتساءل هل الولايات المتحدة الامريكية قادرة على ان تفتح جبهة ثالثة جديدة في ايران بعد افغانستان والعراق ، قد لا تستطيع

بشكل تأكيد و لا تستطيع ايضاً ان تتحكم في رد الفعل ، لان ايران تملك استراتيجيات وقدرات عالية خاصة و انها تمتلك حدوداً مع افغانستان و العراق وتستطيع ان تلعب دوراً مؤثراً لمواجهة امريكا.

وبالنسبة لتدخل الدول الغربية للتفاوض مع ايران قال انه من المتوقع ان تزيد روسيا و الصين اللتان ترتبطان بمصالح كبيرة مع ايران من دورهما بالنسبة للمسألة الايرانية بابداء معارضة اكبر في مواجهة مساعي الدول الغربية لتصعيد العقوبات على طهران او على الاقل معارضة ان تأخذ العقوبات شكلاً عسكرياً يجبر طهران علي التخلي عن انشطتها النووية الحساسة.و اكد انه لم يثبت للان ان ايران قامت بتصنيع سلاح نووي و لا تملك الوكالة الدولية للطاقة الذرية دليلاً على ذلك اما كوريا الشمالية فقامت بتصنيع هذا السلاح الخطير و هذا ما جعل و اشنطن و اللجنة السداسية تصر على التوصل الى حل سلمي بينما على العكس تستطيع و اشنطن كعادتها استخدام الضربات الاستباقية لتدمير البرنامج الايرانى كخيار مفتوح مع الاستمرار في تأكيد اهمية المفاوضات لحل الازمة مع تضييق الخناق على طهران بالعقوبات و تصعيد الحرب النفسية بالتهديد باستخدام القوة.و ما يحدث الان لايران يعد نوعا من التخوف من شيء محتمل و هو هل تستطيع ان تحول برنامجها النووي السلمي الى برنامج عسكري مشيرا الى ان هناك اموراً قامت بها ايران في السر لا تعلم بها هيئة الطاقة الذرية في حين يرى الغرب ان العمل السري يشكك فيه من جانب الايرانيين للقيام بتحويل البرنامج السلمي الى عسكري .

و اعتقد انه لو تركت الامور للادوات الفنية و ليس للمؤسسات السياسية مثل مجلس الامن قد تستطيع هيئة الطاقة الذرية ان تقدم عناصر فى الرقابة على ايران من دون ان تحتاج الي عقوبات.و للاسف فالولايات المتحدة الامريكية تحكم العالم منفردة و هذا الحكم عبر عنه الرئيس بوتين ، و ان دول الغرب تسير وراء امريكا.

ومن جانبه يؤكد د .جمال زهران استاذ العلوم السياسية بجامعة قناة السويس ان الولايات المتحدة الامريكية تمارس حربا نفسية ضد ايران

ومحاولات لممارسة الضغط مشيراً الى ان ايران لن تخضع لهذه التهديدات وسوف تجد امريكا مصاعب شديدة نحو هذه المسألة.وقال ان مدير هيئة الطاقة الذرية اكد في تصريحات مؤخراً لقد تجاوزنا نقطة ارجاع واجبار ايران الرجوع الى تخصيب اليورانيوم ولذلك يجب ان نبحث عن حلول دون ان يتم تطوير ذلك عسكرياً. وتوقع د. جمال زهران عدم توقف ايران في تخصيب اليورانيوم او خضوعها للتهديدات الامريكية وايضا عدم تنفيذ امريكا لتهديداتها لايران نظراً لحساسية المنطقة كلها وبالاخص في حالة اقحام اسرائيل في هذا الملف.واعتقد ان توجيه ضربة عسكرية لايران في الوقت الحاضر او المستقبل تكاد تكون صعبة للغاية ان لم تكن مستحيلة.وقال ان هناك فرقاً بين الملف النووي الايراني والملف النووي لكوريا الشمالية فالاخيرة طورت برنامجها النووي ولذلك لجأت واشنطن الي الحل السلمى معها ، اما ايران فقد اكدت انها لا تسعى لتطوير برنامجها النووي عسكرياً.

ومن جانبه يؤكد اللواء زكريا حسين الخبير الاستراتيجي والعسكري ان التعامل مع الملف النووي الايراني يسير في اتجاهين اولهما الحلول السلمية وهذا رأي كثير من الدول الغربية مثل روسيا والصين وبعض الدول الاوروبية مفوضة مع الطاقة الذرية وكان هناك اجتماع انتهي بالتوازن مع الحل السلمي بجانب ان هناك توجهاً لحشد عسكري واستخدام العصا والجزرة" .وقال اللواء زكريا ان التدخل العسكري الامريكي من الممكن ان لا يحدث وخاصة ان بوش غير مفوض من مجلس الامن والكونجرس الا في حالة اذا تأكد ان ايران دخلت في تخصيب اليورانيوم وبدأت في الانتاج. كما ان هناك تطمينات من ان ايران لم توقف التخصيب ولكنها لم تصل الى تصنيع القنبلة الذرية فيما ان احتمالات الحرب والسلام متروكة للعمل الدبلوماسي.كما ان ايران مستعدة لتقديم الضمانات كافة على انها لم تنتج هذا السلاح وهناك توجه عام بان المنطقة لا تحتمل ضربة عسكرية اخرى لايران ولذلك فان المراقبين يستبعدون الحل العسكري.الامر الذي يضع مزيداً من علامات الاستفهام حول السياسة المستقبلية التي ستمارسها الولايات المتحدة الامريكية باتجاه ايران.واوضح اللواء زكريا ان السياسة

الامريكية ازاء القضايا النووية في منطقة الشرق الاوسط تؤدي الى مزيد من التوتر وزعزعة الامن والاستقرار.

واكد د. السيد عليوه استاذ العلوم السياسية بجامعة حلوان انه لم يثبت نية ايران لانتاج سلاح نووي حيث ان السياسة الامريكية في مواجهة ايران غير عادلة. وقال ان الولايات المتحدة تسعي لاسقاط النظام السياسي الايراني وهذه هي المشكلة الاولية وليست مسألة تخصيب اليورانيوم مشيرا الي ان ايران تملك قدرات هائلة لمواجهة الامريكيين حيث تمتلك قوة عسكرية واقتصادية وصناعية كبري تستطيع ان تواجه الكيان الامريكي والاسرائيلي معاً(٨٧).

وقلل خبراء استراتيجيون وسياسيون عرب من حجم التهديدات الأمريكية بشأن توجيه ضربة عسكرية لإيران تستهدف المنشآت النووية مؤكدين ان توجيه ضربة عسكرية لإيران مرتبط بتحولات الموقف في العراق ونجاح الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في السيطرة علي الاوضاع الامنية وتقليص حجم الخسائر، وكذلك بمدى التقدم في الملف الإيراني وقدرة أوروبا علي الوصول الي صيغة تسوية.وقالوا إذا شعرت أمريكا بأن المقاومة العراقية تزداد وان صلابة الموقف الإيراني لن تهتز، فإنها ستعطي الضوء الاخضر لإسرائيل لتوجيه هذه الضربة العسكرية.ويؤكد د. عمار علي حسن مدير مركز دراسات الشرق الاوسط ان ضرب إيران وارد اذا كان الثمن الاستراتيجي المترتب على ضربها الآن أقل من الثمن الاستراتيجى الذي يترتب على تركها تصل الى مرحلة السلاح النووي خاصة ان الولايات المتحدة الأمريكية لا تجد في اللحظة الراهنة جدوى من التفاوض مع الإيرانيين في ظل إصرارهم على المضي قدماً في برنامجهم النووي وفي ظل عدم حاجتهم الى الولايات المتحدة الامر الذي سيجعل التفاوض بالنسبة للأمريكيين نوعا من التسول حسب وصف وزير الدفاع الأمريكي نفسه.وقال د. عمار ان ما يؤخر الضربة الأمريكية لإيران حتي الآن او يجعل أمريكا تفكر ألف مرة قبل الإقدام على خطوة من هذا القبيل هو امتلاك إيران لأوراق عديدة منها إمكانية إغلاق خليج مضيق هرمز وهو ما يترتب

عليه وقــف إمداد العالم بــالنفط فضلاً عن قــدراتها على ضرب القــوات الأمريكية في الخليج وأفغانســـتان والعراق وتضييق الخناق علي الجنود الأمريكيين في العراق وضرب المصالح الأمريكية هناك.وأوضح د. عمار قائلاً يبدو أن أمريكا تفكر في تنفيذ ما يسمى بنظرية الهروب للامام بــمعنى محاولة الهروب من الفشل في العراق بــضرب إيران خاصة ان واشــنطن تحمل طهران جزءاً كبيراً من هذا الفشل.وأشار الى أن هناك من الأسبــاب التي تجعل بوش يقــدم على هذه الخطوة دون الأخذ في الاعتبــار معارضة الديمقراطيين وقد تكون الخلافات بينهما حول التفاصيل وليس حول المبــدأ نفسه خاصة وأن الضربة ســتكون محــدودة ومن الوارد ان تشــارك فيها إسرائيل. ومن جانبه أكد د. السيد عليوة أستاذ العلوم السياسية بجامعة حلوان ان الرئيس الأمريكي في استراتيجيته الجديدة في العراق كشرعن أنيابه لكل من إيران وسوريا الأمر الذي جعل بعض المراقبين يتوقعون بنسبــة ٥٠% ان يشن هجوماً عنيفاً علي المواقع الاســتراتيجية لقــوة إيران الاقــتصادية والصناعية والنووية وهو الأمر الذي يمكن ان يحدث نتيجة لفشله الذريع في العراق مما يدفع بوش للتقدم للأمام بمزيد من المخاطرة والخسائر .وأوضح د. السيد عليوة قائلاً: أخشى أن يدفع اليمين المحــافظ واللوبــي الصهيوني الإسرائيلي بالسياسة الأمريكية لارتكاب حماقــات تاريخية تفجر الأوضاع في المنطقة أكثر مما هي عليه الآن .ومن جانبه قلل الدكتور محــمد حبــيب النائب الأول للمرشد العام لجماعة الاخوان المســلمين من حــجم التهديدات الأمريكية لضرب إيران مشيراً الي ان الخبــير الأمريكي واين وايت الذي كشف عن الخطة الأمريكية لتوجيه ضربــات ضد ايران ليس من الوزراء ذوي الثقل الذي يحمل رؤية واضحة.وقال إن مسألة ضرب إيران أصبحت اكثر تشابكاً وصعوبة وتعقيدا مما يلوح به في الوقت الراهن مشــيراً الي ان ضرب إيران سوف يكون له اثاره السلبية على المنطقة كلها.ويقول د. حسن نافعه أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة، لم يثبــت لدي إيران النيه لانتاج سلاح نووي مشيراً الى ان السياسة الأمريكية في مواجهة إيران غير عادلة ولا تستند الى القانون. وأعتقد أن الولايات المتحدة الأمريكية تسعي لاسقاط

النظام السياسي الإيراني وهذه هي المشكلة كما انها تبحث في الوقت ذاته عن ايجاد سبيل للخروج من المستنقع العراقي لتتقدم للأمام نحو إيران.. وهذا هو بداية الانهيار لها في المنطقة.مشيراً الى أن إيران تمتلك قوة عسكرية واقتصادية وصناعية كبري تستطيع ان تواجه الكيان الأمريكي والإسرائيلي معاً.ومن جانبه توقع اللواء صلاح سليم الخبير الاستراتيجي والعسكري توجيه ضربة عسكرية ضد إيران مشيرا ان توجيه هذه الضربة مرتبط بتحولات الموقف في العراق وبنجاح الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في السيطرة على الأوضاع الأمنية وتقليص حجم الخسائر الأمريكية في العراق.كما أن هذا العمل العسكري يرتبط كذلك بمدى التقدم في الملف النووي الإيراني ومدى قدرة أوروبا على الوصول الى صيغة تسوية وسطية في المسألة الإيرانية يمكن أن يخصب فيها اليورانيوم فى الاراضي الروسية من خلال شركة إيرانية روسية مشتركة وبالتالي فإن الوصول الى تسوية للملف النووي الإيراني وتحسين الأوضاع في العراق يقلل من فرص هذه الضربة كذلك يقلل من هذه الضربة أيضاً التوصل الى حل سلمي للقضية الفلسطينية وتحجيم واحتواء الحرب الأهلية فى لبنان.ولكن إذا شعرت الولايات المتحدة الأمريكية بأن المقاومة تزداد في العراق وان هناك تصلباً في الموقف الإيراني وأنها بدأت تخسر من جديد فإن الولايات المتحدة قد تعطي الضوء الأخضر لإسرائيل لتوجيه ضربة عسكرية محدودة ضد المنشآت النووية الإيرانية وستبقي حرباً بالوكالة كما حدث من قبل في الجنوب اللبناني(٨٨).

ويؤكد هذا التوجه ما نشرته صحيفة الديلي تلجراف في تقرير على صفحتها الاولى تحت هذا العنوان قائلة إن جون بولتون، سفير أمريكيا السابق لدى الامم المتحدة، والذي لا يزال على علاقة قوية بإدارة بوش، صرح لها بأنه يجب مهاجمة إيران قبل امتلاكها سلاحا نوويا.

ونشرت الصحيفة تفاصيل مقابلة أجرتها مع بولتون قال فيها إن إيران "أتقنت بوضوح تكنولوجيا التخصيب الان، وإنهم لن يتوقفوا، إنهم يحرزون تقدم ووقتنا ضيق."وقال بولتون للصحيفة إن الخطوة التالية يجب أن تكون

عقوبات اقتصادية مؤلمة، تليها محاولة الاطاحة بنظام طهران، وفي النهاية العمل العسكري لتدمير المواقع النووية[٨٩].

ويبدو أن أزمة الملف النووي الإيراني قد دخلت حلقة تصعيد جديدة مع بدء الولايات المتحدة الحديث عن عدم ضرورة حصولها على الضوء الأخضر من مجلس الأمن الدولي في حال أقدامها على عمل عسكري ضد إيران. وجاء هذا التصريح، الذي يذكر بالخطاب الإعلامي للإدارة الأمريكية في فترة الاستعداد للحرب على العراق، بعد أن فشلت القوى العظمى في اجتماعها في موسكو في التوصل إلى اتفاق حول عقوبات محتملة لإيران التي تحدت الأسرة الدولية ليس لعدم انصياعها للمطالب الدولية بوقف نشاطاتها النووية فحسب، بل و لإقدامها على تكثيف برنامجها النووي كذلك من خلال إعلانها أخيراً عن نجاحها في تخصيب اليورانيوم. وكما هو متوقع انعكست تأثيرات التصعيد الجديد من كلا الجانبين على أسعار النفط أولا ولكنها بدأت تلقي بظلالها على مستقبل وتوازن القوى في المنطقة أيضاً .

وفي محاولات أخيرة لإقناع إيران بالتخلي عن برنامجها النووي عقدت القوى العظمى، إضافة إلى ألمانيا اجتماعات في العاصمة الروسية على مدى يومين. لكن هذه الاجتماعات انتهت بغير ما تشتهي به سفن الترويكا الأوروبية، التي إكتفت بتجديد دعوتها لإيران إلى وقف نشاطات تخصيب اليورانيوم من دون التوصل إلى تحقيق أي تفاهم. ومن جهة أخرى أتى الوفد الإيراني بمفاجأة جديدة لدبلوماسيي الترويكا الأوروبية مفادها إن إيران تعتزم تشغيل أجهزة طرد مركزية جديدة في سلسلتين تظم كل منهما ١٦٤ جهازاً من نوع بي-١ من أجل تخصيب اليورانيوم. الوفد الإيراني لم يكتفي بهذه المفاجأة فحسب، بل انه دعا أوروبا إلى "مواكبة" برنامجها النووي. كما قال ممثلو الترويكا الأوروبية أنها لم تجد شيئاً جديداً في الموقف الإيراني، ولكنها حذرت طهران من إجراءات من شأنها أن تزيد من عزلتها دوليا

وما تزال واشنطن تلح على موسكو من أجل وقف تعاون الأخيرة في المجال النووي مع إيران، وترى إن الرفض الروسي الصيني سيكون احد

العوامل المؤثرة على قمة مجموعة الثمان التي عقدت في تموز (يوليو) ٢٠٠٦ في روسيا. ولكن واشنطن لم تكتف بالدعوات لمنع التعاون مع إيران وفرض عقوبات عليها، بل أصبحت تتحدث عن حقها الطبيعي في "الدفاع عن نفسها" من خلال استخدامها الوسائل كافة"لمنع إيران من امتلاك أسلحة نووية". وعلى الرغم من أملها في التوصل إلى حل دبلوماسي لم تستبعد وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس أي تدخل عسكري أمريكي ضد إيران. وتأتي هذه التصريحات فى وقت بدأت فيه الصحافة الأمريكية الحديث عن ضربات عسكرية محتملة لإيران. لذلك أضحى المشهد الإيراني الآن يذكر بقوة بسيناريو الحرب على العراق، فواشنطن ترى أن"حق الدفاع عن النفس لا يتطلب قراراً من مجلس الأمن"، كما جاء على لسان رايس. وعلى الرغم من عدم وضوح لغة الدبلوماسية الأمريكية في نيتها الحقيقية بتوجيه ضربة عسكرية لإيران، إلا أن الكثير من الخبراء يؤمنون بنية الولايات المتحدة الجادة في قيامها بعمل عسكري ضد طهران. وعن الخطط الأمريكية المتعلقة بهذا الصدد يقول بهرز خوسروزاده، أستاذ العلوم السياسية في جامعة غوتنغن الذي ينحدر من أصول إيرانية: "السلم العالمي بعد الحرب الباردة لم يكن مهدداً مثل الآن". ومن جهة أخرى يرى كارل- هاينتس كامب، منسق السياسة الأمنية في مؤسسة كونراد ادناور الألمانية انه لا توجد إشارات لشن حرب على إيران "على مختلف الأصعدة السياسية والعسكرية والدعائية."

من جهة أخرى ترى روسيا، التي ترفض مع الصين فرض أي عقوبات على طهران، أنها لا تستطيع بعد تحديد موقفها من البرنامج النووي الإيراني قبل صدور تقرير الوكالة الدولية للطاقة الذرية. وعلى الرغم من النداءات التي وجهها مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية إلى موسكو لوقف تعاونها النووي مع إيران بما في ذلك في محطة بوشهر التي يبنيها الروس في جنوب طهران، إلا أن موسكو ترى أن هذه المحطة لا تهدد نظام منع الأسلحة الإيرانية. ففي بيان صدر عن الخارجية الروسية رفضت موسكو الطلب الأمريكي بإعلانها أن كل دولة حرة "بأن تختار الطرف الذي تريد التعاون

معه". وفي محاولة منها للتخفيف من الانطباع بفشـــل الاجتماع قـــال وزير خارجيتها سيرغي لافروف ان انه لم يتم اتخاذ "أي قرار ولم تصدر أي وثيقة ختامية. لكن هذا لم يكن هدفنا"، مجددة رفض روسيا الاشتراك في أي عمل عسكري ضد طهران.

أخذت التصعيد في الأزمة الإيرانية يلقي بظلاله ثقيلاً على أسعار النفط في السوق العالمية، إذ وصلت إلى أسعار قياسية تنذر بأزمة في الأفق فقـد وصل مزيج برنت القياسي إلى ٧٤ دولاراً بسبـــب المخاوف من إن النزاع يمكن ان يعطل شحنات النفط من اكبر رابـــع مصدر للنفط في العالم. وعلى الرغم من تأييد إيران بقاء سقف الإنتاج الحالي لمنظمة الأوبـــك، التي تنتج بطاقتها القصوى، يرى الرئيس الإيراني ان النفط لم يصل للقيمة الحقيقـــية بعد. فقد قال في اجتماع له مع وزراء وحكام الأقاليم انه "رغم ارتفاع أسعار النفط في السنوات الأخيرة فأنه لم يصل إلى قيمته الحقيقية".(٩٠)

ان افضل ما يمكن توقـــعه هو ان تدرك القـــيادة الايرانية ان الادارة الامريكية مصممة على المواجهة,وعليها ان تقوم بمراجعة مواقفها بشـــكل يتناسب مع قرارات مجلس الامن بخصوص بـــرنامجها النووي,او يمكن ان تكتفي برد محدود على اي ضربات امريكية ضد منشـــاتها النووية وذلك من اجل تأمين الدعم العربـــي والدولي ضد واشـــنطن ودفع امريكا الى طاولة المفاوضات ,لكن حساسية الوضع وانفتاحه على الاحتمالات كافة يتطلبـــان الاستعداد لاسوا السيناريوهات.

و بينما تشن واشنطن معركة علنية ضد ســـعي ايران الى امتلاك قـــوى نووية، فإنها تتقدم بهدوء على جبـــهة اخرى هي حقـــول النفط التي تشـــكل عصب الحياة بالنسبة للجمهورية الايرانية

وقد حققت صناعة النفط في ايران مكاســـب مالية خلال الســـنوات الثلاث المنصرمة بسبب ارتفاع اسعار النفط. ولكن حـــملة أميركية جديدة لتجفيف تمويل تطوير النفط والغاز الطبيعي تشكل تهديدا لقدرة الجمهورية الايرانية على الاستمرار في تصدير النفط خلال العقدين المقبلين وفقا لما يقـــوله كثير من المحللين. وتأتي الحملة في وقت تتعرض فيه صناعة النفط في ايران الى

مصاعب، وتواجه تحديات ناجمة عن تزايد الاستهلاك الداخلي للطاقة والعزلة الدولية وموجة الانفاق الشعبي المتزايد للرئيس الايراني محمود أحمدي نجاد وايقاف عقود مع شركات نفط اجنبية، وهو ما يعني وصفة لكارثة محتملة فى بلد يتمتع بواحد من اكبر احتياطيات النفط في العالم. وقال محمد هادي نجاد حسينيان، مساعد وزير النفط للشؤون الدولية في ايران، في مقابلة ، انه »اذا لم تتحكم الحكومة في استهلاك منتجات النفط في ايران، وفي الوقت نفسه اذا لم تتم مشاريع زيادة قدرة الطاقة النفطية وصيانة الآبار النفطية، فإنه في غضون عشر سنوات لن يكون هناك أي نفط للتصدير .«

واذا ما كان لإيران ان تتوقف فجأة عن تصدير حصتها البالغة ٢,٦ مليون برميل يوميا في حال حدوث ضربة عسكرية، يمكن ان ترتفع اسعار النفط العالمية على نحو حاد. ولكن خفضا تدريجيا قد يكون موازنا من جانب اعضاء آخرين في منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) وفقا لما يقوله محللون، خصوصا عندما يزيد العراق من انتاجه النفطي وتنفذ المملكة العربية السعودية خططا لزيادات كبيرة في طاقتها الانتاجية. وقال نجاد حسينيان ان »الكثير من البنوك الأوروبية، التي كانت قد وافقت على تمويل بعض مشاريع الصناعات النفطية قد ألغت ذلك في الفترة الأخيرة«.وفضلا عن ذلك فإن البنوك لم تعد تمنح خطابات ضمان للحصول على بعض التجهيزات، وفقا لما يقوله مسؤولون في الوزارة. وبينما تبدأ دول مثل اليابان بالتراجع عن مشاريع تطوير النفط الايراني بفعل ضغوط أميركية، فإن حكومة طهران ترغم على استخدام اموالها الاحتياطية من أجل اقامة مشاريع جديدة حاسمة. ولكن نجاد حسينيان قال ان ايران ادركت جدية التهديد واتخذت خطوات لمواجهته، بما في ذلك بطاقات تموين »ذكية« جديدة، معدة للتوزيع في اذار (مارس), لتدقيق المبيعات المتزايدة للبنزين الرخيص، ومراجعة شروط ايران في العقود في محاولة لاجتذاب شركات النفط الكبرى من اجل تفادي العوائق الأميركية. كما تأمل ايران بالتوجه الى الصين وروسيا للمساعدة. ولكن مسؤولين اميركيين حذروا من انهم سيسعون الى جعل الصين تدفع ثمن هذا، فى اطار قوانين العقوبات ضد

طهران التي تفرضها واشنطن من جانب واحد، اذا ما تقدمت بكين في مشروعها الذي تبلغ قيمته ١٦ مليار دولار، والهادف الى تطوير حقل غاز بارس الشمالي في ايران. كما ان الصين وقعت مذكرة تفاهم يمكن ان تقوم بموجبها بتطوير حقل يادافاران في جنوب غربي ايران، الذي يتوقع أن يعزز الانتاج بمقدار ٣٠٠ ألف برميل يوميا.

وقال منوشهر تاكين، الأخصائي الايراني السابق بالجيولوجيا البترولية وكبير المحللين في مركز دراسات الطاقة العالمية بلندن »انك بحاجة الى مليارات الدولارات لاستثمارها من اجل ان يكون موقفك ثابتا، وتتفادى الانحدار«.وعلى نحو مماثل فإن الحصيلة المتزايدة من تشييد المصافي، قد جرى تجاوزه من جانب العدد المتضخم من الشباب الايرانيين الراغبين في الحصول على سيارات اقتصادية كبيرة. ان البنزين المدعوم بصورة كبيرة هو ٣٥ سنتا للغالون الواحد، وهو سعر يحفز على التهريب، ولم يؤد الحديث عن رفع السعر الى اية نتيجة. وفضلا عن ذلك فإن البلاد تتمتع بأوسع بنية تحتية لتدفئة السكن في العالم، حيث البيوت في القرى النائية تصل اليها التدفئة بالغاز الطبيعي الرخيص. واضاف تاكين ان اجمالي دعم الطاقة يتراوح بين ٢٠ الى ٣٠ مليار دولار سنويا. واوضح حسين عسكري بروفيسور الاعمال الدولية في جامعة جورج واشنطن بالولايات المتحدة الاميركية ان »هذا الدعم يكلف الحكومة ما يقرب من ١٥ في المائة من اجمالي الناتج الداخلي. وهو رقم ضخم. وجوهر هذه المشكلة هو انه اذا ما الغيت الدعم، فستقع اضطرابات في الشوارع .«

ويمكن لايران اعادة الاستثمار في البنية الاساسية لقطاع النفط والغاز، وهو ما تفعله بدرجة ما، ولكن احمدي نجاد حول مليارات الدولارات من عائدات النفط الى برامج الضمان الاجتماعي، ومشاريع البنية الاساسية في الدول المجاورة مثل افغانستان، واستيراد البضائع الاستهلاكية ــ على الرغم من ضيق العديد من العاملين في الحكومة.

وتجدر الاشارة الى ان اعمال التطوير الصعبة تركت، في السنوات الاخيرة، لشركات النفط الاجنبية، التي بدأت منذ التسعينيات في العمل بإعداد

كبيرة في ايران، لاول مرة منذ الثورة الايرانية. وكانت اجراءات الحظر الاميركية التي فرضتها الولايات المتحدة ارتباطا بالاستيلاء على السفارة الاميركية في طهران عام ١٩٧٩ قد منعت شركات النفط الاميركية من العمل في ايران، الا ان شركات مثل شل البريطانية/الهولندية وتوتال الفرنسية وايني الايطالية قد استثمرت، بعضها استثمارات كبيرة، في ايران على الرغم من تهديدات الحكومة الاميركية بتطبيق العقوبات على الشركات الاوروبية. وبدرجة كبيرة، تسببت ايران في زيادة المشاكل بتطويل فترات المفاوضات حول العقود ورد مستحقات محدودة لشركات النفط الاجنبية المهتمة بتطبيق مشاريع جديدة، طبقا لما ذكره المحللون.

وذكر مسؤول في شركة نفط غربية طلب عدم الكشف عن هويته ان "الناس ذكروا انه بالرغم من الحظر، اذا ما رغب الايرانيون الاستثمار في قطاع النفط لديهم، فإن ما يجب عليهم القيام به هو تقديم شروط جيدة، ومهما كان الحظر ستتدفق عليهم شركات كثيرة«. واضاف المسؤول "ان القضية بالنسبة لنا في هذه النقطة هي سياسية وتجارية. فالبلاد في وضع ليس مناسب.

وهذه هي الصورة التي تحاول واشنطن فرضها. فقد منع الحظر الأميركي، لسنوات، استثمارات قيمتها ٢٠ مليون دولار في قطاع النفط الايراني، ولكن في الواقع انطبق ذلك على شركات النفط الاميركية فقط. ولكن بعد احتدام المواجهة النووية، وبعدما اصبح من الواضح ان العقوبات التي فرضتها الأمم المتحدة لن تفرض عقوبات اقتصادية جادة على ايران، قررت ادارة بوش تبني سياسة مختلفة. وفي الوقت ذاته، تردد ان وزارة العدل فتحت تحقيقات مع مصارف عدة لتحديد ما اذا كانت الاستثمارات في ايران انتهكت قوانين الحظر الاقتصادي الاميركية. ففي اواخر العام ٢٠٠٥ وافق مصرف »ايه بي ان امرو« الالماني على دفع ٨٠ مليون دولار غرامات بسبب تحويلات غير مناسبة مع ايران عبر فرعه في دبي. كما اعلن مصرف »يو بي اس بانك اند كريديت سويس« في الآونة الاخيرة، انه اوقف معظم التعاملات الجديدة مع ايران. وذكر مصرف »اتش اس بي سي«

البريطانية انه لن يقبل تحويلات بالدولار من داخل ايران.

واوضح ستيورات ليف وكيل وزارة الخزانة لشؤون الارهاب والاستخبارات المالية، في حديث»ان المصارف تجري بصفة مستمرة تقييمات للمخاطرة بخصوص نوعية الاعمال التي يريدون المشاركة فيه«. واضاف »هناك العديد ممن يشير الى وجود عامل من الاجبار. ولكن اعتقد انه بالنسبة لعديد من المديرين، فإن العامل الرئيسي الذي يحركهم هو عدم رغبتهم في المشاركة في تسهيل الارهاب او نشره أو أي جريمة أخرى أو أي جريمة أخرى.

من ناحية اخرى ذكر روجر سترن استاذ الجغرافيا في جامعة جونز هوبكنز في تقرير نشرته الاكاديمية الوطنية للعلوم، ان تداخل العديد من العوامل مثل زيادة الطلب الداخلي والتأخير في اضافة مصادر انتاج جديدة، وتحويل الغاز الطبيعي لاستمرار انتاج الحقول يمكن ان تؤدي الى خفض يتراوح بين ٣٣ في المائة الى ٤٦ في المائة في صادرات ايران بحلول العام ٢٠١١ وتوقف التصدير في العام ٢٠١٥. الا ان محللين آخرين ذكروا ان هذه التكهنات متشائمة، وانه من المرجح تسطيح الانتاج اي انه لن يزيد على ٤ ملايين برميل في اليوم. وقال المسؤولون انهم وقعوا عقودا لمشاريع نفط وغاز جديدة في ١٥ شهرا الماضية تصل قيمتها الى ٢٨,٤ مليار دولار، ويأملون زيادة الانتاج ليصل الى ٧ ملايين برميل يوميا بحلول عام ٢٠١٤ ــ وهو هدف ذكرت وكالة الطاقة الدولية أنه يحتاج الى استثمارات قيمتها ٨٠ مليار دولار[٩١].

سابعاً,التعاون الامريكي مع روسيا.

يشكل التعاون الامريكي – الروسي جانبا مهما من التحرك الامريكي لمواجهة البرنامج النووي الايراني ,وهذا ما اكده الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش بانه يعتقد ان ايران ستحال الى مجلس الأمن لاتخاذ اجراءات ضدها اذا لم تلتزم بالاتفاقيات التي وقعت معها.وكان الرئيس الروسي فلاديمير بوتن انه متفق مع الرئيس الأمريكي جورج بوش على أن إيران لا يجب أن تصبح قوة عسكرية نووية بأي حال.و أدلى بوتن بهذه التصريحات

بعد محادثات عقدها مع بوش في واشنطن في منتصف ايلول(سبتمبر)٢٠٠٥, حول البرنامج النووي الإيراني الذي يعتقد الأمريكيون أن طهران تستخدمه كستار لتطوير أسلحة نووية.

وقال بوش في مؤتمر صحفي مشترك مع بوتن إن كلا من واشنطن وموسكو توصلا الى ارضية مشتركة بشأن البرنامج النووي لإيران.واعرب عن ثقته في أن إيران ستحال إلى مجلس الأمن إذا ما "عجزت في الوفاء بالتزاماتها الدولية[٩٢]".

كما دعا مسؤول أمريكي بارز روسيا إلى التوقف عن مساعدة إيران في إنشاء أول مفاعل لتوليد الطاقة النووية للاغراض السلمية.وقال نيكولاس برنز، المبعوث الامريكي لروسيا بعد محادثات في موسكو بشأن البرنامج الايراني، إنه يتعين على الدول الاخرى عدم مساعدة ايران، حتى في المشروعات المدنية.

ولا يزال التوتر قائما بين موسكو وواشنطن وعلى الرغم من محاولات التنسيق بينهما للظهور بموقف موحد إزاء إيران.يذكر أن مساعدة روسيا لايران في برنامجها النووي كان دائما مصدر خلاف وتوتر بين موسكو وواشنطن لسنوات عديدة.ويعتقد المسؤولون الامريكيون أن الخبرات الفنية التي تقدمها روسيا لايران ساعدت الاخيرة في تعزيز قدراتها النووية.وقال برنز، نائب وزيرة الخارجية الامريكية، "نعتقد أنه من المهم أن توقف الدول تعاونها مع إيران حتى في المشروعات النووية المدنية مثل مفاعل بوشهر".وعلى الرغم من مؤشرات نفاد صبر موسكو إزاء مواقف إيران فإنها لن ترحب بهذا التدخل الامريكي. في الوقت ذاته قال رئيس أركان الجيش الروسي الجنرال يوري باليوفسكي إنه على ثقة من أن حكومة بلاده تعتزم الوفاء بالتزامها ببيع أنظمة دفاع جوي إلى إيران

وتعارض الولايات المتحدة الصفقة التي تبلغ قيمتها ١,٤ مليار دولار. إلا أن الجنرال باليوفسكي يقول إن الصفقة سوف تتم.وجاء حديث رئيس الأركان الروسي أمام الصحفيين بعد محادثات في موسكو مع القائد الأعلى لقوات حلف الأطلسي الجنرال جيمس جونز.ويقول المراقبون إن ايران

تعتزم نشر نظام Tor-M1 الدفاعي الجوي لحماية الأماكن الحساسة في الدولة بما في ذلك منشآتها النووية. وكان قد تم توقيع الصفقة في العام ٢٠٠٥.[٩٣]

المبحث الرابع, روسيا والبرنامج النووي الايراني.

لا شك ان الروس فقدوا نصف العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في بداية التسعينيات من القرن الماضي. ومن ربح ذلك النصف هي الولايات المتحدة وحلفائها. وأصبحت روسيا (الاتحاد السوفيتي) من دولة تهمين على نصف العالم الى دولة تفتقد مواقعها ومكانتها في العالم. ونتيجة لتلك العوامل تراجعت قدراتها الاقتصادية حتى وحلت نسبة البطالة فيها في العام ٢٠٠٥ إلى ٧,٦% (٥,٦ ملايين) من مجموع السكان القادرين على العمل حسب إحصائية العام ٢٠٠٥ انخفضت الديون الخارجية لروسيا الى ٨١,٥ مليار دولار. من المؤكد ان دوافع روسيا لتسليح إيران نوويا وعسكريا (بقيمة مليارات الدولارات) واتخاذ موقف معارض للحلول العسكرية تجاه إيران وحتى فرض عقوبات اقتصادية عليها, هو الاحتفاظ بالمواقع الاقتصادية التي تؤمن لها المتنفس الأخير وموضع القدم في منطقة شرق الأوسط بعد ما فقدت العراق ويوغسلافيا وجورجيا واوكراينا والعديد من دول شرق أوروبا بانضمامهن إلى الاتحاد الأوروبي اولحلف الناتو بقيادة الولايات المتحدة أوإلى التحالفات السياسية الأمريكية بشكل ثنائي. وبهذا الوضع الداخلي والخارجي لروسيا لا تستطيع الوقوف بوجه أوروبا والولايات المتحدة بدفاعها عن إيران وستغير موقفها حين تحصل على حوافز اقتصادية تعوضها عن ما تخسره فى إيران. وقبول عضوية روسيا في منظمة التجارة العالمية التي تطالب بالدخول فيها منذ سنين هي أحدى تلك الحوافز لتغير موقف روسيا. وفي الفترة الأخيرة ونتيجة للضغوط الأوروبية الأمريكية على روسيا صار موقفها تجاه إيران أكثر ليونة من قبل[٩٤].

وتبقى روسيا هي اللاعب المركزي في فضاء مابعد الاتحاد السوفيتي,وهي التي تضع المعايير (الجيدة والسيئة منها)للتحولات المحلية

في المنطقة,لكن روسيا قلقة من انتقال ميزان القوى في العالم ,ولطالما اهتمت بالحد من حرية حركة الولايات المتحدة.وعززت روسيا من اتصالاتها السياسية مع لاعبين رئيسين اخرين هما الهند والصين.وتبقى روسيا كذلك لاعبا مهما وربما اساسيا اي مسائل بارزة مثل منع انتشار الاسلحة النووية في ايران وكوريا الشمالية.وبشكل اكثر وضوحا ان الدور الذي تؤديه روسيا هو امتداد لدور الاتحاد السوفياتي السابق مايجعل من الصعب تخيل التوصل الى حل في أي من الصراعات القائمة او الكامنة في المنطقة من دون مشاركة روسيا او مواجهة امتناعها عن تادية دور.

وفي هذا السياق حذرت الحكومة الروسية المجتمع الدولي، من تهديد إيران بفرض عقوبات عليها أو استخدام القوة ضدها، بالإشارة إلى أن الأمر سيؤدي إلى تفاقم المواجهة الدولية القائمة مع طهران حول برنامجها النووي المثير للجدل.وقال نائب رئيس دائرة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في الخارجية الروسية، أوليغ أوزيروف، إن التهديد قد يؤدي لرفض طهران التام التعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

اولا- روسيا واستمرار تعاونها النووي مع إيران.

وقعت روسيا وإيران في شباط(فبراير)٢٠٠٥ ,على اتفاقية لتزويد مفاعل بوشهر النووي بالوقود، على أن تعيد إيران كل الوقود المستخدم من المفاعل إلى روسيا.ويأتي هذا البند في إطار تبديد المخاوف الأمريكية والإسرائيلية من أن طهران قد تستخدم هذا الوقود لتطوير سلاح نووي.وقال مسؤولون إن مواعيد تسليم الوقود ستبقى سرية.

وفي تطور آخر، صرح مسؤول أمني إيراني رفيع المستوى أن بلاده لن تتخلى عن قدرتها على تخصيب اليورانيوم.وقال حسن روحاني أحد المفاوضين الإيرانيين بعد عودته من زيارة إلى فرنسا وألمانيا إن الأوروبيين يعتقدون بأن إيران ستتخلى عن طموحها في تطوير الطاقة النووية في حال تقديم الحوافز الأمنية والاقتصادية، لكنه أكد في الوقت نفسه على أن قدرة بلاده على تخصيب اليورانيوم غير قابلة للتفاوض.

وقد وقع الاتفاق رئيس هيئة الطاقة النووية الإيراني غلام مرزا آغا زاده

ونظيره الروسي ألكسندر روميانتسيف بعدما تم الاتفاق على التوقيت. وشدد روميانتسيف على سرية مواعيد التسليم، مضيفا في حديث إلى وكالة الأنباء الروسية إيتار–تاس أنها منسجمة بالكامل مع الجانب التقني لبناء المحطة.

وفي حين عبرت الولايات المتحدة عن خشيتها من أن تستخدم إيران الوقود المستنفد لتطوير الأسلحة النووية، رفضت موسكو الضغوط الأمريكية الرامية إلى دفعها نحو وقف تعاونها في المجال النووي مع إيران.كما تخشى الولايات المتحدة من أن يوفر المشروع غطاء لنقل سري لتقنيات إنتاج الأسلحة إلى طهران .

وكان الرئيسان الروسي فلاديمير بوتين والأمريكي جورج بوش قد أكدا في القمة التي جمعتهما في سلوفاكيا أنه يجب ألا يسمح لإيران بتطوير الأسلحة النووية. غير أن بوتين أضاف أنه لا يعتقد أن طهران تنوي ذلك.وكانت إيران قد ترددت إزاء مطالبة روسيا بإعادة كل الوقود المستنفد، وذلك بسبب ما اعتبرته المخاطر المتعلقة بنقله، حسبما أوردت وكالة الصحافة الفرنسية. غير أن روسيا أصرت على ذلك كسبيل للتأكد من أن الوقود المستنفد لن يستخدم لتطوير الأسلحة.(٩٥)

وفي خضم تطور هذه الأحداث نفت روسيا مجددا على لسان وزير خارجيتها سيرجي لافروف في تصريح له في تموز (يوليو) ٢٠٠٥ الاتهامات الموجهة إلى بلاده بمساعدة إيران على امتلاك أسلحة نووية ، وأن كون النشاط النووي الإيراني محل اهتمام كبير للمجتمع الدولي فإن ذلك لا يمنع التزامات روسيا بشأن إنشاء محطة توليد طاقة نووية لإيران في بوشهر مؤكدا أن روسيا ترى أن الوكالة الدولية للطاقة الذرية هي فقط الهيئة الدولية المختصة بتقييم مدى تنفيذ إيران لالتزاماتها حسب المعاهدة الخاصة بمنع انتشار أسلحة الدمار الشامل، وأن روسيا تنوي استمرار سياستها الحالية وفي المستقبل بشأن التعاون مع إيران في مجال استخدام الطاقة النووية لأغراض سلمية على أساس الاتفاقات الثنائية القائمة، واضعة في الاعتبار قرارات الوكالة الدولية للطاقة الذرية وغيرها من المنظمات الدولية وليس اعتمادا على تقييم أطراف ثالثة ويعني في ذلك الولايات المتحدة أساسا.

كما أكد لافروف أنه لا يوجد لروسيا حاليا اتفاقات حـــول مشــروعات أخرى في مجال توليد الطاقة النووية غير محــطة توليد الطاقـــة النووية في بوشهر ، وأن هناك شرطا قائما وهو أن تتم عملية توريد الوقود النووي من روسيا شريطة أن تتم إعادة الوقود المســتنفد بشــكل إلزامي ، وأن الجهات المعنية في روسيا تقوم حاليا بدراسة إمكانية توسيع التعاون بنفس الشــروط ومن المعروف أن التعاون النووي بين إيران وروسيا بشأن إعادة بناء مفاعل بوشهر الذي تم تدميره في أثناء حــرب الثماني ســنوات ١٩٨٠-١٩٨٨ ، وذلك بموجب اتفاق قيمته ٧٨٠ مليون دولار تم إبــرامه فى عام ١٩٩٤ في نفس الموقع بطاقة ١٠٠٠ ميجاوات ، مع التفاوض لإقــامة مفاعل آخر فى إطار برنامج طموح لإقامة عشــرة مفاعلات نووية خلال عشــرين ســنة واستبدال التقنية الألمانية التي قام على أساسها مفاعل بوشهر قبل تدميره في الحرب بتقنية روسية ، وبدأ بالفعل تدفق المعدات الروسية وآلاف الخبــراء والعمال الروس على إيران ، مع تدريب أكثر من ٥٠٠ فني إيرانى ، وكـــان من المفترض أن تنهي روسيا تركيب المفاعل الأول في العام ٢٠٠٠ ، ولكن بفعل الضغوط الأمريكية المتزايدة على روسيا تعطل برنامج تســليم مفاعل بوشهر مرات عدة، وبالتالي زاد حجم الإنفاق المالي ويعتبر آخر موعد حتى الآن لتسليمه هو نهاية العام ٢٠٠٦ ، مع توقيع إيران اتفاقا آخر مع روســيا يؤمن سبل مراقبة روسيا للمواصفات الدولية للسلامة وسيطرتها على نتائج حرق الوقود النووي حتى لا تتسرب إلى مشروعات عسكرية .

وكان الاتفاق بين طهران وموسكو قد تم على تزويد إيران بـــ ٨٠ طن يورانيوم روسي ، وقد بذلت موسكو وكذلك طهران جهودا سياســية ضخمة لإقناع الولايات المتحدة بأن مفاعل بوشهر ليس له أهداف عسكرية ، لا سيما وأن طرازه لا يتيح اســتخدام المواد النووية الناتجة عنه لإنتاج نظائر يمكن استخدامها في إنتاج أسلحة نووية .[٩٦] وقال دبلوماسيون روس إن خبراء فى المجال النووي يعقدون محادثات بشأن البرنامج النووي الإيراني قبل يومين

من الموعد الذي حـــددته طهران لاســتئناف الأبحـــاث في المجال النووي.
وتتركزت المحادثات التي تجري في طهران على نقل كل تقنيات تخصيب جرت اليورانيوم الموجودة في إيران الى روسيا

وتدعم الولايات المتحدة والاتحـــاد الأوروبـــي هذه الخطوة لأنها تبـــدد شكوكهم حول سعي ايران لامتلاك أسلحة نووية.وتنفي إيران كل ما يتردد عن سعيها لامتلاك قنبلة نووية وكانت قد رفضت العرض الروسي بشـــأن نقل تكنولوجيا التخصيب، إلا أنها عادت وقالت ان هذا العرض جدير بـــأن تتم دراسته بطريقة عميقة وجدية.

وكانت روسيا تقدمت بهذا الاقتراح بـــهدف التغلب على نقـــاط الخلاف الأساسية في المحادثات بين إيران والاتحاد الاوروبـــي بشـــأن البـــرنامج النووي الإيراني. ويقوم الاقتراح الروســـي على أســـاس الســـماح لإيران بالقيام بعمليات تخصيب اليورانيوم في روسيا مما يسمح لطهران بالاستفادة من دورة الوقود النووي مع ضمان استخدام البـــرنامج النووي في أغراض مدنية فقط.

ولدراسة طبيعة العرض الروســـي وصل كبـــير المفاوضين الايرانيين بشأن الملف النووي علي لاريجاني إلى العاصمة الروسية موسكو لاجراء محادثات مع المسؤولين الروس تركزت على العرض الروسي بتخصيب اليورانيوم في روسيا. وتأتي هذه المحادثات قبل أسبوع من اجتماع الوكالة الدولية للطاقة الذرية حيث سعت الدول الغربية إلى إحـــالة الملف الايراني إلى مجلس الأمن كخطوة في اتجاه فرض عقوبـــات على طهران. وقـــد أعلنت الســـــلطات الإيرانية تطوير معدات لفصل اليورانيوم عن المعدن الخام.وقالت إنها اضطرت الى تطوير المعدات محـــليا بـــعد أن رفضت الدول الأجنبية امدادها بها[٩٧].

في غضون ذلك، قال وزير الخارجية الروسي ســـيرجي لافروف ان اتخاذ أي قرار بفرض عقوبات على ايران يجب ان يؤجل حتى نهاية شهر نيسان(ابريل) ٢٠٠٦تاريخ تقديم الوكالة الدولية للطاقة الذرية تقـــريرها حول المسألة.واشار الى ان الاجتماع الذي عقدته عدد من القـــوى الدولية

الكبرى في موسكو، فشل في التوصل الى اجماع على فرض عقوبات على ايران لان بعض الاطراف ترغب في انتظار نتائج التقرير. واضاف"نحن جميعا متفقون على ان ايران يجب ان تتخذ خطوات عاجلة وبنّاءة للرد على قرارات الوكالة الدولية للطاقة الذرية"(٩٨).

كما زار رئيس مجلس الأمن القومي الروسي إيجور إيفانوف طهران في ايار(مايو)٢٠٠٦ واجرى محادثات بشأن برنامج إيران النووي.ويدافع المسؤول الروسي عن حق إيران في امتلاك تكنولوجيا نووية لأغراض مدنية، لكنه في الوقت ذاته يؤيد موقف عدد من الدول الغربية التي تضغط على إيران من أجل أن تعلق عمليات تخصيب اليورانيوم، خشية أن يتيح ذلك لإيران تطوير سلاح نووي.وتأتي زيارة ايفانوف وسط تكتم روسي ايراني على ما يحمله المسؤول الروسي في جعبته بشأن الملف النووي الايراني.وكان الرئيس الروسي قد المح خلال قمة بلاده مع الاتحاد الاوروبي الى التقارب بين الموقفين الروسي والاوروبي فيما يتعلق بالازمة النووية الايرانية. وتتباين الاراء داخل روسيا بشأن الموقف النهائي لموسكو من هذه المسألة في حال مواصلة ايران مواصلة رفض المقترحات والعروض الغربية.

وفي الوقت الذي قالت فيه روسيا والصين انهما "لن توافقا ابدا على استعمال القوة ضد ايران بحجة عدم تجاوبها مع مطالب الغرب فيما يتعلق بالبرنامج النووي".عد وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف بعد اجتماعه بنظيره الصيني لي زهاوكسينج والرئيس الصيني هو جينتاو ان "روسيا والصين تعتقدان انه لا يجب عزل ايران كما لا يجب مضاعفة الضغوط عليها لان ذلك لن يساهم في الحد من انتشار اسلحة الدمار الشامل، بل قد يكون له اثرا معاكسا ."

وجاءت تصريحات لافروف في الوقت الذي تضغط به واشنطن من اجل اصدار قرار في مجلس الامن الدولي يمهد الطريق امام فرض عقوبات على طهران لعدم تجاوبها مع المطالب الدولية في المجال النووي. واشار لافروف الى ان الصين وروسيا اتفقتا على ضرورة عدم استعمال القوة ضد

ايران وان المسائل العالقة يجب ان تحل بالسبل السياسـية. الا ان لافروف وجه انتقـادات لايران قـائلا ان طهران يجب ان تتعاون اكثر مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية.وقـال لافروف: "لم تعط ايران حـتى الآن الاجوبـة الكاملة على الاسئلة التي طرحتها عليها الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ونحن نأسف لذلك ونأمل بان تتعاون ايران باسرع وقت ممكن". [٩٩]

وفي تطور سابق، قلل دبلوماسي إيراني بارز من شـأن تقـرير لإذاعة طهران ذكر أن إيران توصلت "لاتفاق أساسـي" مع موسـكو لتخصيب اليورانيوم في روسيا، وقال إنه لم يتم إبرام أي اتفاق جديد.و عرضت روسيا تخصيب اليورانيوم لإيران في محاولة لتهدئة مخاوف الغرب من البـرنامج النووي الإيراني.لكن التقدم نحو الاتفاق يواجه العديد من العقبـات بسبـب رفض إيران الإذعان للمطالب الدولية بوقـف أنشـطة التخصيب في أراضيها[١٠٠]

لم يشأ الرئيس الروسي الروسي فلاديمير بوتين الكشف عن أوراقه كاملة بشأن طبيعة موقف بلاده بعد انتهاء المهلة الممنوحـة لإيران. ففي الوقـت الذي أكد فيه على أن روسيا مستعدة لاي حل دبلوماسـي يتفق عليه للازمة النووية الإيرانية، بدا بوتين حريصا على ترك جميع الخيارات مفتوحة حين تصدر الوكالة الدولية للطاقة الذرية تقريرها عما اذا كانت ايران تنفذ مطالب مجلس الامن الدولي بوقف تخصيب اليورانيوم. وقال بوتين متحدثا في مدينة تومسك بسيبيريا عقـب محـادثات أجراها مع المستشـارة الالمانية انجيلا ميركل "الخيار الدبلوماسي يقدم أشكالا عدة لرد الفعل. سنبحث هذه القضية مع شركائنا الأوروبيين والولايات المتحدة و المجتمع الدولي كله." و أضاف "سنتعاون مع جميع شـركائنا لكن الان من السابـق لاوانه أن نحـدد ماهية القـرارات التي يمكن أن نتوصل اليها. الشـيء الاهم بالنسبـة لنا ألان هو التنسيق بين القرارات ايا كانت." وعلى عكس كثير من وزرائه لم يستبـعد بوتين صراحة فرض عقوبات على ايران في المستقبـل الى أن تتوافر أدلة على شكوك الغرب في سعيها لتصنيع اسلحـة نووية. وجدد بـوتين تأكيد موقف روسيا وقال "نعارض نشر أسلحة الدمار الشامل بـما في ذلك نشـر

ايران لها لكننا نعتقد أنه يجب منح ايران فرصة لتطوير مشـــاريع الطاقـــة النووية ذات الاغراض السلمية"[101].

والواقع ان الدول الخليجية قد تحركت نحو روسيا فقد جرت مباحثات بين سيرغي لافروف وزير الخارجية الروسي ونظيره القطري حمد بن جاســم حول االبرنامج النووي الايراني والوضع في منطقـــة الخليج العربـــي وفي الاراضي الفلسطينية المحتلة .وكان حمد بن جاسم قـــد وصل الى العاصمة الروسية في ١٨تشرين الاول(اكتوبر)٢٠٠٦, واستقبـــله الرئيس فلاديمير بوتين في مقره الريفي بضواحي موسكو بحضور ايغور ايفانوف ســـكرتير مجلس الامن القومي وسيرغي لافروف وزير الخارجية .وشـــكر بـــوتين القيادة القطرية على دعمها قبول روسيا بصفة مراقـــب في منظمة المؤتمر الاسلامي .. كما اشار الى وجود مصالح مشتركة كثيرة بين روسيا وقـــطر ولاسيما في مجال صناعة الطاقة.ونقل الوزير القطري الى الرئيس الروسي تحيات امير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني[102].

المبحث الخامس,البرنامج النووي الايراني والتعاون مع الصين وكوريا الشمالية.

اولا-الصين والبرنامج النووي الايراني.

تعدالصين من أشد معارضي سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط حيث عارضت الحرب على العراق ويوغسلافيا. وتعارض الصين الحـــل العسكري بما يخص برنامج إيران النووي وتصر على الحـــلول الســـلمية. وتستثمر الصين في منطقة شرق الأوسط عقود اقتصادية ضخمة وأهمها في مشاريع البترول حيث حصلت الصين على ٥١% من احتياجاتها النفطية من منطقة الشرق الأوسط خلال الفترة منذ نهاية التسعينيات حتى العام ٢٠٠٣, منها ١٣،٦ % من إيران. بلغ إجمالي واردات الصين من النفط ٢٢٦ ملْيون طن في العام ٢٠٠٣ .

تصدر الصين إلى إيران سنويا ما يقارب ٧,٢% كما تستورد من إيران ما يقارب ٩,٧%. وقعت الصين وإيران في العام ٢٠٠٤ على عقد بقيمة ما

يقارب ١٠٠ مليار دولار تطور بموجبه مجموعة سينوبك الصينية حقل "ياد آوران النفطي", مقابل الموافقة على شراء ملايين الأطنان من الغاز الطبيعي من إيران سنويا ولفترة ٢٥ عاما. وحسب هذه الاتفاقية تمتلك شركة النفط الوطنية الإيرانية اسهم بنسبة ٢٠% وشركة النفط والغاز الطبيعي الهندية اسهم بنسبة ٢٩% وتمتلك شركة سينوبك الصينية اسهم بنسبة ٥١% .

ان طموح الصين العملاقة وبرمجته المحسوبة و المدروسة و الاستقرار السياسي والاقتصادي النسبي ومنذ فترة طويلة في الصين, حقق قفزات في الاقتصاد الصيني وبدء إنتاجها الاقتصادي بالنمو حتى وصل حسب اخر الإحصائيات في العام ٢٠٠٦ إلى ١٠،٢%. وبلغت قوتها ألتجارية نحو ٨٥١ مليون دولار حيث وصلت إلى ثالث اكبر بلد في العالم من حيث التجارة الخارجية ولديها أكثر من ٦١ مليار دولار من الاستثمار الخارجي. في حين يصل العجز التجاري الأمريكي مقابل الصين إلى أكثر من ٢٠٠ مليار دولار في العام ٢٠٠٥ .

وتذكر مجلة العالم الاقتصادية الصادرة في ١٧-١٢-٢٠٠٥ ان الصين تتمتع بفائض تجاري مع الولايات المتحدة الأمريكية بقيمة ٣٤ مليار دولار من قطاع التكنولوجية المتقدمة في العام ٢٠٠٤.وارتفع هذا الفائض في العام٢٠٠٥ الى ٣٦ مليار دولار. تمتلك الصين ١ تريليون دولار في المدخرات الشخصية، فيما تمتلك الولايات المتحدة ١٥٨ مليار دولار فقط فيها.

ومن المفارقات ان يتحالف الصين الشيوعي مع إيران الليبرالي بشعاراته الإسلامية. واذا نظرنا إلى الدوافع وأسباب المواقف القوية التي تنتهجها الصين للدفاع عن إيران في الساحة الدولية وفي قرارات مجلس الأمن بالتحديد, فنجد سر ذلك التحالف يكمن في قضايا لا تتحدد بايران بل ما يدفع الصين عوامل اقتصادية وسياسية ومصالح دولية من اجل الحفاظ على المكتسبات والمواقع والطموح للسيطرة على العالم. وعلى تلك الحسابات وطبيعة الصراع القائم وأطرافه, من الطبيعي بان الصين لن تضحي بمكتسباتها من اجل إيران ومعارضتها لا ترتقي إلى الاصطدام مع الولايات

المتحدة وأوروبا ومعظم بلدان العالم. وفي نهاية المطاف ستتخذ الصين موقف المحايد بعد ما تؤمن مصالحها واحتياجاتها من بلدان أخرى, خاصة في مجال البترول حيث الصين ثاني اكبر دولة في العالم تستورد البترول وسيؤمن احتياجاتها النفطية ومصالحها الاقتصادية ولن تعتمد على المعاهدات التجارية مع إيران فقط. وزيارة وفد رفيع المستوى من المملكة العربية السعودية إلى الصين وعقد اتفاقيات ضخمة في مجال البترول ما هو الا القدم الأول للتحرك الصيني لتعويض نتائج الصراع القائم بين إيران من جهة والولايات المتحدة وأوروبا من جهة أخرى(١٠٣).

فقد أعرب المندوب الصيني لدى الامم المتحدة " وانج غوانغيا " عن قلق بلاده من ان القرار المقترح لكبح جماح البرنامج النووي الايراني قد يؤدي الى انزلاق العالم نحو الحرب.ودعا فرنسا وبريطانيا بعدّهما راعيتي القرار الى التخلي عن الاشارة الى احتمالات فرض عقوبات على طهران حتى يتمكن مجلس الامن من اعتماده. غير ان المندوب الصيني قال ان ثمة حاجة الى اصدار قرار لان ايران فشلت في التعاون مع الامم المتحدة والوكالة الدولية للطاقة الذرية. "(١٠٤).

و قام كبير مفاوضي الملف النووي الايراني,علي لاريجاني,بزيارة الصين حيث بحث مع المسؤولين الصينيين التطورات المتعلقة بالملف النووي الاراني.حيث تتمتع العلاقات الصينية – الايرانية بنوع من التوازن,حيث تسعى بكين الى تامين احتياجات اقتصادها المتنامي من البترول والغاز الايراني كما انها تؤيد حق طهران في الحصول على برنامج نووي.غير ان بكين,وهي عضو دائم في مجلس الامن,صوتت لصالح القرار الدول الذي يفرض عقوبات على ايران.(١٠٥)

وفي مطلع٢٠٠٧ زار رئيس الوزراء الاسرائيلي ايهود اولمرت الصين,وقال المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية ليو جانخاو عن هذه الزيارة"نامل في تبادل الاراء حول تعزيز العلاقات الودية بين البلدين,وكذلك تبادل وجهات النظر حول قضايا عديدة تهم البلدين بما فيها قضايا الشرق الاوسط كالقضية النووية الايرانية". وتبرز اهمية الزيارة في ضوء تزايد

قيمة المبادلات التجارية السنوية بين الصين و اسرائيل التي وصلت لاكثر من ٧٠٠مليون دولار أي بزيادة بنسبة الثلث خلال الاشهر الاثني عشرة الماضية.وتزايد القلق الذي تشعر به اسرائيل ازاء العلاقات الصينية الايرانية,اذ تعد الصين مصدرا اساسيا للسلاح لايران وتقول اسرائيل ان الاسلحة الصينية تصل الى ايدي مقاتلى حزب الله المناوىء لها في جنوب لبنان.

كماواجهت العلاقات بين البلدين انتكاسات عدة فقد استاءت الصين حين رضخت اسرائيل لضغوط امريكية في العام ٢٠٠٠و الغت صفقة لطائرات"فالكون" كان من المقرر تزويد الصين بها,و من جهتها عبرت اسرائيل عن قلقها لاستقبال الصين وزير الخارجية الفلسطيني الذي حضر مؤتمرا حول العلاقات العربية– الصينية في بكين العام٢٠٠٦ (١٠٦).

فضلاً عن كل ماتقدم,تبقى التزامات الصين الدولية عاملا مهما يحكم الى حد كبير السلوك الصيني تجاه ايران,فقد ابدت الصين التزاما بمتطلبات الانضمام الى منظمة التجارة العالمية بشكل فاق ماقامت به الولايات المتحدة نفسها,والتي اصرت على سياساتها الحمائية بالنسبة للمنتجات الزراعية وصناعة الصلب.وبفضل تعاونها مع الولايات المتحدة في قضايا الحرب على الارهاب والحد من الانتشار النووي,لم يتردد الامريكيون في ادراج الحركة الاسلامية لشرق تركستان ,والتى تضم عناصر من قومية الايغور Ughurفي الصين,الى قائمة الجماعات الارهابية.كما اكد الرئيس بوش من جديد تأييده لفكرة (صين واحدة)بدلا من الفصل بين الصين وتايوان.وموقف الصين في التهدئة والوساطة لحل ازمة البرنامج النووي الكوري الشمالي,والجهود الدبلوماسية التي قامت بها الصين في التحرك الى مختلف بؤر الصراعات الدولية والاقليمية ,تتضح بشكل جلي صورة الصين كونها الدولة الساعية بالفعل الى الاندماج في النظام العالمي ,من منطلق مبادىء المساواة والاحترام المتبادل بين الدول.(١٠٧).

ثانيا-التعاون الايراني- الكوري الشمالي.

ادى تزامن الازمتين النوويتين الكورية والايرانية الى درجة كبيرة من التداخل والتاثير المتبـــادل للادارة الدولية لهاتين الازمتين,ووجود درجة كبيرة من التشابه بين الحالتين الكورية والايرانية,ويلاحـــظ ان هناك فارقـــا جوهريا بين الخطابين الكوري والايراني بشأن برنامجيهما النوويين,حـــيث انتقلت الدبلوماسية الكورية بدأ من تشرين الاول(اكتوبر)٢٠٠٢,الى الحديث عن برنامجها النووي باعتباره برنامجا عســكريا,كما اعترفت في مرحـــلة لاحقة وقبل اجراء تجربتها النووية في تشرين الاول(اكتوبر)٢٠٠٦,بـــانها اصبحت قوة نووية.

وتتميز الحالة الكورية بعدم ارتباط مشروع البرنامج النووي العســكري بمشروع للطموح الاقليمي على نحو مايميز ايران,سواء بالنظر الى الخطاب الايديولوجي الكوري الذي يعمل في بيئة اقليمية ودولية ,وربما محلية ايضا لاتقبل باستمرار تمسك النظام السياسي بالايديولوجية الشـــيوعية,وذلك على العكس من البرنامج النووي الايراني الذي يرتبط بمشروع لدور اقليمي كبير يستند الى نظام اسلامي ذي توجهات محددة,وفي اطار بـــيئة اقـــليمية توفر عمقا استراتيجيا كبيرا لتوجهات هذا النظام.

وعلى الرغم من الرفض الذي يواجهه البرنامجان النوويان ,كل في بيئته الاقليمية,الا ان هناك اختلافا كبيرا بين الحالتين.ففي الحالة الكورية لم يصل هذا الرفض الى اســـتعداد القـــوى الاقليمية(روســـيا والصين وكوريا الجنوبية)بقبول البديل العسكري او الحصار الاقتصادي او القبـــول بـــدفع النظام الى الانهيار.

واذا كان هناك من درس مهم لمسار الازمة النووية الكورية بالنسبـــة لايران,فان خلاصة هذا الدرس تقـــــــوم على نجاح عملية ادارة الازمة والمساومة والحـــصول على تنازلات محـــددة من الولايات المتحـــدة,رهن بتطوير القدرات النووية وليس العكس.والاهم في كل ماتقدم هو ان الواقـــع الاستراتيجي لكوريا يوضح انها ليســـت بحـــاجة ملحـــة لامتلاك ســـلاح نووي,وبمعنى اخر فان التنازل عن السلاح النووي-بـــعد امتلاكه-يضمن

لكوريا الحصول على تنازلات وامتيازات اكثر بكثير من تلك التي يحققها امتلاك السلاح النووي كغاية نهائية(١٠٨).

١-إتهام كوريا الشمالية بمساعدة إيران نوويا:

لقد اتهمت تقارير حديثة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية كوريا الشمالية بمساعدة إيران سرا في تطوير برنامجها النووي ، وهو ما أثار مخاوف جديدة في الدول الغربية وغيرها بشأن نوايا طهران النووية ونشر بيونج يانج للتكنولوجيا النووية في دولة من العالم الثالث في طريقها لأن تصبح نووية . ففي تقرير صدر عن الوكالة المذكورة في أوائل تموز(يوليو)٢٠٠٦ . أفاد بأنه في أواخر التسعينيات بدأ التعاون النووي بين البلدين ، والذي تركز على الأبحاث وعمليات التطوير النووية ثم حدث تحسن كبير في العلاقات بين إيران وكوريا الشمالية خلال النصف الأول من العام ٢٠٠٥ . وكمثال حديث لهذا التعاون ما وصفه التقرير الذي يقع في ثلاث صفحات بـ " برنامج دراسي سري خاص لتقديم المعلومات التكنولوجية والعلمية للطلاب النابهين " . وقال التقرير أن من بين المحاضرين علماء كوريين شماليين بارزين وفنيين نوويين . وأضاف أن هذا التعاون النووي بين البلدين زاد فيما يبدو بشكل كبير على مدى الاثني عشر شهرا الماضية ، كما شوهد وصول وفد أكاديمي من كوريا الشمالية إلى إيران للمشاركة في هذا البرنامج الدراسي الخاص ، وأن هذا البرنامج يدرس على مستوى الماجستير في جامعة العلوم التطبيقية بطهران ، ويشمل الاستخدام المزدوج للتكنولوجيا النووية في تطبيقات مدنية وعسكرية ، ثم خلص تقرير وكالة المخابرات المركزية إلى استنتاج مفاده أن إيران يبدو أنها تتخذ خطوة أخرى لدعم مشروعها النووي العسكري بالاستفادة من المعلومات التكنولوجية الواسعة التي لدى كوريا الشمالية في المجال النووي."

وتشير تقارير أجهزة المخابرات الغربية إلى أن كوريا الشمالية قدمت الجانب الأكبر من تكنولوجيا البرنامج النووي الإيراني خاصة في أبعاده

السرية المتعلقة بالاستخدامات العسكرية ، ويقــول خبــراء الوكالة الدولية للطاقة الذرية أن قسما كبيرا من معدات تخصيب اليورانيوم المســتخدمة في مركز (ناتانز) لتخصيب اليورانيوم صنعت في كوريا الشــمالية ، ولا تخفي بــيونج يانج علاقــاتها الوثيقــة مع طهران . وكانت مصادر المخابــرات العسكرية الإسرائيلية (أمان) قد كشــفت في ١٥/١١/ ٢٠٠٢ عن معلومات مفادها أن إيران هربت رأسين نوويين إلى كوريا الشمالية في ايلول(سبتمبر) ٢٠٠٢ بعد أن تم إنتاجهما وتركيبهما في إيران عبر اتفاق سري أبرم بــين طهران وبيونج يانج في تموز(يوليو) ٢٠٠٢ ، وكان مصدر هذه المعلومات هو أحد المنشقين الإيرانيين الذي حدد بدقة خط ســير الرأســين النوويين في ١٤/٨/ ٢٠٠٢ .

وفي تعقــــيب على هذه المعلومات أكدت وكالة المخابـــرات المركزية الأمريكة صحة هذه المعلومات وأضافت أن كوريا الشــمالية قــامت ببــناء مراكز نووية في وسط المنشآت والمراكز النووية الإيرانية وأنه يوجد ضمن منشأة (ناتانز) التي تقع على بعد ١٦٠كم شمال أصفهان وعلى الطريق القديم الذي يربطها بمنطقة كاشــان، يوجد مبــنيان لتخصيب اليورانيوم وتركيب الرأس النووي على الصواريخ الباليستية،وذلك في تحصينات تحت الأرض تضم مئات من الإيرانيين والكوريين العاملين في مجال تخصيب اليورانيوم، ويرأس هذا المركز العالم النووي (داود أجهاجاي).

أما المركز النووي الإيراني الآخر الذي يوجد به أيضا أعداد من الكوريين فهو المقام في مدينة (آراك) ويختص بإنتاج الماء الثقيل ، فيقع على مســافة ٢٢٠ كم جنوب طهران ، ويطلق على هذا المفاعل (مفاعل القـــــطران) ويشرف عليه المهندس الإيراني (درويش شيباني).

وتستنتج أجهزة المخابرات الأمريكية والإســرائيلية أن إيران بحــصولها على تكنولوجيا إنتاج الرؤوس النووية من كوريا الشمالية أصبحــت قــادرة على إنتاج رؤوس نووية يمكن تركيبــها على صواريخ شــهاب –٣ ودون مســاعدة خارجية من أية دولة ، كما أن نجاحــــها في تخصيب اليورانيوم

سيجعلها قادرة على إنتاج ما بين ٨-١٢ رأسا نووية خلال ٥-١٠ سنوات ، وفي أدنى تقدير سيكون لديها بنهاية العام ٢٠٠٦ رأسان نوويان [١٠٩].

المبحث السادس, البرنامج النووي الايراني ومجلس الامن.

إستجابة لتقرير وقرار الوكالة الذي إعتمد يوم ٤ اشباط(فبراير)٢٠٠٦ (الوثيقة(GOV/2006/14)أصدر مجلس الأمن بيانا رئاسيا في ٢٩اذار(مارس)٢٠٠٦ عبر فيه عن القلق إزاء تقارير الوكالة التى تضمنت القضايا والشواغل ذات العلاقة ببرنامج إيران النووي التي يمكن أن يكون لها أبعادا نووية عسكرية وطالب إيران بالإمتثال لما طالبتها به قرارات الوكالة ، كما طالب المجلس من المدير العام للوكالة أن يقدم خلال ثلاثين يوما تقريرا عن حالة إمتثال إيران لمطالب الوكالة.

وبعد إنتهاء فترة الثلاثين يوما قدم البرادعي تقريره الى مجلس محافظي الوكالة والى مجلس الأمن أكد فيه أن إيران لم تستجب لمطالب الوكالة . وإثر ذلك عقد الأعضاء الدائمون لمجلس الأمن ومعهم ألمانيا ممثلة للإتحاد الأوربي مشاورات مكثفة . وسعى الأعضاء الغربيون الدائمون في مجلس الأمن الى أن يصدر مجلس الأمن قرارا يطالب إيران بتنفيذ ما طلبته الوكالة، لكن روسيا والصين رفضتا تدخل مجلس الأمن في هذه المرحلة وأكدتاعلى ضرورة إعطاء فرصة إضافية لإيران ووافق الغربيون على ذلك .وفي هذه الأثناء أصدرت الوكالة الدولية للطاقة الذرية تقريرا جديدا(الوثيقةGOV/2006/38)أشار الى وجود قضايا معلقة إضافية جديدة في برنامج إيران النووي ومن بينها : أسباب وجود تلوث باليورانيوم عالي التخصيب في أجهزة الطرد المركزي التي إستوردتها إيران وضرورة تقديم إيران لمعلومات تفصيلية عن برنامجها للتخصيب (P-1) و (P-2) ومطالبة إيران شرح أسباب تضارب المعلومات التي قدمتها عن تجاربها لفصل البلوتونيوم ومطالبتها بالسماح لمفتشي الوكالة بزيارة المفاعل البحثي الذي يعمل بالماء الثقيل [١١٠].

وفي ١٥اذار(مارس)٢٠٠٧,وصف الرئيس الايراني محمود احمدي

نجاد مجلس الامن الدولي بـانه يفتقـد الى أي شـرعية دولية.وجاءت هذه التصريحات كرد فعل على تحـرك من جانب الدول الخمس دائمة العضوية في المجلس الى جانب المانيا باقتراحها مزيد من العقوبات على ايران بسبب برنامجها النووي.وتشمل العقوبات المقترحة حظرا على اسـتيراد طهران للسـلاح,وتجميد ارصدة كبـار المسـؤولين الايرانيين,كما تدعوا المجتمع الدولي الى تفادي الالتزام بتقديم أي دعم مالي لايران[١١١].

وكان أعضاء مجلس الأمن الخمسة عشر قد صوتوا بالإجماع على القرار ١٧٤٧ المتضمن فرض عقوبات جديدة على طهران بسبـب ملفها النووي، حيث تتهم المجموعة الدولية إيران باستخدام تلك التكنولوجيا لتطوير أسلحة دمار شامل، الأمر الذي تنفيه طهران بشكل مطلق[١١٢].

وفي ردها على القرار قال غلام حسـين المتحـدث باسـم الحـكومة الايرانية,تعليقا على موقف بلاده من القرار الجديد لمجلس الامن:"بعد تمرير هذا القرار غير المشروع ضد ايران...فقد ارغمت الحـكومة على...تعليق اجزاء من انشطتها مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية".واضاف ان "الترتيبات الثانوية" مع الوكالة ستتأثر بالقرار الجديد,مؤكدا ان تعليق التعاون سيتواصل حتى يحال ملف البـرنامج النووي لبـلاده مرة اخرى من مجلس الامن الى الوكالة.

وكانت ايران قـد ادانت القـرار الذي اصدره مجلس الامن في الامم المتحدة بفرض عقوبات جديدة عليها بسبب رفضها وقف برنامجها لتخصيب اليورانيوم,وقالت ان "الضغوط والترهيب"لن تغير من سياسة طهران ,والتي قالت انها لاغراض سلمية بحتة.وتعهد منوشـهر متكي بـان ايران لن تعود لاي محادثات مالم يتخل الاتحاد الاوربي والولايات المتحدة عن مطالبـهما بالوقـف الفوري لتخصيب اليورانيوم.واضاف متكي متحـدثا الى مجلس الامن بـعد التصويت,ان ايران لاتتصرف كطرف معتدي فيما يتعلق بالقضية,وقال:" ايران لاتسعى لمواجهة كما لاتسـعى لتجاوز حقوقـها غير القابـلة للتصرف...اؤكد لكم ان الضغوط والترهيب لن تغير السياسـة الايرانية" [١١٣].

وفي الوقت الذي تستمر فيه المحاولات الدبلوماسية في مجلس الامن لحمل ايران على تعليق انشطتها لتخصيب اليورانيوم,يبقى السؤال المطروح هو مدى احتمال شن هجوم امريكي على ايران وفيما اذا كان القانون الدولي يعتبر هكذا خطوة عملا قانونيا ام لا؟

فاذا ما قررت الولايات المتحدة مهاجمة ايران ,فمن المحتمل ان تدعي بانها تقوم بعمل استباقي وتمارس حقها المشروع بالدفاع عن النفس بموجب ميثاق الامم المتحدة.والحالة هنا استبعاد ان تسلك امريكا الطريق القانوني الرئيسي الاخر والذي يسمح لدولة بمهاجمة دولة اخرى,أي التخويل باستعمال القوة من قبل مجلس الامن الدولي,الا ان المجلس فيه كل من روسيا والصين وهما تتمتعان بحق النقض الفيتو ,وتعارضان اللجوء الى العمل العسكري على الرغم من موافقتهما على فرض العقوبات الاقتصادية.

ان واشنطن لن تسعى لتطبيق مبدأ التدخل الانساني المتنامي,اذ ان الشروط اللازمة لذلك غير متوافرة في الحالة الايرانية,ولذلك فمن المحتمل ان تسعى امريكا لتبرير الهجوم تحت مبدأ الدفاع عن النفس,اذ سيتعين عليها قبل أي شيء ان تحدد الخطوط العريضة لطبيعة التهديد المحتمل تعرضها,ويكون المقصود من هذا التهديد في الوقت الراهن التطوير السري السابق لتكنولوجيا تخصيب اليورانيوم الذي كانت تقوم به ايران,مما ساهم في خلق جو من فقدان الثقة.كما ستتم الاشارة الى رفض ايران الانصياع لمطالب مجلس الامن الدولي بايقاف عمليات تخصيب اليورانيوم,بالاضافة الى تصريحات الرئيس الايراني العدائية حول حق اسرائيل في الوجود,وستعلن واشنطن عن كل هذه الاشياء كتهديد للولايات المتحدة ولمصالحها وللامن الاقليمي والدولي.وستقدم في وقت لاحق حججا اخرى وذلك بناء على التطورات التي ستطرأعلى ملف البرنامج النووي الايراني.

وعند تحديد نوعية الخطر وتعريفه ستتمكن واشنطن من الدعوة لتنفيذ المادة٥١ من ميثاق الامم المتحدة والتي تجيز حق الدفاع عن النفس,وتنص المادة على انه"لايوجد في الميثاق الحالي مايعيق اللجوء الى الحق المشروع للدفاع عن النفس بشكل فردي او جماعي فيما لو وقع هجوم مسلح على

احدى الدول الاعضاء في الامم المتحـــدة,الى حـــين تمكن مجلس الامن من اتخاذ الاجراءات اللازمة لحفظ الامن و السلم الدوليين."

وللالتفاف على تعبير "فيما لو وقع هجوم مسلح",فان امريكا ستقــول ان القانون الدولي لايتطلب وقوع هجوم حقيقـــي,وان مبــدأها الجديد الخاص بالضربة الاستباقية,وهو امتداد لمفهوم الدفاع عن النفس,سيكون قيد التنفيذ.

لقد سبق لواشنطن ان بررت مبدأ الضربة الاستباقية في وثيقة استراتيجية الامن القـــومي لعام٢٠٠٢ بـــعد هجمات الحـــــادي عشـــــر من ايلول(سبتمبر)عام٢٠٠١ حيث اكدت الوثيقـــة انه:حـــاجة ملحـــة"كلما كان الخطر اكبر,كلما كانت المجازفة اخطر بعدم المقدرة على فعل شيء,وبالتالي كلما زادت الحاجة الحاحا لاتخاذ فعل متوقع للدفاع عن انفسنا,حتى ولو بقي مكان وزمان هجوم العدو غير مؤكدين,ولكي نتنبأ بـــتلك الهجمات المعادية من قبل خصومنا ونحبطها,فلابد للولايات المتحـــدة من ان تتصرف بشـــكل استباقي عندما تدعو الضرورة لذلك."

وقد تقول امريكا انها تتصرف لحماية اسرائيل او بـــطلب منها ,حـــيث يمكن لتل ابيب ان تجادل بانها واقعة تحت تهديد اكبر من ذلك الذي تتعرض له امريكا نفسها.فالدفاع الجماعي مسموح به من قبل الامم المتحـــدة فيما لو تقدمت الدولة الاصلية التي تطلب الدفاع عن النفس بطلب المســـاعدة,ومن الممكن ايضا ان تعلن امريكا انها تنفذ بشكل انفرادي قــرارا لمجلس الامن الدولي فيما لو وافق المجلس على قرار في اطار الفصل السابـــع من ميثاق الامم المتحدة,والذي يلزم كافة الدول الاعضاء بالانصياع لقراراته.

ويبقى السؤال هو:هل ستكون هذه التبريرات مقبولة في منطق القـــانون الدولي؟

الواقع ان هناك الان بعض الدعم القانوني لمبـــدأ عدم الانتظار طويلا اكثر مما ينبغي,وقد ذكرت القـــاضية البـــريطانية ديم روزالين ,التي عينت رئيسة لمحكمة العدل الدولية في شباط(فبراير)٢٠٠٦,وذلك قبيل تعيينها في منصبـــها:"في العصر النووي,ليس من المنطق ان نطلب ترجمة مقـــطع غامض في نص ما بطريقة تتطلب من احدى الدول ان تتقبـــل مصيرها دون

ان تتمكن من الدفاع عن نفسها وكأن لاحول لها ولاقوة".وعموما يبقى التوجه العام وسط المحـــامين الدوليين هو ان يكون هناك تهديد بهجمة"وشيكة"قبـــل اللجوء الى اية ضربة استباقية او دفاعية.

الاان هذه التوجهات تواجه انتقـــادات عديدة,فقـــد انتقـــد وزير العدل البريطاني اللورد غولد سميث,والذي استعان بحزمة معقـــدة من قـــرارات مجلس الامن الدولي حول العراق حيث استخدمت لتبــرير غزو بـــغداد في العام٢٠٠٣,وفي اطار نظرية الضربة الاستباقية,وقـــال في جلســـة لمجلس اللوردات في شهر نيسان(ابريل)٢٠٠٤:" قد يسمح القانون الدولي باستخدام القوة للدفاع عن النفس لمنع حدوث هجوم وشيك,ولكنه لايجيز استخدام القوة بالشكل الذي يرقى الى درجة تنفيذ ضربة استباقية ضد تهديد بعيد الحدوث."

كما ان هناك اختلاف اساســـي وكبـــير بـــين المبـــدأ الامريكي ونظرة الكثيرين من بقية اعضاء الامم المتحـــدة بالنسبـــة للموضوع.ففي احســـن الاحوال لايوجد هناك اجماع على راي واحد بـــهذا الشـــان.وتتفق مع هذه الاراء اليزابيث ويلمز هيرست,كبـــيرة خبـــراء القـــانون الدولي في المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن–تشاتام هاوس,بقـــولها:"لايوجد في الوقت الراهن مستند قانوني يسمح بشـــن هجوم امريكي على ايران تحـــت البند٥١.وبـــالتاكيد لايمكن بـــناء القـــضية على مبـــدأ الدفاع عن النفس ايضا".واضافت ويلمز هيرست,التي قدمت استقـــالتها كمستشـــارة لوزارة الخارجية البريطانية لانها شعرت ان غزو العراق لم يكن قـــانونيا," لايتعين عليك الانتظار حـــتى يقـــع الهجوم,ولكن يجب ان يكون الهجوم حقيقـــيا ووشيكا."

ولاتعتقـــد ويلمز هيرســـت ان شـــروط اللجوء الى الدفاع عن النفس موجودة الان في الحالة الايرانية اذ تتساءل:"وهل يرقى تخصيب اليورانيوم الى مستوى التهديد؟ لم تتحول مادة اليورانيوم الى ســـلاح بـــعد.وهل يوجد هناك أي تهديد بالفعل ؟"

وهي ايضا لاتعتقد انه بامكان امريكا ان تطبق بمفردها قرار الامم المتحدة في اطار الفصل السابع اذ تؤكد ان"هذا يتطلب قـــرارا اخر يجيز اســـتخدام

القوة,كما يقتضي ايضا الحصول على اجماع دولي حول الموضوع."

وحتى عندما تقبل ويلمز هيرست بمنطق ان اسرائيل قـد تعتبـر نفسـها مهددة,اذا اخذنا بعين الاعتبار التصريحات التي ادلى بـها الرئيس الايراني محمود احمدي نجاد بخصوص اسـرائيل.الا انه"يتعين على اسـرائيل ان تتحلى بنظرة واقعية وموضوعية لقضية فيما اذا كان هناك تهديد حقيقـي ام لا,الامر الذي اشك بوجوده في هذا الوقت بالذات."

وينضم الى مجموعة القـائلين بـعدم قـانونية الهجوم على ايران وزير خارجية بريطانية السابق جاك سـترو الذي يؤكد انه لايمكن تبـرير عمل عسكري استنادا الى البـند ٥١ من ميثاق الامم المتحـدة,فيما اكتفت وزيرة الخارجية البـريطانية مارغريت بـيكيت بالقـول انه لااحـد لديه اية "نية" بـمهاجمة ايران. ويمكن ان تتطابـق هذه الرؤى مع تاكيد رئيس الوزراء البـريطانى توني بـلير في قـوله ان هجوما على ايران هو امر "لايمكن تصوره",ولكن يبقـى الامر غير واضح فيما اذا كان موقـف بـلير هذا هو استخدام تكتيكي للغة لترهيب ايران,ام ان الامر بحـد ذاته ينبـيء بـدعم بريطاني محتمل لفكرة الهجوم على ايران(١١٤).

المبحث السابع,الرؤية الايرانية للوضع الدولي.

اولا–طبيعة الرؤية الايرانية.

بداية عند الحديث عن المتغيرات الدولية من الأهمية بمكان التفرقة بين الرؤية الأيديولوجية والفكرية للنظـام الإيرانـي تجـاه النظـام الدولـي وإستراتيجيات التعامل معه وبين متغيرات الواقع الدولي ذاتها.

على المسـتوى النظري الأيديولوجي، اسـتمرت الرؤية الإيرانية للنظام الدولي ما بـعد ١١ايلول(سبتمبـر) ٢٠٠١على رفضها للهيمنة الأمريكية الكاملة، ولعل ما قاله خاتمي يوجز الموقـف الإيراني في هذا المجال: "خلق نظام أحادي القطبية مجرد وهم." بل كثيرا ما تم تشبـيه الولايات المتحـدة بألمانيا النازية وبوش بهتلر في كثير من الكتابات الإيرانية خاصة القريبة من دوائر صنع القرار المحـافظة. كما طابقـت بـعض التحـليلات الإيرانية

الأوضاع الدولية المعاصرة بتلك السائدة في الثلاثينيات من القرن الماضي، وترى أن أصحاب السلطة الأمريكيين لا يختلفون كثيرا "في سياساتهم الكاذبة" عن النازيين في هذه الفترة، وأن وهؤلاء المسؤولين والكثيرين من الشعب الأمريكي ليسوا سوى لعبة في يد السياسيين تجار الأسلحة والعسكريين ضيقي الأفق الذين أنتجوا ما يسمى بإستراتيجية السبق أو المبادأة المصحوبة دوما بعمليات وقائية. ولا تؤمن هذه الكتابات الإيرانية بأنها خطوة دفاعية ولدت عقب أحداث سبتمبر، إنما هي في الواقع خلاصة أربع سنوات سابقة من عمل الخبراء العسكريين والمخابرات الأمريكية بقيادة البنتاجون ورامسفيلد.

وأطلق خاتمي مسمى "التحالف من أجل الحرب" على ما تتبعه السياسة الأمريكية عقب ١١ ايلول (سبتمبر)، ويرى أنها إستراتيجية تقوم على القوة العسكرية والدعوة إلى الهيمنة الاقتصادية والسياسية والثقافية والتي بدأت في مرحلة ما بعد الحرب الباردة ونهاية نظام ثنائي القطبية، وهي أيضا سياسة لجعل العالم أحادي القطبية أمرا واقعا. وطوال فترة ما بعد ١١ايلول (سبتمبر) جدد خاتمي مطالبته بإنشاء "تحالف من أجل السلام" الذي يستطيع تحقيق الحرية والأمن والاستقرار وليس التحالف من أجل الحرب، وشدد على التعدد والتنوع في عالم اليوم، وأنه لا يمكن توقع أن تنخرط جميع الدول بشكل واحد وأحادي في معسكرين للخير والشر. وأكد مجددا على الحوار بين الحضارات الذي يطور التعايش بين الأمم. ودعا خاتمي لتكوين اتحاد إسلامي لأن الدول الإسلامية إذا تخطت الاختلافات ستكون اتحادا قويا ينشر الهدوء والسلام في العالم، كما لا بد من تقوية دور التنظيمات الدولية.

كما تواجه إيران اليوم واقعا دوليا جديدا تزيد فيه القيود المفروضة على كل ما هو إسلامي، سواء أكان دولة أو تنظيما سياسيا أو حتى جمعية خيرية، وجاء ذلك بعد فترة تعددت فيها فرص لحرية حركة أكبر خلال مرحلة ما بعد الحرب الباردة. منذ قيام الثورة الإسلامية مثلت إشكالية العلاقة مع الغرب وخاصة مع الولايات المتحدة إحدى أهم المعضلات التي على القيادة الإيرانية للجمهورية الإسلامية التعامل معها.

لا يمكن إغفال التوتر المتزايد في العلاقات الأمريكية الإيرانية كمحـــدد رئيسي ومهم في رسم شكل واتجاه تفاعلاتها ليس فقط الإقليمية بـــل الدولية أيضا مثلها مثل تركيا. ويمكن تقسيم فترة ما بـــعد ١١ ايلول(سبتمبـــر) فيما يخص العلاقة بين واشنطن وطهران إلى مرحلتين رئيســـيتين حـــتى الآن: مرحلة الحرب في أفغانستان ومرحلة توجيه الضربة للعراق. ففي المرحلة الأولى زادت احـــتمالات حـــدوث تغيير في العلاقـــات الأمريكية الإيرانية واتسعت مطالب الإصلاحيين الداعية للحوار مع القطب الأمريكي وساعدت طبيعة المرحلة في تدعيم مطالبه، ثم جاءت تصريحات بوش المعادية لإيران عقب حسم المعركة على الأرض الأفغانية واستمر خلالها الانقســـام حـــول ضرورة الحـــوار مع الولايات المتحـــدة ولكن في ظل اهتزاز قـــوة حـــجة ومبررات الخطاب الإصلاحي التي كان يتمتع بها من قبل.

وشهدت البيئة الإقليمية والدولية تطورات كبيرة وجميعها في غير صالح الجمهورية الإســـلامية الإيرانية، حـــيث زاد التطويق الأمريكي للأراضي الإيرانية فزاد التهديد المباشـــر والكامل للأمن القـــومي الإيراني. وعملت القيادات الإيرانية على الموازنة بين الحفاظ على الاستقلالية الإيرانية وبـــين احتواء أي توتر وعدم تصعيده. فبالرغم من التنديد الشديد لمقـــولات بـــوش حول محاور الشر الثلاثة التي من بينهم إيران، فان الخطاب الإيراني احتوى على تفنيد أيديولوجي ومنطقي لكثير من السياســـات الأمريكية وتأكيدا على قدرة إيران الدفاعية ضد أي عدوان أمريكي محتمل. وسريعا ما تم احـــتواء تصريحات الحـــرس الثوري التي هددت بـــرد فعل إيراني خارج الحـــدود الإيرانية، وربما استخدمت هذه التلويحات وظيفيا كنوع من تبـــادل للأدوار لفترة محدودة بدون التوسع فيه[١١٥].

ويتباين الموقـــف الدولي تجاه البـــرنامج النووي الايراني,فقـــد اتخذت بريطانيا موقفا متشـــددا تجاه العرض الايراني بـــمواصلة الحـــوار حـــول برنامجها النووي، مما يعكس الخلافات بين القـــوى الرئيســـة حـــول كيفية معالجة هذه الأزمة.و حـــثت روســـيا والصين كل الدول التي تتعامل مع موضوع الملف النووي الايراني على استئناف المفاوضات بدلا من التهديد

بفرض عقوبات. ولكن بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وألمانيا يريدون إحالة الملف الايراني الى مجلس الأمن الدولي تمهيدا لفرض عقوبات على طهران.وخصوصا بعد ان أزالت ايران الأختام الدولية من ثلاث منشآت نووية في كانون الثاني(يناير)٢٠٠٦، ولكنها قالت إنها لا تسعى لتصنيع سلاح نووي.

وقالت روسيا إن فرض عقوبات على إيران ليست الطريقة المثلى او الوحيدة لاقناعها بالاهتمام بالمخاوف الدولية بشأن برنامجها النووي. وصرح وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف بان عرض التسوية مازال مطروحا ويتضمن قيام إيران بارسال اليورانيوم إلى روسيا لتخصيبه، الأمر الذي يمثل عقبة أمام إيران في تطوير أسلحة نووية .

وفي الوقت الذي عرضت فيه إيران العودة إلى المحادثات مع الترويكا الأوروبية التي تشمل فرنسا وألمانيا وبريطانيا .ناشدت وزارة الخارجية الصينية المجتمع الدولي التحلي بالصبر في التعامل مع برنامج طهران النووي. وقال كونج كوان الناطق باسم الخارجية الصينية إن على كل الأطراف أن تفعل كل ما بوسعها لإحياء المفاوضات المتجمدة بين طهران ودول الاتحاد الأوروبي الثلاث (الترويكا).ولكن يبدو أن وزارة الخارجية البريطانية رفضت العرض الايراني وعرض التسوية الروسي. ونسبت وكالات الأنباء لمسؤولين بالخارجية البريطانية لم تكشف عن هوياتهم القول إن الايرانيين يتحايلون

وجاءت هذه التصريحات في الوقت الذي أعلنت فيه بريطانيا وفرنسا وألمانيا عزمها الدعوة إلى عقد اجتماع طارئ مبكر لمجلس أمناء الوكالة الدولية للطاقة الذرية في شباط (فبراير) ٢٠٠٧ .لكن وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف قال إن الهدف من الاجتماع الاجابة على تساؤلات لخبراء الامم المتحدة بشأن الملف النووي الايراني. وكان الاجتماع الذي عقدته الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي، بالإضافة إلى ألمانيا، في لندن للنظر في كيفية التعامل مع أنشطة إيران النووية، قد انتهى دون الاتفاق على بيان واضح.وقال وزير الخارجية البريطاني، جاك سترو ،

الذي لم يحـضر الاجتماع إن العبء يقـع الآن على عاتق إيران لإظهار أن برنامجها النووي سلمي تماما. وقال سترو للصحفيين: "إن الكرة في الملعب الإيراني حيث يتعين أن تكتسب ايران ثقة المجتمع الدولي بـان بـرنامجها النووي يقتصر فقط على الأغراض السـلمية. وأضاف أن ثقـة الغرب قـد "اهتزت بدرجة كبيرة بسبـب السـجل الايراني في الإخفاء والتضليل".ومن جانبه صرح نيكولاس بيرنز مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية بأن الولايات المتحدة لا تزال مقـتنعة بـأن إيران تمثل تهديدا للمجتمع الدولي.فيما ألمح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في وقـت سابـق إلى إمكانية التوصل إلى تسـوية، مشـيرا إلى أن طهران لا ترفض العرض الروسـي بـتخصيب اليورانيوم في روسيا وهو الأمر الذي يصعب على طهران تصنيع أسلحـة نووية(١١٦).

وبـالرغم من عدم وجود حـالة من الاجماع بـين حـكومات الدول الكبرى,وفي الاوساط الاكاديمية والصحفية;بشان تقييم الانشطة النووية التي تقوم بها ايران,الا ان البرنامج النووي الايراني اثار قلقـا شـديدا من جانب الادارات الامريكية والحكومات الاسرائيلية المتعاقبة.فقد اعرب المسؤولون والخبراء الامريكيون والاسرائيليون والبريطانيون والالمان والفرنسـيون عن اقتناعهم بـوجود بـرنامج ايراني مكثف في مجال العمل على امتلاك الاسلحـة النووية,الا ان دولا مثل روسـيا والصين ترفض هذه الادعاءات بشدة,وبشكل عام,فان المخاوف الامريكية والغربـية من البـرنامج النووي الايراني تستند الى عدد من المبررات,ابرزها ان مجرد حصول ايران على المفاعلات النووية سوف يؤمن لها قاعدة تكنولوجية نووية.وهو مايمكن ان يسمح لايران ببناء منشـات سـرية للمفاعلات والقـوة الطاردة المركزية ومنشات الفصل الكيميائي,حتى لو رضخت لقواعد الوكالة الدولية في تشغيل مفاعلاتها,فضلا عن ان بعض التقارير الغربية تتخوف من امكانية ان تتجه ايران نحو رفض الخضوع لقـواعد الرقابـة التي وضعتها الوكالة الدولية حالما يتم اكمال المفاعلات التي تبنيها حاليا,وتسـتطيع وقـتذاك اسـتخدام مفاعلاتها لتخصيب اليورانيوم.

يضاف الى ماسبق,ان الاتهامات الغربية والامريكية لايران في المجال النووي تستند في الاساس الى ان هذا المسعى ياتي في اطار توجه ايراني عام مضاد للغرب,وذلك من خلال مؤشرات عدة,ابرزها:استمرار الدعم الايراني للارهاب,واستمرار المساندة الايرانية للمعارضين الاسلاميين في المنطقة لاضعاف موقف الدول الحليفة للغرب,و الرفض الايراني لعملية التسوية العربية- الاسرائيلية,والاحتلال الايراني للجزر العربية الثلاث التابعة لدولة الامارات العربية المتحدة,والبرنامج الايراني لاعادة التسلح.وفي هذا الاطار,ترى التقارير الغربية انه ليس هناك مايفسر رغبة ايران في بناء محطات الطاقة النووية في دولة تعاني نقصا في رؤوس الاموال اللازمة لبناء مثل هذه المحطات ,كما انها غنية بالنفط و الغاز الطبيعي الذي يمكنه تشغيل محطات الطاقة بتكلفة رخيصة(١١٧).

و يبدو أن النزاع النووي مع إيران دخل مرحلة جديدة بعد كشف صحيفة "باساور نويه بريسه" الألمانية النقاب عن تقارير لشعبة المخابرات الألمانية الخارجية (بي إن دي) تفيد بوجود دلائل على احتمال تمكن إيران خلال أشهر من صناعة القنبلة النووية. ونسبت الصحيفة الألمانية إلى مشاركين في اجتماع نظم بين ممثلين عن شبكة المخابرات ومسؤولين في وزارة الخارجية الألمانية، نسبت إليهم قولهم إن رئيس جهاز المخابرات إرنست أرلاو أكد في الاجتماع على وجود دلائل " تعتبر سببا كافيا لإثارة القلق" من خطط القيادة الإيرانية النووية. وسبق كشف الصحيفة الجدية عن الخبر قيام كل من ألمانيا وفرنسا وبريطانيا بالدعوة إلى تشكيل تحالف دولي من أجل رفع وتيرة الضغوط على إيران لإقناعها بتغيير موقفها. وتزامنت الدعوة إلى تشكيل التحالف مع إعلان الرئيس الفرنسي جاك شيراك أن فرنسا تحتفظ بحق الرد بوسائل "غير تقليدية" ومنها النووية، على "قادة دول قد يستخدمون وسائل إرهابية ضدنا"، على حد تعبيره. ويعكس هذا الرد تحولاً في خط فرنسا الاستراتيجي الذي اعتمدته في سياستها النووية حتى الآن. كما أشار

شيراك في كلمة ألقاها في القاعدة النووية الفرنسية في جزيرة ليل قبالة سواحل برست إلى أن فرنسا "كيفت قواتها النووية بشكل يسمح لها بالرد بمرونة" على أي تهديد.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه الدعوة ما زالت تصطدم بالموقف الروسي – الصيني الذي يرى أنه من المبكر الحديث عن إحالة الملف إلى مجلس الأمن، إذ ما تزال كل من روسيا والصين تعتبران استئناف المفاوضات وضبط النفس هو الحل الأمثل للازمة.

وبعد أن بدأت كل من ألمانيا وفرنسا بالسعي إلى تشكيل جبهة قوية هدفها إحالة الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمن، أبدت روسيا والصين موقفاً مغايراً يدعو إلى التهدئة ومنح المزيد من الوقت للجانب الإيراني. إذ ترى موسكو أنه من المبكر الحديث عن إحالة الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمن الدولي. جاء ذلك على لسان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، قائلا إنه ما زال هناك إمكانية للتوصل إلى تسوية مع المسؤولين الإيرانيين. وأشار إلى أن طهران لا ترفض العرض الروسي بتخصيب اليورانيوم في الأراضي الروسية، الأمر الذي جعل موسكو تشهد في الآونة الأخيرة نشاطاً دبلوماسياً إيرانيا مكثفاً. في الوقت نفسه أجتمع وفد إسرائيلي برئاسة رئيس مجلس الأمن القومي الإسرائيلي بمسؤولين روس لمناقشة تطورات الأزمة.

يذكر أن وجهة النظر الروسية هذه جاءت مخيبة لآمال الأوروبيين، إذ أتهم المفوض الأوروبي للشؤون الأمنية الخارجية خافيير سولانا موسكو بالإصرار على رفض رفع الملف إلى مجلس الأمن. واتهم سولانا المسؤولين الروس بـ "اللعب على عامل الوقت." وكانت موسكو قد تقدمت خلال اجتماع دبلوماسي للترويكا الأوربية باقتراح يقضي بإجراء محادثات غير رسمية في مجلس الأمن لإفساح المجال لموسكو لكي تجد مخرجاً من الأزمة. لكن سولانا عبر عن شكوكه في نجاح المساعي الروسية لحل الأزمة. ويرى سولانا أن الاقتراح الروسي يأتي في وقت غير مناسب. وأضاف قائلاً: "…. النشاطات الإيرانية تستدعي استجابة سريعة." وشدد على أن الوقت مناسب لتصعيد الضغوط على طهران.

اما الصين فقــد جددت دعوتها لضبــط النفس ودعت إلى اســـتئناف المفاوضات الدبلوماسية مع القيادة الإيرانية. إلى ذلك، صرح متحدث باسـم الحكومة الصينية أنه يعتقــد أن المفاوضات الدبلوماســية لحــل هذا النزاع النووي مع طهران "ما تزال خياراً جيداً يتفق مع مصالح جميع الأطــراف." وكرد فعل على قيام الدول الأوروبية بتوزيع مسودة قرار طالبت فيها الوكالة الدولية للطاقة الذرية إحالة الملف الإيراني إلى مجلس الأمن، أشار المتحدث باسم الحكومة الصينية إلى أن الصين "تنتظر لترى مسودة القرار." وذكرت وكالة أنباء الصين الجديدة (شينخوا) أن وزير الخارجية الصيني لي تشــاو شينج اتصل هاتفيا بنظيره الإيراني ونقل إليه وجهة نظر بكين بــخصوص الأزمة المتعلقة بنشاطات إيران النووية[١١٨].

ثانيا,الترابط بين الجهد الدولي والاقليمي،

في كل محـــطة من جولة المستشــــارة الألمانية أنجيلا ميركل في شباط(فبراير)٢٠٠٧, كان موضوع البرنامج النووي في إيران على جدول المباحثات التي أجرتها ميركل في القاهرة والرياض وأبو ظبي و الكويت. في محاضرة ألقتها ميركل في مقر مؤسســة الدراســات الإستراتيجية خلال زيارتها لدولة الإمارات العربية المتحدة، صارحت الحاضرين بقلق الغرب تجاه طموحات إيران النووية. منذ وقت تنشد إسرائيل حماس السياســيين في واشنطن وتستعجل القيام بعمل عســكري ضد المنشــآت النووية الإيرانية. يري مراقبون هنا أن الرئيس الأمريكي جورج دبــليو بــوش إذا اســتجاب لإسرائيل سوف يحدث توتر كبير لعلاقاته مع أوروبا. كما ستنســف جهود السلام لحل نزاع الشرق الأوسط والتي بــدأتها الرئاســة الألمانية للاتحــاد الأوروبي بإحياء دور اللجنة الرباعية الدولية(الولايات المتحــدة، روســيا، الاتحاد الأوروبي وإيران). كما أن الأمير ســعود الفيصل وزير الخارجية السعودي واثق أن الغرب جاد في مسعاه لحل النزاع الفلسطيني الإسرائيلي. لكن المراقبين أيضا علي وفاق أنه في حــال وقــوع هجوم علي إيران، من

جانب الولايات المتحدة أو إسرائيل، سوف تحل كارثة على المنطقة لا أحد يستطيع رصد أبعادها. إنه السيناريو المرعب الذي يقلق مضاجع الكثير من المسؤولين في الشرق الأوسط وأوروبا. ونقل عن لسان عضو مجلس الشيوخ الأمريكي جون روكفيلر من الحزب الديمقراطي الذي يرأس لجنة مراقبة أنشطة أجهزة الأمن الأمريكية مخاوفه من مغبة تكرار المغامرة العسكرية الأمريكية التي جرت في العام ٢٠٠٣ في العراق. وكان روكفيلر يشير هنا لاحتمال شن حملة عسكرية علي إيران[١١٩].

و مع وصول حاملة الطائرات الأمريكية USS John C. Stennis إلى مياه الخليج لتكون حاملة الطائرات الثانية في المنطقة حيث على متن كل منها ٩٠ طائرة وهليكوبتر. هل فات الأوان لحل النزاع النووي الإيراني بالسبل السلمية كما يريد العرب و الأوروبيون أم أن إسرائيل قد تفعلها أم الولايات المتحدة؟ المراقبون متفقون فيما بينهم على أن إيران اليوم لا تقارن مع العراق عام ٢٠٠٣ حين غزته ثم احتلته الولايات المتحدة لذلك فهم يحذرون من مهاجمة إيران.

السفير غونتر بلويغر سفير ألمانيا السابق في الأمم المتحدة ترأس جلسات النزاع مع العراق في العام ٢٠٠٣ حين كانت بلاده تترأس مجلس الأمن الدولي ومن أهم هذه الجلسات حين جلس كولن باول وزير خارجية واشنطن يقرأ أدلة كاذبة لتحصل الولايات المتحدة على تأييد المجتمع الدولي وتشكيل ائتلاف مناهض للعراق[١٢٠]. الدبلوماسي الألماني حذر واشنطن من الهجوم على إيران ودعى إلى حل سلمي ويطلب من المعنيين كافة الدعوة للعمل بنموذج المفاوضات مع كوريا الشمالية حول برنامجها النووي ويتساءل إذا كان الحوار مع كوريا الشمالية ممكنا وحق النجاح دون فرض شروط مسبقة عليها فلماذا ليس هذا ممكنا مع إيران؟ كيف تتصورون صورة هذا الحل وماذا تكون نتائجه؟–يجري وضع حل للنزاع النووي مع إيران من خلال التفاوض مع إيران حول اتفاقية ينبغي أن تتضمن خمسة عناصر هي:

١-أن تتعهد إيران باستخدام كامل طاقتها النووية في أغراض سلمية.
٢-أن يجري رفع العقوبات المفروضة على إيران منذ ٢٦ سنة و التي سببت معاناة كبيرة للشعب الإيراني وبلده.
٣-السعي لعودة إيران إلى الحظيرة الدولية وممارسة دورها في بنية التجارة الدولية.
٤-يحتاج الإيرانيون إلى ضمانات إذ لا يجب نسيان أن إيران كانت القوة الوحيدة في منطقة الشرق الأوسط التي هوجمت مرة بأسلحة الدمار الشامل خلال الحرب العراقية الإيرانية في عقد الثمانينيات.
٥-أخيرا، ينبغي إدماج إيران في عملية السلام في الشرقين الأدنى و الأوسط، بحيث يصار إلى إنشاء ما فعله الأوروبيون في عقد السبعينيات في ذروة النزاع الخطير بين الغرب و الشرق، حيث أنهم أسسوا مؤتمر التعاون والأمن في أوروبا الذي أصبح اليوم منظمة، وكان المؤتمر منبرا تجتمع الدول الإقليمية من شطري أوروبا تحت مظلته للتحاور وبحث المشكلات ووضع الحلول لها.لكن هذه العناصر الخمسة ليس بوسع الأوروبيين وحدهم التفاوض حولها لأن موضوع رفع العقوبات الثنائية عن طهران من مهام الأمريكيين. كما أن منح إيران ضمانات أمنية يكتسب مصداقية أكبر إذا كانت الولايات المتحدة ضمن الجانب المتفاوض مع طهران.

كلام جميل وتصورات معقولة لكن في الوقت الحالي يبدو الواقع أشد تعقيدا وخطرا. لا تجري مفاوضات ولا تطرح مبادرات وضمن الحرب النفسية التي لا تقلق الإيرانيين وحدهم بل شعوب المنطقة بأسرها، وصلت حاملة طائرات أمريكية ثانية إلى مياه منطقة الخليج كما توجه واشنطن يوميا اتهامات لإيران بأنها تارة تتدخل في العراق وقد تحمل إيران مسؤولية محاولة اغتيال نائب الرئيس الأمريكي في أفغانستان. إنها نفس الأجواء التي خيمت قبل الهجوم في مارس/آذار ٢٠٠٣ على العراق. هل تعتقدون أنه رغم التجارب المريرة التي واجهتها الولايات المتحدة في أفغانستان ثم في العراق أنها ستقوم فعلا بحرب ضد إيران من الصعب جدا التكهن بنتائجها لكن آراء المراقبين العرب تؤكد أنها ستتسبب بكارثة في المنطقة؟

-بعض الناس يخشون حقا قيام الولايات المتحدة بـــهجوم عســكري علي إيران لأنه عن حق ورؤية واقعية بأن الأجواء الحالية تذكر بالمرحلة الزمنية التى سبقت حرب العراق حيث كنت حينها أقود جلسات مجلس الأمن الدولي لأن ألمانيا، كما تعرفون، كانت تترأس المجلس في هذه الفتـــرة. فـــي ذلـــك الوقت أيضا أرسل الأمريكان حاملة طائرات إضافية إلى مياه الخليج وزادوا عدد جنودهم وعتادهم العسكري وظلوا يقـــولون أنه لم يصدر بـــعد قـــرار بالهجوم على العراق. ولكن أرجو من الأمريكيين أن يتنبهوا بأنه لا ينبـــغي مقارنة إيران اليوم ليست مع العراق في مارس/آذار ٢٠٠٣، لأنه شن هجوم على إيران سوف يؤدي إلى زعزعة الاستقرار في المنطقة بأسرها. وسوف تصبح الأمور أكثر صعوبة وتعقيدا في المنطقة التى زاد عدد النزاعات فيها بعد غزو العراق، بالنسبة للولايات المتحـــدة التي لديها مشـــكلات كثيرة في العراق. لهذا أرى الأوروبيين يلحـــون لإجراء مفاوضات بـــينما الولايات المتحدة تلوح من بعيد بالعصا.

المبحث الثامن الحلول والمعالجات للبرنامج النووي الايراني.

أصدرت مجموعة الأزمات الدولية ICG وهي ـــ كما تعرف عن نفســـها ـــ منظمة مستقلة غير ربحية، ومتعددة الجنسية يعمل فيها مائة باحـــث من القارات الخمس، ومقرها الرئيس في بروكسل، ولها مكتب إقليمي في عمان، وتتلقى تبرعات وهبات من الحكومات والمؤسســـات الخيرية والشـــركات والأفراد، والحكومات الغربية، أصدرت تقريرا جديدا لها عن الملف النووي الإيراني مؤخرا بعنوان: "إيران: هل من مخرج للمعضلة النووية"، ويحمل الرقم ٥١ في قسم الشرق الأوسط.

يتألف التقـــرير من ٣٧ صفحـــة موزعة على ملخص تنفيذي و٧ فصول، ويحاول أن يعرض مخرجا لمأزق الملف النووي الإيراني، ويطرح خيارين دبلوماســـيين، يأمل أن يتم الاتفاق بـــين الأطراف على أحـــدهما، عارضا لمتطلبات ونتائج كل خيار. وأهم ما جاء فيه:

إيران مصرة على تطوير قدراتها لتحقيق دورة الوقود النووي كاملة بـــما

فيها القدرة على تخصيب اليورانيوم مستندة إلى مجموعة من العوامل المتداخلة، من بينها عدم شعورها بالأمان من جهة، بالإضافة إلى حسها القومي العالي من جهة أخرى. ويشجعها الوضع في العراق وأسعار النفط المرتفعة على المضي قدما في مشروعها دون خوف.

وتعترف معظم الدول في حدود معينة بحق إيران في تطوير الطاقة النووية السلمية في إطار معاهدة منع الانتشار النووي، لكن هذه الدول لديها مخاوف و هواجس من إمكانية قيام إيران فور تحقيقها القدرة على تخصيب اليورانيوم بإنتاج أسلحة نووية، خاصة أن نقص الشفافية لدى الجانب الإيراني في السابق ودعم إيران للمجموعات المسلحة في الشرق الأوسط وتصريحات الرئيس الإيراني الإيراني النارية، تعزز هذه المخاوف والهواجس.

لقد أخفقت الدبلوماسية الأوروبية حتى الآن في إقناع إيران بالتخلي عن طموحها فيما يخص دورة الوقود الكاملة. مجلس الأمن من جهته أيضا لا يبدو مستعدا بما فيه كفاية لاتخاذ عقوبات قاسية ضد إيران من شأنها أن تثنيها عن طموحها، فضلاً عن أن خيار الهجمات الوقائية خيار خطير وغير مثمر أيضا.

يبقى في هذه الحال سيناريوهان غير المفاوضات، السيناريو الأول، وهو بلا شك مغر أكثر للمجتمع الدولي، خيار "اللاتخصيب نهائيا": لكي تقبل إيران بالتخلي عن حقها في تخصيب اليورانيوم، يجب أن يتم تزويدها عبر مصدر دائم ومضمون، وهنا يأتي دور المقترح الروسي. ويبدو أن طهران يبدو أنها لا ترفض هكذا حل لكن شريطة أن لا يكون هذا الطرح تقييدا لها على المدى الطويل، وبطبيعة الحال لكي تقبل فانه يجب على الولايات المتحدة أن تقدم المزيد من الحوافز في الوقت الحاضر.

أما إذا ثبت أن هذا الخيار لا يمكن التوصل إلى اتفاق بشأنه "كما يبدو حتى الآن"، فإن الخيار الدبلوماسي الواقعي الوحيد المتبقي، هو خيار "تخصيب محدود ومقيد"، يتم الاتفاق على ضرورة تأخير البدء فيه. وضمن هذا العرض يوافق المجتمع الدولي بشكل عام والغرب بشكل خاص على حق إيران في الطاقة النووية السلمية وحتى بتخصيب اليورانيوم داخليا، لكن

شرط أن يكون هذا التخصيب مقيدا ومحدودا وأن لا يتم البدء فيه إلا في وقت لاحق، وفي المقابل يجب على إيران أن توافق على تأخير مدته سنوات عدة، وقبول قيود كبيرة على الحجم والمحال، وكذا نظام تفتيش داخلي صارم ومفاجئ وتدخلي.

بالتأكيد، سيكون هناك اعتراض متبادل من كل الأطراف على هذا الخيار وهذه الخطة. إذ سيعتبر الغرب أن هذه الخطة ستتيح لإيران تخصيب اليورانيوم على أراضيها، والوصول الى دورة كاملة للوقود النووي مع ما يحمله ذلك من إمكانية أن تقوم إيران بخرق معاهدة الحد من الانتشار النووي وامتلاكها للأسلحة النووية. فيما ستعتبر إيران أن هذه الخطة ستحد من حريتها وخياراتها، وستفرض شروطا عليها فيما يتعلق بالتخصيب والتفتيش، وهو ما لا يناسبها على الإطلاق.

لكن وعبر الإغراءات المعتبرة "سياسة الجزرة" خاصة الأمريكية، وعبر التهديدات القوية "سياسة العصا" الأوروبية، من المتوقع نجاح مثل هذا الخيار، سيما إذا تم تطبيقه بشكل سليم على أن يتم إعطاء الحوافز الملائمة في حال التجاوب الإيراني، وتطبيق العقوبات الذكية في حال التعنت أو الرفض.

هذه التسوية المقترحة لا تأتي كحل وسط بين الوضع الهش الحاصل حاليا وبين ما تتمناه الدول من أن تكون مرتاحة كليا، ولا يجب مقارنتها لا بالحالة الأولى ولا بالثانية، كما يجب الأخذ بعين الاعتبار أن السيناريو الأرجح في حال فشل الخطوات الدبلوماسية، هو السيناريو المطابق لحالة كوريا الشمالية، وهي بالتأكيد حالة غير صحية على الإطلاق مع إمكانية إنتاج أسلحة نووية دون إشراف دولي على الإطلاق، مع توقع حصول هجمات وقائية على إيران، كما حصل في الحالة العراقية، وهو ما سيكون له آثار ونتائج على الصعيد العالمي متجاوزا التداعيات الإقليمية بشكل كبير.

وقد أصدر التقرير عددا من التوصيات فيما يخص الخيارات المطروحة، على أمل أن يؤدي ذلك للوصول إلى حل، وقد جاء أبرزها على الشكل الاتي:

اولا: خيار "اللاتخصيب نهائيا:"

١-على إيران، الاتحاد الأوروبي وروسيا، بدعم من الولايات المتحدة، الموافقة على الاقتراح الذي تلتزم إيران بموجبه منع أية عمليات تخصيب لليورانيوم على الصعيد الداخلي، والخضوع لنظام تفتيش صارم وقوي، وتحصل بالمقابل على ضمانات دولية أكيدة بتزويدها بما تحتاجه من الوقود، ويسمح لها بالدخول الى التكنولوجيا النووية المتطورة والاطلاع على المعلومات المتعلقة بها، كل ذلك مدعوم بضمانات أمنية أمريكية وعمل على رفع تدريجي للعقوبات الأمريكية واستئناف العلاقات الدبلوماسية الطبيعية مع أمريكا.

٢-في المقابل، تقوم الولايات المتحدة على ضوء قبول إيران لهذا المقترح بالإعراب عن استعداداها لـ:

أ- أن تلتزم بعدم استعمال أو التهديد باستعمال القوة ضد إيران.

ب -أن تمتنع عن التدخل في ما تستورده إيران من التقنيات والمواد النووية للأغراض السلمية، طالما أنها تبقى تحت قيود معاهدة الحد من الانتشار النووي.

ت- دعم أية حوافز اقتصادية أوروبية إذا اقتضت الحاجة، وتأييد انضمام إيران إلى منظمة التجارة العالمية خاصة.

ث- الإقرار والاعتراف بدور إيران الإقليمي، والانخراط في محادثات مع طهران حول إعادة إعمار العراق ومستقبله السياسي.

٣-على الولايات المتحدة، وفي حال قيام إيران بالخطوات المطلوبة فيما يخص مخاوف أمريكا (بما فيها دعم المجموعات المسلحة والميليشيات)، أن تقوم بـ:

أ- الإفراج عن الأصول الإيرانية المجمدة في الولايات المتحدة الأمريكية.

ب- رفع العقوبات.

ت- استئناف العلاقات الدبلوماسية.

ثانيا": خيار "التخصيب المحدود والمقيد والمؤجل:"

١-على الاتحاد الأوروبي أن يبلغ إيران أنه مستعد للاعتراف بحقها في الحصول على دورة الوقود الكاملة، استنادا إلى البند الرابع من معاهدة منع الانتشار النووي إذا التزمت إيران بوقف استئناف التخصيب حاليا، والتزمت بما ينص عليه البروتوكول الإضافي الموقع من قبلها، واستأنفت المفوضات فيما يخص التطبيق المرحلي لقدرات التخصيب، وفق قواعد المجتمع الدولي وتحت إشرافه.

٢-تقوم إيران والاتحاد الأوروبي بدعم من الولايات المتحدة، روسيا، الصين بالموافقة على خطة من ثلاث مراحل فيما يتعلق بالتخصيب المقيد والمحدود، تنص على:

أ- المرحلة الأولى (مدّتها سنتين الى ثلاث سنوات) يتم خلالها:

- تستمر الوكالة الدولية للطاقة الذرية بالمراقبة الكاملة والشاملة لجميع نشاطات إيران ذات الصلة، للتأكد من أنها تتطابق مع الشروط التي تؤدي إلى نشاطات نووية سلمية ومسموح بها.
- تعلّق إيران عمليات التخصيب جميعها على أراضيها، وتجمد المصانع ذات الصلة وأجهزة الطرد المركزي والتي ستختم بأجمعها بختم الوكالة الدولية للطاقة الذرية وتوضع تحت إشرافها، وتصدق على البروتوكول الإضافي وتعلق المنشآت المتعلقة بالمياه الثقيلة وأنشطة فصل البلوتونيوم.
- يعترف الاتحاد الأوروبي بحق إيران في تخصيب اليورانيوم، ويبدأ بالتعاون معها على وفق هذا الأساس في القضايا التجارية ذات الطابع غير العسكري، ويتوصل معها الى اتفاقات تجارة وتعاون يشجع بموجبها الاستثمار في إيران في قطاع الغاز، ويتم السماح للمزودين الأوروبيين بالمشاركة في بناء و/أو اقتناء محطّات الطاقة النووية الإيرانية.

ب-المرحلة الثانية (مدّتها ثلاث الى أربع سنوات) يتم خلالها:

- تواصل الوكالة الدولية للطاقة الذريّة متابعة عملها وإشرافها المباشر وفقا

للاتفاقيات وللبروتوكول الإضافي، حتى تصل إلى قناعة مفادها أن ليس هناك أية مواد أو نشاطات غير مصرح بها.

- تباشر إيران إجراءات تخصيب يورانيوم على مستوى منخفض وتحت مراقبة مباشرة على أراضيها وعبر أجهزة طرد مركزي من الجيل الأول القديم على الأرجح، على أن لا تزيد نسبة التخصيب عن ٥% بجميع الأحوال، وهي كافية لأغراض البحث والتطوير، ويتم تخزين اليورانيوم المخصب إما خارج البلاد وإما أن يتم تحويله إلى قضبان وقود، في حين سيتم لف جميع أجهزة الطرد المركزي غير المستخدمة وختمها من قبل الوكالة الدولية للطاقة الذرية.
- يقوم الاتحاد الأوروبي بتوسيع تعاونه الاقتصادي مع إيران.

ج- المرحلة الثالثة (يتم تحديد مدتها فيما بعد) وفيها:

- يبقى دور الوكالة محوريا، ولكن يتم تطبيع العلاقات بين الأطراف جميعها.
- تعهد منشآت ووسائل دورة الوقود من الناحية والمقياس الصناعي، خاصة فيما تعلق بتخصيب اليورانيوم على أساس الملكية المشتركة المتعددة الأطراف.
- تتخلى إيران عن إعادة الوقود المستهلك بشكل غير محدد (الفصل الكيميائي للبلوتونيوم) ويحق لها تأسيس البينة التحتية اللازمة لموضوع المياه الثقيلة.

٣- تبدأ الولايات المتحدة في سياق التزام إيران بهذا الخيار، وبعد قبولها له وخضوعها له والموافقة على تطبيقه كاملا، تبدأ بتطبيق نظام الحوافز المنصوص عليه في النقطتين (٢) و(٣) في الخيار السابق لهذا الخيار، على أن يتم ذلك في مفاوضات مرحلية لكل حافز يتم الاتفاق عليها.

٤- تقوم روسيا أيضا في إطار موافقة إيران على هذا الاقتراح بـ:

أ- ضمان عودة عاجلة لكل الوقود الروسي الذي يتم تزويد مفاعل بوشهر به، وذلك عند استهلاكه.

ب- تخزين المواد النووية في مصنع أصفهان للتحويل، وذلك خلال المرحلة الأولى من هذا الخيار.

ت-تخزين اليورانيوم المنخفض التخصيب من منشـــآت الطرد المركزي التجريبية أو تحويلها إلى قضبان وقود، وذلك في المرحـلة الثانية من هذا الخيار.

٥- أن توافق كل من روسيا، الصين، الاتحاد الأوروبـي على دعم قـرار مجلس الأمن في حال رفض إيران لهذا الخيار أو عدم الالتزام به، على أن تيم تأسيس نظام عقوبات تدريجي، ويتضمن:

أ- منع بيع أو نقـل لكل تكنولوجيا الصواريخ أو النووية، التكنولوجيا الثنائية الاستعمال، أو الأسلحة التقليدية.

ب- تعليق أي اتفاقيات اقتصادية جديدة، ومنع الاستثمار الجديد في قـطاع النفط والغاز الإيراني، وحتى في البنى التحتية.

ت- حظر استيراد المنتجات النفطية المصفاة في إيران، أو تلك الغير نفطية أو منتجات الغاز.

ث- فرض نظام حظر أرضي، جوي، بحري لمنع إيران من اسـتيراد أي تكنولوجيا نووية أو تكنولوجيا ثنائية الاستخدام[١٢١].

ثالثا": خيار العقوبات الاقتصادية.

بعد كل ماتقدم لاينبقـى للتعامل الدولي مع ملف ايران النووي غير فرض عقوبات اقـتصادية، فطهران فاجأت الجميع، ووضعت ملفها النووي الذي اكتمل على الطاولة على قاعدة فرض الأمر الواقع.

وبعد فشل جولة المفاوضات الجديدة في فيينا بـين إيران والوكالة الدولية للطاقة الذرية، ازداد الوضع تعقيدا، خاصة بعد المؤتمر الصحـافي الأخير للرئيس محمود أحمدي نجاد الذي تمسك فيه بمواقف ايران السابقة، بـعدما شكل المؤتمر فرصة أخيرة لإيران كي تعلن مواقف جديدة قبل انتهاء المهلة التي قررها مجلس الأمن للتوقف عن تخصيب اليورانيوم نهائيا.

وطرحت الوكالة الدولية للطاقة الذرية ثلاثة أسئلة، أرادت أجوبة لها من

طهران، وهي: الإطلاع على الوثائق الإيرانية الخاصة بالصفقات النووية مع شبكة العالم النووي الباكستاني عبدالقدير خان، وإجراء مناقشات مع ضباط إيرانيين يشتبه في إدارتهم للأعمال اللوجستية الخاصة بالتخصيب، وأخيراً الحصول على معلومات حول أجهزة الطرد المركزي من طراز "بي-٢"، التي يعتقد أن إيران تمتلكها، وتستخدم لتخصيب اليورانيوم بدرجة تفوق مثيلاتها من طراز "بي-١" التي استخدمتها إيران حتى الآن.

ولا تبدو طهران عازمة على الإجابة عن هذه الأسئلة في هذه الظروف التفاوضية؛ لأن مجرد القبول بإعطاء إجابة يعني أن القيادة الإيرانية قررت الرجوع عن سياسة التمسك بالتخصيب. كما أن الكشف عن الوثائق والسماح باستجواب ضباط إيرانيين وإعطاء معلومات حول أجهزة التخصيب يفتح البرنامج النووي الإيراني أمام التحالف الدولي المناوئ لها، وينزع "الغموض" حول طبيعته ويقلل من قدرات طهران السياسية على المناورة واللعب في الاتجاهات كافة.

وبعيداً من خطاب نجاد ومفرداته، لا يخفى على المتفحص أنه لم يعد الآن قبل انتهاء المهلة سوى احتمالين نظريين لتطور الأزمة النووية الإيرانية على المدى القصير، الأول هو قبول الطرفين الإيراني والأميركي بالعودة إلى طاولة مفاوضات تشرف عليها الوكالة الدولية للطاقة الذرية .

وهذه النتيجة، تعني أن إيران ربحت معركة التصعيد التي خاضتها منذ إعلانها استئناف اليورانيوم مطلع العام ٢٠٠٧، وهي النتيجة التي لا تبدو الإدارة الأميركية راغبة في التسليم بها.

والاحتمال الثاني الراجح لسير الأزمة النووية الإيرانية هو صدور قرار من مجلس الأمن بفرض عقوبات اقتصادية على إيران، تبقى شدتها محلاً للتفاوض بين الأعضاء الخمسة الدائمين، من أجل الاستمرار في الحفاظ على الإيقاع النزاعي للأزمة. وفي حال فشلت واشنطن في تأمين موافقة الصين وروسيا، سيعمد التحالف الذي تقوده واشنطن إلى فرض عقوبات اقتصادية، من دون غطاء من مجلس الأمن إذا استلزم الأمر.

ونظراً إلى أن العقوبات الاقتصادية تتطلب وقتاً تتضح فيه أدواتها

وتتضح آثارها الاقتصادية – الاجتماعية ومن ثم الاقتصادية – السياسية على البلد المعني، فالأرجح أن واشنطن الراغبة في التصعيد ستتبنى خيار العقوبات الآن من أجل زعزعة الوضع القانوني لإيران، وستلبي العقوبات الاقتصادية حاجة ماسة للإدارة الأميركية.

وستكون العقوبات الاقتصادية أداة لإدارة الامريكية من أجل الهروب إلى الأمام، والخروج من مأزق عدم قدرتها على إثبات انتهاك إيران التزاماتها الدولية، والتقدم خطوة أساسية في اتجاه الحل العسكري. وفي حين تبدو العقوبات الاقتصادية "تكتيكا" أميركيا لإدارة الأزمة، وحلا مرحليا يسبق حلولا أكثر صرامة، فإنها لا تشكل –من المنظور الإيراني– كارثة كبيرة، بل نتيجة يمكن القبول بها في الوضع الحالي، وتسمح باستثمار الوقت لفرض وقائع إقليمية جديدة من قبيل مد دائرة النفوذ الإقليمي الإيراني لتشمل المحور الذي تقوده بدءاً من العراق ومروراً بسورية وليس انتهاء بلبنان.

وإصرار واشنطن على المضي في المواجهة مع إيران، يقيد حركتها بطريق إجباري واحد، يتمثل في الضغط على أعضاء مجلس الأمن والحلفاء لفرض عقوبات اقتصادية على إيران وصولا إلى اعتماد الحل العسكري في النهاية. لذلك تبدو العقوبات الاقتصادية الآن مثل مرحلة وسيطة قبيل الوضع شبه النهائي، أي اعتماد الحل العسكري(١٢٢).

فالعقوبات على إيران، بعد ان فرضت،تطلق مرحلة جديدة من المواجهة. غير أنه من غير المؤكد إذا كان ذلك سوف يؤدي إلى إنهاء طموحات إيران النووية.فأية عقوبات تفرض على إيران ستكون اقتصادية بالدرجة الأولى. ومدى تأثيرها موضع شك. فهناك عدد من المراحل التي يجب اجتيازها قبل فرض هذه العقوبات.

بداية، على الدول الغربية أن تتفق فيما بينها أن قرار إيران الأخير بمعاودة الأبحاث حول تخصيب اليورانيوم يعتبر اجتيازا لخط أحمر، ما يؤدي إلى وضع حد للدبلوماسية، على الأقل مرحليا. وقد توصل الثلاثي الأوروبي، أي فرنسا وبريطانيا وألمانيا الذي كان يفاوض إيران، إلى هذا الاستنتاج.

ثانيا، على الغرب وحلفائه إقنـاع الأعضاء الآخرين في الوكالة الدولية للطاقة الذرية بالموافقة على إحـالة إيران إلى مجلس الأمن الدولي. وعندها، إذا كان مجلس الأمن موحـدا بـما فيه الكفاية، من المرجح أن يوجه مجرد إنذار لطهران قبل اتخاذ أي خطوات أخرى. سيقول لإيران إن عليها أن تعلق نشـاطاتها مجددا وتعاود المفاوضات. و اذا رفضت إيران ذلك تفرض العقوبات. ومن المحـتمل أن توجه هذه العقوبـات ضد الصناعة الإيرانية الأكثر بروزا، أي النفط والغاز. كما سـيتم تعطيل طلب إيران للعضوية في منظمة التجارة العالمية، وهو طلب لا يزال في مراحله الأولى.

يذكر أن الولايات المتحدة من جانبها قد فرضت عقوبات أحـادية على إيران منذ زمن. وهي تود بالدرجة الأولى ألا تسـمح للشـركات الأمريكية بمسـاعدة إيران في تطوير احـتياطاتها النفطية. يعدّ النفط والغاز أبـرز الصادرات الإيرانية على الإطلاق. وتقـدر منظمة التجارة العالمية أنهما يبلغان بالاضافة إلى بـعض المنتجات المنجمية ٨٦ بـالمئة من صادراتها. غير أنه من غير الواقعي للولايات المتحـدة أن تتوقـع أن تتخذ دول أخرى اجراءات كهذه، كما قد يكون من الصعب أن تقنع بـعض الدول بـاتخاذ أية اجراءات على الاطلاق.

فمن الصعب أن تقوم الصين، على سبيل المثال، التي تتمتع بحق النقض "الفيتو" في مجلس الأمن الدولي وتبحـث باسـتمرار عن موارد النفط، بالتصويت لصالح حصار نفطي، خصوصا بضوء الاتفاقـية التي توصلت إليها مع إيران أواخر العام ٢٠٠٤ بشراء النفط والغاز بقيمة تقدرها الصين بـ ٧٠ مليار دولار. كما على الغرب أن يكون حـذرا في ظل أزمة النفط الراهنة. في الوقت الحالي، اليابان هي أكبر مستوردي النفط الإيراني، وأي عقوبات ستؤثر سلبا عليها.

ويعد الموقف الروسي بارزا نظرا إلى أن روسيا تبني محطة طاقـة نووية لإيران. وقد أصبحـت روسـيا تميل أكثر من السابـق إلى انتقـاد طهران، خصوصا بعد رفض الأخيرة للعرض الروسـي بـتخصيب اليورانيوم في

روسيا لتوفير الطاقة النووية التي تقـول إيران إنها تسـعى إلى الحـصول عليها. غير أن روسيا قد تتردد قبل الذهاب بعيدا بالضغط على إيران.

إذا الطريق إلى العقوبات ليست قصيرة. لكن هل العقوبات في حال فرضها ستحقق المطلوب؟

الأمر موضع شك على المدى القصير. قـد تتعرض الصناعات الإيرانية للضغط، غير أن قيادة البلاد السياسية والدينية لا تعير الأمر اهتماما كبـيرا، على ما يبدو. فالنفط مطلوب عالميا، وإيران لديها الكثير منه. وعيون القيادة في طهران ملقاة على آفاق أوسع من ذلك. فبرأيها أن لإيران الحق بالسـعي لتطوير دورة نووية خاصة بـها، ويجب مواجهة ما تعتبـره الضغوط الغربية. وفي وقت تتصاعد فيه الكبـرياء القـومية والحـس الوطني، ليس للعوامل الاقتصادية دور أساسي. وفي إيران حدث وتحـول الموضوع إلى مسألة وطنية. كما أن إيران تحسن استغلال حقوقها القانونية. فبحسب اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية، لديها الحق فعلا بـتطوير دورة نووية تحـت الرقابة. وهذا بكل بساطة ما تقول إنها تسعى إليه.

لكن من وجهة النظر المعاكسة، إيران فقـدت هذا الحـق حـينما أخفت برنامجا للتخصيب، ولا يمكنها التصرف الآن وكأن شيئا لم يحـصل، بـل عليها شراء الوقود من طرف آخر، كما يفعل آخرون. لكن ما الذي سيحـدث لو لم تؤد العقوبات غرضها؟ لايبقى الا الخيار العسكري؟

قد تصل إيران في مرحلة ما إلى اتقان تقنية التخصيب. قد يسـتغرق ذلك سنوات عديدة، كما يؤكد خبراء مثل هانس بليكس مفتش الأسلحة السابق في الأمم المتحدة. غير أنه احتمال وارد مع مرور الوقت. حينئذ قد يصبح العمل العسكري خيارا مطروحا على الطاولة.

فالدول الغربية واسرائيل تجمع على أن لا مجال للوثوق بـإيران، وأن الموضوع خطير للغاية لأن التقنية المستخدمة لتخصيب اليورانيوم للوقود قد تستخدم أيضا لتخصيبه أكثر وانتاج سلاح نووي. فالذي يتقن التقـنية الأولى يتقن الثانية أيضا، وهذا ما يمنح إيران خيار الانسحاب من اتفاقـية حـظر الانتشار وبناء قنبلة نووية. وإذا حصل ذلك، يكون الغرب، ومعه اسـرائيل،

ملزم باتخاذ قرار. وسبق للرئيس الأمريكي جورج بوش أن أكد مرارا أنه لن يسمح لإيران بصناعة قنبلة نووية. من جهتها قد لا تقف اسرائيل مكتوفة حتى حدوث ذلك[١٢٣].

وعلى الرغم من ذلك، لا تبدو الإدارة الأميركية في وضع يتيح لها إقناع كل الشركاء في مجلس الأمن، بخاصة الصين وروسيا، اللتين أفهمتا إدارة بوش بطريقة دبلوماسية وإن كانت واضحة أنهما لا تشاطرانها الرأي في ما يتعلق بكيفية التعامل مع ملف إيران النووي.

وسيمثل الاجتماع المقبل لمجلس الأمن علامة فارقة في تطور "الأزمة النووية الإيرانية"،بعده خطوة أساسية قبل التصعيد. وتشير التطورات الأخيرة أن القطب الدولي الأوحد لا يملك أفكارا تفاوضية تحاصر إيران دبلوماسيا وتوسع دائرة تحالفه الدولي، بل فقط تهديدات بإنشاء "تحالف الراغبين" للانخراط في حرب ضد إيران من دون غطاء من مجلس الأمن إذا تطلب الأمر، كما قالت وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس، أو شن "حرب وقائية" بالقنابل النووية التكتيكية كما نقل الصحافي سيمور هيرش عن مسؤولين نافذين فى الإدارة الأميركية

أما الإدارة الإيرانية للأزمة، فتثبت وعيا بالمأزق الذي تعيشه واشنطن في العراق، واستيعابا لتناقضات المصالح الدولية بين واشنطن وموسكو وبكين، لكن البراعة الإيرانية المقترنة بصلابة تفاوضية ملحوظة لا يمكن التعويل عليها إلى الأبد.

هوامش الفصل الخامس

١ – الاتحاد الاوربي(European Union)منظمة للدول الاوربية يوجد مقرها في العاصمة البلجيكية بروكسل.وقد دخلت معاهدة نيس لعام ٢٠٠٠حيز التنفيذ في اشباط(فبراير)٢٠٠٣.ويقوم الاتحاد الاوربي على ثلاثة اركان هي:بعد المجموعة,بما في ذلك السوق الاوربية الواحدة والاتحاد الاقتصادي و المالي ومعاهدة يوراتوم,والسياسة الخارجية و الامنية المشتركة,والتعاون في الشؤون القضائية و الداخلية.وقد وقعت المعاهدة التي اسست دستورا"لاوربا من جانب رؤساء دول حكومات الاتحاد في تشرين الاول(اكتوبر)٢٠٠٤ولكنها لن تدخل حيز التنفيذ حتى تصدق عليهاحكومات الاتحاد الاوربي كافة عن طريق تصويت برلماني او استفتاء عام.وللمزيد ينظر:-التسلح ونزع السلاح والامن الدولي٢٠٠٦.مصدر سابق.ص٤٢ .ايضا:حول الجهود الاوربية انظر:- بريطانية ترحب بقرار الوكالة الدولية للطاقة الذرية حول البرنامج النووي الايراني.صحيفة الشعب اليومية الصينية٢٧/١١/٢٠٠٣ .

٢ –علي المليجي علي"معدا".الملف النووي الايراني,ظروف التصعيد وسيناريوهات المستقبل.مجلة كلية الملك خالد العسكرية.العدد١ ٨٣/١٢/٢٠٠٥ .

٣– الملف النووي الايراني يتجه الى مزيد من التعقيد٦/٥/٢٠٠٧المصدر-: www.deutsche welle.

٤-اوربا تعرض على ايران تزويدها بمفاعل يعمل بالماء الخفيف١٠/٢/٢٠٠٤.المصدر. www.shohood.net -:

٥-ايران تصعد و الغرب يهدد بفرض عقوبات٦/٥/٢٠٠٧.المصدر :-دوتش فيلة.

٦-شانون ن.كايل.مصدر سابق.ص٩١٢-٩١٣ .

٧-المصدر نفسه.ص-٩١٣-٩١٥ .

٨-المصدر نفسه.ص١٦-١٨

٩- الغاء مباحثات اوربا و ايران حول النووي٢٣/٨/٢٠٠٥.اسلام اون لاين.

١٠-عبد الواحد الجصاني.مصدر سابق.

١١ -سولانا:الحوار مع ايران لن يستمر الى الابد.المصدر-:
www.bbcarabic.com.
١٢-شيراك يدعو ايران الى تعليق انشطتها النووية.المصدر -:
www.bbcarabic.com.
١٣-ايران تصعد والغرب يهدد بفرض عقوبات٢٠٠٧/٥/٦.دوتش فيله.
١٤-ايران تهدد باستخدام سلاح النفط ضد الغرب.جريدة الشرق الاوسط.العدد٩٧٥٦.بتاريخ٢٠٠٥/٨/١٤.
١٥-سترو يستبعد ضربة امريكية الى ايران٢٠٠٦/٤/١٩.المصدر -:
www.bbcarabic.com.
١٦-شانون ن.كايل.حظر الاسلحة النووية والحد من انتشارها.التسلح ونزع السلاح والامن الدولي الكتاب السنوي٢٠٠٧.مركز دراسات الوحدة العربية.بيروت.٢٠٠٧.ص٧٢٤- ٧٢٦ .
١٧-بلير يستبعد التكهنات بشان عمل عسكري ضد ايران.المصدر -:
www.bbcarabic.com .
١٨-ماذا بعد انتهاء المهلة الممنوحة لايران بشان تخصيب اليورانيوم؟٢٠٠٧/٥/٦.المصدر :-دوتش فيليه.
١٩- الموت لاسرائيل.جريدة الوفاق.مصدر سابق.
٢٠-تصريحات احمدي نجاد بشان المحرقة تثير ردود فعل غاضبة.مصدر سابق
٢١-اوربا وايران.وكالة الانباء السعودية٢٠٠٧/٢/١٢ .
٢٢-اوربا وايران,اجراءات جديدة.وكالة الانباء السعودية٢٠٠٧/٤/٢٣ .
٢٣-الوكالة الدولية للطاقةالذرية (International Atomic Energy AgencyIAEA)وهي منظمة حكومية دولية تعمل ضمن نظام الامم المتحدة,ويوجد مقرها في فيينا.وينص نظامها الاساسي الذي دخل حيز التنفيذ في العام١٩٥٧على تعزيز الاستخدامات السلمية للطاقة الذرية وضمان عدم استخدام الانشطة النووية لاغراض عسكرية.وبموجب معاهدتي الحد من الانتشار والمنطقة الخالية من الاسلحة النووية,يتعين على الدول التي لاتملك اسلحة نووية قبول التدابير الوقائية التي وضعتها الوكالة لاظهار الوفاء

بالتزماتها بعدم صناعة الاسلحة النووية.وللمزيد ينظر :التسلح ونزع السلاح والامن الدولي٢٠٠٦.مصدر سابق.ص٤٣ . ايضا عن جهود الوكالة الدولية خلال هذه المرحلة انظر :المصدر نفسه.ص٢٨٩-٢٩٠.

٢٤- عبد الواحد الجصاني.مصدر سابق.

٢٥-شانون ن.كايل.الحد من الاسلحة النووية,وحظر الانتشار. التسلح ونزع السلاح والامن الدولي٢٠٠٥ ص٧٩٣.

٢٦-المصدر نفسه.ص٧٩٤-٧٩٥ .

٢٧-المصدر نفسه.ص٧٩٦-٧٩٩.

٢٨-عبد الواحد الجصاني.مصدر سابق.

٢٩-واشنطن تحذر من عقوبات مؤلمة ضد ايران٦/٣/٢٠٠٦.المصدر-: www.bbcarabic.com.

٣٠-الملف النووي الايراني يتجه الى مزيد من التعقيد٦/٥/٢٠٠٧.المصدر-: www.deutsche welle.

٣١-ايران تهدد باستخدام سلاح النفط اذا تعرضت لمزيد من الضغوط.الشرق الاوسط ٢٣/٥/٢٠٠٦.المصدر: www.voltaire net.org-:

٣٢-ايران:لاتراجع عن البرنامج النووي٢٣/٥/٢٠٠٦.المصدر -: www.cnnarabic-com.

٣٣-غموض يلف اهداف البرنامج النووي الايراني١٩/٦/٢٠٠٦المصدر-: www.cnnarabic-com .

٣٤-حسام سويلم.البرنامج النووي الايراني...اختبار حاسم للرئيس الايراني الجديد.مختارات ايرانية.العدد ٦١.اغسطس٢٠٠٥.المصدر -: www.ALBAINAH.net.

٣٥-شانون ن.كايل.التسلح ونزع السلاح ٢٠٠٦.مصدر سابق.ص٩٢٠-٩٢٢ .

٣٦-المصدر نفسه.ص٩٢٢ .

٣٧-علي المليجي علي"معدا".مصدر سابق.

٣٨-احمد السيد تركي.مصدر سابق.ص١٥٢- ١٥٣ .

٣٩-المصدر نفسه. ص١٥٣ .

٤٠ -شانون ن.كايل. التسلح ونزع السلاح ٢٠٠٦.
٤١-المصدر نفسه. ص٩٢٥ .
٤٢-ايران تهدد باستخدام ســلاح النفط اذا تعرضت لمزيد من الضغوط.الشــرق الاوسط ٢٠٠٦/٣/٦.المصدر .www.voltaire net.org-:
٤٣ -لؤي المدهون تشبــث ايران بطموحـــاتهاالنووية و ازدواجية المعايير الاوربية.المصدر .www.deutsche welle.htm-:
٤٤-دول اوربــية تعرض تزويد ايران بــمفاعل نووي٢٠٠٦/٥/١٦ المصدر -: www.bbcarabic.com.
٤٥-خامنئي يؤكد حــــــــق بــــــــــــلاده في تطوير تكنولوجيا نووية٢٠٠٦/١٠/١١.المصدر www.bbcarabic.com-:
٤٦-ايران تخفض تعاونها مع الوكالة الدولية للطاقــــــــة الذرية.المصدر -: www.bbcarabic.com .
٤٧-عودة النفط في نايمكس للصعود بـــعد تداعيات فرض عقوبــــات على ايران٢٠٠٧/٥/٧المصدر .www.alaswaq.net -:موقع الاسواق العربية.
٤٨- لؤي المدهون.مصدر سابق.
٤٩-المصدر نفسه.
٥٠-روح الله رمضاني.سياســة ايران الخارجية ١٩٤١-١٩٧٣.ترجمة علي حسين فياض وعبد المجيد حـميد جودي.منشــورات مركز دراســات الخليج العربي.جامعة البصرة١٩٨٤.ص٢٩٤-٣٠٤ .
٥١-المصدر نفسه.ص٣٨٧ .
٥٢-المصدر نفسه ٤٢١ .
٥٣-باكينام الشرقاوي.مصدر سابق.
٥٤-اشرف محمد كشك.امن الخليج في السياسة الامريكية.مجلة السياســة الدولية العدد١٦٤.ابــــريل٢٠٠٦.ص١٧٢. ايضا عن الاهداف الامريكية في الخليج ينظر:- ر.ك.رمضاني.قــضايا الامن في منطقــة الخليج.ترجمة فائزة مهدي محمد.منشورات مركز دراسات الخليج العربي .جامعة البصرة.١٩٨١.ص٦ .
٥٥- المصدر نفسه. ص١٧٢ .

٥٦-د.جمال زهران.امن الخليج,محـددات و انماط تاثير العامل الدولي.قـضايا خليجية.العددالاول المركز العربـــــي للدراســـات الاستراتيجية.دمشق.ابريل١٩٩٨.ص٣٥- ٣٦ .
٥٧-ظافر ناظم سلمان العاني.اثر النظام الدولي الجديد على السياسـات الخارجية لدول العالم الثالث,دراسة في سياسة ايران الاقليمية منذ عام ١٩٨٩.اطروحـة دكتوراه(غير منشورة).كلية العلوم السياسية.جامعة بغداد١٩٩٨.ص١٥١ .
٥٨-المصدر نفسه.ص١٥١- ١٥٢ .
٥٩-رمضان عويس.مصدر سابق.
٦٠-اشرف محمد كشك.مصدر سابق. ص١٧١- ١٧٢.
٦١-المشاهد السياسي.رفسـنجاني:هذه ليسـت اول مرة تتفاوض فيها ايران مع امريكا. مصدر سابق. .
٦٢-بوش:الدبلوماسـيـة هي الخيار الاول مع ايران.المصدر-
. www.bbcarabic.com
٦٣-ايران:سـنـنصب ٥٠الف جهاز طرد في مفاعل ناتانز.المصدر-:
www.cnnarabic- com .
٦٤- غموض يلف اهداف البـرنامج النووي الايراني ٢٠٠٦/٦/١٩المصدر-:
www.cnnarabic-com
٦٥-احمد السيد تركي.مصدر سابق. ص١٥٤- ١٥٥ .
٦٦-شانون ،ي.كال.التسلح ونزع السلاح ٢٠٠٦.مصدر سابق.ص٩١٤ .

٦٧- واشـنطن تحـذر من عقوبـات مؤلمة ضد ايران ٢٠٠٦/٣/٦المصدر-:
www.bbcarabic.com.
٦٨-شانون ن.كايل. التسلح ونزع السلاح ٢٠٠٦.مصدر سابق .ص٩١٤ .
٦٩-حسام سويلم.مصدر سابق.
٧٠-المشاهد السياسي.رفسـنجاني:هذه ليسـت اول مرة تتفاوض فيها ايران مع امريكا. مصدر سابق.
٧١- طلال عتريسي .مصدر سابق.ص٤٥٧-٤٥٩ .

٧٢-اســـــــامة مخيمر .المواجهة الامريكية- الايرانية..تصعيد ام تهدئة.مجلة السياسة الدولية. العدد١٦٨ .ابريل ٢٠٠٧.ص١٣٨- ١٣٩ .
٧٣-المصدر نفسه.ص١٣٩-١٤١ .
٧٤- رياض قهوجي.الخيارات العســكرية للمواجهة الامريكية - الايرانية.مجلة السياسة الدولية .العدد١٦٨ .مصدر سابق.ص-١٢١-١٢٠ .
٧٥-طهران:ايران ســــــــــترد على أي هجوم اســـــــــــرائيلي او امريكي١٦/٤/٢٠٠٧.المصدر. www.cnnarabic-com -:
٧٦- محسن آرمين نائب رئيس مجلس الشورى الإسلامي في حديثه لوكالة الأنباء الإيرانية في٦/٤/٢٠٠٢ .
٧٧- الحــوار بــين طهران وواشنطن:التقــاط الانفاس في الوقــت الضائع. -: www.aljeeran.net. ٢٠٠٧/٥/٨
٧٨-رياض قهوجي.مصدر سابق.ص-١٢٣ .
٧٩-مباحـــثات روســـية-ايرانية بـــطهران اليوم٢٧/٥/٢٠٠٦المصدر -: www.bbcarabic.com.
٨٠-بـــوش وبوتين:موقـــف حـــازم من ايران.١٧/٩/٢٠٠٥المصدر -: www.bbcarabic.com .
٨١-بـــــــــــــوش يطرح خطة لتغيير ايران ٢٥/٢/٢٠٠٦المصدر:- www.bbcarabic.com.
٨٢-بـوش يوقــع مشــــروع قـــانون لفرض العقوبـــات على شـــركاء ايران٣٠/٩/٢٠٠٦.المصدر. ٢٠٠٦.www.alkawthartv-:
٨٣- تصريحات احمدي نجاد بشان المحرقة تثير ردود فعل غاضبـــة.المصدر-: www.Deutsche welle-htm.
٨٤- الملف النووي الايراني يتجه الى مزيد من التعقـــيد٦/٥/٢٠٠٧ المصدر-: www.Deutsche welle-htm.
٨٥-بـــرنامج بـــانوراما: الخيارات العســـــكرية لمعالجة الملف النووي الايراني١٧/٤/٢٠٠٦قناة العربية.

٨٦-مخاوف اوربية عربية من ضربة امريكية لايران.جريدة الراية القطرية١٨/٢/٢٠٠٧ .
٨٧- محمد العدس.حل ازمة النووي الكوري هل يدفع باتجاه التفاوض مع ايران؟جريدة الراية القطرية٢٨/١/٢٠٠٧ .
٨٨- محمد العدس.ضرب امريكا لايران مرتبط بالوضع في العراق.جريدة الراية القطرية٢٨/١/٢٠٠٧.
٨٩-بولتون:هاجموا ايران قبل حصولها على القنبلة١٦/٥/٢٠٠٧.المصدر :- الجيران نت.
٩٠-مخاوف من هجوم امريكي على ايران على غرار عراق صدام٢٠/٤/٢٠٠٦.المصدر :- دوتش فيليه.
-كيم ميرفي.مساع امريكية لتجفيف مصادر تمويل وتطوير حقول النفط والغاز الطبيعي الايراني.جريدة الشرق الاوسط.العدد١٠٢٦٨ .بتاريخ٨/١/٢٠٠٧.
ايضا عن الوضع الاقتصادي لايراني واحتمالات تاثير العقوبات الدولية.ينظر:-د.مغاوري شلبي علي.الاقتصاد الايراني بين العقوبات الدولية واحتمالات الحرب .مجلة السياسة الدولية.العدد١٦٨ .مصدر سابق.ص١٢٤- ١٢٨ .
٩٢-بوش وبوتين:موقف حازم من ايران١٧/٩/٢٠٠٥.المصدر -: www.bbcarabic.com .
٩٣- مطالبة امريكية لموسكو بوقف مساعدة ايران نوويا١٩/٤/٢٠٠٦ المصدر-: www.bbcarabic.com.
٩٤-حسن راضي.مصدر سابق.
٩٥-روسيا وايران تتفقان بشان الوقود النووي ٢٧/٢/٢٠٠٥المصدر -: www.bbcarabic.com.
٩٦- حسام سويلم.مصدر سابق.
٩٧-محادثات ايرانية- روسية بشان الملف النووي٢٤/١/٢٠٠٦.المصدر -: . www.bbcarabic.com .

٩٨-سترو يستبعد ضربة امريكية الى ايران١٩/٤/٢٠٠٦.المصدر -:
www.bbcarabic.com.
٩٩-دول اوربية تعرض تزويد ايران بمفاعل نووي١٦/٥/٢٠٠٦ المصدر:-
w ww.bbcarabic.com.
١٠٠- ايران:لاتراجع عن البرنامج النووي.٢٣/٥/٢٠٠٦المصدر-:
cnnarabic-com .
١٠١- ماذا بعد انتهاء المهلة الممنوحة لايران بشان تخصيب اليورانيوم؟٦/٥/٢٠٠٧.المصدر :-دوتش فيليه.
١٠٢- مباحثات روسية قطرية١٨/١٠/٢٠٠٦.وكالة الانباء السعودية.
١٠٣- حسن زاضي.مصدر سابق.
١٠٤-شيمون بيريس:"اسرائيل لاتنوي ضرب ايران".المصدر -:
www.bbcarabic.com.
١٠٥-شيراك يدعو ايران الى تعليق انشطتها النووية.المصدر -:
www.bbcarabic.com.
١٠٦- اولمرت في بكين ويركز على العلاقات الصينية الايرانية.المصدر-:
www.bbcarabic.com.
١٠٧- حنان قنديل.التغير و الاستمرار في السياسات الصينية,قراءة في مؤتمر الحزب الشيوعي الصيني.مجلة السياسة الدولية.العدد ١٧١ .يناير ٢٠٠٨.ص٢٣٨ .
١٠٨-محمد فايز فرحات.الازمة النووية الايرانية في ضوء التجربة الكورية.مجلة السياسة الدولية العدد١٦٨.ابريل٢٠٠٧.ص١٣٤- ١٣٧ .
١٠٩-حسام سويلم.مصدر سابق.
١١٠-الامم التحدة هي المنظمة العالمية الحكومية الدولية ذات العضوية المفتوحة امام جميع الدول وتتخذ من نيويورك مقرا لها.وقد انشئت في عام١٩٤٥من خلال تبني ميثاقها.وتتكون الامم المتحدة من ستة اجهزة رئيسة هي:الجمعية العامة ومجلس الامن و المجلس الاقتصادي و الاجتماعي و مجلس الامناءو محكمة العدل الدولية و الامانة العامة.وتضم ايضا عددا كبيرا من الوكالات المتخصصة

وغيرها من الهيئات المستقلة.ينظر:-التسلح ونزع السلاح والامن الدولي٢٠٠٦.مصدر سابق.ص٤٧.وعن تطور الجهد الدولي خلال هذه المرحلة انظر:- عبد الواحد الجصاني.مصدر سابق.

١١١- نجاد:مجلس الامن يفتقر الى الشرعية الدوليةالمصدر-: www.bbcarabic.com.

١١٢- ايران:دخلنا مرحلة التخصيب النووي الصناعي.المصدر-:٢٠٠٧/٤/٢٤ www.cnn-com

١١٣-ايران تخفض تعاونها مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية.المصدر -: www.bbcarabic.com .

١١٤-هل ستكون مهاجمة ايران قانونية؟ المصدر. www.bbcarabic.com-:

١١٥-باكينام الشرقاوي.مصدر سابق.

١١٦- خلافات دولية حول الملف النووي الايراني.٢٠٠٦/١/١٧.موقع الاخبار.

١١٧- احمد ابراهيم محمود.مصدر سابق.ص ٣٧١ .

١١٨-عماد غانم.هل ستمتلك ايران القنبلة النووية خلال اشهر قليلة؟٢٠٠٧/٥/٦ المصدر:-دوتش فيليه.

١١٩- مخاوف اوربية عربية من ضربة امريكية لايران.جريدة الراية القطرية ٢٠٠٧/٢/١٨.

١٢٠-غونتر بلويغر ولد عام ١٩٤١ في فيسمار. درس الحقوق والعلوم السياسية. وعمل في وزارة الخارجية الألمانية. من عام ١٩٦٩ حتي منتصف عام ٢٠٠٦. خلال عهد حكومة المستشار غيرهارد شرودر كان يشغل منصب وكيل وزارة ثم عين سفيرا لألمانيا في الأمم المتحدة وهو آخر منصب شغله قبل تقاعده في العام الماضي. استلم بلويغر منصبه في الأمم المتحدة في الوقت الذي بدأ فيه مجلس الأمن الدولي يناقش عزم الولايات المتحدة تشكيل ائتلاف دولي جديد لمهاجمة العراق بناء على أدلة ضعيفة وكانت ألمانيا في هذا الظرف الحساس تترأس مجلس الأمن الدولي بوصفها عضواً غير دائم وكان بلويغر يدير الجلسات ينظر:- سمير عواد.سفير المانيا السابق لدى الامم المتحدة يحذر من

مهاجمة ايران,ويدعو الى نموذج المفاوضات مع كوريا الشـــمالية.جريدة الراية القطرية٥/٣/٢٠٠٧.

١٢١-نقلا عن علي حســين بــاكير .رؤية مجموعة الازمات الدولية للخروج من المأزق النووي الايراني ،مجلة العصر ١١/٥/٢٠٠٦،موقــــــــــــــــــــع WWWALBALNAH.net

١٢٢- مفكرة الاسلام.عقوبات اقتصادية...الســيناريو "الامثل" للتعامل مع ملف ايران النووي.المصدر، www.ALBAINAH.net-:

١٢٣-ايران:الطريق الى العقوبات..ومابــــــــــــعده٣/١/٢٠٠٦ المصدر -: www.bbcarabic.com

الخاتمة

على الرغم من أن المرشد العام للثورة الإيرانية يحـدد الخطوط العامة للسياسية الإيرانية، إلا أنه يرجح أن تكون تجربة حكم الرئيس احمدي نجاد جديدة من نوعها، فهو يتمتع بتفويض جماهيري كبـير، بـالإضافة إلى دعم أركان الجمهورية الإسلامية له. كما أن إجماع القوى السياسية الإيرانية على حق إيران المشـروع في امتلاك التقـنية النووية يعطيه مزيداً من الاعتداد بالنفس في ظل الحملة الشعواء التي تشنها الإدارة الأمريكية ضد إيران والتي تذكر بالاتهامات الأمريكية لصدام حسين وما قيل عن امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل. كما يأتي التطور الجديد بعد أن كررت إيران عدم سعيها إلى امتلاك القنبلة الذرية وأشارت إلى أن معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية لا تحظر تخصيب اليورانيوم. وهنا تظهر عقلانية الرد الإيراني إذ طلبـت إيران من الدول الأوروبية بديلاً مقبـولاً لتخليها عن حـق مشـروع والذي تمثل في تزويدها بالتكنولوجيا النووية، إلا أن الأوروبيين تلكئوا في الإجابة على هذا الطلب الإيراني، وهو ما يعطي دليلاً واضحاً للمعايير الأوروبـية المزدوجة في التعامل مع الملفات النووية. ففي خضم التهديدات الدولية للنظام الإيراني لا يخطر في بال صانعي السياسية الأوروبية ممارسة الضغط على إسرائيل وحثها على توقيع معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية أو تقليص ترسـانتها النووية. كما لا يطلب هؤلاء الساسة من الهند وباكستان إخضاع بـرنامجهما النووي للرقابة الدولية. ومن هذا المنطلق يبقى الإقتراح الجدي والعادل لحل إشكالية الملف النووي الإيراني متمثلاً في تفكيك الترسانة النووية في الشرق الأوسـط بـكاملها في إطار معاهدة دولية تشـرف عليها القـوى العظمى وتفرضها على الأطراف جميعها، وفقاً لرؤية سبيغينو بريجسنسكي مستشار الأمن القومي السابق في إدارة الرئيس جيمي كارتر .

وأبرزت تقارير الوكالة الدولية للطاقة الذرية الستة عشر الصادرة منذ حزيران ٢٠٠٣ ولغاية حزيران ٢٠٠٦ وجود مؤشرات جدية وكبيرة على ان البرنامج النووي الإيراني يمكن أن يخدم أهداف تسليحـية . وحـيث أن مسائل إنتشار الأسلحـة النووية تعد من التهديدات الخطيرة للسـلم والأمن

الدولي ، لذا يجب على جميع دول العالم وخاصة الدول العربية أن تأخذ المسألة ببالغ الجدية والحذر وتعطيه الأولوية في أجندتها السياسية.

فالملف النووي الإيراني لم يعد مسألة ثنائية بين إيران ودول غربية محددة بل أصبح قضية دولية عهد بها المجتمع الدولي الى الجهة الدولية الفنية المتخصصة وهي الوكالة الدولية للطاقة الذرية . والمطلوب من الدول العربية أن تدعم جهود الوكالة في الوصول الى حل فني لهذه الأزمة من خلال تنفيذ جميع قرارات الوكالة الدولية للطاقة الذرية وتوفير الضمانات بشأن الطبيعة السلمية لبرنامج إيران النووي ، كما مطلوب من الوكالة أن توفر الضمانات لدول الجوار الجغرافي العربية بعدم تعرضها للمخاطر البيئية الناتجة عن أنشطة هذا البرنامج.

وليس مطلوبا من الدول العربية الآن أن تقفز الى إستنتاجات حول طبيعة برنامج إيران النووي قبل أن قبل أن تقوم الجهة الفنية المختصة وهي الوكالة الدولية للطاقة الذرية بتوضيح كامل صورة هذا البرنامج من خلال أعمال التفتيش والمراقبة وبتعاون تام من إيران .. أما بشأن إقرار أو عدم إقرار حق إيران في التخصيب فمن غير المناسب أن يكون هذا الموضوع ذو أولوية الآن ويمكن أن يناقش هذا الموضوع بعد أن نتأكد من طبيعة برنامج إيران النووي السابق والحالي . وهنا من المناسب أن نتجنب مبالغة البعض بالقول ان التخلي عن حق التخصيب يعني التخلي عن حق التقدم العلمي . فالتخصيب ليس قمة التكنولوجيا المعاصرة بل هو تكنولوجيا ما قبل الحرب العالمية الثانية ولا هو أساسي للتقدم التكنولوجي للدول حتى في مجال الطاقة. ولنتذكر ان العراق نجح في تخصيب اليورانيوم في الثمانينيات من القرن الماضي وبجهود ذاتية وبميزانية لم تتجاوز المليار دولار وتستطيع أية دولة نامية يتوفر لها التمويل المناسب أن تقوم بذلك . ولنتذكر بالمقابل أن ماليزيا ، الدولة النامية المسلمة ، قفزت قفزات مذهلة في ميدان التقدم الصناعي والتكنولوجي بدون أن تلج عالم التخصيب.

وبشأن مسألة التضامن العربى مع إيران كونها دولة مسلمة جارة ، فأولا ، ومثلما أوضحت حقائق التاريخ المعاصر ، ليس لإيران دينا في مجال

التضامن على العرب رده ، بـل العكس هو الصحـيح . و مع ذلك فالعرب مشهورون بحلمهم وصفحهم و أنهم أبـعد ما يكونوا عن التصرف بـوازع الإنتقام أو بنظرية القـدرة و الفرصة . لذا فإن خير تضامن يمكن أن يقـدمه العرب لجارتهم المسلمة هو نصيحتها بنبـذ خيار التسـلح النووي و التعاون التام مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية التي هي لوحدها القـادرة على إعطاء الضمانات للمجتمع الدولي بشأن الطبيعة السلمية للبرنامج النووي الإيراني . كما نرى أن اللحظة قد حانت لتراجع إيران سياساتها تجاه العرب و أن تبـدأ بإعادة الثقة بينها وبين الأمة العربـية . و أن الخطوة الأولى لذلك هي البـدء بتصحيح ممارسـاتها السابقـة المبـنية على نزعة الهيمنة و إغتنام الفرص و التآمر و التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربـية . ولعل من الخطوات الأولى المطلوبة في هذا الإتجاه هي إعادة الجزر العربـية الثلاث الى دولة الإمارت العربية المتحدة و التوقف التام قولا وفعلا عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية تحت شتى المسميات و الذرائع.

فالسياسـية الخارجية الإيرانية فشـلت لحـد ألان في إن تقـنع العالم وجيرانها خاصة, بمواقفها وشعاراتها وبعد مرور نحو ٢٩ سـنة من انتصار الثورة الإسلامية في إيران مازالت إيران تعاني من عزلة دولية و إقـليمية. و على الصعيد الداخلي أيضا نجد ان سياسـة إيران ودهائها كما يذكره البعض, فشلت فشلا ذريعا في إقناع المواطنين الإيرانيين بان نظامهم, نظام إسلامي أونظام محب لشعبه حيث إن أطياف كبـيرة من الشـعب الايراني يعارض سياسـة النظام داخليا و خارجيا و على سبـيل المثال هناك أكثر من أربعة ملايين ايراني في المنفى و اغلبهم من ألد أعداء النظام الإيراني ناهيك عن الشـعوب الغير فارسـية و التي تخضع للهيمنة الإيرانية و هي أيضا تعارض النظام ووجوده على أراضيهم.

كما فشـلت إيران في كل ملفاتها في إقـناع الرأي العام العالمي و المؤسسات الدولية و خاصة ملف حقوق الإنسـان, و ملف الإرهاب و الملف النووي و لم تتمكن من إقناع العالم بما تدعيه عن نياتها السلمية في اسـتخدام الطاقة الذرية و ارتكبـت أخطاء اسـتراتيجية مهمة في المفاوضات و أخذت

الأمور و النتائج إلى ما يحمد عقباها تجاه البلد و أمنهم القــومي و هذه بــعض أخطاء إيران الفادحة في ملفهم النووي و مفاوضاتهم بشأنه,كان ابرزها-:

١-قبلت إيران التفاوض حول برنامجها النووي مع دول الأوروبــية الثلاث بما تعرف بترويكا الأوروبية (ألمانيا- فرنســا- بــريطانيا) و بــدل ان تفاوض إيران مع الوكالة للطاقـــــــة الذرية أدخلت إطراف أخرى في المواجهة معها.

٢-توقيع البروتوكول الإضافي من قبل الدول هو عمل تطوعي و من يوقــع البروتوكول يلزم برفع تقارير عن أنشطته النووية, كما يســمح بــتفتيش مفاجئ لكل مواقعه النووية و العسكرية. ووقعت إيران ذلك البــروتوكول بحساباتها من اجل طمأنة الدول الغربية لكن فعلت هذا بدون ثمن و بــدون التزامات من قبل الدول الأوروبية تجاه إيران. و بــعد ما عرفت طهران أنها ارتكب خطاء في التوقيع أرادت مخرج قانوني ليحفظ لها ماء وجهها, فلهذا اقر مجلس الشورى الإيراني في تاريخ ٢٨ايلول(سبتمبــر) العام ٢٠٠٥ قانونا الزام الحكومة بموجب ذلك إيقاف البــروتوكول الاضافي, الذي وقعت عليه . وفي يوم ٢٠تشرين الثاني(نوفمبــر) من العام نفســه صوت نواب البرلمان الإيراني لصالح هذا القانون

هناك تجارب متعددة يمكن لإيران الاستفادة منها لكي تقــلل من الضغوط وتسحب البساط من تحت طاولة الأطراف الأخرى او تقلل من الحــجج التي سببت الكثير من المتاعب لإيران من قبل الأطراف الخصوم , على سبــيل المثال, إسرائيل تمتلك العشرات من الرؤوس النووية, لم توقع على اتفاقــية حظر انتشار ألأسلحة النووية، وبالتالي فهي غير ملزمة بتقديم تقــارير عن أنشطتها أوزيارة مفاعلاتها النووية و العسكرية. وكذلك الهند وباكستان اللتان طورتا أسلحة نووية. وكوريا الشمالية ألغت عضويتها في الاتفاقــية، وقــد أعلنت أنها قد تمكنت من إنتاج قدرات الأسلحة النووية. وبسبب انتهاج إيران سياسة غير شفافة مع المجتمع الدولي تعقد ملفها و أمست إيران غير قــادرة على التراجع عن توقيع البــروتوكول وكما انها غير قــادرة على تحــدي المجتمع الدولي بأكمله بعد ما وضعت نفسها مقابل العالم بأسره.

٣ -استمرت إيران ورغم توقعيها على البروتوكول الإضافي بتخصيب اليورانيوم بدون إخبار الوكالة الدولية للطاقة الذرية وحسبت إيران إنها تستطيع إخفاء هذا الأمر الخطير عن الوكالة الدولية. وانكشف أمر إيران في التخصيب بعد زيارات مسؤولي الوكالة الدولية للطاقة الذرية. وفقدت إيران بذلك, مصداقيتها حتى عند اقرب أصدقاءها وحلفاءها في هذا الملف مثل الصين وروسيا ونتيجة لذلك الخطأ الإيراني استطاعت أميركا وأوروبا ووكالة الطاقة الذرية إقناع روسيا والصين بضرورة نقل ملف إيران النووي إلى مجلس الأمن.

٤ -إخفاء إيران لبعض مواقعها النووية وعدم إبلاغ الوكالة الدولية للطاقة الذرية بمكان وطبيعة تلك المفاعلات حيث كشفت العشرات من المواقع السرية والشركات الوهمية التي تعمل في داخل إيران وخارجها لأهداف البرنامج النووي الإيراني, عن طريق الأقمار الاصطناعية أو عن طريق تقارير سرية رفعت إلى المسؤولين في الوكالة وتم التعرف عليها لاحقا كما إن إيران قامت بإخفاء حقائق كثيرة حول تخصيبها لليورانيوم والآلات التي تمتلكها وهذا ما زاد الطين بلّة كما زاد من تعقيد ملف إيران حيث أحيط بشكوك كبيرة حول حقيقة نوايا طهران ومصداقيتها.

٥- وأخيرا, قبول إيران, لدخول الولايات المتحدة الأمريكية في المفاوضات والحوار بشأن ملفها النووي, هوخطاء كبير وبهذا أثقلت طهران على نفسها بفتح الباب ودخول أطراف الخصوم وجها لوجه معها. والخطاء,هنا يكمن بان دخول الولايات المتحدة في التفاوض مع طهران هوليس من اجل حل هذا الملف كما هومعلن, بل من اجل اخذ المشروعية الدولية وتهيئة الرأي العالم الدولي, لضرب إيران عسكريا بعد استنفاذ الوسائل السلمية والتفاوضيةجميعها بما فيها دخول الولايات المتحدة في المفاوضات التي تعلم الأخيرة بفشلها مسبقا لأسباب تتعلق بايران ووصولها إلى مرحلة اللاعودة بهذا الملف من جهة وأسباب دولية – أمريكية اقتصادية وسياسية لاحتواء طهران من جهة أخرى. وان نجحت المفاوضات في هذا الملف, ستفتح ملفات معقدة أخرى على إيران ولن

تنتهي حتى تستسلم طهران وتفتح كل أبوابـــها على مصراعيها لطلبـــات وشروط الولايات المتحدة وطهران تعرف ذلك جيدا, ولكن إيران اتخذت وستتخذ خطوات وقرارات تنازلية لحيلولة دون الوصول إلى تلك النتائج التي وصل إليها العراق وأفغانســـتان ويوغســـلافيا. في خضم هذه الأوضاع والمخاض العسير لهذه المرحلة التي يمر بـــها العالم ومنطقـــة شرق الأوسط خاصة, ستكون أفضل النتائج لطهران هي الطريقة الليبية ان قبلت من قبل الولايات المتحدة واقتنعت بها بشكل مرحـــلي, ســـتكون طهران هي المستفيدة ولوبشكل مرحلي أيضا.

ومن نتائج مجموعة تلك الأخطاء التي ارتكبـــتها إيران, هووصول ملفها النووي إلى مجلس الأمن. ودخول الدول الصناعية الثمان الكبـــرى كطرف أساسي في الصراع القائم مع إيران وإعطاء إيران فرصة نهاية حتى يوم الخامس من شهر تموز (يوليو) ٢٠٠٦, للرد على مقترحاتهم التي تضمن لإيران مكاسب اقتصادية وسياســية مقابـــل تخلي الأخيرة عن بـــرنامجها النووي, وقعت بين مطرقة الأمريكان والأوربيين وسندان الشعوب المقهورة في إيران, حيث نضال الشعوب في إيران ومطالبهم المشـــروعة أضحـــت تتكرس وتتبلور كمبـــادئ ومطالب لا رجعة عنها ولا بـــديل لها وأضاقـــت الميدان على طهران داخليا. وخارجيا ومنذ ســـنين صارت معزولة دوليا وأمنها القومي أوشك على الانهيار بسبب الضغوط المتصاعدة ضدها. حيث قال جون بولتون السفير الأمريكي السابق في الأمم المتحدة ان على إيران أن تدرك أنها إذا اســتمرت في المضي في طريق العزلة الدولية، فســـتكون العواقب وخيمة ومؤلمة.

في ضوء كل ماتقـــدم نجد ان اهم الســـيناريوهات لمواجهة إيران كالأتي:

١- **السيناريو العسكري**: من أهم الســيناريوهات المطروحـــة في البـــيت الأبيض والبنتاغون لمواجهة خطر إيران هو الحل العســكري, هذا ما صرح به كبار المسؤولين في البيت الأبيض ولوح به جورج بـــوش وغيره كأحـــد الحـــلول الممكنة إذا لم ترضخ إيران لمطالب المجتمع الدولي ومطالب الأمم

المتحدة. والهجوم العسكري وحسب ما صرح به مسؤولون في وزارة الدفاع الأمريكية يشمل خطتين:

الخطة الأولى, تبدي بحملة قصف واسعة النطاق ومركزة بهدف تدمير مجموعة من الأهداف العسكرية والسياسية المحددة مسبقـا, منها مقـرات الاستخبارات والحرس الثوري وبعض المواقع الحـكومية إضافة إلى تدمير المواقع الرئيسة النووية في إيران وتستمر لمدة اقل من اسبوع فقـط. وقـال الجنرال المتقاعد "سـام غاردينر" في مؤتمر في بـرلين - الذي يدرّس في جامعة الدفاع القومي- (هناك خطة جاهزة لتضرب ٤٠٠ هدف باسـتخدام أسلحة تقليدية ضد المرافق النووية وتستغرق ٥ أيام بما فيها ٧٥ موقع بحاجة إلى استخدام قنابل خارقة للسـطوح العميقـة. إضافة إلى ضرب مصنعين لإنتاج المواد الكيماوية وقواعد لإطلاق الصواريخ الباليستية مع ضرب ١٤ مطارا مغطى كذلك ستكون هناك حاجة لاستخدام قوات خاصة).

الخطة الثانية, تشمل قصف جوي محدود في مواقـع نووية أساسـية وبشكل سريع ولفترة يوم واحد فقط. وبسبب استحكام المبـاني والموانع في مواقع إيران النووية فمن الصعب تدميرها بقنابل وصورايخ عادية, فلهذا ان الإدارة الأمريكية درست ضرب تلك المواقـع بقـنابل ذرية وذكية حسـب وصفهم. وهذا ما (قاله كينيث بولاك المحلل السابق في "سـي آي إيه" »ظل المخططون يرددون أنهم بحـاجة إلى قنابـل نووية قـادرة على الاختراق أهداف بـعمق ٨ أمتار)وأكدت مجلة المحـافظ الأمريكي (american conserevatveهذه الخطة بتقرير كشف عن إن, نائب الرئيس الأمريكي تشيني قد أصدر أوامره بـإعداد خطة طوارئ, وتضمن الخطة هجوما جويا شاملا على إيران باستخدام الأسلحة النووية التكتيكية.

وإذا نفذ السيناريو العسـكري, فهذا يعني الدخول المباشـر في إيران ونهاية حكم النظام الإيراني على الطريقـة الأفغانية والعراقـية, ولن تكتفي الولايات المتحدة وأوروبا بالضربات الوقـائية لتدمير المواقـع النووية في إيران(اذا دمرت بالكامل) فقط. لان الخطر الذي يهدد مصالح العالم بأسـره ليس فقط السلاح النووي بل سياسة ونهج النظام الإيراني في المنطقة. إضافة

على ان هناك مصالح ومشاريع جمة ستتحقق في احـــتلال إيران وإزاحـــة النظام والسيطرة على ثروات المنطقـــة والشـــرق الأوســـط. وبـــتنفيذ هذا السيناريوستكون الشعوب المضطهدة(الغير فارسية) التي تشـــكل أكثر ه ٦٠% من عدد سكان إيران والمحـــيطة بــــه من كل الإطراف, على محـــ التجربة حيث تكون الفرصة للتخلص من نظام متخلف وغير شـــرعي على أراضيهم القومية وبالطبع ســـتكون نقـــطة انطلاق لأي عمل من هذا النوع وبدئت أطراف عدة تتحرك وتبني علاقـــاتها لكي تلعب دور مؤثر في ذلك الحدث. التطورات في ملف النووي الإيراني وتداعياته التي بدأت تطفو على السطح تزامنا مع التحرك الواســـع للشـــعوب الغير فارســـية في إيران في ميادين داخلية وخارجية عدة أخافت الفرس في النظام والمعارضة على حـــد ســـواء ودفعتهم إلى اتهام الولايات المتحـــدة وبـــريطانيا في التدخل وإثارة القـــضايا القـــومية في إيران, وما يعكس هذا التخوف هوكلما طالبـــت تلك الشعوب بحقوقهم بشكل ســـلمي وحـــضاري, واجهتهم إيران بـــهمجية وآلة عسكرية مدججة وكانما تقابل جيوش مسلحة من خارج الحـــدود. هذا الأمر يعكس الهاجس وجزء ضئيل من التخوف الإيراني بتواجد القوات البريطانية والأمريكية على حدودها من كل الجهات. فقد حذر مسئوولون كبار في الأمن الإيراني في تقاريرهم الاستخبارية الخاصة التي تسربت بشكل سري للغاية, حذروا من سيناريو (انفصال خوزستان) الأحواز العربية التي تحـــتوي على مصادر البترول والغاز الأساسية في إيران, وســـيطرت الولايات المتحـــدة الأمريكية وبريطانيا على تلك المنطقة الاستراتيجية كـــ احدى السيناريوهات ضد إيران.

٢-السيناريو الاقتصادي والدبلوماسي, محاصرة إيران اقتصاديا ودبلوماسيا اقرب زمنيا وأسهل من أي سيناريوآخر للتطبيق, نظرا لإحـــالة ملف إيران الى مجلس الأمن وعدم مخالفة الصين وروسيا بشكل شديد مقـــارنة بالحـــل العسكري. خاصة إذا فشلت المحاولات للتوصل إلى حـــل يرضي الإطراف المعنية حول ملف إيران النووي. فالعرض الأوروبي التي يتشكل من ســـت بنود ويحـــتوي على جملة من الامتيازات والحـــوافز الاقـــتصادية والأمنية

والسياسية وحتى النووية لإيران والحوار المباشر للولايات المتحدة إلى جنب أوروبا مع إيران, ستكون آخر الفرص والمحاولات, قبل تطبيق البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة والذي بموجبه ستواجه إيران عقوبات اقتصادية ودبلوماسية. وعلى طهران بموجب هذا العرض ان تختار بين تعضيد العلاقات مع المجتمع الدولي اوفرض عزلة دولية عليها. وتطبيق هذا السيناريو سيخلق أزمة حقيقية في إيران نظرا للظروف الصعبة التي يمر بها النظام في الداخل حيث قال إبراهيم يزدي- رئيس حركة نهضة الحرية- " إن إحالة ملف إيران النووي إلى مجلس الأمن سيترك أثار سلبيا على إيران وعلى الوضع الاقتصادي والاجتماعي ويزيد من ألازمات إيران الداخلية والخارجية". وسيكون هذا السيناريو بداية المواجه, والبدء في السيناريو الذي طبق على العراق منذ بداية التسعينيات بدءا بالعقوبات الاقتصادية والدبلوماسية ومرورا بالضربات الوقائية والجراحية حتى وصولا بالهجوم العسكري واحتلاله مباشرة ونتائجه أصبحت واضحة للجميع.

وهناك خطة أمريكية لمحاصرة إيران اقتصاديا, والتي نشرت في الكثير من الجرائد العربية والأجنبية وتتلخص بالشكل التالي:

أ ــ عزل أنصار انتشار أسلحة الدمار الشامل في إيران ماليا.

ب- عزل المسؤولين في النظام الإيراني المتورطين في تصرفات غير قانونية، ماليا

ج – إقفال الحسابات المالية للحكومة الإيرانية

د – وقف إجراء التعاملات المالية الرسمية للحكومة الإيرانية

هـ – تجميد أرصدة الحكومة الإيرانية

و – منع تخصيص قروض تصدير من اجل مشاريع تصب في صالح الحكومة الايرانية.

٣- الواقع العراقي: بعد مرور أكثر من خمس سنوات على احتلال العراق من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وعدم استقرار الوضع الأمني والسياسي في العراق, حذر كثير من المحللين العسكريين, الولايات المتحدة اذا لم تغير سياستها واستراتيجيتها سيكون العراق

المستنقع الفيتنامي لقواتها. وعلى هذا الأساس وبما ان ايران لها تغلغل واسع وطموحات كبيرة في العراق وبعد ما أصبح دور ايران فى العراق ملحوظ بشكل قوي وملامح تشكيل قوة عراقية بدنت تلوح بالافق الذي يتناقض مع طموح وخطة الولايات المتحدة ومشروعها الشرق الأوسط الكبير, سيكون توريط إيران في المستنقع العراقي احد اهم السيناريوهات الأمريكية لإيران. حيث صرح النائب العراقي صالح المطلق في يوم السادس عشر من حزيران (يونيو) ٢٠٠٧ بمؤتمر صحفي في الأردن, "ان إيران أصبحت أقوى في الساحة العراقية من الولايات المتحدة ."

الولايات المتحدة لها تجربة عملية في توريط أعدائها في الهلاك على سبيل المثال كان لجهاز الاستخبارات الأمريكية الـ سي أي اية دور مهم في توريط الاتحاد السوفيتي في أفغانستان. وأوقعت الولايات المتحدة في العام ١٩٩٠ الجيش العراقي في الكويت بعد إعطائه الضوء الأخضر لدخول القوات العراقية في الكويت وتدميره بشكل فضيع في الصحراء وعلى يد قوات تابعة لأكثر من ثلاثين دولة .

الحوار الأمريكي- الإيراني حول العراق الذي وافق عليه الطرفان ليس الا محاولة لاستدراج النظام الإيراني إلى منطقة الافخاخ المدبرة وتوريطه في المستنقع العراقي. خاصة وان إيران لن تكف عن سياسة تصدير الثورة وشعاراتها بتحرير القدس ومحاولتها لتكون القوة الإقليمية الوحيدة في منطقة الشرق الأوسط ونفوذها الواسع في العراق ستكون دوافع إيران للانجرار في هذا السيناريو.

بالمقابل هناك أوراق إيران في صراعها لامتلاك القنبلة النووية وحربها المحتملة وأهم ما تمتلك إيران من نقاط قوة والتي تعول عليها في مواجهتها المحتملة مع الغرب:-

اولا- النفط: تراهن إيران في صراعها القائم حول ملفها النووي على ورقة النفط حيث تلوح بإيقاف تصديره إلى الدول الأوروبية وخلق أزمة حادة بارتفاع أسعار النفط. وتنتج إيران ٣,٩٧٩ مليون برميل يوميا, يستخدم منه يوميا ١,٤٢٥مليون برميل ويصدر يوميا ٢,٥ مليون

برميل(حسب إحصائية العام ٢٠٠٥ لموقع عالم الحقـائق).وإذا نفذت إيران تهديدها بقطع تصديرها للنفط فستكون إيران أول المتضررين من ذلك, لان اقتصادها معتمد بشكل كبير على تصدير النفط .

ثانيا- مضيق هرمز: لا شك إن الموقع المناسب والاستراتيجي يلعب دور كبير في تحديد مسار الحرب والتأثير على مصيرها, وإيران مطلة على مضيق هرمز بطول ٣٣ ميلا وهوموقع استراتيجي مهم يربـط الخليج العربي ببحـر عمان. وإذا سـيطرت إيران على هذا المضيق أومنعت مرور الحركة فيه, في وقت الحرب خاصة اذا ما استمر الحرب بـدون تحقيق انتصار سريع وانهاء العمليات العسكرية والسيطرة على الوضع, ستتمكن ايران في الضغط على الدول الغربية ويتأثر اقتصادها بشـكل كبير نظرا لان مضيق هرمز ممر مائي دولي, ويمر منه حوالي ٨٠% من نفط المنطقة أو ما يقارب ربع نفط العالم, وبحـدود ٤٠% من تجارة العالم. وفي تقـرير أمريكي نشـرته "نشـرة نيويوركر" الأمريكية ان الحرس الثوري الإيراني يمتلك ٧٠٠ موقع من ميناء ومرسى وجزيرة ونقاط مختلفة على طول الضفة الشرقـية للخليج العربـي, يسـتخدمها للتهريب وفي أوقات الضرورة قد يستخدمها لأغراض عسكرية.

ثالثا- قدرات إيران الضاربة , أحدى أوراق إيران في المنطقـة والعالم التي يراهن عليها في أية مواجهة هي قواتها الضاربة التي يدربـها ويشـرف عليها الحرس الثوري(سباه باسدران). وحسب آخر إحصائية إيرانية ان الحرس الثوري درب ما يقارب ٤٠ ألف انتحـاري خاصة من الشبـاب والمراهقين في المدارس الثانوية والمتوسطة بعد المرور بدورة تدريبـية (عقائدية) لغسل أدمغتهم (مثل ما حصل في الحرب الإيرانية العراقـية) بهدف ضرب مصالح الولايات المتحدة الأمريكية في أنحاء العالم وخاصة في المنطقة إذا ما شنت الحرب عليها.

رابعا- الورقة الإسلامية: يعتقد الكثير بإن إيران تستطيع تحريك مشـاعر المسلمين في أنحـاء العالم لمواجه الغرب وعلى رأسـهم أميركا, إذا ما تعرضت لهجوم عسكري وهذا ما تسعي إليه إيران وقيادتها بـان تبـدل

الصراع القائم بين إيران والولايات المتحدة حول الملف النووي, لصراع بين الإسلام والكفر أو الصليبيين و على هذا الأساس تحركت إيران على تشكيل جبهة إسلامية عريضة بقيادة المرشد الأعلى خامنئ أي لمواجهه الغرب.

خامسا- الورقة الشيعية: بما إن إيران تمثل المسلمين الشيعة بصفتها الدولة الوحيدة في العالم الإسلامي التي ترفع شعار الشيعة وتعتبر حكمها هو حكم الله بغياب الإمام المهدي المنتظر في فلسفة أهل الشيعة, حيث يعتقدون ان الخلافة والحكم بعد الرسول هو لعلي بن أبي طالب و آل بيته وصولا بالإمام الغائب. وفي غياب المهدي بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر, الحكم الشرعي هو لولي الفقيه,(علي خامنئي حاليا وسبقه الخميني) الذي يحكم إيران حتى ظهور المهدي. وبهذه الفلسفة, اغلب الشيعة يعدون إيران هي قبلتهم وقيادتهم الروحية. وتعول إيران كثيرا على هذه الورقة, خاصة في جنوب العراق وجنوب لبنان.وتعمل ايران على نفوذها في الشرق الأوسط حيث يقول يوشكا فيشر " إيران تراهن على حدوث تغيرات ثورية داخل البنية الأساسية للقوة في الشرق الأوسط بالصورة التي تساعدها في تحقيق غايتها الإستراتيجية. و على هذا فهي تستغل إسرائيل و الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، لكنها تستغل أيضا لبنان، وسورية، فضلا عن نفوذها في منطقة الخليج، وفي المقام الأول في العراق. و هذه التركيبة التي تتألف من طموحات الهيمنة، والجدال بشأن الوضع الراهن في المنطقة، علاوة على البرنامج النووي، تشكل خطرا داهما".

سادسا- ورقة معارضي السياسة الأمريكية: إيران تحاول كسب تأييد مواقف الدول المعارضة للسياسة الأمريكية لمصلحتها من خلال حشد هذه الدول ضد أميركا التي استفردت في قراراتها عندما هاجمت أفغانستان واحتلت العراق. وتعول إيران خاصة على دول كـ روسيا و الصين وكوريا الشمالية وفنزويلا وسورية وكوبا, باعتبار تلك الدول مناهضة لسياسة واستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في العالم ومنطقة الشرق الأوسط خاصة. وتراهن إيران بشكل خاص على الصين وروسيا اللذان

يحتلان موقعان دائمان في المجلس الأمن ولهما حق الفيتوضد أي قرار دولي صادر من مجلس الأمن, حيث لن يصدر أي قرار من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة إلا وان يكون بالإجماع الدول الخمسة دائمة العضوية في مجلس الأمن (الولايات المتحدة الأمريكية, بريطانيا, فرنسا, الصين وروسيا).

وتجمع إيران من جهة والصين وروسية من جهة أخرى, مصالح ومشاريع اقتصادية في قطاع النفط والغاز والسلاح العسكري والنووي ويقدر بمليارات الدولارات. وتأتي مساندة روسية والصين لإيران من اجل الحفاظ على تلك المشاريع الضخمة في ما بينهما وأيضا محاولة من كل البلدين أي الصين وروسيا الاحتفاظ بمواقع استراتيجية ومهمة في العالم وخاصة في الشرق الأوسط لهما. بعد ما فقد الاتحاد السوفيتي (روسيا- الوريثة الحالية له) كل مواقعه كدولة وقطب كانت له ما يقارب نصف مواقع وثروات العالم قبل التسعينيات. ومن هذا المنطلق تحاول روسيا ان تحافظ على تواجدها ومصالحها التي أصبحت مهددة من الأمريكان. فسقوط الاتحاد السوفيتي وانهيار الاتحاد اليوغسلافي ودخول الولايات المتحدة الامريكية في حروب مع عدة دول مثل العراق وأفغانستان وربما في إيران وسورية و...مستقبلا, كلها تصب في محاصرة الصين ومنعها من النهوض كدولة تتمتع بمواصفات عدة لتأخذ مكانة الولايات المتحدة كامبراطورية عظمى, حيث تتمتع الصين بمليار والنصف المليار من البشر والمساحة الجغرافية الواسعة جدا(٩,٥٧٢,٩٠٠ كيلومتر، ثالث أكبر دول العالم) وقدرتها العسكرية الهائلة ومنها النووية وطموحها الدؤوب والمحسوب وكذلك قدرتها الاقتصادية. تمسك الصين بموقف معارضة ضرب إيران عسكريا واحتلالها أوفرض عقوبات انتصادية عليها ناتج عن خوف الصين من السيطرة الأمريكية المطلقة في هذا البلد الاستراتيجي والمهم وضياع مصالح الصين هناك

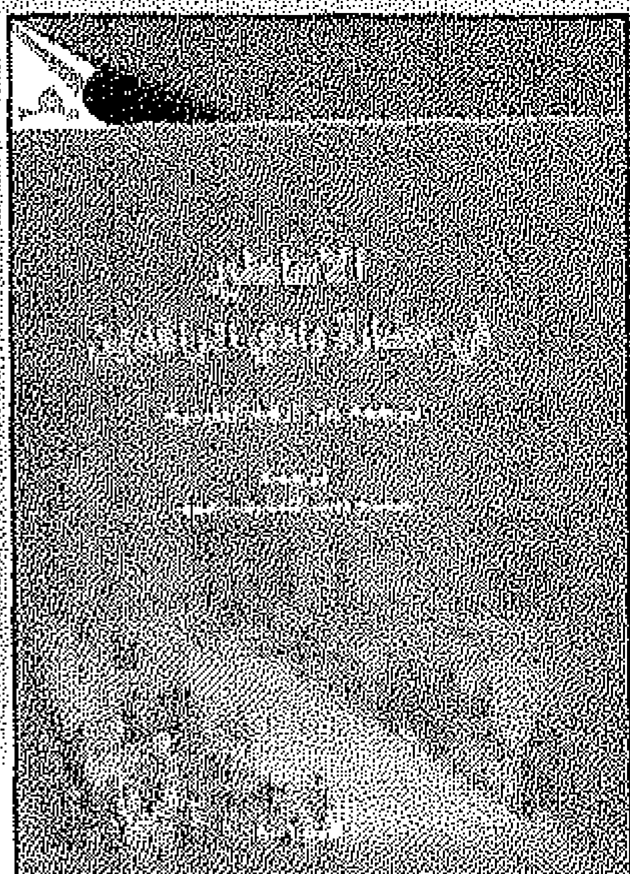
سابعا- نفوذ إيران في لبنان, لا شك ان لإيران دور بارز في لبنان من خلال

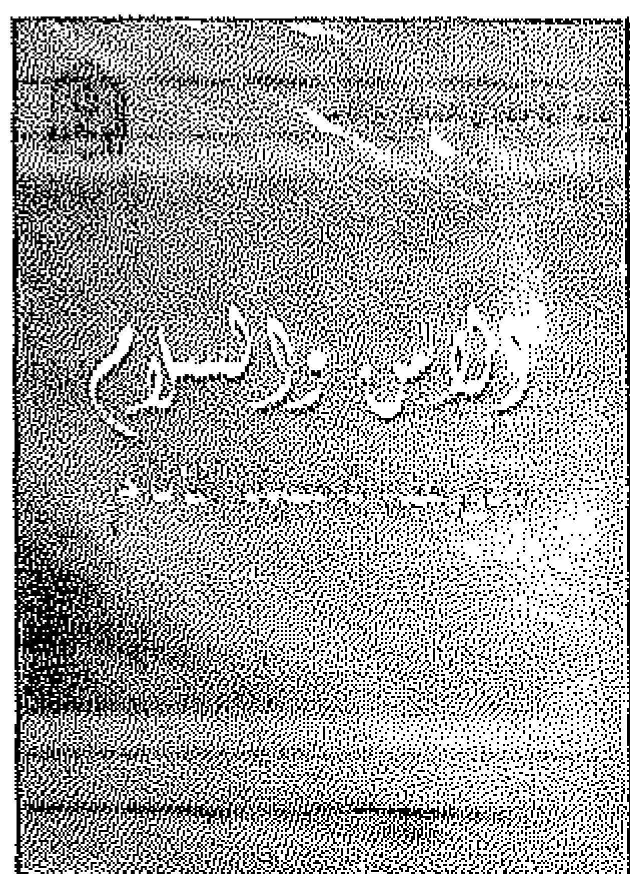
حزب الله والعلاقة العضوية بينهما وخاصة بعد الانسحاب الأمني والعسكري السوري من لبنان, أصبحت إيران هي الوحيدة التي تملك القرار في جنوب لبنان. دعم إيران السياسي والاقتصادي لحزب الله, الذي يصل إلى ١٠٠ مليون دولار سنويا بشكل مباشر وتمويل مؤسسات تابعة لهم عن طريق جهاد البناء(جهاد سازندگي) الإيراني في لبنان, يأتي من اجل تامين موقع استراتيجي وورقة إيرانية في لبنان. وتصريحات المسئولين الإيرانيين بانه اذا تعرضت بلادهم لاي هجوم عسكري, سترد إيران في أي مكان ضد الأمريكان وإسرائيل في كل أنحاء العالم هو تلميح باستخدام ورقة حزب الله وإثارة البلبلة والفوضى في لبنان وعلى حدودهم الجنوبية مع إسرائيل في مزارع شبعا. كان حزب الله حتى العام ١٩٩٠ يرفع العلم الإيراني ويعتمده قبل ان يضع علمه الحالي ومازال العلم الإيراني في بعض مناطق الجنوب يرفرف على بعض المؤسسات وصور الخميني وخامنئي ورموز إيران تتواجد على الجدران وفي مكاتب ومؤسسات حزب الله وهذا دليل على ان الحزب, ورقة إيرانية وتابع للمرشد الأعلى في إيران, بدل ان يكون ورقة لبنانية وتابع للقيادة اللبنانية. وما يؤكد هذه الحقيقة اعتراف احد قياديي حزب الله في رده على سؤال طرحه عليه في مؤتمر صحفي, هل انتم جزء من إيران؟ فرد عليه ... نحن إيران في لبنان ولبنان في إيران .ان حزب الله هو أحدى أوراق إيران في الرد على التواجد الأمريكي في لبنان وتستطيع استخدامه في اي وقت يخدم مصالحها والعملية التي قام بها حزب الله في يوم الثاني عشر من شهر تموز (يوليو)٢٠٠٦ والحرب التي شنتها اسرائيل بقصف واسع لكل المنشآت المدنية والاقتصادية و..في فلسطين ولبنان بدءا من تاريخ ١٢-٧-٢٠٠٦ تأتي بهدف لفت اهتمام وأنظار العالم إلى هذا الحدث في وقت الذي كان ملف إيران النووي على رأس جدول أعمال القمة السنوية لدول الصناعية الثماني الكبرى في مدينة سان بطرسبورغ الروسية في يوم الخامس عشر من شهر تموز لمناقشة أهم القضايا الدولية ومنطقة شرق الأوسط, حيث كان يوم انعقاد القمة هو يوم الأخير والمهلة النهائية

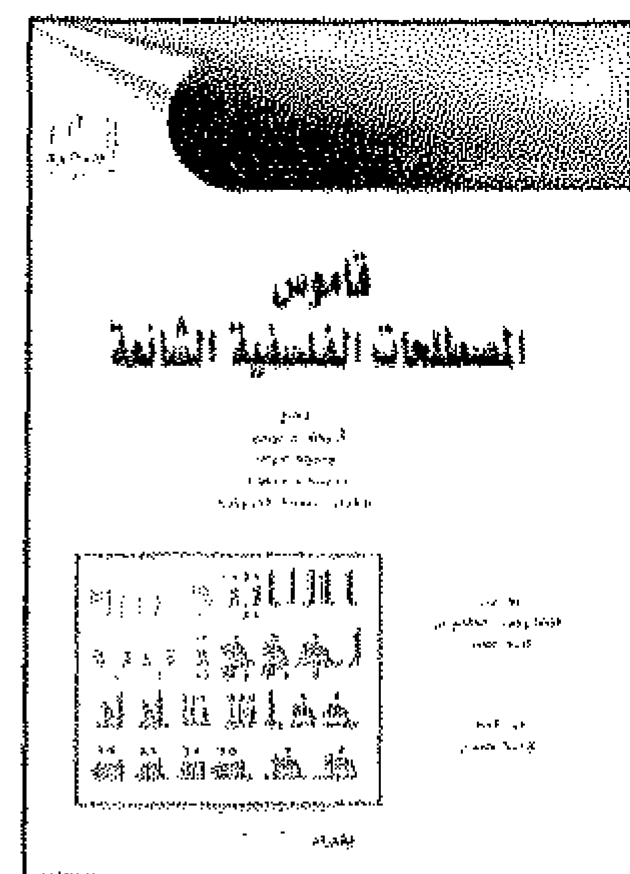
التي عرضت على إيران لتجيب طهران على مقترحات وحـوافز الدول الثماني الكبرى لحل ألازمة النووية الإيرانية. وبذلك نجحت إيران بـتنفيذ سيناريو حافة الهاوية اوتفجير الوضع في مكان ثاني عن طريق حزب الله في لبنان.

ثامنا- الصواريخ الإيرانية وأسلحة الدمار الشـامل: امتلاك إيران أسلحـة الدمار الشامل وصواريخ بـعيدة المدى من طراز شـهاب واحـد واثنين وثلاث وأربعة الذي يصل مداه حوالي الفين كيلومتر. وصواريخ بـي ام - ٢٥ روسية التصميم وكوريا الشمالية الصنع التي يصل مداها إلى ٢٥٠٠ كيلومتر والأسلحة المتطورة نسبيا التي اشـترتها طهران من دول مختلفة تشـكل أحـدى أوراق إيران التي تراهن عليها في الرد على الهجوم العسكري من قبل الولايات المتحدة وحلفائها.

لكن أسلحة إيران ومهما طورتها وحدثتها بتكنولوجية روسية وصينية، تعد أسلحة تقليدية جدا مقابل التكنولوجية الغربـية والأمريكية خاصة مثل صواريخ عابرة القارات وغواصات البحور وطائرات الشبح التى تقـلع من أوربـا وتصيب أهدافها في الشـرق الأوسـط وترجع مباشـرة إلى قواعدها. ناهيك عن الأجهزة والتقنية المتطورة في كل المجالات وخاصة في المجالات العسكرية واختراق الأهداف مهما تحصنت بمواقع قوية.

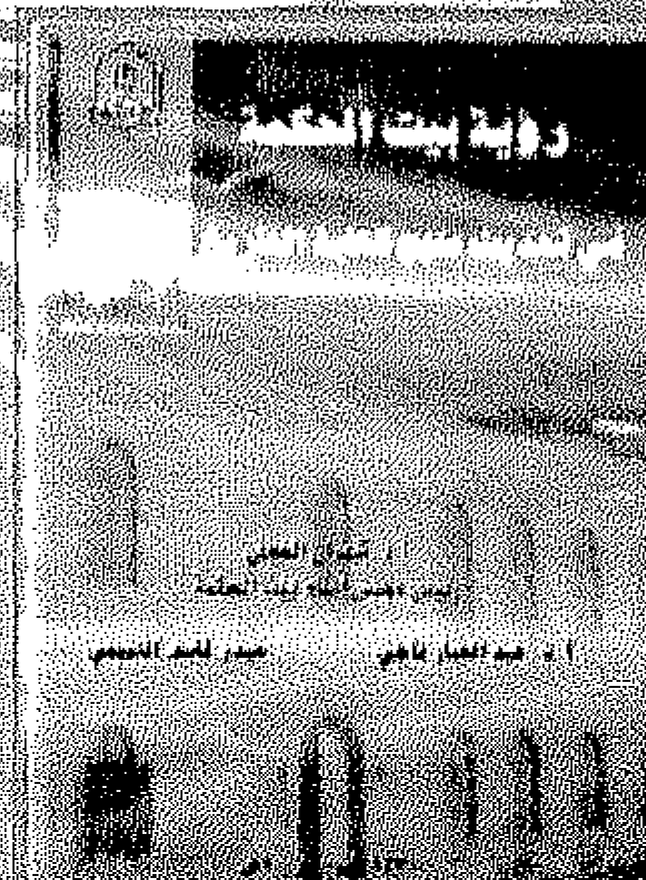


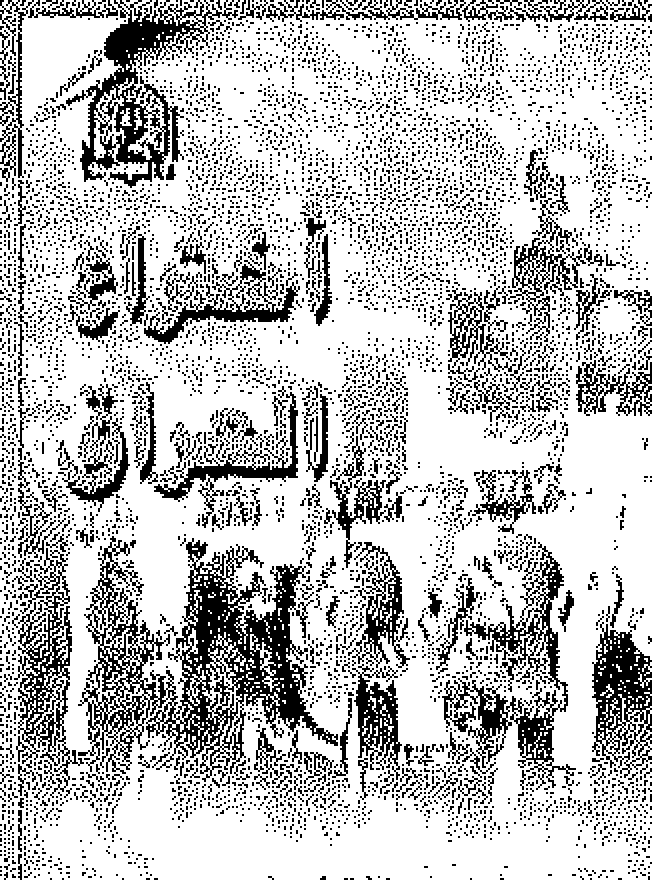




اصدارات بيت الحكمة







هذا الكتاب

اصبحت التكنولوجيا النووية وامتلاك قدراتها عاملاً مهماً في تحديد مكانة الدولة وما يمكن ان تحصل عليه من مكاسب او امتيازات في مواجهة خصومها والتهديدات الموجهة الى نظامها السياسي وهذا ما جعل من العديد من الدول تسعى الى امتلاك التكنولوجيا النووية والاستفادة منها في مختلف المجالات، الا ان هذا السعي اصبح اليوم مشكلة كبرى للعديد من الدول وبات التهديد والوعيد لغة واضحة في محاولة لمنع او قمع الدول الساعية لامتلاك هذه الطاقة او محاولة الاستفادة منها ومن هنا جاءت هذه الدراسة عن البرنامج النووي الايراني.

ان محاولة الإلمام بالاهداف الايرانية من وراء برنامجها النووي محاولة صعبة نوعاً ما فالدول غالباً لا تكشف عن اهدافها وطموحاتها بسهولة وخصوصاً اذا كانت تواجه تحديات وتهديدات من مختلف الاطراف التي تتخوف من هذه الطموحات والبرامج، الا ان الدراسة حاولت الاحاطة ببعض الاهداف المعلنة عن البرنامج الايراني دون اغفال ما يمكن ان تنطوي عليه الطموحات الايرانية اذا كانت بنوايا غير معلنة من مخاطر وتحديات آنية ومستقبلية.



بيت الحكمة/ جمهورية العراق- بغداد

هاتف/ ٤١٤٠٠١٥/ ص.ب. ٥٣٦٤٠

Email:baytal_hikma@yahoo.com
Info@baytulhikmairaq.org

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق (٣٤٢) لسنة ٢٠٠٩

مطبعة الزمان

تصميم الغلاف/ عمر عادل عباس